

سنتحدث قليلاً عن أبطال القصة وسأخط بقلمي مواصفات ومشاعر كل منهم.

سارة: فتاة جميلة ولطيفة، تبلغ من العمر ثلاثة وعشرون سنة، تخرجت من كلية الصيدلة منذ سنة وهي الآن لديها صيدلية لبيع الأدوية، مواصفاتها مميزة، بشرة حنطية مائلة للسمره وجذابة بشكلٍ خاطف للعقول، فيها الصغير المرسوم باحترافية، عيناها بلون العسل الصافي، أنفها الدقيق والمناسب لوجهها، شعرها البني الغامق والمموج، جسدها الممشوق والرشيقي، لديها صديق كان معها في الكلية وهي معترفة من قلبها بأنها معجبة به، تعيش مع خالتها وفاء المطلقة من زوجها بسبب عدم إنجابها للأولاد، والدتها توفيت بمرض خبيث منذ خمس سنوات ووالدها لحق بوالدتها وتوفي أيضاً من شدة قهره على زوجته الحبيبة، حسناً سأترك القلم قليلاً لكي نتحدث سارة.

لا أعلم كيف سأعبر لكم عن ما بداخلي، صدقوني سيحدث معي الكثير والكثير من الأشياء وستعلمون ماهي في أحداث هذه القصة، قلبي وروحي كلها أصبحت له، لا أعلم كيف استطاع بأن يسيطر علي ويوقعني في شبكته، أشعر بالندم كثيراً، لطالما تمنيتُ حياةً هادئة بعيدة كل البعد عن الحزن والتعاسة ولكن لا، أتنتي أيام صعبة ومؤلمة جداً، لا أستطيع أن أعبر عن ما بداخلي من مشاعر وأحاسيس، لقد أحببته وأحببت كل شيء به ولكنني لم أخون الثقة، ليس ذنبي وإنما قلبي المذنب الذي جعلني أتعلق به وأؤمن بحبه الموهوس، ستعلمون قريباً عما جرى لي، سيتهمونني بالخيانة، بالدنانة، بالسفالة، ولكن كل هذا لن يؤثر بي أبداً.

إياس: شاب وسيم وهادئ، يبلغ من العمر ثلاث وعشرون أيضاً، يكبر سارة بعدة أشهر فقط، تخرج من كلية الطب منذ سنة، وهو يمارس مهنته في المستشفى الخاص كمرض مبتدأ، مواصفاته هادئة جداً، طويل القامة، عيناها سوداء، رموش كثيفة، شعر أسود وبتسريحة مميزة لا ينفك عن تغييرها لأنه يعلم بأنها تناسبه، جسد مقبول ورياضي، بشرته الخمرية، أنفه المدبب، شفاته الممتلئة، لحيته الخفيفة، حسناً باختصار هو و جذاب، هو صديق سارة منذ دخوله لكلية الطب، كان يلتقي بها معظم الأحيان ويهوى مجالستها لأنها خفيفة الظل والدم، ليعلم بأنه واقع لها منذ أول لقاءٍ له معها، يعيش مع والده والدته وشقيقته الصغيرة، حياته هادئة وجميلة، ليس لديه أية مشاكل في حياته، متعلق في والده كثيراً، يعتبره صديقه وليس والده، يحكي له كل شيء ولا ينفك عن المزاح معه والضحك برفقته، لديه صديقان مقربان منه يجالسهما في أوقات الفراغ، وضعه المادي جيد جداً ولا ينقصه شيء، حسناً والآن سأترك له القلم أيضاً لكي يتحدث عن الذي في قلبه قليلاً.

أهلاً ومرحباً، لا أريد أن أكثر بالكلام ولكن سأحكي القليل والباقي ستعرفونه في القصة، لا أعلم كم من الصدمات تحملت، كم من العذاب والألم نزل علي، ثمّة شخصٌ اعتبرته قدوتي وسندي في هذه الحياة ولكنه خانني بشكلٍ موجه، لا أعرف كيف سأتعرف وكيف سأتعامل معه، والأهم من ذلك تلك التي دق قلبي لها لم تكن تستحق نبضات قلبي التي صرخت بإسمها، سارة، اللعنة على شيء اسمه سارة، اللعنة على الحياة واللحظات التي عشتها برفقتها، أعلم بأنني أحبها ويصعب عليّ أن أخرجها من قلبي بهذه السهولة، ولكنني أنا أقوى من أن أهزم من أجل فتاة لا تستحق حبي لها.

ماسة: شقيقة إياس، فتاة جميلة وبشخصية قوية، هي أصغر من إياس بثلاث سنوات، أي أن عمرها الآن عشرون عاماً، مازالت تدرس في جامعتها وفي مجالها المفضل الذي هو الأدب العربي، تعشق القصص الرومانسية والمطالعة وتتمنى أن تصبح أشهر كاتبة ومؤلفة وتسعى لتحقيق حلمها، مواصفاتها تختلف عن شقيقها كثيراً، فهي لا تشبهه ابداً، تشبه والدتها كثيراً بينما إياس يشبه والده، عيناها زرقاء، خصلات شعرها

الذهبية القصيرة، يصل شعرها إلى أكتافها، بشرتها ناصعة البياض، شفيتها الممتلئة والمكتنزة، أنفها الصغير والدقيق، جسدها الرشيق والممشوق، وطولها المناسب أيضاً، تحب أخاها جداً وتهوى كل ما يحبه، تعتبره صديقها ورفيق دربها وقوتها، تحب والدتها أيضاً ومتعلقة بها جداً، وتهوى مازحة والدها ودلاله الذي يطرها به فهي مدللة أبيها، وها هو القلم لك يا ماسة.

حسناً مرحباً بكم، عذراً ولكنني لا أستطيع أن أفصح عن ما بداخلي ولا أريد بأن أتحدث عن تلك الفتاة اللعينة التي هدمت حياتنا، لقد سرقت فرحتنا وكل السعادة التي كنا نعيش بها، كانت حياتنا جميلة وهادئة ومن بعد اقتحامها لحياتنا أصبحت حياتنا بشعة ومؤلمة جداً، خسرتنا كل شيء بسببها، خسرت حنان والدي والديني ولم أعد أريد شيئاً سوى الابتعاد عنها وعن أي مكان تكون هي به.

سامح: والد إياس وماسة، وبطلنا الأساسي في هذه القصة، رجل ذو جاذبية خاصة، عمره ستة وأربعون عاماً، لديه النفود والسلطة، وسامته صارخة، بالرغم من أنه رجل في أواخر الأربعينات ولكنه حقاً يمتلك شخصية جذابة ورجولة طاغية، لديه جسد ضخم ورياضي، النساء تتهاقن عليه ولكنه لا يبالي لأي واحدة منهن، مسؤول عن جامعة إدارة الأعمال وهو الأمر النهائي بها، يمتلك الكثير من الأموال هو وزوجته، إليكم مواصفاته، عيناه باللون البني الغامق، شعره الكثيف والمائل للبنى قليلاً وبتسريحة مميزة وخاصة بعمره، شفاته المرسومة، لحيته الخفيفة والتي تخطف الأنظار، وقاره الذي يلفت النظر، هو وسيم ولا نستطيع أن ننكر ذلك، يعيش في منزله الواسع وبرفته ولداه المدللان وزوجته المصون (جيداء)، زوجته امرأة جميلة تحب الهدوء والنظام، تكبر زوجها بخمس سنوات، كانت معيدة في الجامعة في صغرها وسامح كان طالب عندها في سنته الأخيرة، تقربا من بعضهما وتزوجا بعد العوائق التي مرا بها من جهة الأهل وفارق العمر الذي بينهما، ولكنهما تخطا العوائق وظلا مع بعضهما إلى أن تزوجا وأنجبا إياس وماسة، وهما الآن يعيشان حياة هادئة ولكن لن تبقى حياتهما هكذا إلى الأبد، هي امرأة جميلة ولكنها مغرورة بعض الشيء، شقراء وعيناها زرقاء، وبجسد لا بأس به، عمرها واحد وخمسون سنة، والآن للمرة الرابعة سأترك قلبي للسيد سامح.

يا إلهي كم أنني أعاني، حقاً لم أكن أتوقع أن يحدث لي ما حدث، خسرت حب عائلتي، خسرت زوجتي واحترام أولادي لي، لم أعد كما كنت فقد تغيرت كثيراً ومر علي الكثير برفقة تلك التي ملكت قلبي وتربعت على عرشه، ليس بيدي كل الذي حدث وكل الذي مررت به، صدقاً أحبها، لا بل أعشقها، كل نبضة من قلبي تصرخ بإسمها، لا أعلم كيف تعلقت بها ومتى، هي حبيبة ابني ولكنني أحببتها ودخلت قلبي، ستواجهني الكثير من الأحداث في هذه القصة، وسأترك الكاتبة هي من تخط بيدها وتحدثكم بالتفصيل الممل عن حياتنا.

002 :pm الساعة

يدخل بسيارته من بوابة منزله الكبير إلى حديقة المنزل، يترجل من سيارته متوجهاً إلى داخل منزله بثقة، تعبه وهندامه الغير مرتب لا يمنع بأنه مازال برجولته الطاغية وأناقته المعهودة، دخل إلى منزله لتستقبله ابنته الصغيرة بالأحضان والقبلات، ابتسم لها باتساع حالما بدأت تقبله، بادلها العناق والقبل ليتوجه بها إلى صالة المنزل ليجد زوجته الجميلة جالسة على الأريكة، اقترب منها بابتسامة ليقبلها من جبينها ومن ثم جلس بجانبها وبجانبه ابنته ماسة، قرص وجنة ابنته ليتحدث بمرح:

"أين أخاكِ أيتها الصغيرة"

عبست بوجهها لتقول:

"لست صغيرة أبي بعد عدة أيام سأصبح بالعشرين من عمري"

ابتسم بابتسامة جانبية وشاركته زوجته ليقول سامح:

"ستبقين صغيرتي المدللة مهما أصبح عمرك"

ضحكت ضحكة صغيرة لتقترب وتقبل والدها بقوة جعلته يحفظ عيناه من هذه القبلة، ابتعد عنها لينظر لها بعينان جاحظة ويقول:

"مابكِ ابنتي هل تسمين هذه قبلة"

ضحكت ضحكة خجولة ليبتسم على ضحكتها، تحدثت زوجته جيداً بابتسامة:

"عزيزي هيا اصعد إلى غرفتك لكي تغير ثيابك وسنكون قد جهزنا الغداء"

أوماً ليقول:

"حسناً أين إياس"

قفزت ماسة وتحدثت بحشوية:

"في غرفته لم يذهب للمستشفى اليوم"

عقد حاجبيه ليقول:

"ولماذا"

هزت كتفيها دلالة على عدم معرفتها ليحرك رأسه موافقاً وينهض متوجهاً إلى غرفة ابنه، طرق الباب ليدخل عليه ويبتسم له، بينما كان إياس جالس على سريره ممسكاً بيده كتاب ويقرأ به، حالما رأى والده أغلق الكتاب بسرعة ووضع خلفه، ابتسم سامح باستمتاع ليقول:

"لقد رأيت اسم الكتاب لا داعي لتخفيه"

نظر له بقوة ليقول:

"حسناً إذاً اقترب واقراءه معي"

اقترب سامح من ولده وجلس بجانبه ليأخذ الكتاب من خلفه ويتصفحه بسرعة، أغلق الكتاب ليضحك ضحكة رنانة ليببتسم ابنه وهو مطرق برأسه ليردف سامح:

"ما الذي جعلك تقرأ هذا الكتاب"

حك مؤخرة رأسه ليقول:

"مم لا شيء فقط أردت الإطلاع لا أكثر، لقد أخذته من رامي"

همهم له سامح ليقول:

"لما لم تذهب للمستشفى اليوم"

حرك كتفيه بلا مبالاة ليقول:

"لا يوجد شيء مهم ثم أنني أشعر بالملل"

حرك رأسه سامح بابتسامة ليضرب على فخذ ابنه بخفة ويتحدث وهو ينهض:

"حسناً إذاً تريد أن تخسر في لعبة الشطرنج اليوم، مم لا بأس، هيا لنتناول الغداء ومن بعدها سأدعك تبكي بسبب الخسارة"

ضحك إياس ضحكة رنانة ليقول:

"بل أنت الذي ستبكي ياسيد سامح، لا تنسى أن تجهز المناديل لتمسح دموعك"

نظر له والده ببرود ليقتررب ويضربه على كتفه بقوة نوعاً ما بينما إياس حاول تفادي الضربة وهو يضحك ليبتسم سامح ويخرج من الغرفة متوجهاً إلى غرفته ليغير ثيابه ومن ثم يتوجه للغداء مع عائلته.

في تلك الأثناء

كانت جميلتنا سارة موجودة في الصيدلية، ترتدي المربوطة البيضاء وتواظب عملها وترتب بعض الأدوية على الرفوف، دخل عليها شاب في أوائل العشرينات، التفت سارة ووضعت يديها على الكونتوار متحدثه بعملية:

"أهلاً، كيف أستطيع مساعدتك"

نظر لها الشاب نظرة جريئة ليقول:

"أوه أهلاً، مم بصراحة أريد شيئاً ولكنني أشعر بالخجل منك"

عقدت حاجبيها باستغراب لتبتسم وتقول:

"تفضل قل ماطلبك لا داعي للخجل من ماذا تعاني أو أعطني الوصفة الطبية وسأعطيك الدواء المطلوب"

همهم لها ليبتسم بمكر ويقول:

"ولكنني لا أريد دواء، بصراحة أريد واقي ذكري"

حفظت عيناها واحمر وجهها خجلاً من ماسمعه بينما ذلك الشاب كان يبتسم باستمتاع ومكر ليردف لها:

"ماذا ألن تعطيني طلي"

تحدثت بضيق وهي تشيح بوجهها عنه:

"ليس لدي ماتريده احتمال بأن تجد في صيدلية أخرى"

ضحك ضحكة رنانة ليقول:

"حسناً حسناً أيتها الجميلة أشكرك جداً، وداعاً"

حركت رأسها موافقة من دون النظر له ليخرج الشاب وعلى محياه ابتسامة مأكرة بينما سارة زفرت بضيق لتحدث نفسها:

"هذا ما كان ينقصني لأبيع هذه الأشياء في صيدليتي"

بعد وقتٍ طويلٍ من العمل والزبائن التي دخلت عليها انتهت سارة من عملها لتخرج وتغلق الصيدلية وتتوجه إلى منزلها مشياً على أقدامها بسبب قرب المسافة بين منزل خالتها والصيدلية ..

دخلت سارة إلى المنزل لترى خالتها جالسة بالصالة تشاهد فيلم أجنبي، ألقت عليها التحية لتقول خالتها بابتسامة:

"أهلاً بنيتي، هيا ادخلي وبدلي ثيابك لتتناول الغداء سوياً"

أومأت لها وتوجهت إلى غرفتها لتغير ثيابها ومن ثم خرجت لتتناول الغداء المتأخر مع خالتها، جلستا سوياً وقضيا وقتها بالأحاديث العادية ومن بعدها توجهت سارة لغرفتها لكي ترتاح قليلاً، ما إن دخلت حتى صدح صوت رنين هاتفها، أمسكت هاتفها لترى اسم المتصل وتبتسم، أجابت فوراً:

"أهلاً إياس"

ابتسم إياس ليقول:

"كيف حال جميلتي"

ضحكت برقة لتقول:

"أنا بأحسن حال"

همهم لها ليقول:

"حسناً كنت أريد الاطمئنان عنك فقط، كيف كان يومك في العمل"

أجابته:

"جيد جداً وشكراً على اطمئنانك"

ابتسم ليقول:

"همم حسناً أريد أن أتحدث معك بموضوع هام غداً"

عقدت حاجبيها بتعجب لتقول:

"هل هناك شيء إياس"

إياس:

"هناك موضوع ضروري جداً، غداً سأتي إليك لنذهب إلى أي مكان عام ونتحدث اتفقنا"

تعجبت من حديثه لتقول:

"ممم حسناً لا بأس غداً نلتقي"

ودعا بعضهما ليغلق إياس الهاتف وهو عازم على تنفيذ مايجول في خاطره، دخلت عليه ماسة لتقول:

"إياس هيا والدك يريدك في الصالة الكبيرة"

ابتسم ليقول وهو يهم بالنهوض:

"حسناً أيتها الصغيرة أتيت"

أنهى جملته وفر هارباً من شقيقته بينما هي صرخت بقوة:

"لست صغيرة عاااا ماماااا"

توجه إياس إلى والده، ابتسم له حالما دخل عليه ليقول إياس:

"يا إلهي مازلت مصرّ على الخسارة حسناً كما تشاء"

ابتسم سامح قائلاً:

"لنرى"

جلس إياس مواجهاً لأبيه وبدأت لعبة التحدي والتي هي الشطرنج، وككل مرة كان إياس يلاعب أبيه ويخسر ولكنه دائماً يعود ويلعب معه ظناً منه بأن هذه المرة سيفوز عليه وسيدعه يخسر:

"أوقف يا إلهي لما دائماً تريح أنت أبي"

ابتسم سامح بخفة ليقول:

"هل تريد أن تعلم لما دائماً أربح"

حرك إياس رأسه موافقاً ليرد سامح:

"هذا لأنني دائماً أفكر بالربح بينما أنت تخسر لأنك دائماً تفكر بخسارتي وليس بالربح"

همهم له ليحرك رأسه موافقاً وبيطئ ليقول:

"إذاً من الآن فصاعداً سأفكر بالربح وسترى كيف سأدعك تخسر"

ضحك سامح بقوة ليقول:

"أرأيت كيف تفكر بخسارتي أيها الأحمق"

نظر له بعبوس ليقول:

"حسناً أبي سترى كيف سأربح في المرة القادمة"

ضحك سامح و أنهيا جلستهما ليتوجه إياس إلى غرفته وهو يحاول جمع الكلمات المناسبة التي سيلفظها غداً أمام سارة وكأنه يفعل بروفا قبل لقائه بها، أنهى كلماته واستلقى على سريره وهو مقتنع بالكلمات التي سيلفظها أمامها غداً وعازم على نطقها ولن يتراجع أبداً.

في اليوم التالي

وفي تمام الساعة الثالثة كان إياس جالساً برفقة سارة في مقهى راقي كما تواعدا في الأمس، كانا يتحدثان بأمر عدة وعادية، حمم إياس بتوتر ونظرت له سارة لتقول:

"مم مابك إياس ما هو الموضوع الذي تريدني لأجله"

ما إن ذكّرتة بالموضوع حتى ارتبك وأصابه التوتر ولم يعد يعلم ما يقوله، وكان تلك الكلمات التي تدرّب عليها في الأمس ذهبت من عقله ونسيها، حمم ليتصنع الجدية ويقول:

"مم حسناً بصراحة الموضوع يعني هو أقصد أنني"

ابتسمت بخفة لتقول:

"ما بك إياس لما متوتر هيا قل ماذا تريد"

أخذ نفس عميق ليزفر بقوة ومن ثم أغمض عيناه ليقول بسرعة:

"أريد أن أتقدم لخطبتكِ مارأيك".

"عندما أراكي أرى الدنيا وكأنني ولدتُ من جديد

مامعنى هذا

عندما تبتسمي أنسى هموم الدنيا وأفرحُ للقبائكِ

مامعنى هذا"

تناظره بصدمة وتفاجئ، دق قلبها بعنف عندما سمعت كلماته، هي واقعة له ولا تنكر ذلك أبداً ولكنها حقاً تعجبت عندما نطق كلماته، ظنت بأن حبها هو حب من طرف واحد، ابتلعت ريقها بصعوبة وأخفضت رأسها بخجل ولم تتحدث، الفرحه تسيطر عليها ولا تنكر ذلك، بالنسبة لإياس فهو حقاً الآن في موقف لا يحسد عليه، طال صمتها وتملكه الخوف من رفضها، هو حقاً واقع لها منذ زمن ولكنه لم يفصح عن مشاعره إلى الآن نظراً لأنه لم يكن يريد بأن يدعها تتأمل بشيء وهو ليس بيده حيلة، ولكن الآن لقد اختلف الوضع كثيراً، لديه عمل ممتاز وبإمكانه أن يستقر ويكوّن عائلة جميلة وفي الحقيقة لقد رأى سارة أفضل فتاة ممكن أن يتخذها زوجةً له لأنه يعرفها منذ زمن، والآن هو على أعصابه يريد أن يعلم مارأيها، وهل ستقبل الفكرة أم لا؟ ابتلع ريقه بصعوبة ليتحدث بتوتر:

"مم مابك سارة هل انزعجتني من طلبي"

رفعت رأسها ونظرت له بقوة ولم تتحدث ليرد لها وهو مشتتاً:

"حسناً أنا أسف"

بللت شفثيتها لتقول بخفوت:

"أسف على ماذا"

نظر لها بتوتر ليقول:

"أقصد يعني أسف على كلامي إن لم يعجبك"

منحته ابتسامة لطيفة وصمتت، ابتسامتها الصغيرة جعلته يتشتت، من جهة سحر ابتسامتها ومن جهة لا يعلم أهي منحته هذه الابتسامة كمجاملة أم أنها متقبلة طلبه، ابتلع ريقه ليطلق طرقات خفيفة على الطاولة والتوتر متمكن منه، لاحظت توتره وضياعه لتتهد وتقول:

"سأفكر بالموضوع وبعدها سأرد عليك بالجواب الشافي"

أنهت جملتها بابتسامة صغيرة لينظر لها بتفاجئ ومن ثم بيتسم ابتسامة صغيرة ليقول:
"حقاً"

حركت رأسها موافقة بابتسامة ليرد لها بارتياح:

"حسناً وأنا سأنتظر جوابك بفارغ الصبر وأعدك بأنك لن تندمي إن وافقتي"

ابتسمت بخجل لتحرك رأسها موافقة بينما هو ظل سارح بملاحظها الجذابة والبريئة.

في جامعة إدارة الأعمال

وتحديداً في مكتب السيد سامح، كان يقف وراء مكتبه وعلامات الغضب بادية على وجهه، يقف أمامه اثنان من الطلاب مخفضين رؤوسهم والخوف ظاهر عليهما وكأنهما طالبان في المدرسة وليس بالجامعة، صرخ بهما صوت زلزل كيانهما لينتفض اثناهما ويحدثهما بصراخ:

"كيف تفتعلان المشاكل أنتما الاثنان وتتساجران، أين نحن في الشارع حتى تفتعلان هذه المشكلة أيها الغيبان"

ابتلع ريقه أحدهما ليتحدث بخفوت:

"سيدي صدقتي هو من بدأ وهو من تهجم علي ولا أعرف ما السبب"

نظر له سامح بحدة ليحرك رأسه بتوعد ومن ثم وجه نظره للشباب الآخر ليقول:

"لما تهجمت عليه ها"

تحدث الشاب بجمود:

"لقد كنت أريد افتعال المشاكل فقط"

همهم له سامح ببرود ليحرك رأسه موافقاً وبيطئ وظل صامتاً، جلس على كرسيه بارتياح وظل ينظر لهما ببرود قاتل مما جعلهما يبتلعان ريقهما بخوف من القادم لأنهما يعلمان جيداً من هو السيد سامح ويعلمان ما الذي يمكنه فعله، وللصراحة لقد ندم أشد الندم ذلك الشاب عندما نطق بكلماته أمامه ولم يعلم كيف نطقها، وجه سامح حديثه للشباب الذي دافع عن نفسه:

"اذهب أنت وهذا آخر إنذار لك، إن رأيتك مرة أخرى في مكتبي فلا تلوم إلا نفسك"

حرك رأسه بإيجاب ليخرج من المكتب بعد أن استأذن بينما الشاب الثاني ظل واقفاً مكانه منتظراً كلامه وهو متيقن بأنه سينزل عليه بأشد العقاب، تنهد سامح بقوة ليقول:

"وبالنسبة لك فأنت محروم من تقديم امتحان هذه السنة هيا انقلع من أمامي"

نظر له الشاب بصدمة وظل متصنماً في مكانه، حسناً هو كان متوقع بأنه سيعاقبه بشدة ولكن ليس لدرجة أن يحرمه من امتحان السنة، هذا يعني بأنه لن يتخرج هذه السنة وسيظل للسنة القادمة حتى يقدم امتحانه ويتخرج، لم يصدق ما سمعه، أحقاً سيحرمه من الامتحان لأجل مشكلة افتعلها عمداً؟، ابتلع ريقه بصعوبة ليبدأ وينهال عليه بكلمات الاعتذار والتوسلات ولكن سامح لم يقبل منه أي اعتذار ولم يأبه لتوسلاته نهائياً وقد طرده خارجاً، حقاً كان صارم وشديد معه ولم يأبه لحاله أبداً.

انتبه سامح لدخول ابنه عليه بابتسامة واسعة، ألقى عليه التحية وجلس بكل أريحية، لم يرد عليه التحية وإنما حدق به بكل برود، تعجب إياس من حال أبيه ليقول باستغراب:

"مابك أبي هل حدث شيء"

تنهد بقوة ليقول ببرود:

"لا شأن لك، لماذا أتيت"

تعجب إياس كثيراً من لكمة أبيه وطريقة كلامه ولكنه لم يحبذ فكرة أن يضغط عليه ليقول:
"مم لا يوجد شيء أبي، حسناً عندما تعود للمنزل سنتحدث"

همهم له سامح ليقول:

"قل ما لديك الآن هيا"

ابتسم بخفة ليقول:

"لا أبي، سنتحدث في المنزل والآن سأذهب، وداعاً"

حرك رأسه بإيجاب بينما إياس نهض وتوجه خارجاً ومن ثم إلى منزله.

بعد قرابة الثلاث ساعات

عاد سامح إلى منزله ولكنه كان بمزاج غير جيد، دخل إلى المنزل لتستقبله ماسة كعادتها بالأحضان والقبلات،
ابتسم لهل ومن ثم ألقى التحية على زوجته ليتوجه إلى غرفته ويأخذ قسطاً من الراحة.

على مائدة الغداء

كان يتراءى المائدة السيد سامح وعلى يمينه زوجته وعلى يساره ابنه وبجانبه ابنته، لم يسمع صوت أي أحد
منهم، صمت يعم بالمكان، تحدث سامح ببرود موجهاً حديثه لابنه ليقول:

"بماذا كنت تريد أن تحدثني اليوم إياس"

انتبه له إياس ليقول:

"مم كنت أريد أن أفاتحك بموضوع مهم"

حرك رأسه بمعنى تحدث ليرد إياس:

"في الحقيقة أنا معجب بفتاة وأريد أن أتقدم لخطبتها"

نظر له والده بقوة ليبتسم من بعدها ويقول:

"ومن تكون هذه الفتاة"

شعر إياس بالحرص ليبتسم بتوتر ويقول:

"سأعرفكم عليها فيما بعد، تدعى سارة"

همهم له والده لينظر إلى زوجته بابتسامة لتبادلها الابتسامة وتنتظر له نظرة ذات مغزى، بينما ماسة كانت تتابع الحديث بحماس لتقول بسعادة:

"يا إلهي لا أصدق سيتزوج إياس وسيجلب لنا أولاد صغار، هياي كم أنا سعيدة"

ضحكوا على جملتها جميعاً لتبتسم هي بشغب ومن ثم يقول إياس:

"إذاً أبي ما رأيك"

نظر له والده بابتسامة حانية، حقاً لقد كبر ولده وشب ويجب عليه بأن يفرح به ليستقر وينعم بالحياة الهنيئة برفقة زوجته، حرك رأسه بإيجاب ليقول:

"لا مانع لدي، اجلبها لكي نتعرف عليها ومن ثم سنخطبها لك"

ابتسم إياس باتساع ليقول بحماس:

"أجل أجل سأجلبها بالطبع ولكن أريد أن أتأكد من موافقتها أولاً ومن ثم سأجلبها لكم حسناً"

ضحك سامح ضحكة رنانة وحرك رأسه موافقاً، ليكملوا طعامهم بجو يملؤه السعادة والسرور وبالأخص بالنسبة للأستاذ إياس.

بعد مرور يومان

كانت سارة في الصيدلية لترى إياس يدخل عليها بابتسامة صغيرة، تعجبت من مجيئه وبدأ قلبها يطرق بعنف ولكنها سعدت برويته كثيراً ولمعت عيناها من الفرح، استقبلته بابتسامة واسعة ليقول:

"لم تسألني عني طوال اليومين اللذان مضيا لذلك جئت إليك لأسأل عنكِ أيتها الجميلة"

ضحكت بخجل لتبرر موقفها معذرة:

"أنا أسفة حقاً ولكنني انشغلت كثيراً في عملي أعتذر"

إياس:

"لا داعي للأعتذار برنس سارة"

ابتسمت بخجل ليرد لها بترقب:

"هذا يعني بأنك لم تفكرين في موضوعي إلى الآن أم ماذا"

حممت بتوتر لتقول وهي تفرك بأصابعها:

"مم أجل فكرت بالموضوع"

نظر لها بترقب وقلبه يقرع كالطبول، يريد فقط معرفة جوابها ويتمنى كل المنى بأن يكون جوابها يعجبه لأنه حقاً هو يريد لها ومن كل قلبه، ابتلع ريقه ليقول:

"حسناً إذاً"

نظرت له بتوتر ولم تجب، تملكها الخجل وسيطر عليها لتسمعه يتحدث بنفاذ صبر:

"سارة أرجوك تحدثي لا تتركيني على أعصابي ها ما رأيك"

ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول بتوتر:

"أنا لا مانع لدي"

ضربت جبهتها بخفة لترد:

"أوف أفصد موافقة يعني"

أنهت سارة كلمتها لتخفض بصرها ليعم الصمت بالمكان، تعجبت سارة لترفع نظرها وترى إياس واقف أمامها يناظرها بتفاجئ وعلى محياها ابتسامة بلهاء، استفاق من صدمته ليقول بسعادة:

"هذا يعني بأنك موافقة حقاً"

ابتسمت بخفة لتحرك رأسها موافقةً بينما إياس لم يتمالك نفسه ليحتضنها بقوة وسعادة الدنيا كلها به، صدمت سارة من ردة فعله بينما هو شعر بنفسه ليحمم بخجل ويعتذر لها، ابتسمت له ابتسامة صغيرة ليقول إياس:

"إذاً ستذهبين معي اليوم كي نتناول الغداء في منزلنا، والداي يريدان التعرف عليك"

ابتلعت ريقها وشعرت بالرغبة من مقابلتهما لتقول:

"لا أستطيع"

عقد حاجبيه بخفة ليقول:

"أرجوك سارة والداي حقاً ظرفاء وسيحبانكي كثيراً، سأعرفك عليهما اليوم وسأتي لخطبتك عندما تحددين أنتِ الموعد"

نظرت له لتراه يمنحها نظرة تشجيع لتبتسم وتحرك رأسها موافقةً، اتفقا على الذهاب وتواعدا عند الساعة الثالثة لهذه المقابلة.

003 :pm الساعة

كان سامح يريح بجسده على سريره وفي غرفته، مغمض العينين وساكن، دخلت عليه ابنته لتتوجه إليه بحماس:

"أبي أبي لقد جاء إياس بتلك الفتاة التي تدعى سارة، إنها جميلة جداً هيا تعال لتتعرف عليها"

ابتسم لابنته لينهض ويعدل من هيئته وهندامه ويتوجه للأسفل.

كانت سارة تشعر بالتوتر من نظرات والدة إياس التي تتفحصها بقوة، لقد تعرفت عليها سارة واستقبلتها جيداً أروع استقبال وبابتسامتها اللطيفة، كذلك ماسة استقبلتها بحماس وسعادة وقد أعجبتها سارة جداً وأعجبها ذوق اخيها في الاختيار أيضاً، ارتاح قلب سارة لجيداء ولكنها لم ترتاح لنظراتها المتفحصة، هي أصلاً لا تنظر لها ولكنها تشعر بنظراتها لها تخترقها، بينما إياس نظر لوالدته بابتسامة ليحرك رأسه يمين ويسار بمعنى مارأيك

لتبتسم له ابتسامة حانية وتحرك رأسها بإيجاب، اتسعت ابتسامته عندما علم بأنها قد أعجبت والدته ليتنهد بارتياح، هبط سامح بشموخه وكبريائه المعهود مرتدي بذلته السوداء وقميصه الأبيض، توجه لصالة الاستقبال لينهض كل من إياس وسارة ليعرفها على والده، وقعت عيناه عليها، تقدم منها وصافحها وهو ينظر لعيناها بعمق، لا يعلم لما تسارعت أنفاسه وظل لمدة يحرق بها وقلبه يقرع كالطبول وكأنه قد رآها من قبل، مجرد فتاة صغيرة جميلة وبريئة لا يعلم ما المميز بها ولكنه سرح بها وجعلته مغيب عن الواقع وعمن حوله، ابتلع ريقه ليقول بصوتٍ حاني وابتسامته تشق وجهه:

"أهلاً بكِ".

ينظرها بابتسامة حانية، لا يصدق كل هذا الجمال أمامه، ولا يعرف ما سر دقات قلبه المتسارعة، ظل ينظر لها لبرهة وهو شارح بلامحها لا يعي شيئاً من حوله سوى هي وجمالها وكأنه رآها من قبل، تلك الملامح ليست بالغريبة عليه، هي ذاتها لإنسانة قد عشقها منذ زمن بعيد.

يبتلع ريقه بين الحين والآخر، لم يعي ولم يسمع الكلمات والنداءات الموجهة له، ظل شارح بلامحها لمدة، يتأملها ويتفكر ملامحها الجميلة وكأنه وجد ضالته، لا يستطيع إزاحة عيناه من عليها، هذه الصغيرة حقاً أوقعته في شباكها من اللاشيء ومن دون أن تفعل له شيء أيضاً، كان يجلس بهيبته ووقاره ولكن نظره موجه لها هي فقط، تعجب الجميع من شروده والأهم من ذلك لقد لاحظوا شروده بها أيضاً، نهض إياس ليضع يده على كتف والده، نظر له سامح بتفاجئ وكأنه كان مغيباً عن الواقع ليحتمم ويقول:

"ماذا هناك"

ابتسم إياس بسخرية ليقول:

"أبي أنت شارح منذ مدة ولا تحدثنا، هل حدث شيء"

توتر سامح من كلام ولده ليقول:

"لا يوجد شيء فقط شرحت قليلاً بموضوع يشغل بالي أنا أسف"

همهم له إياس وابتسم بخفة ليحرك رأسه موافقاً ومن ثم عاد ليجلس بجانب سارة التي كانت وجنتيها حمراء كالدماء، فهي انتبهت لشرود سامح بها وقد تملكها الخجل والتوتر منه كثيراً لذلك أخفضت رأسها ولم تعد تنظر لأحد، نفخ سامح أفكاره اللعينة من رأسه ليحتمم ويقول موجهاً حديثه لسارة:

"إذاً ماتخصصك أنتِ سارة"

رفعت نظرها له لتجيب بهدوء ورزانة:

"تخرجت من كلية الصيدلة منذ سنة وأنا الآن أعمل في صيدليتي الخاصة سيدي"

همهم لها بإعجاب ليقول: "رائع، لقد سمعت بأنك في عمر إياس تقريباً أليس كذلك"

حركت رأسها موافقة بابتسامة بسيطة لتقول:

"أجل سيدي هناك فرق شهور بيننا فقط"

حرك رأسه بابتسامة لتتحدث ماسة بابتسامة وحماس:

"إذاً أنت كنت ترين إياس وأنتما تحبان بعضكما أليس كذلك"

توترت من جملتها وابتسمت لها بتوتر بينما إياس حمم بتوتر ليحدث شقيقته المشاكسة قائلاً:

"ماسة عزيزتي انتبهي إلى ألفاظك"

عبست بوجهه لتقول متذمرة:

"أووف وما العيب في كلامي أنت تحبها وهي تحبك إذاً ما العيب ها ها"

كانت سارة في أعلى مراحل خجلها من حديث تلك الصغيرة بينما سامح حاول أن يكتم ضحكته كحال والده ووالدته، تحدثت جيداً بنبرة حانية:

"عزيزتي سارة نحن نتشرف بك ولقد أحببناك كثيراً في الحقيقة"

ابتسمت لها سارة لتقول:

"شكراً لك سيدي وأنا أيضاً أحببتكم جداً"

كان سامح ينظر لها بقوة غير آبه لأحد إن حدث وانتبه لنظراته لها، حقاً لم يعلم ما سر نظراته القوية لها وما سر دقات قلبه المتسارعة، قلبه سيخرج من مكانه، لقد أعجبته حقاً، ابتلع ريقه ليقول:

"إذاً سارة حدثينا عنك وعن والدايك"

هالة الحزن أحاطت بها عندما تذكرت والديها ولكنها تحاملت على نفسها وتنهت بقوة لتقول:

"في الحقيقة والداي متوفيان منذ خمسة سنوات، والدتي أصيبت بمرض خبيث وماتت ومن بعدها مات والدي قهراً عليها وأنا الآن أعيش مع خالتي في منزلها، هي مطلقة ولا يوجد عندها أحد"

همهم لها وابتسم لها بدفئ لتتحدث جيداً:

"ولما تطلعت خالتك عزيزتي"

تحدثت سارة:

"لإنها لا تنجب الأولاد فطلقها زوجها"

انكشيت ملامح جيداء لإنها انزعجت لسبب طلاقها، فما ذنبها إن كانت لا تنجب! قضوا وقتهم في الأحاديث العادية والاسئلة الموجهة لسارة، طبعاً سامح لم ينزاح بنظره عن سارة نهائياً وظل يحادثها ليدعها ترتاح لهم ولا يجعلها تخاف أو ترتدع عنهم، وأيضاً لم يخلو الأمر من مشاكسات إياس لشقيقته وتذمرها وحنقها من كلمة "صغيرة" التي يوجهونها لها وضحكهم عليها، تناولوا غداثهم بجو مليئ بالمحبة والنظرات القوية والمشاكسات أيضاً ومن بعدها توجه إياس بسارة لكي يوصلها إلى منزلها في المساء.

صعد سامح متوجهاً إلى غرفته من بعد رحيل سارة، تعجبت جيداء من حال زوجها ومن نظراته القوية لها، طبعاً لن يخطر على بالها بأن زوجها سينظر نظرة جريئة أو محبة لحبيبة ابنه، وقد فسرت نظراته بأنها نظرات بريئة لا تحمل أي نوع من أنواع الجراءة أو غيرها لإنها تعرفه جيداً وتعرف إخلاصه لها، دخل سامح إلى غرفته ليخلع سترته ويستلقي على سريره بعشوائية وصورة سارة لا تفارق مخيلته، يا إلهي ماذا فعلت به، هل هو حب من النظرة الأولى أم ماذا، هذا سؤالنا ولكن السؤال الأهم! هل هو أحبها حقاً أم أنه أعجب بها أم ماذا؟ تلك الاسئلة تدور في عقله ولا يجد لها جواب، غير ذلك لا يستطيع بأن يفسر سبب تسارع دقات قلبه العنيفة كلما نظر لعيناها لينتهي به المطاف سارحاً بها وبجمالها، تنهد بعمق ونظره موجه للسقف، هذه الفتاة ستكون خطر عليه حقاً، منذ أول لقاء وهي قد سيطرت عليه وجعلته يفكر بها فما باله إن أصبحت زوجة ابنه وعاشت معهم في نفس المنزل، حسناً يجب عليه أن يتحكم في أعصابه ويكون جيد في تصرفاته ولا ينجرف في مشاعره التي حتماً أتلفتها هذه الفتاة منذ أول لقاء وأول نظرة بينهما، أغمض عيناه تاركاً نفسه لعل وعسى يستطيع بأن يحظى ببضع ساعات من النوم وهو مصرّ أن يستعلم كل شيء عن سارة وحياتها.

وصل إياس إلى جانب منزل سارة، ابتسمت له لتقول:

"عائلتك لطيفة جداً لقد أحببتهم كثيراً"

ابتسم لها باتساع ليقول:

"أجل وهم أحبوكي أيضاً صدقيني"

هممت له بابتسامة لتقول:

"ألا تريد أن تتعرف على خالتي أم ماذا"

ابتسم باستمتاع ليقول:

"ولكنني أعرفها جيداً، أنسييتي عندما كنت آتي إليك ونجلس سوياً وندرس وخالتيك تعد لنا الكعك أم ماذا"

ضحكت برقّة وحركت رأسها ولم تتحدّث بينما هو تحدّث وهو يراقص حاجبيه مردفاً لها:
"ااه لقد نسيت الآن الوضع اختلف ويجب علي بأن أعرفها على نفسي بصفتي خطيبك وزوج المستقبل وليس صديقك في مسيرتك الدراسية أليس كذلك"

أنهى جملته غامزاً لها بينما هي توردت وجنتاها وأخفضت رأسها خجلاً، حمم ليقول:
"حسناً حسناً لا تخجلي أرجوك أنت لا تعلمين ما الذي تفعلينه بي عندما أرى الطماطم على وجنتيك هذه"

ضحكت بقوة وبرائة على جملته وقد شاركها الضحك، تحدّثت من بين ضحكاتها:
"حسناً سأذهب الآن إلى اللقاء"

همهم لها ليقول:

"لا تنسي بأن تحدّثين خالتك بموضوعنا اتفقنا! وانتبهى جيداً هما يومان فقط سأتحملك ومن بعدها سأتي بالمأزون فوراً"

ابتسمت بخجل لتحرك رأسها موافقة بينما هو سرح بابتسامتها العذبة ليمسك يدها ويقبلها مطولاً، توترت من فعلته وحممت لتقول:
"حسناً تصبح على خير"

جاءت لتهبط من السيارة ولكن يده التي أمسكتها من معصمها منعته من ذلك، بحركة سريعة منه أطبق شفّتيه على شفّتيها وهو سارح بعالم الأحلام برفقتها، لم تكن تلك القبلة الطويلة ولم تبادلها هي فقد تفاجنت وانصعقت كثيراً، لقد كانت قبلتها الأولى ومع الذي تعشقه فهذه هي السعادة بأمر عينها، ابتعد عنها ولم يفصل بينهما سوى إنشآت صغيرة ليتحدّث ضد شفّتيها بنبرة محبة وهامسة:

"أتمنى أن أصبح أنا على خير وأن تصبحين أنت من أهلي"

نظرت له بحب وقلبا يقرع كالطبول، كلماته وهمساته كفيّلة بأن تدعها بأعلى مراحل سعادتها وخصوصاً قبلته الدافئة، ارتفعت وتيرة أنفاسها وحممت لتقول بهمس:
"إلى اللقاء"

تحركت فوراً وهبطت من السيارة وقلبا يقرع كالطبول، توجهت إلى منزلها بينما هو ظل يتابعها من داخل السيارة وعلى محياها ابتسامة عاشقة ليدير محرك السيارة وينطلق متوجهاً إلى منزله.

دخل إياس إلى منزله ليراه هادئ وساكن، تعجب من الوضع لأن الساعة التاسعة الآن وأهله لا ينامون في هذا الوقت، دخل إلى الصالة الصغيرة ليجد ماسة جالسة تتابع التلفاز، توجه لها وجلس بجانبها محتضناً إياها، ابتسمت له باتساع لتنتفض بمكانها وتقول بحماس:

"إياس لقد أحببتك جداً وأمي أحببتك أيضاً متى سنذهب لخطبتك لك ها"

ضحك على حماسها ليقول:

"فقط يومان ومن بعدها سأخطبك لا تقلقي"

هممت له وصمتت ليرد لها:

"ماذا قالت والدتك والدك عنها ها"

نظرت له بتعجب لتقول:

"لم يقلوا شيئاً، على العكس لقد أحبوا جداً والدتك مدحت بأخلاقها وكانت تتفق مع والدك لكي يذهبان ويخطبانا لك"

لمعت عيناه من الحماس ليقول بشرود:

"هذا يعني بأنهما أحبوا حسناً هذا جيد"

تحدثت بحماس:

"أجل أجل وسنذهب لخطبتك لك أيضاً"

نظر لها بتعجب ليقول مستنكراً:

"ولكنك لن تذهبي معنا يا حلوة"

عقدت حاجبيها بقوة لتقول:

"لماذا"

همم لها باستمتاع وهو يبعد يده التي كانت تحيط بكتفها لينهض ويستعد للهرب وهو يقول:

"لأننا لا نأخذ الصغار معنا أيتها الصغيرة"

بصق جملته وفر هارباً منها بينما هي جحظت عيناها وصرخت من حنقها لتلحق به وهي تتوعد له بأفظع الأفعال.

مر اليومان على خير وطبعاً لم يخلو الأمر من اتصالات إياس الكثيرة لسارة وسهرهما طوال الليل على الهاتف والتحدث مع بعضهما، وأيضاً السيد سامح لم يستطع بأن يخرجها من رأسه نهائياً، صورتها ظلت قابعة برأسه دوماً، لقاء واحد هو لقاء واحد فقط ومن بعدها ظل يفكر بها ليل نهار ولا نعلم ما هي التعويذة أو ما هذا السحر الذي مارسه عليه، ولكنه مؤكد هو سحر جمالها وجاذبيتها وبرائتها.

طبعاً تقدم إياس لخطبة سارة من خالتها وكان برفقته والديه وشقيقته ماسة التي فرحت كثيراً عندما رافقت أهلها لتخطب لأخيها، أحست بأنها فعلت شيء عظيم وكم كانت سعيدة عندما رأت السعادة في عيني أخيها حين تمت الموافقة من قبل سارة وخالتها، وقد حددوا موعد الخطوبة وهو بعد ثلاثة أيام.

وها هي الثلاثة أيام قد مضت بسرعة تحت سعادة البعض وحنق أحدهم من هذه الخطبة وطبعاً السبب من الحنق غير معروف، وها قد حل يوم الخطوبة وقد قرروا من قبل بأن تتم الخطبة في منزل سامح ولم يعارض أحدهم على ذلك، تمت دعوة الكثير من الناس، إن كان من أقرباء سارة وأصدقائها وأقرباء إياس وأصدقائه أيضاً، كان الحفل من النوع الفاخر والطبقة الراقية والملفت للأنظار، نظراً لهيبة السيد سامح وعمله ومنصبه أمام الناس.

كانت سارة تبدو بأبهى طلة لها بفستانها الذهبي والقصير نوعاً ما، مع تسريحة شعرها البسيطة والجميلة، والذي خطف أنظار كل من كان بالحفل تلك البشرة الحنطية التي لديها ومع الكحل المرسوم بعينيها وأحمر شفاهها ذلك زادت جمال وإثارة أكثر وأكثر.

كما أن إياس كان يرتدي بنطال أسود وقميص أسود ولم يرتدي سترة فيدي بأبهى طلة له، يخطف الأنظار بجماله وهيبته، أيضاً ماسة الجميلة بدت بأبهى طلة لها كانت كتلة إثارة بفستانها النيلي وبشعرها الأشقر ومكياجها الهادئ وأحمر شفاهها الصارخ، كحال السيدة جيداء التي كانت ترتدي فستان أسود وطويل، وطبعاً لن ننسى السيد سامح الذي كان يرتدي بدلته السوداء وقميصه الاسود الذي خطفت أنظار الجميع فيدا بجاذبية خاصة ووقار محبب لهم لإن الأسود يليق عليه كثيراً.

كانت هناك عينان تشتعلان غلاً وغيره وتتابع إياس الذي ذهب لغيرها والتي لم تكن سوى ابنة خالته والتي تدعى (خلود)، كانت ومازالت تحبه وتعشقه بكل تفاصيله، لطالما كانت تتمناه زوجاً لها ومنذ صغرها، كانت تتحدث مع ماسة كثيراً عن إياس وتطلب منها أن تقربها منه ولكن ماسة لم تكن تستمع لها لأنها تعرفها بأنها فتاة متعجرفة ومغرورة وأيضاً تعلم ما هي وجهة نظر أخيها بخلود، نظرت خلود بغضب وغيره لسارة التي كانت ترقص مع إياس بسعادة، أقسمت على أنها لن تهنأها به وستفتعل المصائب بينهما لكي تفشل هذا الزواج بأي طريقة، حتى وإن لم يكن إياس لها فلن يكون لغيرها، بينما من الجهة الأخرى كانت هناك عينان مسلطة على سارة، تنظر لها بالكثير من المشاعر وأولها هي الرغبة، وهو لم يكن سوى سامح، ذلك الرجل الذي يكاد يقسم بأن هذه الفتاة أوقعت في شباكها وهو الآن في أعلى مراحل جنونه ولكنه مع كل هذا يتحامل على نفسه لأجل سعادة ابنة فقط.

مر شهران على حياة أبطالنا ولا شيء جديد سوى محبة إياس وسارة لبعضهما، كل يوم يزداد حبهما لبعضهما أكثر وأكثر، وهما الآن في أعلى مراحل سعادتهما، وإلى حد الآن والحمد لله لم يحدث شيء يعكس صفو مزاجهما وسعادتهما.

طبعاً لم يخلو الأمر من مجيء سارة لمنزل أهل إياس كل حين وآخر وقد أصبحت صديقة ماسة وتقربت منها كثيراً وهما متفقتان جداً مع بعضهما، أيضاً والدة إياس هي امرأة طيبة كثيراً مع سارة، تعاملها معاملة طيبة وتدعو لها دائماً بالحياة الهنيئة وأن تكون خير زوجة لابنها الوحيد.

السيد سامح يكاد قلبه يقلع من مكانه كلما نظر لها ولعيناها الساحرة، حدث مرة وظل جالساً برفقة سارة لوحدهما بالصالة، لم يخلو الأمر من نظراته المتفحصة لها والقوية وهذا ما زاد من شدة تعجبها ورببتها من نظراته لها، كانت في أعلى مراحل خجلها ولم تستطع أن تعطي تفسيراً لنظراته تلك، ولكن مر اليوم على خير في وقتها وقد ساعدها بالهرب من نظراته هو مجيء ماسة إليها وجرها معها إلى غرفتها لكي تحدثها بآخر التطورات التي حدثت مع ماسة برفقة ذلك الشاب المعجب بها والذي بدأت تميل له هي أيضاً.

كان جالس في مكتبه، مرجعاً برأسه للخلف ومغمض عينيه، صورتها لم تفارق ذاكرته منذ أول لقاء، يحاول جمع شتات عقله فقط، تلك العينان الساحرة حقاً تجلب له الهم والأوجاع في قلبه وهو لا يستطيع الحراك، حقاً عندما يراها يمسك نفسه بصعوبة بالغة فقط من أجل أن لا يفعل شيء خاطئ بحقها ويندم عليه فيما بعد، وطبعاً الأمر الأهم عنده هو أنه عندما يكون في أحضان زوجته يحاول دائماً بأن يكون في كامل وعيه خوفاً من أن يحدث ويهدس باسمها عندها لن يستطيع التبرير لزوجته بأي شكلٍ من الأشكال، نهض بعنف ليحمل سترته ويتوجه إلى منزله وهو عازم على فعل ما يجول في خاطره.

وصل إلى منزله ونظرة التصميم ظاهرة عليه، دخل إلى منزله بهدوء ليرى إياس جالس في الصالة برفقة شقيقته، تعجب كل منهما من مجيء والدهما بهذا الوقت المبكر، صدح صوته البارد ليقول:

"إياس أريد أن أحدثك بموضوع هام، إلحق بي إلى غرفتي"

تعجب إياس من نظرة أبيه وحديثه، لم يشأ أن يعارضه، طأوعه وتوجه ورائه إلى غرفته كما أمره، دخل عليه ليقف وقد كان سامح معطياً ظهره له، تحدث إياس بقلق:

"ما الأمر أبي"

التفت سامح ليتحدث بجملة جعلت إياس يتصنم في مكانه ويصعق منه والتي هي:

"أريدك أن تنهي خطبتك مع سارة".

" هيهات

أيها القلبُ العنيد فإذا قلبك ذبحني فأنا لا أستطيعُ مفارقتكُ ولأنَّ قلبي صادقاً لا يعرفُ

" الغدر "

نظر لوالده بصدمة وهو عاجز عن الكلام ولم يستطع التفوه بحرف، فقط ينظر إلى والده الذي تكسوه ملامح البرود والجمود، ظل ينظر له بقوة ليحاول أن يعلم أهو حقاً يتحدث بجدية أم أنه يمزح! ولكنه اكتشف بأنه حقاً يريد أن يتركها لإن ملامحه لاتدل على المزاح بل تدل على الإصرار والجدية، استفاق من صدمته ليبتسم إياس بسخرية ليقول:

"أبي ما الذي تقوله أنت"

تنهد سامح بحدة ليقول وهو يرفع حاجبه:

"كما سمعت أريدك أن تنهي علاقتك معها"

ابتلع ريقه بصعوبة ليقول:

"لماذا هل رأيت شيء خاطئ بتصرفاتها أو بأخلاقها أو ماشابه"

بلل سامح شفثيه ليقول:

"لم أرى شيئاً عليها ولكنها لا تناسبك"

بدا على إياس معالم القلق والخوف ليقول:

"حسناً إذاً لماذا تريدني أن أتركها وكيف هي لاتناسبني"

زفر سامح بقوة ليقول بصرامة:

"انتهينا إياس ستفعل ما أمرتك به"

نظر له إياس بجمود لابتلع ريقه ويقول:

"وأنا لن أتركها مهما حدث"

كز سامح على أسنانه ليحدثه بصراخ:

"أيها الأحمق لما لا تفهم أنا أريد مصلحتك"

تحدث إياس باستنكار:

"مصلحتي بأن تبعني عن حب حياتي أليس كذلك"

تنهد سامح بحدة ليحرك رأسه بتوعد ويقول بنفاذ صبر:

"حسناً إياس افعل ما شئت اغرب عن وجهي الآن هيااا"

أنهى جملته بصراخ ليحرك إياس رأسه موافقاً ويخرج من غرفة أبيه تاركاً إياه بنار مشتعلة في داخله، هو لن يستسلم وسيفعل أي شيء حتى يفرقهما، لا يعلم إن كان من أجل أن يكسب سارة أم لا! كل ما يعلمه بأن هذه الفتاة إن حدثت وتزوجت من ابنه ستشكل خطراً كبيراً عليه وعلى قلبه.

في ذلك المنزل الصغير نوعاً ما، يجلس كل من الشبان الثلاثة يتسامرون ويتحدثون ولكن إياس لم يكن معهم نهائياً، كان جالساً برفقة أصدقائه المقربين واللذان هما هجرس ورامي، هما صديقه المقربان ولكنهما ليسا بنفس عمر إياس وإنما إياس هو أصغر شاب بينهم، وطبعاً يختلف كل منهم بشخصيته عن الآخر وحتى بالعمل فهم مختلفون، حسناً لنعرفكم قليلاً عن صديقنا هجرس والذي حكايته حكاية، هجرس يبلغ من العمر سبعة وعشرون سنة، لديه شركة كبيرة للاستيراد والتصدير، استلمها بعد والده الذي توفي منذ ثلاثة سنوات، يعيش برفقة والدته وشقيقه الأصغر منه بأربعة سنوات والذي يدعى أحمد وشقيقته الصغيرة والتي تصغره بستة سنوات وتدعى ملاك، حسناً سأحدثكم عن صفاته ومن ثم عن وضعه العائلي، شاب قوي البنية بطول فاره، عيناه خضراء وبشرة حنطية مائلة للسمرة، خصلاته البنية ولحيته الخفيفة والتي تعطيه مظهراً جذاباً، وبالنسبة لوضعه العائلي فهو كان متأهل وقد انفصل عن زوجته منذ سنة ونصف، هي صديقة طفولته وقد تربيا سوياً وهم جيران أيضاً وقد تقربا من بعضهما بشكل ملحوظ وتزوجا من بعدها منذ ثلاثة سنوات ونصف ولكنهما انفصلا عن بعضهما بسبب عدم قدرتها على الإنجاب، لم يكن لديه أي مانع بعدم إنجابها بل كان متمسكاً بها لأبعد حد ولم يعيها ولكنها هي لم تستطع بأن تفرض عليه هذا الوضع ولم تتحمل برؤيتها له وهو يتعذب بسببها لذلك ظلت تعاند وتطلب منه الطلاق إلى أن استسلم لقرارها وطلقها بناءً على طلبها.

حسناً وقد عادت إلى منزل أهلها حزينة ومنكسرة وبقلبٍ منمطر ولكن طبعاً كان كل ذلك من صنع يدها، كان يهدأها ويحدثها ويقوي عزيمتها بالله ويقول لها بأنه سيحاول بأن يجد لها علاج ولكنها لم تأبه له وظلت تعانده إلى أن طلقها فهي لا تريد أن تظلمه معها، كل ماتريده بأن تخرج من حياته بهدوء ليمارس حياته مع إنسانة مكتملة ولديها القدرة على الإنجاب وإعطاءه أبسط حقوقه، في آخر فترة تفاقمت المشاكل بينهما كثيراً وأصبح

يهزأها كلما جلبت له سيرة الطلاق لينتهي بهما المطاف بصراخ هجرس عليها وبكائها منه ومن وضعها الذي هي به، لا ينكر بأنه يشناقها ويحن لها كثيراً ولكنه تعب جداً منها ومن عنادها لذلك استسلم وطلقها، في كل مرة يراها في المبنى أو يلحها قلبه يكاد يخرج من مكانه، يناظرها دائماً بجمود وبرود ولكن داخله براكين ستفجر، بينما هي عندما تصدفة وتراه تنظر له مطولاً بانكسار ولكنه هو كبريائه يمنعه من أن يحدثها أو يقف معها حتى لذلك يرحل تاركاً إياها بقلب مفطور، زوجته تدعى لمى.

حسناً والآن سأعرفكم قليلاً على صديقنا رامي، هو شاب بالخامسة والعشرين من عمره، يكبر إياس بسنتين، متخصص في مجال هندسة الديكور، حياته مبسطة كثيراً ومرح كثيراً بحديثه وشخصيته، عيناه بلون العسل الصافي، شعره البني الداكن، طوله المتوسط، بنيته اللابئس بها، بشرته الخمرية ولحيته الخفيفة جداً، لديه شقيقة تدعى يارا وتصغره بعشرة أعوام، يحبها ويدلها ويجلب لها كل ماتريده، يعيش برفقة والديه بسعادة، حسناً سأخبركم بأمر مهم هو يعيش شقيقة هجرس ولكنه لم ينفوه بحرف ولم يعترف لها بذلك نظراً لمشاحاناته التي تكون مع أحمد شقيق هجرس، لا يتطابقان نهائياً ولا يتحدثان مع بعضهما أبداً وكلما رأيا بعضهما تحدث مشكلة بينهما، هما هكذا منذ زمن بعيد ولا يعلم كل من الآخر لما لا يتطابقان ولا يستطيعان رؤية بعضهما أو الاحتكاك ببعضهما، يعلم بأنه ليس عذر بأن لا يعترف لها بحبه بسبب مشاكله مع شقيقها ولكن لا يعلم لما لا تأتيه الشجاعة، حسناً إليكم أمر آخر والذي هو أن ملاك أيضاً تحب رامي منذ زمن ولكنها لم تعترف بهذا السر لأحد ولا تريد الاعتراف لأحد، فقط هي منتظرة اعترافه هو لها بحبه ودائماً ماتدعو بأن يبعث لها الله بالخير والسعادة برفقته.

لقد أطلت بالحديث حسناً يارفاق إليكم في المهم.

كان إياس بغير عالم وغير دنيا، يحاول أن يقلب كلام أبيه في عقله، يريد أن يعرف ما سبب نفوره من فكرة خطبته لسارة وهو كان مرحب بالفكرة ودعمه جداً في قراره، لم يعد يفهم شيء، لا يريد أن يخسرها بنفس الوقت لا يريد أن يحزن والده، لم يستطع أن يتحمل كلام أبيه الذي نزل عليه كالصاعقة وصراخه عليه لذلك خرج من المنزل بأكمله ليتوجه إلى هذا المنزل ومنتظر هجرس ورامي في هذا المنزل الصغير الذي قد استأجروه ثلاثتهم ليقضون به أوقات فراغهم، ليس بالأفعال البذيئة وإنما باللهو والضحك والمرح ولعب الورق عندما يكون معهم شريك رابع، ممم حسناً وأحياناً الشرب وبالأخص هجرس.

لاحظ كل من رامي وهجرس حاله وشروده ليحتمم هجرس ويقول:

"ما بك إياس لما يبدو عليك الكآبة، هل حدث معك شيء"

ضحك رامي ليقول:

"يارجل بما أنك ستظل شارداً الذهن هكذا لما اتصلت بنا لنأتي"

تنهد إياس بقوة ولم يتحدث ليتعجب كليهما من حاله ليقول هجرس:

"إياس تحدث مابك هل حدث شيء بينك وبين خطيبتك"

ابتسم إياس بسخرية لينظر له ببرود ويقول:

"والدي يريدني أن أتركها ولا أعلم لماذا"

تعجب الاثنان من قرار والد إياس ليقول رامي:

"ولكن والدك يريد لها لك ولم يعترض عندما خطبتها"

همهم له إياس ليقول:

"أجل هذا كان في السابق ولكن الآن لا أعلم ما الذي قلب موازينه، حقاً لا أفهمه"

تنهد هجرس بقوة بينما رامي امتعض ليقول هجرس:

"حسناً حاول بأن تفهم منه لماذا يريدك أن تتركها، مؤكداً بأن هناك سبب لذلك"

تحدث إياس بسخرية:

"سألته ولم يجبني وفي آخر الحديث صرخ علي ولا أعتقد بأنه يريد أن يحدثني"

تحدث رامي:

"لا لا عزيزي إياس يجب عليك أن تظل ورائه حتى تعلم ما السبب وإن كان هناك سبب مقنع لتركها عندها ستتركها لأن والدك يريد مصلحتك، أما إذا كان لا يوجد سبب فلا ترد على كلامه ولا تتخلى عن حبك"

واقفه هجرس الرأي بينما إياس ابتسم بمكر ليقول:

"انظرو من يتحدث، قلت لي لا أتخلى عن حبي أليس كذلك"

نظر له رامي بحنق ليقول بغیظ:

"إياس هيا قم وحرك مؤخرتك اللعينة واجلب لنا مشروب هيا هيا"

ضحك كل من هجرس وإياس على حديثه لينهض ويجلب المشروب ويقضون سهرتهم باللهو والمرح ناسياً إياس تلك القصة التي حتماً ستتعبه وترهقه فيما بعد.

مضى أسبوعين على حياة أبطالنا ولم يحدث شيء جديد سوى أن هجرس قد ذهب إلى والد إياس ليحاول أن يعلم لما لا يريد أن يستمر إياس بخطبته مع سارة، ومع كل الإصرار والحديث الطويل من هجرس لم يستطع أن يفهم على السيد سامح أو يعلم لما هو معارضاً للفكرة، تعجب كثيراً من حالته ولم يعلم كيف سيتصرف أو ماذا سيقول لإياس، غير ذلك السيد سامح لم يحدث إياس منذ ذلك اليوم ولم يحتك به، يعامله ببرود وجفاء تاركاً ابنه بقلبٍ مشتعلٍ وحزين.

أيضاً مازالت علاقة إياس مستمرة بسارة ولا يوجد أية مشاكل بينهما، حسناً إياس تغير قليلاً مع سارة فهو لا يحدثها سوى قليلاً ولم يجلبها إلى منزل أهله منذ ذلك اليوم وهذا ماجعل من سارة تتعجب كثيراً من تصرفاته، حاولت أن تعلم ما الذي يشغل باله ولكنها لم تستطع أبداً ولم يحدثها إياس بطلب أبيه لأنه يعلم أنها ستحزن ومن المحتمل بأن تنهي علاقتها به هي بنفسها راحلة عنه بهدوء دون أن يحدث أية مشاكل.

كما أن السيد سامح حدث زوجته وطلب منها بأن تقنع إياس بفكرة إنفصاله عن سارة وقد تعجبت كثيراً من تقلب مزاجه ولم تفهم عليه لماذا يريد أن يبتعد عنها، وأيضاً تحدثت مع ماسة وطلب منها بأن تقنع إياس بذلك ولكن ماسة لم ترد على أبيها بل حكّت لإياس بما قاله لها أبيها وهذا ما جعل من إياس بحالة فظيعة وحانقة من والده.

في المساء وتحديدًا عند الساعة السادسة مساءً

بعدما عاد السيد سامح إلى منزله وتناول غدائه برفقة عائلته ووجوه مشحون، صعد لغرفته لكي يأخذ قبيلولة ومن بعدها نهض ليغتسل ومن ثم ارتدى ثيابه الرسمية وتوجه بصمت إلى وجهته.

دخل عليها ببرود وجمود لتتظر له بتعجب ولا تنكر بأنها شعرت بالخوف من مجيئه إليها، ابتسمت له بخفة لتقول:

"أهلاً بك عمي"

نظر لها مطولاً ليسرح بملامحها وبيتلع ريقه بصعوبة، حمحم ليقول ببرود:

"أغلق الصيدلية والحقي بي إلى السيارة سنذهب إلى مكانٍ عامٍ ونتحدث يا سارة"

تعجبت من الفكرة وتملكها الخوف لتقول بتوتر:

"ما الأمر عمي هل هناك شيء"

ابتسم من عيناه ليقرب وجهه منها ولم يفصل بينهما سوى بضع إنشآت لتبتلع ريقها وهي وتنظر له بتوتر بينما هو قال بهمس:

"لا تتأخري عن الدقيقتين"

ابتعد عنها ليناظرها ببرود ويخرج لينتظرها في السيارة بينما هي لم تعلم كيف تتصرف وما الذي يريد منها، زفرت بقوة لتوضب أغراضها وتخرج من الصيدلية وتغلقها ومن ثم توجهت إليه وركبت بجانبه ليناظرها بصمت وبرود ويتوجه بها إلى وجهته.

في ذلك المطعم الراقى لأصحاب النفوذ وفاحشي الثراء، كان يجلس مقابلاً لها يتابعها بعيناه الحادة وهو يرتشف من كأس النبيذ الذي أمامه، بينما هي كانت بموقف لا تحسد عليه أبدأً فقد كانت تنظر له بتوتر وتحاول الهرب من نظراته التي تأكلها، ارتشفت رشفة من قهوتها لتحمم وتقول بتوتر:

"ما الأمر عمي لماذا جلبتني إلى هنا"

ابتسم ابتسامة جانبية ليقول رافعاً حاجبه:

"عمي"

ابتلعت ريقها وابتسمت بتوتر ولم تتحدث ليقول ببرود:

"أريدك أن تنهين علاقتك بإياس"

نظرت له بتفاجئ ولم تستوعب حديثه، أيعقل بأنه قد جن أم ماذا! نظرت له بضياح لتبتسم بسخرية من بعدها وتقول:

"ولماذا عمي"

ابتسم بمكر ليقول:

"لأنك كثيرة عليه"

م

عقدت حاجبها باستغراب لتقول:

"لم أفهم"

ارتشف رشفة من كأسه ليقول:

"أنتِ تستحقين أفضل من ابني لأن ابني لا يناسبك"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"الآن علمت بأنه لا يناسبني، لقد كنت موافق على علاقتنا ودعمت ابنك في قراره والآن تقول لي بأنه لا يناسبني وكثيرة عليه"

نظر لها بحدة ليقول من بين أسنانه:

"أنا أحدثك بروية لكي تستوعبين كلامي وتنفذه لا لأن تعترضني وتعطيني مواعظ وحكم هل تفهمين"

نظرت له ببرود لتقول بتحدي:

"حتى وإن كنت كثيرة على إياس وحتى إن كان إياس لديه بعض الأمور الغير مرغوب بها أو الخاطئة فأنا لن أتخلي عنه، على العكس تماماً سأظل معه إلى أن أصلح حاله وأسانده بكل شيء لأنني أحبه كما أنني متيقنة بأنه يحبني"

استمع لها بتركيز ولا ينكر بأنها بلغت ذروة غضبه، ابتسم لها ابتسامة صفراء ليهمهم بمكر ويقول:

"حسناً يبدو بأن ابني قد أكل عقلك بالكامل، يا له من ماهر، هممم ألم يحدثك عن علاقته بابنة خالته التي تدعى خلود أم ماذا"

أنهى جملته غامزاً لتجحظ عيناها وتقول:

"ولكنه لا يوجد بينه وبينها أي شيء"

ضحك بصخب وهذا مازاده من وسامة ورجولة ليتحدث من بين ضحكاته:

"يا لك من بريئة وساذجة أيتها الفتاة"

نظر لها بمكر بينما هي تنظر له بصدمة وتفاجئ ليرد لها:

"صدقيني لا أريد سوى مصلحتك يا سارة، أنت كثيرة عليه جداً، انظري جيداً أمامك وستعلمين من هو الذي يستحقك"

أنهى جملته ونهض من مكانه تاركاً إياها بصدمتها وتفاجئها ليعود لها ويضع كلتا يديه على الطاولة ويقول:

"الحساب مدفوع ياحلوة"

غمز لها مردفاً:

"وداعاً"

تركها ورحل وعلى محياه ابتسامة خبيثة، خرج من المطعم ليجري اتصال سريع ومن ثم توجه إلى منزله.

صباح اليوم التالي استيقظت سارة بمزاج غير جيد نهائياً، هي إلى الآن لم تنسى كلام السيد سامح ونقله في عقلها، زفرت بقوة عندما سمعت صوت هاتفها لتتري اسم المتصل وقد كان إياس، فصلت في وجهه وأغلقت هاتفها لتزفر بقوة وتنهض لتفعل روتينها اليومي.

من الجهة الأخرى إياس الذي كان يحاول الاتصال بسارة ولكنها فصلت الخط وأغلقت هاتفها، تعجب من حالها وظل يحاول الاتصال بها مراراً وتكراراً ولكنه كان يعطيه خارج الخدمة.

ومن الجهة الأخرى أيضاً السيد سامح الذي لم يتناول فطوره مع عائلته وإنما استيقظ باكراً وليس ثيابه ليتوجه إلى وجهته والتي هي مقهى صغير، يجلس هناك ويرتشف من قهوته السوداء منتظراً قدوم أحد متيقن جيداً بأنه سيساعده بمخططه.

دقائق ودخلت إلى المقهى تلك المدعوة خلود، جالت بنظرها بأنحاء المكان لتتري سامح جالساً بصمت، ابتسمت بمكر لتتوجه له وهي تطرق بكعبها العالي وترقرق بالعلكة، ابتسم بمكر حالما رآها ليصافحها وتجلس هي بالمقابل بكل تكبر وتعالى وغرور، نظر لها سامح مطولاً وقد امتعض كثيراً لأنه يعرفها كم هي مغرورة ولثيمة وهو لا يحب ذلك أبداً ولا يحبها نهائياً ولكنه مضطر للقائها لكي تساعدته بمخططه، كانت تلعب بخصلات شعرها وتلوي بفمها بميوعة بالعلكة التي في فمها وهي تبتسم بمكر، حسناً ياسادة هي ليست مغرورة ومتكبرة وإنما خبيثة وذكية وتعرف الشخص من نظرة، لذلك تحدثت وقالت بمكر:

"أتعلم ماذا، لا أعلم من أختار أنت أم ابنك، يارجل وسامتك صارخة، بصراحة أنا أحسد خالتي عليك، ولكن مع كل هذا يبقى ابنك حبيبي ومهجة قلبي"

نظر لها ببرود وحاجب مرفوع ليقول بجمود:

"دعك من العهر والميوعة واسمعي ما الذي أريده منك"

نظرت له بحدة لتتنهد بقوة مغمضة عيناها ومن ثم قالت:

"أنا أستمع"

ابتسم بسخرية ليقول ببرود:

"أريدك أن تبعدني إياس عن سارة".

"أنا وقع فوادي في الغرام

وأحاول في ليلي أنام"

تلك الابتسامة الخبيثة لم تفارق ثغره مذ أن عاد من لقائه مع تلك المدعوة خلود، يعلم تماماً بأن كل مايفعله هو خطأ فادح ولكن قلبه الأحمق يدفعه لفعل أكثر من ذلك، هو يعلم مدى خطأه ولكن حالما يتذكر ذلك الجمال وتلك العينان الجميلة حتى تنهدم كل حصونه ويفعل أي شيء لأجل أن يكسبها، أرجع برأسه للخلف ليغمض عيناه متذكراً حديثه مع تلك الفتاة وابتسامته الخبيثة لم تفارقه:

:Flash back

نظرت له بعدم تصديق حالما نطق بجملته لتتحدث باستنكار:

"وكيف سأفعل ذلك"

ابتسم بمكر ليقول:

"أعلم بأنه لن يصعب عليك شيء ياخلود"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"وما الذي سيفيدك من كل هذا ها"

تنهد وأراح بجسده على الكرسي ليقول:

"هذا شيء لا يخصك أبداً"

ظلت تحقق به لتحاول أن تستشف شيء من عيناه ليرد لها:

"اسمعي جيداً إن كنت تريدين أن تكونين مع إياس وتكسيهه فإمكانك الحصول عليه حالما تبعدين سارة عنه، صدقيني سأساندك وأبذل قصارى جهدي لكي تكونين زوجة ابني عندما تبتعد عنه سارة"

نظرت له وهي غير مصدقة لتبتسم بمكر وتقول:

"هل أنت واقع لتلك الفتاة يارجل"

نمت ابتسامة عاشقة على شفثيه حالما نطقت بكلمتها ليقول بشرود:

"أجل وبشدة"

ضحكت ضحكة رنانة لتقول:

"ولكن ماذا عن خالتي"

تحولت ملامحه من ابتسامة عاشقة إلى نظرة باردة ليقول ببرود:

"ستفعلين ما أمرك به خلود والأفضل بأن تظلين صامته ولا تتفوهين بحرف وإلا صدقيني سأمحيك من الوجود"

امتعضت بوجهها لتقول:

"حسناً حسناً لا شأن لي بمخططاتك وبماذا تريد منها كل ما يهمني هو حبيبي إياس بينما هي فلتذهب للجحيم"

احتدت نظرتة لينهض بعنف ويتوجه لها ليمسك وجهها بقسوة ويتحدث بحدة غير أبهاً بالناس الموجودة:

"اسمعي أيتها اللعينة أقسم إن جلبتي سيرتها أو تحدثتي عنها بالسوء فسوف أسحق عظامك وأنت تعرفيني جيداً صحيح"

انكشيت معالم وجهها ودب الرعب بأوصالها من نبرته لتحرك رأسها موافقة، بينما هو ابتعد عنها ليعود إلى مكانه ونظرة الحدة مازالت بعينيه، زفرت بحنق لتقول:

"حسناً أنا أسفة لن أتحدث عنها بشيء المهم عندي إياس فقط"

حرك رأسه بإيجاب وبيطئ ليقول:

"ستفعلين ما سأفعله لك وإن سمعتي كلامي إياس سيكون لك"

حركت رأسها بإيجاب وجعلت كل حواسها معه بينما هو بدأ يحدثها بالذي ستفعله وما هو المخطط الذي ستتبعه ليقعون بين إياس وسارة.

كانت سارة في صيدليتها لتنتبه لدخول إياس عليها بابتسامته المشرقة ونظرته المحبة، نظرت له بارتباك ليقول:

"لم تسألين عني فأتيت لأسئلك عنك أنا"

ابتسمت بتوتر ولم تتحدث ليرد لها:

"لما لم تجيبين على اتصالاتي سارة"

تنهدت بقوة لتقول بتوتر:

"فقط هكذا لم أكن بمزاج جيد"

ابتسم بخفة ليمسك يدها ويقبلها ويقول:

"حتى ولو لم تكوني بمزاج جيد أحبيبي على اتصالاتي لأجعلك بمزاج جيد اتفقنا"

هممت له وابتسمت لتحرك رأسها موافقة، نظرت لعيناه مباشرة لتسرح به وكأنها نسيت كل همومها ونسيت أصلاً لما هي حزينة منه، نظر لها بحب ليقول بشغب:

"تبدين كالقطة وبصراحة أريد أن أقبلك هل تسمحين لي"

نظرت له بعينان جاحظة لتقول:

"لا لا هذا عيب"

ضحك ضحكة رنانة ليهمهم بمكر ويقول:

"حسناً حسناً ما رأيك أن نخرج ونتناول الغداء سوياً"

هممت له مدعية التفكير لتقول من بعدها بابتسامه:

"لا مانع لدي"

اتسعت ابتسامته وحرك رأسه موافقاً لتحول ابتسامته الواسعة إلى ابتسامه مأكرة ويقول:

"أحقاً ليس لديك مانع"

نظرت له باستغراب لتحرك رأسها موافقة ولم تفهم مقصده، كتم ضحكته ليقول بمكر:

"تعملين بصيدليتك الكبيرة وليس لديك مانع"

رمشت عدة رمشات لتجذب عيناها وقد فهمت مقصده لتقول بحدة:

"اخرج من هنا إياس"

ضحك بقوة ليقول:

"حسناً أنا أسف هيا دعينا نذهب"

نظرت له بعبوس لتحرك رأسها موافقة بتعالي، تجهزت وخرجت وأغلقت الصيدلية لتتوجه إليه وتصعد بسيارته، دقائق ووصلا إلى ذاك المطعم الفاخر ليدخلان ويجلسان بصمت، قضيا وقتهاما بالتحدث والضحك وتناولاً غدائهما وهما في غاية سعادتهما غير عالمان بجوز العيون التي كانت تراقبهما بحقد و حدة، زفر بقوة وحرك رأسه بتوعد ومن ثم توجه إلى وجهته.

في ذلك المنزل الهادئ والجميل، يجلس كل من أحمد وملاك شقيقا هجرس في صالة المنزل وهما يتحدثان ويضحكان، سمعا صوت رنين جرس الباب لينهض أحمد ويفتح الباب ليرى أمامه أكثر شخص يكرهه ويغتاظ منه وقد كان رامي، ابتسم أحمد بسخرية ليقول:

"أوه أوه أنظروا من أتى إلينا"

نظر له رامي ببرود وامتعض بوجهه ليقول:

"أين أخاك أيها المدلل"

ضحك بسخرية ليقول:

"ليس موجود عندما يأتي عد إلى هنا يا حبيب قلب أمك"

دفع فضول ملاك لتلحق بأحمد وتعلم من الطارق، حالما تلاقى عيناها بعيناه حتى بدأ قلبها يطرق بعنف وشعرت بجسدها يسخن، نظر لها رامي من الخارج وقلبه يدق بعنف، نظر له أحمد باستغراب ليشرح بوجهه للجهة التي ينظر لها رامي ورأى ملاك واقفة خلفه تنتظر لرامي بقوة، احتدت نظرتة ليصرخ بها صوت جعلها تنتفض بمكانها:

"إذهبي إلى غرفتك"

جفلت من صوته لتبتلع ريقها بصعوبة وتتوجه فوراً إلى غرفتها بينما أحمد نظر لرامي بحدة ليقول:

"مع السلامة"

نطق كلمته وأغلق الباب في وجهه، أغمض عيناه محاولاً التماسك وكور قبضته بغضب ليضرب الباب بقبضته ومن ثم خرج من المبنى وركب سيارته متوجهاً إلى ذلك المنزل الصغير.

من الجهة الأخرى

حالما أغلق الباب بوجه رامي حتى توجه فوراً إلى ملاك، دخل عليها بغضب ليقول:

"هل بإمكانك أن تعطيني تفسيراً لما حدث الآن"

ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت:

"ما الأمر أحمد مابك لم أفعل شيء"

حرك رأسه بحدة ليقول:

"أها إذاً لماذا لحقتي بي وبقيتي تنظرين إلى ذلك اللعين ها"

تنهدت بقوة لتقول:

"لا شيء فقط تفاجئت من مجيئه أخي"

همهم لها ليقول:

"سأحاول أن أصدقك ملاك"

وقف أمامها وأردف لها بهمس:

"إنسي أمر ذلك اللعين ولا تتعلقي به لإنني لن أسمح بذلك صدقيني"

أنهى جملته وخرج من غرفتها متوجهاً إلى غرفته، بينما ملاك ظلت واقفة في مكانها لتتهبط دموعها على وجنتها وتبدأ بالبكاء بحرقة، حسناً في الحقيقة أحمد يعلم بأن شقيقته تحب رامي كما أنه يعلم بأن رامي يحبها ولكنه سيفعل أي شيء كي لا يجمعهما سوياً لأنه حقاً يكرهه ولا يريد في حياته أو حياة شقيقته، يكفيه بأنه يراه مع أخيه هجرس وحاول كثيراً أن يحدثه ويبعده عنه ولكن هجرس لم يستمع له وهزاه أكثر من مرة بسبب كرهه لرامي.

دخل عليه ليراه جالس بزواية الغرفة يحرق بالفراغ ويرتشف من كأسه بين الحين والآخر، ابتسم بخفة لأنه يعلم ما الذي يجعل صديقه بهذه الحالة، جلس بجانبه ليقول:

"ما بك رامي"

نظر له رامي ببرود ليقول:

"لا شيء"

همهم له إياس ليقول:

"هل رأيتها"

كز على أسنانه وتحدث بحقد:

"أجل ورأيت ذلك العاهر أخاها أيضاً"

ابتسم إياس بسخرية ليقول:

"مؤكد بأنكما تتشاجرتما أليس كذلك"

نظر له ببرود ليقول:

"لا لم نتشاجر فقط أغلق الباب في وجهي عندما رأها تنتظر لي من خلفه"

حرك رأسه بياس ونفخ خديه ولم يتحدث ليرد له رامي بلؤم:

"أدفع نصف عمري لأعلم ما سر كرهه ومقته لي يارجل هذا الشاب ليس طبيعي أبداً، ليته يكون مثل أخيه هجرس لكانت كل أموري وأموره بخير"

ضحك إياس ضحكة رنانة ليقول:

"تتحدث وكأنك لا تكرهه وتمقته أنت أيضاً"

تحدث رامي باستنكار:

"أنا لا أكرهه لشخصه بل أكره تصرفاته وطريقة تفكيره، أكره معاملته وكرهه لي، أكره منعه لي من الاقتراب من ملاك، لماذا يفعل كل هذا ها، هل أنا سيء إلى هذا الحد إياس"

ابتسم إياس بخفة ليحرك رأسه نافياً ويقول:

"لا على العكس أنت شخص ممتاز ولكن أحمد لا يكرهك وإنما يكره حبك لشقيقته، أنت تعلم بأنه متعلق بها جداً وهما الاثنان مقربان من بعضهما كثيراً، ممم يعني باختصار تستطيع بأن تقول بأنه يغار عليها منك لا يريدك أن تتقرب منها وتأخذها منه، أظن أن هذا هو السبب"

ابتسم بسخرية ليتحدث باستنكار:

"كيف يفكر بهذه الطريقة، إن لم أتزوجها أنا سيتزوجها شخصٌ غيري، في الأخير طبعاً هي ستتزوج وتستقر في حياتها كحاله هو"

حرك رأسه بإيجاب ليقول:

"أجل أعلم ولكن طريقة تفكيره معقدة قليلاً"

نظر له بسخرية ليقول:

"قليلاً ها"

ضحك ضحكة رنانة ليقول:

"هل قلت لي إن لم تتزوجها أنت ستتزوج غيرك، أها إذاً أنت ستسمح لها بأن تتزوج غيرك، لن تعترف لها بحبك ولن تحارب لأجلها ولن تتزوجها ولن."

قاطعته بصراخه:

"واللعنة اصمت لا لن أسمح لها بذلك وسأعترف لها بحبي، أنا متأكد بأنها تبادلني نفس الشعور وستكون لي ستري"

ابتسم إياس باتساع لأنه وصل إلى مبتغاه ليقول:

"إذاً اجعلها لك يارامي"

حرك رأسه بإيجاب وهو ينظر للفراغ، نظر لإياس ليقول:

"بالمناسبة ماذا حدث بقصتك مع خطيبتك وماذا قال لك والدك! هل مازال على قراره"

ابتسم بخفة ليقول:

"في الواقع لم يعد يحدثني بالقصة وتستطيع أن تقول بأن علاقتي بأبي شبه معدومة في هذه الفترة"

امتعض رامي بوجهه ليقول بملل:

"يا أخي الأباء تفكيرهم صعب ومعقد"

أراد إياس أن يجيبه ولكن ذلك الصوت الذي أتاه جعله يصمت:

"بل على العكس تماماً فوالدكما تفكيره راقى يا أبنائي"

التفتا للصوت ليرا هجرس واقف أمامهما، نظرا له بسخرية ليحرك كتفيه بلا مبالاة ويقول ببساطة:

"أنا الكبير بينكما إذاً أنا والدكما"

صاح صوت ضحكاتهم لينضم لهم ويقضون سهرتهم بجو مليء بالمرح والضحك.

مر يومان على حياة أبطالنا ولا شيء جديد سوى أن خالة سارة قد سافرت لعمل طارئ وضروري وبقيت سارة بمفردها بالمنزل، أخبرت إياس بسفر خالتها ولم يحيد إياس فكرة وجودها في المنزل بمفردها ولكن ما بيده حيلة، وأيضاً هناك من كان يعلم بشأن سفر خالة سارة وقد لمعت في عقله فكرة خبيثة يريد أن ينفذها في الحال.

كان إياس جالس برفقة شقيقته ووالدته في صالة المنزل، دخل عليهم سامح ليلقي التحية ويقول موجهاً حديثه لإياس:

"إياس أريدك قليلاً تعال معي"

تعجب إياس من طلب أبيه فهو لم يعد يحدثه كالسابق، نهض متوجهاً إلى غرفة أبيه، دخل عليه لينظر له سامح ببرود ويقول:

"أنا أسف بني"

رمش عدة رمشات ولم يستوعب كلامه ليقول:

"أسف على ماذا أبي"

ابتسم سامح بخفة ليقول:

"أسف على ماقلته لك بشأن سارة"

ابتسم إياس بخفة ليقول:

"أبي أنا لم أحزن منك ولكنني تعجبت كثيراً من طلبك ولم أفهم لماذا قلت لي هكذا"

همهم له سامح ليقول:

"جيد بأنك لم تحزن مني، والآن كيف حالك أنت وسارة"

ابتسم باتساع ليقول:

"جيدة ومن أحسن ما يكون لا تقلق"

حرك رأسه بحنق ليقول:

"أها وكيف حالها هي، لا تقل لي بأنك تحزنها"

ضحك ضحكة رنانة ليقول:

"لا أبي لا أجرؤ على ذلك صدقني هذه حبييتي"

همهم له بحدة ليقول:

"هذا جيد وكيف حال خالتها"

وبتلقائية منه ومن دون أي ميرر تحدث إياس:

"خالتها جيدة ولكنها سافرت في عملٍ مهم وسارة بمفردها في المنزل"

عقد حاجبيه متصنع الاستغراب ليقول:

"وكيف تتركها بمفردها بالمنزل بني"

حرك كتفيه ليقول:

"وما الذي سأفعله"

أجابته سامح:

"اجلبها إلى هنا بني، ستجلس مع ماسة وستتسلبان مع بعضهما لا يجب عليك أن تتركها بمفردها بالمنزل"

نظر له بتفاجئ ليبتسم ببلاهة ويقول:

"يعني لن تعترض مجيئها أو ما شابه أبي"

امتعض سامح بوجهه ليقول:

"هيا أيها المدلل حرك الخلايا النائمة لديك واذهب واجلبها إلى هنا تحرك"

اتسعت ابتسامته ليحرك رأسه موافقاً ويخرج متوجهاً إلى سارة، بينما سامح ارتسمت تلك الابتسامة الخبيثة على وجهه وأجرى اتصالاً ومن ثم تنهد بارتياح.

من الجهة الأخرى وصل إياس إلى منزل سارة ليطرق طرقات خفيفة على الباب، فتحت له الباب لتعقد حاجبيها باستغراب ومن ثم ابتسمت ليبادلها الابتسامة ويقول بهمس:

"اشتقت لك"

ابتسمت بخجل لتقول:

"ما الذي جاء بك إلى هنا"

همهم لها ووضع يديه في جيوبه ليقول:

"سامحك الله أهكذا تستقبلين ضيوفك"

حركت رأسها بياس وابتسمت ليردف لها:

"أتيت لكي أرى خطيبتي الجميلة"

همهمت له بمكر لتقول:

"حسناً وما قد رأيتني إذهب لإن خالتي ليست هنا وقد حدثت لك وأنت لك بأنها سافرت لذلك إذهب"

حرك رأسه رافضاً ليقول:

"بل أنت التي ستذهبين معي"

عقدت حاجبيها باستغراب ليردف لها:

"لقد طلب مني أبي أن أجلبك إلى منزلنا كي تمكثين عندنا ريثما تعود خالتك"

ابتلعت ريقها بصعوبة وازدادت طرقات قلبها حالما سمعت بجملته، هي تشك بأمر سامح ولا ترتاح له أبداً لذلك هي تحاول قدر الإمكان أن تتجنبه، تحدثت سارة بتوتر:

"لن أذهب أنا مرتاحة في منزلي"

تحدث إياس بعناد:

"لا لا لن أتركك بمفردك هنا هيا ادخلي وغيري ثيابك وسأنتظرك في السيارة"

أنهى جملته ورحل من أمامها بينما تملكها الخوف من فكرة رؤية سامح والمكوث معه في نفس المنزل، هي حقاً في حيرة من أمرها ولا تعلم كيف تتصرف معه، تنهدت بيأس لتدخل وتغير ثيابها وقد وضبت أغراضها وهبطت إلى إياس وتوجه بها إلى منزله.

استقبلتها جيداً بابتسامة صغيرة بينما ماسة انقضت عليها واحتضنتها وكانت تريد أن تجرّها إلى غرفتها ولكن والدتها منعتها لأنها تريد أن تراها قليلاً، دخلوا جميعاً وجلسوا في الصالة الكبيرة، دقائق ودخل عليهم السيد سامح لينظر لسارة مطولاً ويبتسم لها ويلقي التحية عليها، حالما رأته تملكها التوتر وبادلته التحية بتوتر، بينما هو جلس بصمت وظل يتفرس ملامحها بقوة، قضوا وقتهم في الأحاديث العادية وهم يضحكون ويمرحون ولكن لا يمنع من أن سارة قد شعرت بالتوتر من نظرات سامح لها، لم يزيح نظره عنها بل ظل ينظر لها بقوة ويتأملها وفي داخله الكثير من الكلام والأفعال التي يتمنى أن يفصح لها عنها.

سمعوا صوت جرس الباب ألتعجبوا من الزائر الذي سيأتي إليهم في هذا الوقت ماعدا السيد سامح فقد ارتسمت على ثغره ابتسامة خبيثة، نهضت ماسة لتفتح الباب وتدخل عليهم تلك المدعوة خلود بابتسامتها الواسعة، ألقّت التحية على الجميع وابتسمت بوجه سارة ابتسامة حانقة، حالما رأتها سارة تبذلت ملامحها وامتعضت وقد تذكرت حديث سامح عندما حدثها عن علاقة خلود بإياس لذلك ظلت سارة تنظر إلى إياس بهجوم وعتاب وهو يبادلها بنظرة متوترة ولا يعلم ما سر نظرة عتابها، بينما سامح يتابعهما بابتسامة خبيثة وماكرة كحال خلود، بدأت جيداً تتحدث مع خلود وتطمئن عنها، لفت انتباه سارة عندما تحدثت خلود بابتسامة:

"أوه خالتي لقد أتيت لكي أمكث عندك عدة أيام هل تستقبليني"

ابتسمت جيداً باتساع لتقول:

"بالطبع عزيزتي أهلاً وسهلاً بك"

اتسعت ابتسامة خلود بينما إياس امتعض كثيراً كحال ماسة التي لا تطيق خلود ولا تحبها، بينما سارة كزت على أسنانها واحتقن وجهها، تحدثت جيداً بابتسامة:

"إنذاً هذا جيد بما أنكِ ستمكثين هنا عدة أيام كحال سارة ستقربان من بعضكما كثيراً وماسة ستكون معكما أيضاً"

ابتسمت خلود بحنق لتقول وهي توجه نظرها لسارة:

"بالطبع سنتقرب من بعضنا ونفق"

ابتسمت بمكر وحركت رأسها بتوعد بينما سارة ابتسمت ابتسامة حانقة وحركت رأسها ببرود وظلت صامتة، تحدثت خلود موجهة حديثها لخالتيها:

"خالتي أريد أن تفرغون لي غرفة قريبة من غرفة إياس"

أنهت جملتها بابتسامة عفوية ومصطنعة لينظر لها إياس بامتعاض و حدة ليقول بلوم:

"بل سارة التي ستأخذ غرفة قريبة من غرفتي"

احتقن وجهها كثيراً لتقول بتعالي واستنكار:

"لا أعلم كيف خطبت هذه الصغيرة، لا أرى بها أي شيء يستحق لكي تحمل لقب عائلتكم"

توترت الأجواء لتتظر لها سارة بحدة وتقول بلوم:

"أها وماذا أيضاً، وهل ترين بأنك أنت التي تستحقين مثلاً".

"حديثهم شيء

وحقيقتهم شيء آخر "

توترت الأجواء كثيراً حالما نطقت سارة بجملتها، لم تستطع أن تتحمل إهانتها لذلك ردت عليها بالكلام الذي يدعها تصمت وتغلق فمها، ولكن خاب ظنها عندما رأت خلود تناظرها بحدة لتتهض وتتوجه لها بخطواتٍ بطيئة بينما الجميع يترقب ما الذي سيحدث ولكن سارة لم يرف لها رمش وظلت باردة، وقفت خلود أمامها بينما سارة مازالت جالسة تراقبها بصمت لتقول خلود باشمئزاز:

"يا لك من وقحة يافتاة"

رفعت سارة حاجبها لتتهض وتقف بوجهها وتناظرها بتحدي لتقول:

"تحدثين وكأنك لست وقحة أيضاً"

تحدثت خلود بلوم:

"حتى وإن كنت وقحة لست بالدرجة التي أنتِ بها"

ابتسمت سارة بسخرية لتقول باستفزاز:

"أجل عزيزتي أنتِ أسوأ بكثير أعلم ذلك"

احتقن وجه خلود بشدة وكزت على أسنانها بينما سارة تناظرها بابتسامة مستفزة، حسناً لقد أعجب إياس كثيراً بموقف سارة وحديثها وثقتها، كذلك ماسة أعجبها حديثها وسامح أيضاً أعجبه بأنها وقفت بوجه خلود وردت عليها ولكنه حقاً هو الآن يشتعل غضباً من خلود التي تجرأت وتفوهت بمثل هذه الكلمات بوجه سارة، بينما السيدة جيداء وللصراحة لم يعجبها موقف سارة وردتها على خلود بهذه الطريقة لأنها تحبها كثيراً ولا تسمح لأحد بأن يحدثها بكلمة تزعجها وكانت دائماً تحذر ماسة من افتعال المشاكل معها، تنهدت جيداء بحنق لتتدخل بالحديث وتقول:

"خلود تعالي واجلسي في مكانكِ وأنتِ ياسارة اجلسي أيضاً ولا تتفوهين بهذه الكلمات معها أبداً"

وكانها لم تتحدث لإنهما هما الاثنتان كانتا تنظران لبعضهما بتحدي واشمنزاز، ظلت حرب العيون قائمة لتجفل الاثنتان من صراخ جيداء وهي تقول:

"ألم تسمعاني هيااا!"

تنهدت سارة بقوة وجلست في مكانها دون التفوه بحرف بينما خلود نفخت خديها بغضب لتتوجه وتجلس بجانب خالتها وتقول:

"حسناً خالتي لا تنفعلي والآن بعد إذنكِ هلا أفرغت لي غرفة بجانب غرفة إياس"

كزت سارة على أسنانها لتتظر لها بحدة بينما إياس تدخل في الحديث ليقول:

"لا أيتها الصغيرة فخطيبتني هي من ستأخذ الغرفة التي بجانب غرفتي لذلك لا تتعبين نفسكِ واصمتي"

نظرت له بحدة لتقول:

"لا شأن لكِ إياس"

نهض إياس بعنف متوجهاً لها وهو يناظرها بحدة فهو لم يعد يستطيع ان يتحمل وقاحتها، أمسكها من معصمها بطريقة عنيفة ومؤلمة وأوقفها ليحدثها بحدة:

"اسمعي أيتها اللعينة لا تتجراي وتحدثين معي بهذه الطريقة وإلا أقسم لك بأنني سأقطع لسانك هل فهمتي"

نهضت جيداء لتصرخ بإبنيها:

"إياس ما الذي فعله أنتحدث مع ابنة خالتك بهذه الطريقة من أجل خطيبتك"

نترها من يده ليصرخ بالمقابل:

"دعيتها تغلق فمها اللعين وتحترم نفسها وإلا سترين ما أنا فاعلٌ بها"

مثلت خلود بأنها تبكي لترتمي بأحضان خالتها وتبكي بكاء مصطنع، لم تستطع سارة تحمل هذه الأجواء لذلك نهضت وتحدثت بهدوء:

"يبدو بأنني افتعلت المشاكل من دون أن أقصد يا جيداء هانم، أنا أعتذر والآن اسمحوا لي"

أرادت أن تخطو خطواتها لترحل ولكنها استوقفها صوته ليقول سامح:

"بقي هنا سارة أنتِ لم تخطئين بشيء"

استدارت لتتظر له بهدوء بينما ابتسم ابتسامة صغيرة لإعجابه بموقف أبيه، نظر سامح لإبنيها ليقول:

"هيا خذ خطيبتك ودعها تختار الغرفة التي تريدها وتناسبها وخذوا ماسة معكما أيضاً"

حرك رأسه بإيجاب ليخرج من الصالة متوجهاً إلى الأعلى وبرفته سارة وماسة، بينما جيداء وخلود التي كانا الشياطين تتراقص حولهما لم يعجبهما موقف سامح ولكنهما لم يتجرأن على التفوه بحرف أمامه، نظر سامح لخلود بحدة ليحرك رأسه بتوعد بينما خلود ابتلعت ريقها بخوف لأنها تعلم بأنها ستلقى العقاب القاسي منه، تنهد بقوة ليقول:

"ما بكِ ابنتي خلود لما فعلتي كل هذا"

نظرت له بصدمة لتتحدث بتلعثم:

"|| عمي أ"

نظر لها باستغراب ليقول بهدوء:

"أنتِ ماذا مابكِ ما الذي يحدثِ معكِ"

ابتلعت ريقها بصعوبة وصمتت ليردف لها سامح مبتسماً:

"حسناً تعالي معي إلى غرفة المكتب لنتحدث بهدوء"

نظرت له بخوف وهي تعلم تماماً لما يرمي له سامح، وجه نظره لزوجته ليقول:

"عزيزتي دعي الخادمة أن تصنع لنا القهوة وأنا سأرى ما مشكلة خلود الصغيرة"

ابتسمت جيداً وحركت رأسها موافقة لبيادلهما الابتسامة ويتوجه إلى مكتبه وخلود تتوجه ورائه والخوف ينهش بقلبها، دخل إلى مكتبه لينظر للفراغ بحدة وتدخل ورائه خلود وتغلق الباب خلفها، استدار لها لينظرها بحدة ويقول بهمس مخيف ونظرة الشر ظاهرة في عينيه:

"ما الذي تفوهتي به منذ قليل أيتها اللعينة"

نظرته كفيلة بأن تجعلها تقع أرضاً، ابتلعت ريقها بصعوبة ومثلت الشجاعة وظلت لت ثابتة قول ببرود:

"لم أفعل شيئاً سوى أنني أحببتها وأردت أن أعلمها مقامها"

كز على أسنانه ونظر لها بطريقة مخيفة ليمسكها من معصمها بقوة ويقول:

"ومن أنتِ أيتها النكرة حتى ترينها مقامها، أتعلمين ما هو مقامكِ ها، مقامكِ أنتِ تحت قدمي هل تسمعين"

نظرت له بأعين دامعة ليترك معصمها ويمسك خصلات شعرها ويقول بهمسٍ حاد:

"أنتِ لا تساوين شيءٍ أمامها أيتها اللعينة، إياكِ أن تفتعلين المشاكل معها مرة أخرى وإلا أقسم لكِ بأنني لن اتردد بأن أنهي حياتكِ هل سمعتي"

حركت رأسها ببكاء لينتثرها من يده ويستدير ليجلس وراء مكتبه، جلس على الكرسي وأراح جسده لينظر لها بجمود ويقول ببرود:

"عدلي من هينتكِ المبعثرة لإن الخادمة ستأتي أيتها الغبية"

نظرت له والدموع على وجنتيها ليردفا لها بلؤم:

"هيا هيا لم يحدث لك شيء لا تقولين بأنه يفرق معك ما فعلته بك لأنك عديمة الإحساس"

انفعلت منه ومن حديثه لتناظره بحدة وتتوجه لتضع كلتا يديها على المكتب وتقول بلؤم:

"قل لي هي بماذا أحسن مني ها، لماذا اختارها ابنك ولم يتطلع بي أنا، لماذا أنت أيضاً تحبها وتريدها وتعاملني أنا أسوء المعاملة ها"

نظر لها بشراسة ليقول بحاجب مرفوع:

"لا تقارني نفسك اللعينة بها، هي نقية وبريئة بينما أنت عاهرة وخبيثة"

تحدثت بحدة:

"لماذا ها لماذا أنا عاهرة خبيثة"

تحدثت بلا مبالاة:

"راجعى أفعالك الرخيصة وستعلمين لماذا"

احتقن وجهها لتقول بتحدى:

"بالمناسبة أنا أستطيع بأن أنهى الاتفاق ولا أساعدك بشيء هل سمعتني"

نظر لها بسخرية ليقول:

"أجل أعلم ذلك وأيضاً يجب أن تعلمين بأنك لن تحصلين على إياس في حياتك وسترين ما الذي سأفعله بك، ثم أنني إن كنت معي أم لا فأنا سأكسب سارة وأجعلها ملكي، يعني وبالمختصر وجودك وعدمه بالنسبة لي واحد هذا غير الجحيم الذي سينزل عليك"

بدأت تتردد جملته في أذنها وهي تناظره بخوف، هي حقاً تعرفه عز المعرفه وتعرف بأنه لن تفرق معه وسيفعل بها افطع الأفعال، وبهذا ستخسر كل شيء لن تكسب إياس ولن تدخل عائلتهم ولن تكون على اسمه، تنهدت بقوة وتحكمت بنفسها لتحرك رأسها موافقة فهي تعلم بأن عنادها وغضبها لن ينفعها بشيء سوى الخسارة وليس بعيد بأن يكون خسارة روحها أيضاً.

بينما من الجهة الأخرى إياس وسارة وماسة الذين كانوا جالسون يضحكون ويمرحون من بعد ما اختارت ماسة غرفة مناسبة لسارة وقريبة من غرفة إياس، بينما خلود أفرغت لها غرفة بجانب غرفة ماسة، أحبت ماسة بأن تخلي الجو لهما قليلاً لتتنهد وتقول:

"أوه سارة عزيزتي سأذهب لكي أذاكر قليلاً، اجلسي قليلاً مع إياس ومن ثم الحقي بي لغرفتي أريد أن أحدثك بأخر التطورات"

غمزت في آخر جملتها لتبتسم سارة باتساع وتحرك رأسها موافقةً بينما إياس كان يجلس بينهن كالأبله، خرجت ماسة وتركت الباب مفتوحاً قليلاً ليتنهد إياس وينظر لسارة بابتسامة ويمسك يدها ويقبلها ومن ثم قال:

"حبيبتي لا تزعجين نفسك من أجل تلك الفتاة إنها حمقاء"

ابتسمت سارة وحركت رأسها موافقةً لتقول:

"لا لم أنزعج ولكن لا أريد من والدتك أن تحزن مني"

ابتسم إياس بخفة ليقول:

"لا اطمئني لن تحزن، لن أكذب عليك هي تحب خلود كثيراً ولكنها لا تميز بينك وبينها كلاهما تعتبركما مثل ماسة"

هممت له وجففت لوهلة ومن ثم تحدثت:

"هل هي تحبك إياس"

نظر لها بقوة ليتنهد ويقول:

"أجل كانت دائماً تقول لي بأنها تحبني وتطلب مني أن أشعر بها ولكنني أنا حقاً لا احبها ولا أرغبها إنها مغرورة وخبيثة"

حركت رأسها بخفة ولم تتحدث ليتنهد إياس بمكر ويرد لها:

"ما رأيك بقبلة صغيرة الآن يا حلوة"

عبست بوجهه لتقول:

"إياس إلزم حدودك، سأذهب الآن إلى ماسة ومن ثم أريد أن أنام، تصبح على خير"

نهضت لتتوجه إلى الخارج ولكن يده منعتها وسحبها ليخاصرها ضد الحائط ويتحدث بهمس ضد شفيتها:

"أريد قبلة وسأخذها غصباً عنك لأنها ستكون أذ"

أرادت أن تعترض وتتحدث ولكنه امتلك وردتها بقبلة عميقة جعلتها يذوبان ويقبلان بعضهما بشغف وحب وهما بأعلى مراحل سعادتهما غير عالمان بذلك الذي كان يقف مصدوم متابعاً للموقف بعينان حادة والنيران مشتعلة في صدره، حرك رأسه بحدة وأغمض عيناه ليهدأ نفسه ومن ثم توجه إلى غرفته وهو يتوعد بنفسه بأنه لن يدعمها يكملان هذه العلاقة مهما كلفه الثمن.

صباح اليوم التالي

استيقظ جميع من في المنزل واجتمعوا جميعهم على مائدة الفطور، تناول الجمع فطورهم بجو هادئ لا يوجد به أي مشاحنات أو ماشابه، انتهوا جميعهم من تناول فطورهم لينهض كل منهم ويتوجه إلى وجهته التي يريد.

يقف قرب منزلها منتظراً خروجها لكي يحدثها بأمر مهم، لقد أخذ قراره وقرر أن يحدثها ويعترف لها بكل شيء ولن يخاف من شيء، انتظرها وقت طويل حتى هبطت وخرجت من المبنى متوجهة إلى حامتها سيراً على الأقدام لأن جامعتها قريبة من منزلها نوعاً ما، ما إن رآها ورأى ذلك الجمال حتى تصنم في مكانه ولم يعد يستطيع فعل شيء، كانت بكامل أنوثتها وأناقته فقد كانت ترتدي فستان طويل يصل إلى كاحلها وبنصف أكمام ولونه وردي ومسدلة شعرها على ظهرها لتبدو بكامل رقتها وأنوثتها، ابتلع ريقه ليتوجه إليها ويلحق بها وهو ينادي عليها، التفتت لمصدر الصوت لتراه أمامها وما إن رآته حتى بدأ قلبه يقرع كالطبول، ابتسمت بخفة عندما رآته ليبادلها الابتسامة ويلقي عليها تحية الصباح ومن ثم قال:

"مم ملاك أريد أن اتحدث معك بموضوع هام والموضوع مهم جداً ولا يؤجل أبداً ما رأيك هل نذهب"

ضحكت ضحكة خافتة لتجعل قلبه يرقص فرحاً لأنه رأى ضحكتها وتقول:

"ما بك على عجلة من أمرك"

حك مؤخرة رقبته وابتسم بتوتر لتبتسم هي بدورها وتقول:

"حسناً سأراك بعدما تنتهي محاضرتي، عند الساعة الثانية عشر نلتقي ما رأيك"

نظر لها بابتسامة ليقول رامي:

"مم حسناً موافق رغم أن الموضوع هام ولكن لا بأس"

ابتسمت بخفة لتقول:

"أها حسناً هذا يعني بأنك ستنتظرنني أليس كذلك"

نظر لعيناها مباشرة بهيام ليقول بشيء من الهمس:

"أنتِ إذا طلبتي أن أنتظركِ العمر كله سأنتظركِ ولن أبالي لشيء"

توترت من جملته وتوردت وجنتيها خجلاً وبداخلها فرحة العالم كله، أخفضت رأسها وابتسمت بخجل بينما هو ابتسم وقال:

"تفضلي لكي أوصلك"

نفت برأسها لتقول:

"لا داعي لذلك فجامعتي قريبة"

حرك رأسها رافضاً ليقول:

"لا لا هيا سأوصلك تفضلي"

ابتسمت بخفة وحركت رأسها موافقة لتتوجه معها وتركب بسيارته وينطلق بها إلى جامعتها وغير عالمة طبعاً بأخيها الذي رآها تركب مع رامي بسيارته وهي مبتسمة، كز على أسنانه بغضب وحرك رأسه بحدة وتوعد ومن ثم انطلق إلى وجهته.

من الجهة الأخرى تلك المرأة الجميلة بعيناها البنية القاتمة وشعرها البني الفاتح وجسدها الرشيق، دخلت المدعوة لمى إلى المبنى من بعد ما ذهب أحمد لتأذن لها الصدفه وترى هجرس يهبط على الدرج وكأنه على عجلة من أمره، حالما رآته حتى وقفت تنتظر له بهدوء بينما هو حالما وقعت عيناه عليها حتى جفل لثواني ونظر لها من رأسها إلى أخمص قدميها ببرود ولكن داخله نيران متأججة من شدة شوقه لها ولحضنها الدافئ، كحالها هي التي كانت النيران تشتعل في صدرها من شدة اشتياقها له ولأيامها معه، نظر لها بعتاب لوهلة ومن ثم عاد لنظرته الباردة وابتسم من أنفه ودحرج عيناه بلووم وتوجه لخارج المبنى ومن ثم استقل سيارته وتوجه إلى عمله، ظلت لا واقفة تنتظر لمكان فراغه بحزن وهي تتذكر أيام عشقهما وسعادتهما مع بعضهما، تنهدت بحزن وهبطت دموعاً بريئة على وجنتها لتمسحها وتصعد إلى منزلها بحرقه قلب.

0012: pm عند الساعة

كان رامي منتظراً ملاك أمام باب الجامعة، دقائق وخرجت إليه بابتسامتها الهادئة ليبادلها الابتسامة ويلقي التحية عليها ومن ثم صعدا سوياً في السيارة وتوجه بها إلى أقرب مقهى لكي يحدثها بكل شيء داخل قلبه الذي يهيم بها، وصلا إلى المقهى ليجلسان وقد بدأ يتحدثان بأمور عادية لكي يكسران الصمت، قلبها الذي يدق بعنف وعيناها المسلطة عليه ولم تستطع إزاحتها أبداً، ليس عدم حياء أو وقاحة وإنما اشتياقها وحبها له جعلها تتجرأ لتطيل النظر إلى عيناها، ابتسم لها وشرده هو أيضاً في عيناها ليتنهد ويقول:

"م ملاك الموضوع الذي أريد أن أحدثك به هو."

صمت قليلاً وتلعثم في الكلام بينما هي ابتسمت لتقول:

"هو ماذا رامي"

محمم ونظر لعيناها مباشرة ومن ثم تحدث بسرعة:

"هو أنني أحبك وأريدك زوجة لي هل توافقين"

نظرت له بصدمة وقلباها الأحمق بدأ يدق بعنف، لم تعلم هذه الصدمة بسبب فرحتها باعترافه لها أم بسبب خوفها من أخيها ومن القادم، استسلمت لفرحتها وبانت نظرة الحب في عيناها لتبتسم بخجل وتخض رأسها، بينما هو كان يتابع ردة فعلها والتي لم تكن سلبية نهائياً، أردف لها بهدوء:

"تحدثي ملاك"

ابتلعت ريقها وهي تحاول كبح دموعها ولكن دموعها خانتها وهبطت على وجنتها لترفع نظرها له وتقول:

"خذني من هنا أريد أن أخرج"

صعق من ردة فعلها وتغير مزاجها، لم يستطع أن يرفض أبداً وتعجب كثيراً من دموعها ليحرك رأسه موافقاً بحزن وينهضان سوياً ليخرجان خارج المقهى، تنهد بقوة ليقول:

"هيا اصعدي لكي أوصلك"

حركت رأسها رافضة لتقول:

"أريد ان أمشي"

همهم لها ليقول:

"حسناً إذاً سأمشي معك"

مشياً سويماً وكل منهم يفكر في الآخر ولكن بطريقة مختلفة، دقائق ووصل بها إلى منزلها ليودعها بابتسامة باهتة، أراد أن يرحل ولكنها أمسكت بيده وأدارته لها لتذرف دموعها وتقول بصوتٍ باكي:

"أيها الأحمق أنا أيضاً أحبك كثيراً"

نظر لها بصدمة ولم يستوعب ما قالته ولم يبدي ردة فعل سوى الصدمة والصمت، نظرت له بغيظ وأعين دامعة لتضربه على صدره بقبضتها الصغيرة وتتحدث بغضب طفولي:

"لما لا تتحدث ها هل تراجعت عن كلامك، هيا تحدث تحدث"

ابتسم من عيناه ليحملها ويدور بها، انزلها ليحتضنها بقوة ومن ثم ابتسم لها ليقول:

"سأتي اليوم وأتحدث مع أهلك بموضوع زواجنا ما رأيك"

ابتسمت باتساع لتحرك رأسها موافقة وتعاود احتضانه مستشعرة الأمان والحنان بحضنه الدافئ، ظلا عدة دقائق وهما يتحدثان ويتفقان ومن ثم ودعته لتصعد إلى منزلها والابتسامة لم تفارق ثغرها.

في المساء

في منزل السيد سامح حيث كان جالساً برفقة خلود في الصالة الكبيرة وهما يتفقان على المصيبة الجديدة.

بينما من الجهة الأخرى إياس الذي عاد منهكاً من العمل كثيراً، رأى سارة وجلس معها قليلاً ومن ثم استأذن منها وصعد إلى غرفته، بينما سارة أيضاً صعدت إلى غرفتها وظلت جالسة فيها.

بعد قرابة الساعتين كان المنزل هادئ جداً لا يسمع به أية حركة، خرجت خلود من غرفتها متسللة إلى غرفة إياس، تعمدت أن تفتعل الضجة أمام غرفة سارة لكي تلفت انتباهها وقد نجحت في ذلك لتركض مسرعة إلى غرفة إياس وتعلق الباب خلفها، توجهت له لتحركه بخفة وتوقظه، فتح عيناه بوهن ونظر لخلود بوهن ومن ثم اتسعت عيناه لينهض بنصف جسده ويقول:

"ما الذي تفعليه هنا أنتِ"

شهقت بخفة وتحدثت بصوت عال نوعاً ما:

"حبيبي إياس ما بك أنت الذي قلت لي أن آتي لك في مثل هذا الوقت، اه صحيح سارة غارقة في النوم لا تفلق"

أراد أن يتحدث ولكنها ابتلعت عبراته بقبلة عميقة ليفتح الباب عليهما وتقف أمامهما تلك الفتاة ويجفان ليبيدها عنه بعنف وتتنظر خلود لسارة وتشهق بخوف مصطنع.

"ثمة أمرٌ لا تستطيع أن تجتازهُ بسهولة

ثمة شعور لا يجديه التغاضي

ثمة عتابٌ طويل في صدرك كتمانهُ صعب وإفصاحهُ إهانة

ثمة أشياء لا تكون بتلك البساطة"

يتأمل ضحكتها الجميلة ونظراتها البريئة، سعادتها المفرطة برفقته، يناظرها بهيام وعينان ضاحكة، تلك الفتاة التي لم تعطي أهمية لتلك الترهات الغبية، يعلم علم اليقين كم هو محظوظ بها، ليست كأبي فتاة وليست كأبي امرأة، هي مميزة بالنسبة له، مميزة بتفكيرها العميق، مميزة بوعياها، مميزة بطلاقة لسانها، مميزة بتعاملها مع الأمور الصعبة، هذا ماجعله يحبها ويتعلق بها.

كان جالس برفقتها في ذلك المطعم الفاخر ومن الطبقة الراقية، ممسكان بأيدي بعضهما ويتبادلان النظرات المحبة، لم يخلو جوها من المزاح والضحك وكلمات الغزل من قبل إياس ونظرته العاشقة لها عندما يرى خجلها وتورد وجنتيها، حدثها بابتسامة:

"أتعلمين لا أصدق متي سننزوج ونبقى بجوار بعضنا إلى الأبد"

ابتسمت بخجل لتقول:

"وأنا أيضاً صدقني"

رفع يدها ليقبلها قيل متتالية بينما هي تناظره بابتسامة خجلة، تبدل حالها بعد دقائق لتعقد حاجبيها بحزن بينما إياس نظر لها باستغراب ليقول:

"ما بك"

تحدثت بقلق:

"خائفة جداً إياس، خائفة من أن تتجح خلود في تفرقتنا بعد الآن"

ابتسم بخفة ليتحدث بإصرار:

"صدقيني لا هي ولا ألف مثلها ستستطيع أن تبعدنا عن بعضنا مهما حدث"

نظرت له بتردد لينظر لها نظرة تشجيع وإصرار، ابتسمت بخفة لتحرك رأسها موافقة ومن ثم سرحت قليلاً لتسترجع أحداث تلك الليلة:

:Flash back

نظرت لهما سارة بصدمة، لم تصدق ما رأته بأعينها، هي تعرف إياس جيداً فهو يستحيل أن يخونها أو يجرحها بهذه الطريقة، حسناً هي ليست غبية بل ذكية جداً وقد علمت بمخطط خلود الدنيء، نهض إياس بسرعة متوجهاً لها بينما خلود وقفت ببرود وصمت، ابتلع إياس ريقه ليقول وهو ينظر لسارة برجاء:

"سارة صدقيني لا ذنب لي هي هي من.."

بتر جملته ولم يستطع أن يتحدث بينما سارة ظلت تنتظر له ببرود ومن ثم وجهت نظرها لخلود، ناظرتها بحدة لتقترب منها ببطئ ومن ثم صفعتها بقوة، نظرت لها خلود بصدمة وما لبثت حتى استفاقت لتتحدث من بين أسنانها:

"أيتها اللعينة لن أرحمك"

أرادت خلود أن تصفحها وترد لها الصفحة ورفعت يدها في وجهها ولكن ذلك الصوت الذي أتاها جعلها تتسمر في أرضها وتمتنع عن فعلتها، استدارت سارة للصوت لتجد سامح يقف بجانب إياس وعلامات الغضب على وجهه، اقترب منهما عدة خطوات ليقف بوجه خلود ويقول:

"هلا أعطيتني تفسير لما تريد فعله ياخلود"

نظرت له بصدمة ولم تستوعب ما قاله وما فعله، أساساً هي لم تستوعب إلى الآن هو ما الذي يفعله هنا، ابتلعت ريقها لتتحدث ببكاء مصطنع:

"عمي خطيبة ابنك صفعنتي وأهاننتي في منزلك"

احتدت نظرة إياس ليتحدث بصراخ:

"ألا تريدني أن تصفحك وأنت فعلتي ما فعلتنيها"

تحدثت خلود بصراخ مماثل:

"وما شأنني أنا ألسنت أنت من بعث لي رسالة على الهاتف وطلبت مني المجيء إلى غرفتك"

نظرت له سارة بصدمة وكذلك سامح، بينما إياس جحظت عيناه ليقول بعدم استيعاب:

"أنا لم أبعث لك أية رسالة، وصلت إلى هنا ونمت فوراً ولم أعي لأي شيء"

ضحكت بسخرية ولم تتحدث بينما سامح تدخل بالحديث ليقول:

"أين هاتفك إياس، دعنا نتأكد وأثبت لنا صحة كلامك هيا"

نظر إياس لأبيه بصدمة، أحقاً يشك به أم ماذا؟ وجه نظره لسارة التي كانت لا تبدي أي ردة فعل سوى البرود والجمود، استسلم لهم ليمسك هاتفه ويتصفح الرسائل وإذ به يجد رسالته التي بعثها لخلود وقد كان محتواها:

"حبيبتي عند منتصف الليل تعالي إلى غرفتي، سأنتظرك بفارغ الصبر"

جحظت عينان إياس عندما رأى هذه الرسالة موجودة في هاتفه ومرسلة إلى رقم خلود، نظر لأبيه ليحرك رأسه رافضاً بينما خلود ابتسمت بخبث، توجهت الأنظار جميعها لسارة التي كانت واقفة ببرود لا تبدي أي ردة فعل، تحدثت خلود بتعالي:

"أرأيتي ياسارة ها هي الرسالة مرسلة من هاتف إياس إلى هاتفي وهو من أرسلها"

حسناً هذه الجملة بالذات تحمل كل معالم الاستفزاز الموجهة إلى سارة، ناظرتها سارة بتحدي وهي تضيق عينيها لتقول:

"ولما يكون إياس من أرسلها، لما لا يكون شخصاً آخر مثلاً"

جحظت عينان خلود بينما سامح كور قبضته بغضب أما إياس نظر لها بعدم تصديق ومن ثم ابتسم ببلاهة لأنها صدقته ووثقت به، مرت حالات من الهرج والمرج على أربعتهم وخصوصاً بالنسبة لخلود، أردفت لها سارة بحدة:

"أظنن بأنني لا أعلم بأنك تريدين أخذه مني وافتعال المشاكل بيننا ها"

ابتلعت ريقها بصعوبة لتحمم ومن ثم قالت بحدة مماثلة:

"أنا لا أكذب وهذا ماحدث فعلاً"

تحدثت سارة بتحدي:

"أقسم لك بأنني سأكشفت أمرك عما قريب وسترين ما أنا فاعلة بك"

نظرت لها خلود بغضب لتقول:

"هل تهددينني مثلاً"

تحدثت سارة بثقة:

"اعتبريها كما شئتني وصدقيني سأجعلك تندمين"

جاءت لتتحدث ولكن سامح تدخل بالحديث ليقول:

"كفى أنتِ وهي، خلود عودي إلى غرفتكِ وغداً سيكون حسابك عسير هل فهمتي"

نظرت له بصدمة لتقول:

"ولكن عمي هي من."

قاطعها بصراخه:

"عودي إلى غرفتك هيا"

كزت على أسنانها بغضب ومن ثم خرجت من الغرفة متوجهة إلى غرفتها، بينما إياس تحدث:

"أبي هذه الفتاة يجب أن تخرج من منزلنا لا أحتمل وجودها هنا"

ابتسم سامح بخفة ليقول:

"لا تقلق بني هي لن تتجراً على فعل شيء لكما بعد الآن ثق بي"

حرك رأسه بإيجاب ليوجه سامح نظره إلى سارة ويردف قائلاً:

"بالمناسبة حقاً أهنئك على خطيبتك، الآن أثبتت لي بأنها تستحق أن تحمل لقب عائلتنا كونها وقفت بجانبك ووثقت بك"

ابتسم إياس باتساع بينما سارة ابتسمت بخجل لبيادلهما الابتسامة ومن ثم توجه إلى غرفته ممسكاً نفسه من أن يصب موجة غضبه أمامهما والشياطين تتراقص حوله، تنهد إياس بقوة ليمسك بيدي سارة ويقول:

"حقاً أشكرك حبيبتى"

قبل يدها وهو ينظر لعينيها مباشرة، بينما سارة ابتسمت بخفة لتقول:

"أنا أثق بك جداً إياس وأعلم لما ترمي له خلود فأنا لست غبية لأتوه عن مغامراتها ومخططاتها"

اتسعت ابتسامته ليحتضنها وتبادلته الحضن، ابتعد عنها ليقبلها بشغف وتبادلته بشغف مماثل وكأنهما يتذوقان رحيق الجنة وطبعاً وللمرة الثالثة غير عالمان بجوز العيون الذي يناظرهما بحدة وغضب وقد كان مستمع لكل حديثهما، كور قبضته بغضب وكز على أسنانه ليحرك رأسه بحدة ومن ثم توجه إلى غرفته..

كانت تأخذ غرفة مكتبه ذهاباً وإياباً منتظرة قدومه بفارغ الصبر، هي منذ ذلك اليوم لم تراه ابداً أو بالأصح هو لم يرغب برؤيتها كي لا يحطم وجهها ويصب عليها جحيمه، دخل إلى غرفة مكتبه الموجود في منزله ليراها تنتظره، رفع حاجبه لبيتسم من أنفه ويتوجه إلى وراء مكتبه ويجلس بأريحية غير أبهاً لها، تنهدت خلود بحدة لتقول:

"ما الذي حدث ها"

كان مرجعاً برأسه إلى الخلف ومغمض عينيّه، راقبته وهي مكتنفة يديها إلى صدرها منتظرة إجابته ولكنه ظل على وضعيته ولم يتحدّث، تعجبت من وضعه لتقول:

"ما بك هل كل شيء على مايرام"

ابتسم بسخرية وهو مغمض العينين ليقول:

"لا يوجد شيء على مايرام"

عقدت حاجبيها لتقول متسائلة:

"لماذا"

فتح عيناه ليعتدل بجلسته ويقول:

"لا أعلم كيف أفرقهما، هي تثق به جداً وأنا لا أعلم ماذا أفعل، كيف سأجعلها تكون لي لا أعرف"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"لم أعهدك هكذا لطالما كنت دائماً العقل المدبر ماذا حدث الآن"

همهم لها وهو يحك لحيته ليقول:

"مم معك حق ولكن هناك فتاة غبية هي من خربت علينا كل شيء ولم تجيد فعلتها جيداً"

تحدّثت بانزعاج:

"أنا لا شان لي كما أنك انت من أنهيت هذه المهزلة بسرعة وصرخت علي لكي أعود إلى غرفتي"

صمتت لوهلة لتتحدّث باهتمام:

"بالمناسبة لما أنهيت الحديث فوراً كان بإمكاننا أن نفتعل مصيبة كبيرة"

ضحك بسخرية ليقول:

"ستظلين غيبية طوال عمرك"

تأفأفت بانز عاج ولم تتحدث ليرد ف لها:

"لقد أنهيت النقاش والموقف لكي لا أأءهما يشكان بي، أريد أن يثقان بي ويعلمان بأنني واقف لصفهما دائماً، حتى عندما نفتعل أي مصيبة ثانية لا أكون أنا محور الشك"

هممت له بفهم ليرد ف لها أيضاً:

"لا أريد أن يعلم إياس بأي شيء، أريد سارة أن تأتي إلي بقدميها دون أن يعلم إياس بأنني أنا وراء كل شيء، أما أنت فلا ضرر منك لإنهما يعلمان بأنك تفتعلين المصائب ولن يتعجبان منك أبداً"

حركت رأسها موافقة بفهم ومن ثم ضيقت عيناها لتقول:

"ماذا يعني، هل تعني بحديثك بأنني لن أشارك في خطط إبعادهما عن بعضهما"

ابتسم بسخرية وهو يطرق على المكتب طرقات خفيفة ليقول:

"بالطبع ستشاركين وستأخذين إياس لك أيضاً"

لمعت عيناها بالحماس لتقول:

"إذاً"

أراح جسده على الكرسي ليقول:

"دعيني أفكر بخطة محكمة هذه المرة ومن ثم سننفذ وصدقاً هذه المرة سأأء ثقة سارة بإياس تنتزع وتتلاشى، ثقي بي"

حركت رأسها موافقة وتلك الابتسامة الماكرة بانء على وجهها منتظرة من العقل المدبر الأوامر والتنفيذ..

كانء جالسة بغرفتها ببرود تام، لا تبدي أي رءة فعل سوى البرود والشروء في قصة من عذب فؤاها وأقلق نومها، منذ أن اعترف لها بحبه وهي لم تراه أو تلمحه، حتى أنه لم يكلف خاطره ويهاؤها أو يسأل عنها مع العلم بأنها هي اتصلء به فوق المئة مرة ولم يرد عليها نهائياً، لا تعلم ما الذي أءء معه، ولا تعلم ما الذي يمر

به، تلك الرسالة التي وصلتها منه جعلتها تتسمر بمكانها وتُصدم حقاً، لم تفهم لماذا أرسلها لها وتراجع عن قراره بشأن خطبته لها، حاولت مهاافته لتفهم منه ما السبب ولكن لم يجيب، تجاهلها كلياً، لو كانت تعرف أين يقع منزله لكانت ذهبت إليه فوراً، حاولت أن تسأل عليه أخيها هجرس بشكل غير مباشر ولكنه لم يجيبها بالجواب الشافي والذي يريح بالها، هي حزينة جداً، يائسة منه جداً، وغاضبة منه جداً، وتحبه جداً، تحبه هه لا لا بل تعشقه، هو حب طفولتها، عشق مراهقتها، وشغف شبابها، لما يفعل ذلك بها؟ لما اعترف لها ومن ثم ابتعد؟ إن كان ليس حمل لمسؤولية كلماته ووعوده فلما اعترف لها ومن بعدها ابتعد ولم يسأل عنها؟ أل هذه الدرجة هانت عليه! أل هذه الدرجة وصل به الحال! كيف تفسر رحيله وتراجعته؟

تنهدت بقوة لتنهض وتجلس أمام مرآتها وتنظر لنفسها عبر المرآة بشرود، شاردة بنفسها، شاردة بحياتها، شاردة به، وشاردة بحبه، حقاً تحبه وتموت به، فلما يفعل كل هذا بها، أمسكت بالمشط لتبدأ بتسريح شعرها الناعم وهي لا تنفك عن التفكير به، فهو قد شغل بالها وعقلها وقلبها وروحها، اللعنة على حبه وابتعاده، قاطع ازدحام أفكارها دخول أخيها أحمد عليها ليبتسم لها بخفة ويقترّب منها ليجلس بجانبها وقال:

"حبيبي ما الأمر لما لم تهيطين لتتناولين الغداء معنا"

ابتسمت بتكاف لتعود وتسرح شعرها وتقول:

"لست جائعة"

ابتسم بسخرية ليتحدث بحاجب مرفوع:

"كل هذا لأجله هو"

جفلت لوهلة لتقول بعدم فهم:

"ماذا تقصد"

بلل شفثيه ليقول:

"لقد رأيتك منذ عدة أيام عندما ذهبتى برفقتك إلى الجامعة وأعلم بأنه اعترف بحبه لك وأعلم أيضاً بأنك اعترفتي له بحبك ولكن.."

قطع جملته ليمسك بيدها الصغيرة ويقبلها قبل متتالية ويقول:

"لما أنت حزينة ببعده عنك الآن، صدقيني هو لا يستحقك أبداً، لقد تخلى عنك ولم يبرر لك تراجعته، كيف ستفسرين أمر تراجعته المفاجئ دون أن يعلمك أو يبرر لك ها"

نظرت له بعمق قائلة:

"وأنت كيف علمت بأنه تراجع عن قراره، أنا لم أخير أحد بشأنه"

زاغت نظراته وأجاب بتوتر:

"أنا فقط خمنت، ثم أنني رأيت السعادة بادية على وجهيكما وتوقعت أنه سيتقدم لخطبتك، أعلم بشأن حبه لك منذ زمن، لذلك عندما لم يأتي توقعت أنه تراجع"

أشاحت بوجهها عنه وترقرقت عيناها بالدموع لتقول:

"ولكن أنا لا."

قاطعها بقوله:

"لا يوجد لكن بما أنه ابتعد دون أدنى مبرر أو سبب فلا داعي لإن تحزني أو تسألني عنه"

ابتلعت ريقها بصعوبة لتحرك رأسها موافقة بياس وحزن، ابتسم بخبث ليخفي ابتسامته سريعاً ويحتضنها بقوة وهو يطبطب عليها وابتسامته الخبيثة لم تفارقه وهو يتذكر ماذا فعل عندما بعدما رأى شقيقته مع رامي:

:Flash back

بعدما عاد رامي إلى منزله وقد كان في أتم السعادة لأنه وأخيراً تقرب من ملاكه وسيتقدم لخطبتها في هذا اليوم وبالتحديد كما وعدها الآن، ولكن الذي حدث معه جعله يعود مئة درجة إلى الوراء ويتراجع عن قراره، في وقتها قاطع تفكيره بملاكه قرع جرس منزله، نهض بتكاسل ليفتح الباب وإذ به يرى أحمد أمامه، تعجب من مجيئه ولكنه كان على أتم اليقين بأن هذا الشاب لا يأتي من ورائه سوى المصائب وخصوصاً معه.

تحدث بتعجب:

"ماذا تريد"

ابتسم أحمد بمكر ليقول:

"كل خير"

ابتسم رامي بسخرية ليقول:

"أنت بالذات لا يأتي منك الخير"

ضحك أحمد ليقول من بين ضحكاته:

"ألن تقول لي تفضل"

امتعض رامي بوجهه ليقول بتملل:

"تفضل"

ابتسم له بمكر ومن ثم دخل، أغلق رامي الباب وتوجه للصالة ومن دون مقدمات تحدث أحمد فجأة:

"ابتعد عن ملاك"

صمت قليلاً ومن ثم ابتسم باستفزاز ليقول:

"أنا أحبها وسأتي اليوم لكي أتقدم لخطبتها"

تمالك أحمد نفسه بصعوبة كي لا ينقض على رامي ويبرحه ضرباً ليقول بتهديد:

"صدقني عندها ستندم"

ضحك رامي بسخرية ليقول:

"وما الذي ستفعله مثلاً، اسمعني جيداً أيها المدلل لا وقت لدي لكي أضيعه معك لذلك إذهب من هنا"

همهم له أحمد ليقتررب ويجلس بجانبه وينظر له بمكر ومن ثم قال:

"إذا سأضطر لإن أفتح في الدفاتر القديمة وأكشف سررك أمام ملاك وأقول لها كل شيء عنك، سأعلمها بحقيقتك وعندما تعلم بكل شيء هي من ستتركك"

نظر له رامي بعدم فهم ليقول:

"ما الذي تقصده"

ابتسم بمكر ليريح بجسده على الأريكة ويقول:

"سأقول لها عن علاقتك السابقة مع تلك المدعوة مها"

أدار وجهه ونظر له أحمد بقوة ليقول بحاجب مرفوع:

"سأقول لها عن زواجك العرفي منها"

نظر له رامي بصدمة ليقول:

"ما الذي تهذي به أنت"

ابتسم أحمد باستفزاز ليقول:

"كما سمعت والدليل بيدي وصدقني لن أتهاون معك ابداً وسأقول لها كل شيء"

ابتلع ريقه بصعوبة ليقول رامي:

"ولكن أنا أنهيت ذلك الزواج منذ زمن صدقتي لم أعد على علاقة بها نهائياً"

همهم له أحمد ليقول:

"ولكنك لم تقل لملاك عن علاقتك السابقة وأنا بدوري سوف أكشف أمرك أمامها إن لم تبتعد عنها"

تحدث رامي بعصبية:

"ولكنك تضعني بين خياران صعبان جداً علي، إما الموت أو الجحيم ما بك"

رفع كتفيه بلا مبالاة ليبتسم باستفزاز بينما رامي ينظر له بقلق من الآن ومن القادم، تنهد أحمد ليقول:

"صدقني أنت لا تناسب ملاك أبداً ابتعد عنها ولا تقترب منها أبداً، دعها تعيش بالجانب الذي يريحها هل فهمت رامي، سأدعها تنسأك لا تخاف ستنسأك وستعيش حياتها من دونك وبالتالي أنت أيضاً ستعيش حياتك بعيداً عنها"

أنهى جملته ونهض ليرحل ولكن رامي استوقفه قائلاً بتحدي:

"هل تفعل كل ذلك بسبب ابنة خالتي جنى"

طرق قلبه بعنف وتسمر بمكانه ليرد رامي:

"هل لإنني كنت السبب ببعدها عنك تفعل كل هذا يا أحمد"

استدار أحمد بعد أن تمالك نفسه ليقول ببرود:

"تلك الغيبة التي تتحدث عنها أنا شخصياً لا أتشرف بها، ولا شأن لها بكل ما أفعله، كل ما أريده هو مصلحة أختي، وأنت لا تناسبها أبداً، لذلك اسمع كلامي وابتعد عنها وإلا سترى المصائب تهبط فوق رأسك"

انسحب ببرود عكس النيران التي تشتعل بصدرة تاركاً إياه في دوامته الكبيرة وقوقعته السوداء المحيطة به والمأزق الذي وضع به والذي لا يعلم إن كان له مخرج أم لا..

.End flash back

بعد مرور ثلاثة أيام

وتحديداً عند منتصف الليل

كان سامح جالساً بصالة منزله يرتشف من كأس النبيذ الخاص به والأفكار تأخذه وتجلبه، سحفاً لها ولقلبه المتعلق بها، لا يريد من الدنيا شيئاً سواها، يريد ما هي فقط، يريد الاستيلاء عليها، يريد أن يجعلها ملكه، يريد أن يدعها تهتمس باسمه وتكون له، هو حقاً يائس من الحال الذي وصل لها، يعلم بأن سارة خطر كبير عليه ولكنه طوال عمره كان يحب المخاطرة، يحب أن يأخذ كل ما هو محبوب إلى قلبه، حسناً إن كانت لن تحبه فهو سيمتلئها وسيجعلها ملكه غصباً عنها وغصباً عن الجميع، فلتذهب الخطط للجحيم لا يريد أية خطط ولا يريد أن يفعل شيء سوى أن يأخذها ويذهب بها بعيداً عن الجميع لأن هي ملكه هي له وحده.

تنهد بقوة ليضع كأس النبيذ على الطاولة ومن ثم توجه إلى الأعلى ليرى ملاكه الصغير، دخل عليها ليراها نائمة بعمق وهدوء، اقترب منها بحذر ليجلس بجانبها ويمرر يده على وجنتها الطرية وبيتسم ببلاهة، لامس جميع أنحاء وجهها إلى أن وصل إلى شفيتها ليتلمسها ويشعر بمشاعر قوية وقلبه يقرع كالطبول، ابتلع ريقه وهو يقاوم رغبته لكي لا ينقض على شفيتها، حاول وحاول ولكنه فشل ليقترّب بهدوء وخدر ويضغط بشفتيه على شفيتها الطرية، لو هلة شعر بأنه في الجنة ذاتها، أجل هي لا تبادله ولكن فكرة أنه يمتلك شفيتها الآن فهذا هو النعيم بذاته، ابتعد عنها ولم يفصل بينهما سوى إنشان ليتأمل ملامحها وبيتسم بوهن، ظل ينظر لها وهو شارد بها وبملاحها البريئة، بينما سارة تمللت بانزعاج شاعرة بأنفاس ساخنة على وجهها، فتحت عيناها بوهن وما لبثت حتى جحظت عيناها عندما اتضح لها بأن عمها أمامها، ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول:

"ما الذي تفعله هنا"

ابتسم بتخدر ووهن ليقول:

"أريدُ شفتيكِ"....

"دعيني أرتشفُ من رحيقِ شفتيكِ و لا تمنعيني

دعيني أترجُ خمرُ هوائِك كأساً ولا تلوميني

فأنتِ التي أهواها

وأهيمُ بها حباً لَمَّا أراها "

نظرت له بصدمة على مناطقه من كلمة، ابتلعت ريقها بصعوبة لتحاول إبعاده عنها ولكنه لم يبتعد إنشأً واحداً،
نظرت له بخوف لتقول:

"عمي ما الذي فعله ابتعد عني"

ابتسم بوهن وكأنها لم تتحدث ليقرب وجهه من وجهها أكثر ليتحدث ضد شفقتها:

"صدقيني إياس لا يستحقك ابتعدي عنه اتركه"

حاولت التملص من بين يديه والابتعاد عنه إلى أن دفعته بقوة ليبتعد هو وتنهض هي من على سريرها وتحاول
الخروج من الغرفة ولكنه أحكم إمساكها ليحاصرها ضد الحائط وابتسم لها بوهن ويقول بهمس:

"سارة حبيبتي افهمي علي، صدقيني أنتِ تستحقين أفضل من إياس صدقيني"

حاولت الابتعاد عنه ولكنها حقاً لم تستطع بسبب بنيتها الضعيفة أمام ضخامة جسده، ترقرت عيناها بالدموع
لتقول:

"ابتعد عني أرجوك"

ابتسم باتساع ليقول:

"لما لا تكونين لي سارة"

نظرت له بصدمة ولم تصدق ماسمعه، ابتلعت ريقها بخوف لتحاول التحدث ولكن لسانها انعقد عن النطق،
أمسك وجهها بين كفيه ليقول بلهفة:

"صدقيني أنا أفضل من إياس بمئة مرة، إياس مازال فتناً طائشاً ولم يفهم الحياة بعد، بينما أنا أفضل منه بكثير
بكل شيء، صدقيني لن تندمي إن أصبحت لي وأعطيتني قلبك"

ألجمت الصدمة عليها أكثر من ذي قبل، ما اللعنة التي يتفوه بها، تكاد لا تصدق بأن هذا الرجل يكون والد إياس، لأنه حقاً شتان بين إياس ووالده، احتدت نظرتها وعيناها تذرّف الدموع لتقول:

"ما الذي تتفوه به أيها العجوز أنسيت من أكون بالنسبة لابنك، أنسيت من يكون إياس، هل نسيت ابنك"

اشتد فكه عندما سمع بجمالها ليقول بحدة وهمس:

"الأفضل لك أن تكونين معي ولا تعارضين الفكرة يا سارة لأنه أقسم لك بأنني سأصّب عليكِ جحيمي صدقيني"

أجابت بتحدي:

"لا يهمني كل ما ستفعله أنا ملك لإياس فقط هل تفهم"

حرك رأسه رافضاً ليضع يده على فمها ويقول بغير وعي:

"لا لا لن تكوني لإياس أنت لي فقط، أنت خلقتي من أجلي سارة أنت لي وحدي هل تفهمين، لن أضيعكِ من يدي كما أضعت والدتك من قبل"

أنهى جملته وعيناه تترقرق بالدموع ليبعد يده عن فمها ويقرب ليلتقط شفقيها بقبلة عميقة وحادة جعلتها تذرّف الدموع، حاولت أن تبعده عنها ولكن هيهات، كان متمكناً منها ومن شفقيها التي بطعم العسل بالنسبة له، ابتعد عنها ليلصق جبينه بجبينها وهو يلهث ليبتسم بانتشاء بينما هي كانت تبكي وتحتد ببيكاتها ليقول لها:

"سارة أنت ملكي لوحدي، لي أنا حبيبتي، لي وحدي"

تحدثت بهمس وضعف:

"أرجوك ابتعد عني لا تفعل هكذا"

ابتسم بوهن ليقول:

"أنا الآن بأعلى مراحل سعادتي، أتعلمين ما الذي كان يحدث لي عندما كنت أراكي أمامي، أتعلمين كم من المرات وصلت لحالة الجنون فقط لإنني أرى ابني يقبلك ويكون بجانبك، أتعلمين ما الذي كان يحدث لي في حينها، لبتك فقط ترين وتلاحظين حالتي عندما أراكي تبتسمين بوجهه وتحاولين الابتعاد عني ولا تعطيني أية أهمية، لبتك فقط ترين ما بداخلي وداخل قلبي، لبتك تعلمين كم أنا متيم بك وأعشقك لكنني ركعتي لي صدقيني"

كانت تستمع له بعدم تصديق، هي كانت تشك بأمره ولكنها صدقاً لم تكن تعلم بأنه سيصل به الحد إلى هنا، هي أصلاً لم تكن تتوقع أن يحبها فمن هو الذي يسمح لنفسه بأن يحب فتاة بعمر ابنته وخطيبة ابنه أيضاً، هه يا للسخرية، ابتعدت عنه بعنف لتتحدث نظرتها وتقول بحدة:

"اخرج من هنا وصدقاً إن اقتربت مني مرة أخرى سأقول لإياس عن كل شيء"

ضحك بهدوء على جملتها ليقول:

"ما الذي ستقولينه له ها، هل ستقولين بأن والدك كان في غرفتي وقبلني وأرادني أن أكون ملكه، أم أنك ستقولين له أن والدك يحبني ويريد إبعادي عنك لكي يأخذني منك، وحتى إن قلتي له لن يصدقك أبداً فهو يعلم أبيه جيداً"

أنهى جملته بابتسامة مأكرة بينما هي نظرت له بصدمة ممزوجة بالخوف ليبتسم بخبث ويقتررب عدة خطوات منها، مرر يده على وجنتها ليقول بهمس:

"يا إلهي ما أجملك"

وصل بيده إلى شفاهها ليعض على شفته ويقول:

"ما الذي تفعلينه بي حياً بالله أحبيبي"

أبعدت يده عنها بعنف لتقول بحدة:

"بما أنك لن تخرج من هنا فأنا التي سوف تخرج"

أرادت أن تتخطاه لتخرج من الغرفة ولكنه أمسكها من معصمها ليقربها إليه ويضع كلتا يديه على خصرها مقرباً إياها منه، قرب وجهه من وجهها ليتحدث ضد شفتيها:

"اسمعيني جيداً، غداً ستقولين لإياس بأنك لم تعودي تريدينه، ستبتعدين عنه وتتهين خطبتك منه وستكونين لي من بعدها، صدقيني أنا في كامل وعيي وأعلم جيداً ما الذي أقوله وما الذي أتفوه به، وأقسم لك إن لم تفعلي ما أمرتك به لن ترين الخير أبداً بل سأجعل أيامك كلها جحيم سامح هل فهمتي يا حلوة"

أنهى جملته ليطلع قبلة على جبينها ويتركها ويخرج من الغرفة تاركاً إياها في صدمتها وخوفها منه، بينما سامح حالما خرج من الغرفة حتى رأى أمامه خلود التي بدى عليها التوتر وعلى الأرجح بأنها كانت تنتصت عليهما، ابتسم بسخرية عندما رآها ليمسكها من راسها ويجرها خلفه إلى غرفة المكتب، حالما دخل إلى الغرفة حتى حاصر لها ضد الحائط ليمسك وجهها بقوة ويتحدث من بين أسنانه ونظرة الشر ظاهرة في عينيه:

"أقسم لك إن تفوهتي بحرف واحد أو تحدثتي بكلمة عن الذي سمعته سأسحق عظامك هل فهمتي"

ابتلعت ريقها بخوف لتتحدث بصعوبة:

"ولكن صدقني لن أقول شيء لأحد، ثم أنني أنا معك بكل شيء تفعله ولست ضدك كيف سأفصح عن الذي أعرفه، كلانا يريد أن يكسب أحد معين في هذه الحرب"

ابتسم باتساع ومكر حالما سمع كلماتها ليهمهم لها ويقول:

"لقد أحببت كلامك، أصبحتي تفهمين علي سريعاً ياخلود"

ابتسمت بمكر لتمرر يدها على طول ذراعه وتحدثت بهمس:

"أعجبك"

ابتسم بسخرية ليتلمس جسدها بإثارة بينما هي أصبحت تتلوى بين يديه وهو يتابعها بمكر، أرادت أن تقترب لتلقط شفثيه ولكنه منعها، ألصقها جيداً بالحائط وأحكم يديه على يديها ودفن وجهه في رقبتها ليعض على رقبتها بقوة بينما هي جن جنونها من الإثارة، ابتسم ضد رقبتها ليبعد عنها قليلاً ويتحدث ضد شفثيها:

"كفالكِ عهراً يا خلود، لاتجعليني أفقد زمام نفسي وأفعل معك أشياء ليست من أخلاقي"

ابتسمت بوهن لتقول:

"إفعل بي ما تشاء لن أمانع إن قضيت هذه الليلة في أحضانك"

ابتسم بخبث ليقول بهمس:

"لك ذلك، وسأتمكن من أن أتخيلك سارة وأصرخ بإسمها، تعلمين كيف أتحكم في نفسي عندما أكون في أحضان زوجتي كي لا أنطق بإسم حبيبتني سارة"

احتدت نظرتها وأرادت أن تعترض ولكنه أطبق بشفتيه على شفثيها لتتجاوب معه بعد مدة ويذهبان في رحلة خاصة وقذرة تليق بهما.

في الصباح

كان الكل مجتمع على مائدة الفطور يتناولون فطورهم باعتيادية وصمت ووجو مقبول، ولكن سامح وسارة وخلود لم يكونوا بالمزاج الجيد صراحةً، فكل منهم كان يفكر بما يشغل باله، من جهة كلام سامح الذي وجهه لسارة ليلة أمس فهي لم تنسى أي حرف نطقه وهي إلى الآن تكاد لا تصدق ما سمعته من والد خطيبها والذي بمثابة والدها، ومن الجهة الأخرى سامح الذي كان يراجع أحداث أمس وما فعله مع خلود فهو لم يكن في وعيه أبداً عندما قضى ليلته معها وغير ذلك لم يصدق نفسه بأنه سيقترّب من فتاة مثلها في يوم من الأيام، هو خان الثقة خان زوجته وخان ثقته وخان قلبها.

بينما خلود كانت ستشوق نفسها من ليلة أمس التي قضتها بأحضان سامح، هي لم تحزن أو تندم على ما فعلته على العكس فهي قد استمتعت كثيراً في أحضانه ولكن ما جعلها في حالة قهر أنه كان يتخيلها سارة واسمها لم يفارق شفثيه، فقط سارة من يفكر بها، هذا ما جعلها تود لو ترتكب جريمة بسارة، وجهت نظرها خلود لسامح الذي كان ينظر للاشيء بجمود، قابلها بنظراته ليدحرج عيناه بلؤم ويمتعض ويشيح ببصره عنها، امتعضت بوجهها وتنهت بحنق، نظر سامح لسارة التي كانت جالسة وشاردة الذهن، ابتسم من عيناه عندما تذكر كلماتها لها ليلة أمس وقيلته لها ولكنه حقاً نجس نفسه بعدما فعل فعلته مع خلود.

أفاقت سارة من شرودها لتقع عيناها عليه ووجدته ينظر لها بجمود، نظرت له بجمود مماثل وسخرية لتشريح بوجهها عنه وتآكل بضع لقيمات ومن ثم نهضت لتقول ببرود:

"لقد شبعت، عن إذنكم سوف أذهب"

توجهت الأنظار كلها لها ليتحدث إياس:

"حسناً سأوصلك في طريقي أنا أيضاً لدي عملٌ مبكر في المستشفى"

همهمت له وحركت رأسها موافقة فهي قد وجدت لها فرصة لكي تتحدث مع إياس بـ الذي يجول بخاطرهما، وبحركة قاصدة منها شابكت يدها بيده ونظرت لسامح بتحدي بينما سامح بادلها بنظرة حادة ومتوعدة، ابتسم لها إياس ليقول موجهاً حديثه للجميع:

"حسناً نراكم لاحقاً إلى اللقاء"

أنهى جملته وخرجا ليصعدان بالسيارة ويتوجه بها إلى الصيدليه.

بينما من الجهة الأخرى السيد سامح الذي كانت الشياطين تحوم حوله والنيران تشتعل في صدره، تنهد بحدة لينهض بعنف ويركل الكرسي من خلفه ويمسك بمعطفه ليتوجه إلى عمله، نظر له الموجودين بتعجب ولكن خلود ابتسمت بتشفي على حاله فهي رأت نظرة الحدة في عينيه عندما شابكت سارة يدها بيد إياس، لا تنكر بأنها شعرت بالغضب من حركتها ولكنها أيضاً كانت حركة جيدة منها لتجعل سامح في أعلى مراحل غضبه وغيطه لكي يدوق من الذي تذوقه خلود.

على مائدة الفطور أيضاً ولكن في غير منزل وغير عائلة، كانت والدة هجرس تترأس المائدة وعلى يمينها يجلس هجرس وعلى يسارها أحمد وبجانبه ملاك، كانوا يأكلون بصمت وكل منهم يفكر في أمر ما، فهجرس كان يفكر بالموضوع الذي حدثه عنه ذلك الشاب بينما أحمد كان يبتسم بنصر وتشفي على مافعله برامي فهو قد وجد نتيجة من تهديده له ولم يعد يقترب من ملاك، أما عن ملاكنا البريئة كانت حقاً حزينة ومنكسرة القلب من ذلك الذي علقها في شبابه أكثر ومن ثم ابتعد عنها، محمم هجرس ليجذب أنظار الجميع له قائلاً:

"أريد أن آخذ رأي ملاك في أمر ما ويجب عليكم أن تستمعون له جميعكم"

نظرت له ملاك باستغراب وحركت رأسها موافقة ليردف هجرس:

"لقد تقدم شاب لخطبتك وسيأتي اليوم لكي يراكي ويتحدث معك ما رأيك"

نظرت له بصدمة وبدأ قلبها يقرع كالطبول، ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول:

"لا أريد أخي"

ابتسم بحنان ليقول:

"أنتِ تثقين بي صحيح"

ترقرقت عيناها بالدموع لتقول:

"أجل أخي أتق بك وكثيراً"

ابتسم باتساع ليقول:

"إذاً لا تعارضيني وسترين الشاب اليوم اتفقنا"

حركت رأسها بحزن واستسلام ولم تنفوه بحرف بينما أحمد ووالدته كانا يتابعان الحديث بصمت، لن ننكر بأن أحمد فرح جداً بالخبر فهو بذلك لن يدع أي فرصة لرامي أن يتقرب من ملاك، أجل هو يقبل بأن تكون شقيقته لأي شاب مناسب لها عدا رامي فهو يمقته ولا يريده لملاك، ابتسم أحمد بتشفي ليقول:

"إذاً هذا جيد سنرى من هو الذي سيكون نسيبنا"

ضحك كل من هجرس ووالدته بينما ملاك تنهدت بحزن ولم تتحدث، نظر هجرس لأحمد نظرة تحدي ليقول:

"سيعجبك أنا متأكد من ذلك"

همهم له أحمد ليقول وهو يهم بالنهوض:

"حسناً لقد تأخرت على امتحاني، وداعاً"

قبل يد والدته وقبل جبين شقيقته ومن ثم خرج متوجهاً إلى جامعته بسرعة لكي لا يفوته الامتحان، بينما هجرس أكل بضع لقيمات ونهض ليرحل، في أثنائها رن جرس الباب ليتوجه هجرس ويفتح الباب وقد كانت لمى زوجته السابقة، حالما رآها حتى تسارعت وتيرة أنفاسه وبدأ قلبه يقرع كالطبول كحالها هي، ناظرها باستغراب ليرفع حاجبه ويقول:

"نعم"

ابتلعت ريقها ونظرت له بحزن لتقول بخفوت:

"أريد أن اتحدث مع والدتك وشقيقتك"

همهم لها بلؤم ليقول:

"ما الذي ستقولينه لهما"

ابتلعت غصتها كي لا تذرف الدموع أمامه من وراء كلامه اللئيم لتقول:

"أريد أن."

عضت على شفتها السفلى وهبطت دمعتان على وجنتيها لتستدير بجسدها وتعود أدرجها لمنزلها باكية، أغلق الباب ليستند بجسده على الباب وهو ينظر للاشيء بحزن عليها، لم يكن يريد أن تبكي ولم يكن يريد أن يحدثها أصلاً ولكنه لا يعلم لما حدثها هكذا وجعلها تبكي، تنهد بقوة ليدخل إلى الصالة ويقول موجهاً حديثه لملاك:

"ملاك انتهي من فطورك واهبطي إلى لمى واعلمي ما الذي تريده منك، لقد جاءت لكي نتحدث معك أنت ووالدتك ولكنها لم تتحدث بشيء ورحلت"

حركت رأسها موافقة لتتنهد والدته هجرس وتقول بحزن:

"مسكينة هذه الفتاة كم أشفق عليها"

ابتلع هجرس غصته وودعهما وخرج من المنزل، بينما هو ويهبط على السلالم رأى تلك السلسلة الخاصة بـ لمى، أمسكها بيده وقد عرفها فوراً، تنهد بقوة ليهبط إلى الكابق الثاني بحيث منزلها، تردد في أن يطرق على بابها ولكنه شجع نفسه وطرق عدة طرقات، ثواني وفتحت له لمى وهي تمسح دموعها لتتنظر له بتفاجئ بينما هو ابتلع ريقه ليقول بتوتر:

"مم لقد وجدت هذه السلسلة على الأرض، على الأغلب بأنها لكِ أليس كذلك"

نظرت له بحزن لتحرك رأسها موافقة وتأخذها منه، توتر كثيراً وأراد أن يرحل ولكنه ظل مكانه يتلغثم بكلماته بينما هي تنظر له بابتسامة من عينيها، خرجت كلماته بتوتر وهو يخرج من جيبه شيئاً ما:

"حسناً خذي هذه، هي لكِ هذه أقصد يعني إنها من ملاك أجل، اا حسناً وداعاً"

أعطاهم قطعة الشوكولا و فر هارباً من أمامها، نظرت لقطعة الشوكولا لتبتسم باتساع فهو دائماً كان يجلب لها منها عندما كانت زوجته لأنه يعرف كم تحب هذه الشوكولا خاصة، ولكنه كذب عليها وقال بأنها من ملاك، هي تعلم بأنه يكذب وتعلم بأنه تعمد أن يدق الباب عليها فقط لكي يجبر بخاطرها بأي شيء ولو كان هذا الشيء بسيطاً، ولكن هذه القطعة هي بالنسبة لها شيء كبير جداً، ظلت تبتسم وتبكي بنفس الوقت لتدخل وتغلق بابها بروية عكس قلبها الذي يطرق بعنف أثر موقفه وكلامه ووجوده.

في المساء

عاد إياس إلى منزله ولكن سارة لم تكن معه، دخل إلى الصالة ليجد والده ووالدته وماسة وخلود، انضم لهم وجلس معهم، تعجب سامح من عدم مجيء سارة مع إياس فهي عادة تأتي معه دائماً في المساء، أراد أن يتحدث معه ولكنه وجد شارده الذهن يفكر في أمر ما، بينما إياس كان شارده الذهن يفكر في الحديث الذي دار بينه وبين سارة في الصباح:

:Flash back

ركن سيارته بجانب الصيدلية ليبتسم لها ويقول:

"هيا لقد وصلنا"

هممت له وهي تفرك أصابعها بتوتر لتقول:

"أريد ان أتحدث معك في أمرٍ ما"

إياس:

"أنا أستمع"

تلعثمت في الحديث لتقول:

"أريد أن نقيم حفل زفافنا في أقرب وقت"

نظر لها بتفاجئ ولم يصدق ما سمعه منها، ابتسم ببلاهة ليقول:

"حقاً! تعنين أنك تريدين أن نتزوج بسرعة"

همهمت له موافقة ليرد لها بابتسامة ماكرة:

"لماذا"

ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول:

"فقط أريد ان نستقر في حياتنا سريعاً"

حرك رأسه موافقاً ليمسك يدها ويقبلها قبل متتالية ويقول:

"لك ذلك، أساساً أنا كنت أريد أن أتحدث معك في هذا الموضوع ولكنني كنت أنتظر موعد مجيء خالتك من السفر"

همهمت له بابتسامة لتقول:

"حسناً هذا جيد، خالتي ستأتي بعد خمسة أيام تقريباً، مارأيك أن نقيم حفل الزفاف في آخر هذا الشهر"

نظر لها بابتسامة ليحرك رأسه موافقاً ويقول:

"لا مانع لدي سنتحدث مع والداي في هذا الأمر ونعلم ما رأيهما"

هبط قلبها عندما سمعت بجملته فهي تعلم بأنه من الممكن أن ينزل الجحيم عليها من قبل سامح إذا علم بالأمر ولكنها تريد أن تنفذ نفسها منه ولم ترى حل مناسب أكثر من زواجها من إياس في أسرع وقت، تنهدت بقوة لتقول:

"وماذا عن الإقامة إياس أين سنقيم"

نظر لها بتعجب ليقول باستنكار:

"طبعاً في منزل والداي حبييتي"

نظرت له بصدمة لتقول بخوف:

"لا لا، لا أريد أن أقيم معهم"

نظر لها بتعجب شديد لتجفل هي وتبرر موقفها بتوتر:

"أقصد يعني مارأيك أن نقيم مع خالتي هي امرأة وحيدة وليس لديها أحد وبصراحة أنا لا أريد تركها لوحدها فهي سنظل وحيدة إن تزوجنا وأقمنا مع والديك"

همهم لها بشك ليقول بتحدي:

"ولكن أنتِ لم تعارضين فكرة إقامتنا في منزلنا عندما تقدمت لخطبتك"

توترت من جملته لتقول:

"أجل هذا صحيح ولكن تذكرت أمر خالتي من بعدها"

حرك رأسه بإيجاب ليقول بتحدي:

"لا بأس لتأتي خالتك وتقيم معنا لن يعارضان والداي"

ابتلعت ريقها بصعوبة ونظرت له بتوتر ولم تتحدث بينما هو كان يتابعها بشك، تنهد بقوة ليرد لها:

"حسناً سنتحدث فيما بعد عن هذا الأمر، على كل حال سأحدث والداي في موضوع زواجنا وأقول لهما لا تقلقي"

حركت رأسها بإيجاب لتقول:

"حسناً بالمناسبة لا داعي لتعود وتأخذني لمنزلك فأنا سأعود إلى منزلي اليوم"

عقد حاجبيه باستغراب ليقول:

"ولماذا"

تحدثت بتوتر:

"فقط هكذا أريد أن أعود إلى منزل خالتي، والآن وداعاً"

أنهت جملتها وهبطت من السيارة متوجهة إلى صيدليتها لتفتح أبوابها وتدخل إليها، بينما إياس ظل يراقبها بتعجب على حالها الذي لم يعجبه نهائياً في هذا اليوم.

أفاق من شروده على صوت والده، جفل لينظر لوالده باستغراب وقد بدى عليه بأنه ينادي عليه منذ مدة، تحدث سامح بتعجب:

"ما الذي يحدث معك ما بك إياس"

تنهد إياس بقوة لينظر لأبيه ويقول:

"لقد اتفقت أنا وسارة على أننا سنقيم حفل زفافنا في آخر هذا الشهر" ..

" ثم أنك تعشقُ شخصاً

تري السُّبُلَ لوصاله مُعضلة "

لم يبين لولده مدى غضبه وجحيمه بسبب ما سمعه منه بل ظل ثابتاً يناظره ببرود وجمود، أيعقل بأنه أخطأ بتصرفاته مع خطيبة ابنه أم أنه على صواب فيما يفعله! حسناً هو يعلم الإجابة ويعلم علم اليقين بأنه مخطأ ولكن لا ذنب له فهو قد أحبها بكل عواطفه وأحاسيسه ولن يتنازل عنها مهما حدث، سبق وتنازل عن والدتها التي كانت عشق شبابه ولكن أن يتنازل عن هذه الشابة ولو كلفه الثمن غالياً، حتى لو كان هذا كله على حساب ابنه وزوجته وبيته.

كانت خلود على أعصابها وهي تفرك يديها بتوتر وتنتظر من سامح الجواب الشافي ولكنه ظل صامتاً ولم يتفوه بكلمة، بينما جيداء وماسة كانا يتابعان الموقف بابتسامة وهما فرحتان جداً لهذا القرار، ظل إياس منتظراً إجابة أبيه ولكنه لم يجيبه بشيء، حمحم إياس ليجذب انتباهه ويرد له:

"أبي ما رأيك بهذا القرار، لما لا تقل شيء"

همهم له سامح ليبدع في تمثيله ويبتسم بوجه ابنه ابتسامة حانية ويقول:

"لا أعلم ما الذي سأقوله لك ولكنني لم أستوعب حتى الآن كم أنك كبرت وأصبحت شاباً يافعاً ومسؤول من نفسك وستستقر في حياتك وتزوج"

ابتسم إياس بارتياح ليحرك رأسه موافقاً ويقول:

"حسناً أبي تعني بأنه ليس لديك مانع أن نقيم حفل زفافنا في آخر الشهر أليس كذلك"

ابتسم سامح بخفة ليقول:

"ولما سيكون لدي مانع، بالتأكيد ستقيم حفل زفافكما في آخر الشهر وسنفرح بكما"

ابتسموا جميعهم لهذه الفكرة ما عدا خلود التي كانت تنتظر لسامح بقلق وخوف من القادم، بينما ماسة توجهت لأخيها لتجلس بجانبه وتمسك معصمه وتقول:

"هذا يعني بأنني سأكون بأجمل إطلااتي بحفل زفاف أخي وسنرقص ونمرح ومن ثم ستذهب أنت وهي إلى عش الزوجية الخاص بكما وتجلبان لنا أولاد فوراً هيببببب"

أنهت جملتها لتصفق بمرح بينما الجميع ضحك عليها، ضحك إياس ليقول:

"هدئي من روعك بصراحة أنا لن أدعو الصغار إلى حفل زفافي"

نظرت له بغرور لتتحدث وهي تلعب بخصلات شعرها:

"يقق لك أن لا تدعو الصغار ولكنني طبعاً أنا كبيرة لذلك سأحضر حفل الزفاف ورغماً عن أنفك"

ضحك الجميع ومن ثم تبدلت ملامح إياس وقد انتبه له سامح ليقول:

"مابك إياس"

نظر إياس إلى والده وتنهى بقوة ليقول:

"لا أعلم ولكنني أشعر بأن سارة خائفة من المسؤولية ولا تريد أن تقيم معنا في نفس المنزل بل تفضل المكوث في منزل خالتها وأنا معها"

احتدت نظرة سامح ليقول:

"ماذا يعني هذا إياس"

توتر إياس من الحديث ليقول وهو يفرك جبينه ليقول:

"صدقني لا أعلم أبي ولكن من المحتمل أن تكون سارة ليست على طبيعتها هذه الفترة لذلك هي تتفوه بهذه الأحاديث الآن"

همهم له سامح ليقول:

"ليس جميل بحقك أن تقيم في منزل خالتها يا إياس"

حرك رأسه موافقاً ليقول:

"أجل أعلم أبي ومؤكد بأنني سأرفض الفكرة وستقيم هنا"

همهم له سامح بمكر ولم يتحدث ليبتسم بخبث ويقول بينه وبين نفسه:

(هذا إن أُقيم حفل زفاف بالأساس)

تنهد سامح بحدة ليحطم ويقول:

"بالمناسبة أين هي سارة لما لم تأتي معك"

نفخ خديه ليقول:

"لم تنشأ الرجوع إلى هنا، ألم أقل لك هي متغيرة كثيراً وليست على طبيعتها"

همهم له سامح لتتدخل جيداً وتتحدث بقلق:

"لماذا بني ما بها هل أحزنتها"

احتدت نظرة خلود عندما سمعت بجملة خالتها ليتحدث إياس نافياً:

"لا أُمي لم أحزنها أبداً صدقيني ولكن يبدو بأنها قلقة لا أكثر"

حركت رأسها بإيجاب ليتحدث سامح مدعيًا البراءة:

"هل هي التي طلبت منك أن تقيمان حفل الزفاف"

ابتسم إياس بخفة ليقول:

"أجل أبي فهي تريد أن تستقر ونكون سوياً لأنها ترى بأنه لا داعي للتأخير أو التأجيل وبصراحة أنا أيضاً أرى ذلك"

همهم له سامح ليقول مدعيّاً البراءة مرة أخرى:

"ولكنني قلق عليها يا إياس هي الآن ليست على طبيعتها كما حدثتني ويجب علينا أن ندعها تظل بجانبنا ولا نتركها بمفردها خصوصاً بأن خالتها لم تعد من السفر بعد، ألا توافقني الرأي"

حرك رأسه بإيجاب ليقول:

"بلى أبي معك حق ولكنني لم استطع أن أقنعها بالرجوع معي"

ابتسم سامح بخفة ليقول:

"بني هل تثق بي أنت"

نظر له بتفاجئ ليقول:

"بالطبع أبي أنا أثق بك جداً"

اتسعت ابتسامته سامح ليقول:

"إذاً دعني أنا أذهب لأجلها وسأفهم منها ما سبب تغييرها وقلقها، ما رأيك"

وبحسن نية من إياس وثقته بأبيه وافق على الفور ليقول:

"بالطبع أبي لا مانع لدي"

حرك رأسه بإيجاب لينهض ويقول:

"إذاً أنا سأذهب"

حرك رأسه بإيجاب ليخرج سامح من المنزل متوجهاً إلى منزل سارة والشياطين تتراقص حوله وهو يتوعد لها بالجحيم فقط على تحديها له وعدم إطاعته.

بعد قليل من الوقت كان سامح أمام المبنى الذي تمكث به سارة، ابتسم بخبث ليتوجه ويصعد إلى الطابق الثاني وما هي إلا ثواني حتى وصل وقرع الجرس ووضع سبابته على العين الساحرة لكي لا تعلم من الذي أتاها.

كانت سارة جالسة في صالة المنزل وهي تشاهد التلفاز، سمعت صوت قرع الجرس، تعجبت من الذي سيأتيها بهذا الوقت فقد كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف مساءً، لم يخطر ببالها بأن سامح سيكون هو الذي على الباب لأنها وببساطة حللت الموقف بسذاجة منها على أنه حالما يسمع بقرارهما هي وإياس سيبتعد وسيستسلم ولن يعد يضايقها.

نظرت من العين الساحرة ولكن لم ترى سوى السواد، عقدت حاجبيها باستغراب وتملكها الخوف قليلاً، حسناً هي باستطاعتها أن لا تفتح الباب وبالتالي لن يدخل سامح إليها ولكن فضولها تغلب على خوفها لتفتح الباب ببطئ وتشفه بحيث أنها ترى فقط من الطارق، حالما فتحت الباب حتى دفع سامح الباب لترتد هي للوراء وتطلق صرخة مفزوعة، دخل عليها سامح بملامح حادة بينما هي كانت مستندة على الحائط، نظرت له بعينان جاحظة وخوف ولم تعد تستوعب أي شيء، ابتسم سامح بشر ليقول:

"أهلاً بقطتي المشاكسة، ما الذي سمعته من ابني وما هذا القرار الذي اتخذتماه سوياً ها"

أنهى جملته وهو يضع يده في جيبه واليد الأخرى مستنداً بها على الحائط، ابتلعت ريقها بخوف من تلك النظرة المميّنة التي يناظرها بها لتقول بتوتر:

"كما سمعت عمي"

ضحك بصخب على جملتها وتلك الضحكة الرجولية لم تزيده إلا وسامة ووقار، ابتلعت ريقها بتوتر عندما سمعت ضحكته ليقول لها بحاجب مرفوع وابتسامة شر نمت على شفّتيه:

"في ليلة أمس كنت في غرفتك أقبلك وأعترف لك بحبي وقلت لك كم أنني أعشقتك والآن تتجراين وتقولين عمي"

أنهى جملته بحدة ليضع يده على رقبتها ويضغط عليها بينما سارة كادت تخنق من قبضته المحكمة على رقبتها، أبعد يده عنها لتضع يدها على رقبتها وتكح بقوة، ابتسم سامح بشر ليقول:

"هل تتحديني يا سارة، هل ظننتي بأنني أمزح عندما قلت سأريك الجحيم إن لم تنهين علاقتك بإياس أم ماذا"

ازداد سعالها لدرجة أنها هبطت دموعها على وجنتها لتهدأ من روعها قليلاً وتقول بحدة وصراخ:

"ما الذي تريده مني، لما لا تريد أن تستوعب أنني سأصيح زوجة ابنك بعد عدة أيام، لما تلاحقني وتفعل كل هذا، ولما أتيت إلى هنا بالأساس"

ابتسم بخبث ليقول ببساطة:

"أنا الآن وبصفتي عمك أمام زوجتي وابني وابنتي أتيت لكي أحدثك بروية وأفهم منك لما أنت تغيرتي بهذا الشكل وعارضتي العودة إلى منزلنا والمكوث معنا بعد زواجك من ابني، هذا إن حدث زواج بالأساس"

نظرت له بتعجب ولم تستوعب مقاله ليردف بهمس:

"إياس هو من طلب مني المجيئ إليك لكي أفهم منك كل ما سبق لذلك أنا هنا"

احتدت نظرتها لتقول بقهر:

"ليتة إياس يعلم حقيقة أبيه، لكنك حقاً صغير بعينه ولن يعد يكن لك الاحترام والمودة"

همهم لها باستمتاع ليمرر إبهامه على شفيتها ويقول:

"هذا الفم اللذيذ يتفوه بأشياء لا تعجبني فبرأيك أنتِ ما الذي علي فعله الآن"

نظرت له باستغراب وأعين دامعة ولم تفهم عليه، بالأساس لم يكن لها الوقت الكافي لكي تستوعب لأنه وببساطة أطبق شفتيه على شفيتها بقبلة عميقة ولكنها هادئة، تحاول أن تدفعه وتبعده عنها وتهمم بخفوت مما زاده جنون ورغبة بها ليتعمق بقبلته، جحظت عيناها عندما شعرت به وهو يشحذ رجوليته بها، حاولت أن تبعده ولكنه كان كالصنم ولم ينزاح عنها بل ظل يلتهم شفاهها حرفياً.

بعيداً عن أنه هو لا يريد أن يبتعد عنها ولا يترك هذه الشفاه الوردية اللذيذة ولكنه علم بأنها بحاجة للهواء كحاله هو لذلك ابتعد عنها ليلصق جبينه بجبينها وهو يلهث بقوة كحاله هي لتختلط أنفاسهما معاً ويظلان على حالهما مدة قصيرة من الزمن، نظرت له بعينان دامعة لتدفعه عنها بعنف وتخطو خطواتها متوجهة للصالة ليلحق بها وهو ينظر لها ببرود، ابتسامة خبيثة نمت على شفتيه عندما رأى احمرار شفاهها المتزايد، نظرت له بحدة لتقول:

"ما الذي يجعلك تبتسم ها"

اتسعت ابتسامته ليقول:

"انظري إلى احمرار شفاهك في المرأة"

شهقت بخفة ووضعت يدها على فمها ليضحك ضحكة رنانة ويتوجه لها بخطوات بطيئة ويقف أمامها ويردف لها بخبث:

"احمرار شفاهك ليس سيئاً أمام احمرار جسدك المثير صغيرتي"

احتدت نظرتها لتقول بحدة:

"اللعنة عليك وعلى أمثالك أيها الحشرة ال.."

لم تكمل جملتها لأنه أمسك بشعرها بقوة وهو ينظر لها بحدة ليقول:

"إن كنت أحبكِ وأعشقتكِ هذا لا يعني بأنني لا أستطيع أن أودبك وأغلق لك فمك اللعين، انتبهي مني جيداً يا سارة لأنه عندما تتخطين حدودك معي ولا تستوعبين كلامي وتنفذهينه سأدوس على قلبي وحببي لك وأمحيكي من الوجود هل فهمتي"

حركت رأسها بإيجاب وهي تبكي ليفلتها ويدفعها لتجلس على الأريكة، جلس بجانبها وهو واضعاً قدم فوق الأخرى ليقول ببرود:

"انهضي واصنعي لي فنجان قهوة وعودي إلى هنا لكي نتحدث ونتفاهم على كل شيء"

نظرت له بأعين دامعة وبريئة لينظر لها ببرود وتسود عيناه من هيبتها اللطيفة ونظرتها البريئة، ابتلع ريقه ليمرر يده على وجنتها ويقول:

"أقسم لك أنني أعشقتكِ"

نظرت له بقوة وكأنها تخدرت بالكامل من لمستته، رمشت عدة رمشات لتستفيق على نفسها وتتنظر له بغضب وتبعد يده عنها بعنف وتنهض لتكتف يديها وتقول ببرود:

"لا يوجد كلام بيني وبينك، والآن اخرج من منزلي وبلا مطرود"

ابتسم بخفة ومن ثم ضحك بصخب لينهض ويقف أمامها ويقول:

"يبدو بأنك عنيدة كثيراً ولا تستسلمين بسهولة وبصراحة يعجبني هذا، يبدو بأنك تحبين العنف أيضاً في العلاقات الحميمة أليس كذلك"

نظرت له بعينان جاحظة لتقول بذهول:

"ما الذي تتفوه به أنت كيف تتجراً وتتحدث معي بهذه الطريقة"

ابتسم بمكر ليقول:

"أعلم بأنني جريئ في حديثي ولكنني لم أتجراً كثيراً بالتصرفات بعد، على العموم ستكونين بين يدي في يوم من الأيام وسأعلم إن كنتي تحبين العنف أم لا"

جحظت عيناها لتقول بتقطع:

"أن أنت ما ماذا."

لم تستطع إكمال جملتها لأنها حقاً هي مصدومة من جرأته في حديثه معها بينما هو ابتسم بخفة ليقول:

"أنا أعشقتك ويجب عليك أن تستوعبين كلامي وتفهمينه جيداً"

نظرت له بغضب لتتجراً لأول مرة في حياتها وتقول:

"هل تريدني أن أكون معك كما كانت خلود معك في ليلة أمس"

للصراحة هو هبط قلبه عندما سمع جملتها ولكنه ظل على بروده وجموده ليقول:

"لم يحدث هذا أبداً"

ابتسمت بسخرية لتقول بحدة:

"لقد سمعت همساتكما وأصواتكما في ليلة أمس وسمعت حديثكما أيضاً لذلك لا داعي للكذب"

ابتسم بخفة ليقول بمكر:

"أجل وما المانع هي ساقطة وبصراحة لم أكن في كامل وعيي البارحة لذلك أنا لذي العذر"

تحدثت باستنكار وذهول:

"حقاً أنت لا تُصدق أبداً، ما العذر الذي لديك، تخون زوجتك وتقيم علاقة مع ابنة أختها وتحب خطيبة ابنك! ما الذي تريده حياً بالله أجنبي، أتظن بأنني لم أنتبه لتصرفاتك في السابق؟ وهل تظن بأنني لا أعلم ما الذي تخطط له أنت وخلود؟ وهل تظن بأنني لا أعلم بأنك أنت من طلب منها المجيء والمكوث عندكم؟ أنا أعلم كل شيء ولكنني كنت أتجاهلكما ولكنكما حقاً تماديتما معي كثيراً وأنا لن أسكت دائماً"

كان يستمع لها بمرود وجمود، لا ينكر بأن كلماتها كانت كالصاعقة بالنسبة له ولكنه هو ظل محافظاً على ثباته وجموده ولم ترف له عين، ظلت تنتظر له بحدة وتحدي لتبتسم بسخرية وتردف له:

"أريد أن أعلم شيئاً واحداً فقط، كيف تخطط أنت وتلك الساقطة لكي توقعان ببني وبين إياس وأنت بدورك تقيم علاقة محرمة معها وفي الأخير تعطيتها وعد بأنك ستجعل إياس لها عندما تحصل علي، كيف بإمكانك أن تزوج ابنتك لهذه الفتاة"

ابتسم بشر ونظر لها بحدة ليصفعها على وجنتها جعلتها تسقط أرضاً، أمسكها من شعرها ليحدثها بحدة وهمس:

"اسمعي أيتها اللعينة، لا يهمني كيف تربيني ولا يهمني ما هي الطريقة التي تفكرين بها اتجاهي، كل ما يهمني هو أن تنهين خطبتك مع ابني لكي أتزوجك أنا، وصدقاً إن لم تفعلي ما أمرتك به سأريك الجحيم السابع، وانتبهي جيداً لإنني أنا لا أمزح أبداً، ثم أنني لست بهذه السذاجة والغباء لكي أزوج ابني لفتاة ساقطة مثل خلود، كل وعودي لها بشأن إياس كاذبة وأنا أقوم باستغلالها فقط لكي أصل إلى مرادي والذي هو أنت هل فهمتي"

احتدت نظرتها لتبعده عنها بعنف وتقول بحدة:

"وأنا لن يشرفني أن أكون بجوار شخص مثلك، شخص استغلالي وتافه وحقير وليس لديه ذرة أخلاق"

عض على شفته السفلى بحنق لبيتسم بشر ويبدأ بضربها بينما هي تتلوى وتصرخ من ألمها، ابتعد عنها وهو يلهث بحدة ليصرخ بها بصوته الجهوري:

"أنت لي هل تسمعين، أنت لي ولن تكونين لإياس أبداً، لن يقام حفل الزفاف ولو كلفني الثمن غالياً، لقد أضعت عبير من قبل، فلن أصيئك من يدي الآن بعد أن وجدتك"

كانت تبكي وتجهش بالبكاء من شدة ألمها فهو ضربها بجنون ولم يستوعب مدى فداحة الذي فعله بها، جلس على الأرض وهو ينظر للاشيء بشرود وأعين زائغة، مسح على وجهه لينهض ويحدثها بأمر:

"انهضي وغيري ملابسك لكي تذهبين معي وستفعلين ما أمرتك به هل سمعتي"

تحدثت ببكاء وصراخ:

"لن أذهب معك إلى أي مكان، ثم ما شأن والدتي ب الذي يحدث، من أين تعرفها"

زفر بقوة وأغمض عيناه ليحاول تهدأة نفسه قائلاً:

"ستعلمين كل شيء فيما بعد، الآن انهضي وبدلي ملابسك لنذهب"

أجابته بحدة:

"قلت لك لا أريد"

ابتسم بخبث ليقول:

"حسناً، لقد سمعت بأن خالتك قادمة بعد خمسة أيام، يبدو بأنها لن تأتي أبداً لأنني سأنهي حياتها مارأيك"

نظرت له بعينان جاحظة لتقول بتوسل:

"أرجوك لا تفعل لخالتي شيء، لم يتبقى لي أحد سواها من عائلتي أرجوك"

قرب وجهه من وجهها وهمس لها:

"أنا عائلتك كلها، انهضي وبدلي ثيابك وإلا."

شدد على كلمته الأخيرة وهو منتظراً قرارها لتقول ببكاء:

"حسناً حسناً سأنهض"

ابتسم بمكر حالما سمع جوابها الذي يعجبه ليحرك رأسه موافقاً ويجلس على الأريكة منتظراً إياها ريثما تنتهي، ظل شارداً الذهن وهو يفكر بمدى الألم الذي يسببه لها، لم يهن عليه الذي فعله بها ولكن قلبه الأحمق وعقله المجنون يدفعه لفعل أشياء جنونية عندما تعارضه وتصدده، لا يعلم لما تضخم الأمور هكذا وتعاندته، ولكن سيتريث قليلاً لأنه كل شيء في أوانه وصدقاً هو لن يتخلى عنها ولن يدع هذا الزفاف يتم ولو كلفه هذا الأمر حياته.

كانت ملاك جالسة في غرفتها وهي حزينة ومستائنة جداً من الذي يحدث معها، كانت تبدو بأبهي طلتها بفستانها البنفسجي الناعم وشعرها الناعم المنسدل على ظهرها، لم تضع شيئاً من مساحيق التجميل سوى أحمر شفاه باللون البنفسجي وكحل خفيف لتبدو بأبهي طلة لها وبجمالها المعهود.

بينما من الجهة الأخرى هجرس الذي كان جالساً بالأسفل برفقة ذلك الشاب الولهان وهو ينتظرها على أحر من الجمر، ابتسم له هجرس ليقول له مطمئناً له:

"ستفهم الأمر صدقني فقط إهدأ"

حرك رأسه بإيجاب وبدء يقضم أظفاره بتوتر، دقائق ودخل أحمد عليهما ليصعق عندما وجد رامي أمامه، نظر له بحاجب مرفوع ليقول موجهاً حديثه لهجرس:

"ما الذي فعله هذا هنا، وأين هو الشاب الذي يريد أن يرى ملاك"

ابتسم هجرس بخفة ليبادل الابتسامة رامي ولكن ابتسامته كانت ماكرة ليقول هجرس:

"ما بك أحمد هذا هو الشاب الذي يريد أن يتقدم لخطبة ملاك ألا تعرف رامي"

ابتسم أحمد بعدم تصديق ليقول باستنكار حاد:

"أخي ما الذي تقوله أنت كيف يمكن لهذا أن يكون زوج أختي ها"

حرك هجرس كتفيه بلا مبالاة ولم يجيبه ليوجه أحمد نظره إلى رامي الذي كان يتابع الموقف باستمتاع ليقول:

"هل تريد أن أحدثها بكل شيء؟ ألم تتربى بعد"

ابتسم رامي باتساع ليقول:

"لقد أتيت لكي أحدثها عن كل شيء بنفسي"

ابتسم هجرس باتساع أيضاً عندما سمع بجملة رامي ليوجه نظره إلى أحمد وتحتد نظراته ويقول:

"بالمناسبة أحمد حسابنا فيما بعد فقط من أجل أن تفعل مافعلته وتهدد الناس على مزاجك"

نظر له أحمد بذهول ليقول بحدة:

"أخي ما الذي تقوله أنت هذا ال.."

قاطعه هجرس بكلامه الحاد:

"اصمت واصعد إلى الأعلى ودع ملاك تهبط إلى هنا وإياك ثم إياك أن تقول لها شيء، وإلا صدقاً ستري ما أنا فاعل بك"

نظر له بذهول ومن ثم كز على أسنانه ليحرك رأسه موافقاً ويصعد إلى غرفة أخته والشياطين تتراقص حوله، دخل عليها بعنف ليقول بغضب الدنيا كله:

"اهبطي إلى الأسفل هيا"

نظرت له باستغراب لتقول:

"ما الأمر أخي لما أنت غاضب هكذا"

كز على أسنانه ليقول:

"دعيني وشأني"

حركت رأسها بياس لتخرج من الغرفة وتهبط إلى الأسفل بخطوات ثابتة ولكن الحزن والياس متملك منها، سمع رامي صوت طرقات كعبها وصوت خطواتها، أغمض عيناه وأخذ نفساً عميقاً ليزفر بقوة وقلبه يقرع كالطبول وهو يدعي لربه أن تمر هذه الجلسة على خير وتقتنع بكلامه وتبريراته، بينما هجرس كان يتابعه بابتسامة بسيطة وهو يدعي ربه أيضاً لكي يجمع هذا الثنائي بالخير لأنه لن يجد أفضل وأحسن من رامي ليكون زوجاً لشقيقته الصغيرة والوحيدة، دخلت ملاك وهي مخفضة رأسها للأسفل ولم تنتبه لرامي بعد، وقف رامي بذهول وهو ينظر لها بعينان متلهفة ومذهولة لشدة جمالها وحسنها، كتم هجرس ضحكته ليقول لملاك:

"قدمي التحية يا ملاك"

رفعت رأسها لتوجه نظرها إلى رامي، وما هي إلا ثواني حتى توسعت عيناها عندما رأتها أمامها لتقول بذهول:

"رامي" ..

"لن أتخلى عن حُبِّك لمجرد أنه صعب

ولو خيروني لكررتُ حُبِّك للمرة الثانية "

جو مليء بالتوتر والنظرات القلقة والمتبادلة من البعض، يجلس سامح وعائلته وطبعاً سارة وخلود معهم في صالة المنزل، لم تكن سارة على طبيعتها أبداً وقد لاحظوا عليها هذا الشيء، يجلسون بصمت وكلٍ منهم يغني على ليلاه، قطع الصمت إياس ليتحدث مازحاً:

"سارة هيا قولي لي كيف استطاع والدي أن يقنعك بالمجيء معه فأنا أعرف كم أنك عنيدة"

نظرت سارة لسامح بقوة وبحاجب مرفوع لتقول:

"لا شيء فقط لم أحبذ أن أرفض طلب عمي الذي بمثابة أبي"

شدت على جملتها لينظر لها سامح نظرة حارقة ومتوعدة، ابتسم بهدوء ليقول:

"يعجبني بك ياسارة أنك تسمعين الكلام"

حركت رأسها موافقة بابتسامة حانقة ليقول إياس:

"إذاً أبي مارأيك بموضوع إقامة حفل زفافنا، لنتحدث في هذا الأمر بما أن سارة معنا"

همهم له والده ليقول:

"لا أعلم بني ولكن ألا ترى بأنك متعجلاً في الأمر! انتظر قليلاً فقط ريثما تعود عمك خديجة من السفر وبعدها تقيم حفل زفافك"

امتعض إياس ليقول:

"أبي ومنذ متى عمتي خديجة تحضر المناسبات، طوال عمرها بعيدة عن العائلة ولا تحتك بنا إلا قليلاً، ثم أنك لم يكن هذا جوابك منذ قليل"

ابتسم سامح بخفة ليقول:

"أجل بني ولكنني تذكرت أمرها ويجب أن تنتظر قليلاً ريثما تعود، لقد حدثتني البارحة وقالت أنها ستعود عما قريب، ثم أنني تحدثت مع سارة في هذا الموضوع ونحن في طريقنا إلى هنا ولم تعارض فكرة تأجيل حفل الزفاف أليس كذلك ياسارة"

وجه حديثه لها في آخر جملته وهو يناظرها نظرة تحذيرية وحاجب مرفوع لتتظر له بحدة وتقول:

"أجل معك حق عمي ولكن يتهياً لي بأنني قلت لك سنناقش هذا الموضوع مع إياس وعمتي جيداً ونقرر بعدها، أنا لم أعطيك جوابي النهائي بعد"

حرك رأسه متوعداً وضحك ضحكة خفيفة ليقول:

"صحيح عزيزتي سارة كلامك صحيح، إذاً لنأخذ رأي إياس، ها مارأيك إياس وأنت جيداء مارأيك عزيزتي"

لم يتحدث إياس لأنه لم يعلم بماذا يجيب، بينما جيداء همت بالتحدث ولكن قاطعتها خلود لتقول:

"أرى بأن تأجلان حفل الزفاف قليلاً لأنه من العيب أن تقيمونه دون أن تحضر العمّة خديجة فهي كبيرة العائلة، أليس كذلك خالتي"

امتعضت جيداء بوجهها لأنها تكره خديجة ولا تحبها، طبعاً لأن خديجة دائماً ما تعابرها وتحدثها بكلام عن فرق العمر الذي بينها وبين سامح، لذلك تكرهها ولا تحب مجيئها، وجهت جيداء نظرها لسامح وقد رآته ينظر لها بحاجب مرفوع، أغمضت عيناها لتقول:

"لا أعلم افعلوا ماهو مناسب أنا لا مانع لدي"

نظر إياس لخلود ليقول بغضب:

"يتهياً لي بأنه لا شأن لك لتبدي رأيك لذلك اصمتي ولا تتدخلي فيما لا يعنك هل فهمتي"

نظرت له خلود بحدة لتتحدث جيداء:

"إياس لا تتحدث معها هكذا بني"

امتعض إياس بوجهه لتردف جيداء موجهة حديثها لسارة:

"حسناً مارأي سارة بالموضوع"

نظرت لها سارة بحيرة ولم تعلم بماذا تجيب، انتهت عندما جيداء رفعت حاجبها لها وقد فهمت سارة عليها لتقول:

"أنا أرى بأن نقيم حفل الزفاف فوراً، لما التأجيل أنا لا أفهم"

ابتسمت جيداء ابتسامة نصر عندما سمعت جواب سارة، بينما سامح أغمض عيناها محاولاً تهدئة نفسه كي لا ينهض ويلقن سارة درساً قاسياً، نظر لها بابتسامة حانقة قائلاً:

"حسناً بني أنا لا مانع لدي فلنقيموا حفل الزفاف في آخر الشهر أي بعد ثلاثة أسابيع، مبارك لكما"

ابتسم سامح باتساع بينما سارة نظرت له بحيرة وخوف، تعلم جيداً بأن وراء موافقته وهدوءه هذا مصيبة كبيرة.

بارك الجميع لإياس وسارة ماعدا خلود التي كانت تنتظر لسامح بنظرة متسائلة ولكنه ابتسم لها بمكر وغمز لها، للحقيقة ارتاحت لنظرته لأنها تعلم بأنه لن يسمح لهذا الزفاف أن يتم.

انتهت سهرتهم ليصعد كل منهم إلى غرفته، وبينما سارة كانت في غرفتها عقلها يأخذها ويجلبها بالأفكار، هي خائفة وقلقة جداً من سامح وخلود، لأنها تعلم أنه سيفعل المستحيل كي لا يتم هذا الزفاف، كحالها هي فهي أيضاً ستفعل المستحيل ليتم هذا الزفاف، وعندها ستتخلص من سامح وسيطمئن بالها، تنهدت بقوة وأغضمت عيناها محاولة تهدئة نفسها.

كيف ومتى أنتها الشجاعة لا تعلم، فهي أمسكت بهاتفها لتبعث للسيد سامح رسالة والذي كان محتواها:

"أريد أن أتحدث معك رجاءً عمي، قابلني في الحديقة"

أرسلت الرسالة وهبطت إلى الأسفل ومن ثم خرجت إلى الحديقة، تصنمت في مكانها عندما رأته أمامها معطياً لها ظهره وممسكاً بيده كأس النبيذ، نظرت له بتعجب ولم تصدق هذه السرعة التي به فهي قد أرسلت الرسالة وهبطت فوراً إلى الحديقة، جفلت عندما سمعت صوته يقول:

"علمت أنك ستريدين التحدث إلي وقد قرأت رسالتك الآن"

استدار لها بجسده ليبتسم ببرود ويقول:

"لذلك أنا هنا منذ مدة"

توترت من حديثه لتبتلع ريقها وتقول:

"في الحقيقة أنا الآن أريد أن نتحدث بهدوء دون صراخ وغضب مارأيك عمي"

ابتسم بتهكم ليقول ببرود:

"لا تقولي عمي"

تنهدت لتقول:

"حسناً ما رأيك سيد سامح"

ابتسم ابتسامة جانبية ليقول:

"سامح فقط"

امتعضت بوجهها لتهم بالتحدث ولكنه قاطعها بقوله:

"بماذا تريدان التحدث"

أنهى جملته وارتشف من كأسه لتقول هي بتوتر:

"في الحقيقة أريد أن نضع حداً لهذه المهزلة التي تحدث بيني وبينك، والذي أريد أن أقوله لك هو أنني أنا بعمر ابنتك ويجب أن تراعي هذه النقطة، غير ذلك أنا خطيبة ابنك لذلك أرجو أن تدعني أعيش أنا وابنتك دون أي مشاكل وتنسى هذه القصة التي تحدثني بها والتي قد فاجئتني بها بصراحة، أنا لا أريد أن أعلم ما علاقتك بوالدتي سابقاً لأنه لا يهمني، ولا شأني بمشاعرك، كل ما أريده هو أن تبتعد عني فقط"

همهم لها باستمتاع ليتقدم منها ويقف أمامها مباشرة ويقول:

"أنتِ هذا رأيكِ إذاً"

حركت رأسها موافقة ليرد لها ببساطة:

"إذاً سأعتبر نفسي لم أسمع شيئاً"

أنهى جملته وارتشف كأسه دفعة واحدة ورماه على الأرض ليمسكها من ذراعيها ويقول بحدة وهمس:

"لما لا تفهمين أنني أعشقتكِ وأريدكِ لي ها، لما لا تريدين أن تكونين معي سارة"

أغمضت عيناها بأسى لتقول:

"أرجوك عمي أرجوك أفهم أنا أحب إياس ولن أكون لغيره"

تحدث بصراخ وهو يحركها بعنف:

"لا تقولي عمي"

أعاد جملته بهمس و حدة:

"لا تقولي عمي أيتها اللعينة"

ابتلعت ريقها وصمتت لينتريها من يده ويمشي عدة خطوات وهو يمسح على وجهه ليستدير بعدها ويقول بصرامة:

"اسمعيني جيداً، أنت لا تعرفين من هو سامح بعد، وأنا اعذرِكِ كونكِ تعصين أوامري ولا تستمعين لي لأنكِ تستخفين بي لكن.."

قطع جملته وأنهاها بتحذير وهو يرفع سبابته ويتقدم نحوها ليقول بحاجب مرفوع:
"لكن صدقيني ستندمين أشد الندم إن بقيتي على عنادكِ الذي لن ينفَعكِ بشيء هل تفهمين"

نظرت له بجمود لتقول:

"وأنا لن أكون لك ولو طبقت السماء على الأرض"

عض على شفته السفلى ليقول من بين أسنانه:

"يافتاة منذ عدة ساعات كنت أحذركِ وكنت أقسو عليكِ بالضرب ألا تفهمين، فقط قولي لي كيف سأفاهم معكِ"

تحدثت ببرود:

"ليس ضروري أن تفاهم معي كل ما أريده منك هو أن تنسى القصة وتخرجها من رأسكِ لأن حبك هذا أعتبره مرض وليس حباً حقيقياً يجعلني أتشرف به"

أنهت جملتها و فرت هاربة من أمامه وهي تتنفس الصعداء، بينما هو ظل ينظر لمكان فراغها بشرود وكلماتها تتردد في عقله، ابتسم بشر وحرك رأسه بتوعد ليتمتم قائلاً:

(سأدعكِ تدفعين الثمن فقط انتظري علي قليلاً وعندها سترين ما أنا فاعلٌ بكِ، لن يتم الزفاف إلا على جنتي سترين ياسارة)

قبل عدة ساعات

كان رامي وملاك يجلسان بمفردهما في صالة منزل ملاك، كان الصمت سيد المكان، لقد تفاجئت ملاك كثيراً بقدمه وقد علمت بأنه هو الشاب الذي يريد خطبتها، ولكنها هي تحمل في قلبها منه وتريد معاتبته بشأن فعلته، بينما رامي كان يحاول جمع كلماته المناسبة لكي يبرر لها ويعتذر عما بدر منه، أغمض عيناه محاولاً التماسك ليحمحم ويقول:

"ملاك اسمعيني جيداً، أريد أن أحدثك بأشياء كثيرة وأولها هو سبب غيابي عنك وتراجعي عن خطبتي لك ولكن لا تقاطعيني أبداً، دعيني أحدثك وأشرح لك كل شيء ومن ثم قرري اتفقنا"

نظرت له بعتاب لتحرك رأسها موافقة ويبدأ هو بالتحدث والتبرير لها، لم ينقص عليها حرفاً واحداً، حدثها بكل شيء عنه وحدثها عن سبب بعده عنها وعن تهديد أخاها له، وعن علاقته السابقة بتلك الفتاة، ظل يتحدث بينما هي تستمع له بصدمة من جهة علاقته بتلك الفتاة ومن جهة تهديد أحمد له، لم تصدق ما سمعته، تشوشت أفكارها ومن دون وعي هبطت دموعها على وجنتيها وظلت تحرق برامي بصدمة، أنهى حديثه الذي دام طويلاً وختمه بكلمات اسفه واعتذاره لها ومن ثم بكلمات حبه وعشقه لها، بينما هي ظلت تنتظر له ببرود وجمود ولم تنفوه بحرف فقط تنتظر له بعينان فارغة، ابتلع ريقه بصعوبة وتملكه الخوف من صمتها ونظرتها التي لا تدل على خير أبداً، مسح على وجهه وأغمض عيناه ليحاول تهدأة نفسه ليمسك يدها الصغيرة ويقول:

"صدقيني كل هذا كان في الماضي وكنت سأصارك بكل شيء ولكن أحمد تدخل في الموضوع وجعلني أتخطب نفسي وكنت خائف من المواجهة، ولكن لم أستطع التحمل لذلك تحدثت مع هجرس وقد تفهم الأمر وأعطاني العذر وأتيت لكي أصارك بكل شيء وأرجو أن تعطيني العذر أنت أيضاً لنبدأ صفحة جديدة ما رأيك"

ابتلعت ريقها وسحبت يدها من يده لتشريح بوجهها عنه وتقول بجمود:

"لا يوجد شيء يشفع لك عندي، أرجو أن لا تريني وجهك بعد الآن"

نظر لها بصدمة وبدأ قلبه يقرع كالطبول، بينما هي نهضت لتتوجه إلى غرفتها ولكنها توقفت حالما رأت هجرس يدخل عليهما، أرادت أن تتخطاه وتخرج ولكنه أمسكها من معصمها وقال:

"إلى أين"

تحدثت بخفوت:

"إلى غرفتي"

تحدث بصرامة:

"عودي إلى مكانك"

نظرت له بعينان دامعة لتعود وتجلس بجانب رامي، جلس هجرس مقابلاً لهما ليقول:

"ها إلى ماذا توصلتما"

لم يجيب أحدهما بكلمة ليرد هجرس:

"ما بكما أجيان"

تنهد رامي بقوة ليقول:

"لم نتوصل لأي شيء"

تحدثت ملاك بجمود متدخلة في الحديث:

"أخي هذا الموضوع منتهي بالنسبة لي لذا أنا أرفض خطبة هذا الشاب"

نظر لها رامي بحزن بينما هجرس ابتسم بسخرية ليقول:

"لماذا هل ستحاسبينه على الماضي الآن"

أجابت بانفعال و سرعة:

"ألا يحق لي"

ابتسم هجرس برضى ليقول:

"حسناً إذاً فلتتم خطبتكما ومن ثم حاسبه وعاقبه كما شئت وفكري ملياً قبل أن تبدين رأيك"

عقدت حاجبيها لتقول:

"ولكنني لا أريد هذه الخطبة ولا أريد أن أعاقبه أو أعاتبه لا شأن لي به هو حر فليفعل ما يحلو له"

أغمض رامي عيناه بقوة ليتحدث هجرس بهدوء:

"خطبتكما ستتم في آخر الأسبوع"

جحظت عينان ملاك بينما رامي تهللت أساريره لتقول ملاك:

"أخي ما الذي تقوله أنت أنا لا أريد أن."

قاطعها بكلامه:

"ألم تقولي بأنك تثقين بي إذاً يجب عليك أن تثقين بي أيضاً الآن بانتقاء العريس المناسب لك"

نظرت له بغیظ لتقول:

"وهل ترى بأن السيد رامي الذي فعل فعلته تلك هو العريس المناسب لي"

حرك هجرس رأسه موافقاً لتنهض ملاك وتحدثت بجمود وهي تكتف يديها:

"ولكنني أنا لا أريد رامي ولن أقبل بخطبتي له"

همهم لها هجرس ليقول:

"خطبتك ستتم في آخر الأسبوع أي بعد خمسة أيام ولا أريد نقاش أبداً والآن إذهبي واصنعي لنا القهوة تحركي"

نظرت له بصدمة وغيظ لتهم بالحديث ولكن قاطعها هجرس بصرامة وصوت عالٍ نوعاً ما:

"قلت تحركي"

ضربت الأرض بقدمها لتخرج من الصالة متوجهة إلى المطبخ والغیظ يأكل بها، هي لم تنسى كلام رامي عن أخيها أحمد ولن تسكت له عن ما بدر منه نهائياً ولكنها ستصمت الآن ولن تتحدث ريثما ترى هجرس إلى أين سيوصلها بقراراته المفاجئة تلك، بينما عند رامي وهجرس حالما خرجت ملاك من الصالة حتى نهض رامي وأنهض هجرس ليقبله ويحتضنه وهو يشكره كالأبله بينما هجرس يضحك عليه.

في اليوم التالي

وتحديداً عند الساعة الثانية ظهراً عادت سارة إلى منزل إياس قبل موعد عودتها المعتاد فقد كانت متعبة، فتحت لها الخادمة ودخلت إلى الصالة لترى خلود وسامح جالسان في الصالة وهما يتحدثان، نظرت لهما بامتعاض وأرادت أن تخرج ولكن صوت سامح أوقفها قائلاً:

"ألم تتعلمي إلقاء السلام، يا إلهي ماهذه الفتاة التي يريد أن يتزوجها ابني حقاً بلهاء"

استدارت بجسدها لتتظر له بحاجب مرفوع وابتسامة ساخرة لتقول:

"معك حق وأنا أيضاً أريد أن أقول لك ماهذه الفتاة التي وقعت في حبها يازير النساء"

ضحك ضحكة رنانة وشاركته خلود بالضحك ليقول لها:

"أوه عزيزتي سارة أنا شيء وابني شيء آخر .."

قاطعته بجمالها الساحرة:

"أعلم أعلم فـ شتان بينكما، هو حبه لي بريئ ونظيف بينما أنت حبك مريض"

انفض من مكانه ليتوجه نحوها ويحدثها بـحدة:

"سارة لا تختبرين صبري، أنا أحذرك"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"أنا الآن أريد أن أعلم هل كنت جالساً برفقة تلك الرخيصة لكي تخططان لمصيبة ثانية أم أنكما تتفان على قضاء ليلة حمراء كـ التي قضيتها منذ عدة أيام"

نظرت لها خلود بعينان جاحظة وقد تملكها الخوف من جمالها فخلود لا تعلم بأن سارة تعرف بالحقيقة وتعرف أنها قضت ليلة ساخنة مع سامح، بينما سامح نظر لها تلك النظرة المميتة وللصراحة سارة قد تملكها الخوف ولكنها ظلت ثابتة مخفية خوفها وراء قناع الشجاعة، كز على أسنانه ليمسكها من معصمها ويتحدث بعينان زائغة:

"ما الذي أفعله بكِ يا فتاة، لقد عجزت معكِ حقاً"

نترت يدها من يده وناظرته بلوم لتهم بالحديث ولكن خلود اقتربت منهما لتقول بتوتر:

"أنتِ ما الذي كنتِ تقولينه قبل قليل"

ابتسمت سارة بسخرية لتقول:

"يا إلهي إنظري إلى نفسك كم أنكِ خائفة ومرعوبة، أتعلمين! مصيركِ في يدي فأنا أستطيع أن أفصح عن حقيقتكِ أنتِ ووالد خطيبي وبذلك سأنتهي منكما أنتما الاثنان"

إلى هنا ولم يعد سامح يستطيع تحملها، ارتد وجهها للجهة الأخرى من الصفعة التي هبطت على وجنتها، وضعت يدها مكان الصفعة وناظرته بـحدة لتقول:

"هكذا تعبر عن حبك، ألم أقل لك أنك مريض"

تحدث بصراخ:

"اصمتي فقط"

ابتسمت باستفزاز لتحرك رأسها بتوعد وتقول:

"صدقني ستري ما الذي سأفعله، سأفتضح أمرك وأمرها ولن يطلع عليكما صباح، ستريان"

أنهت جملتها بصراخ وتوجهت إلى غرفتها بينما سامح ظل ينظر لمكان فراغها بشروء، أما عن خلود فظلت متصنمة في مكانها والخوف متمكن منها.

في المساء كان الجميع مجتمع على مائدة العشاء بجو يشوبه التوتر من خلود فقط، بينما سامح كان ينظر لسارة ببرود وجمود وكأنه لا يفرق معه شيء فلتحدث وتقول لهم كل شيء هو لا يفرق معه، وبدوره سيشكرها أيضاً لأنه سيكون له فرصة أن يفصح عن مشاعره تجاه سارة أمام الجميع وبهكذا يكون الجميع انصعق مرة واحدة وليس على مرات متتالية، كانت سارة تنتظر لخلود بتوعد بينما خلود تناظرها بخوف ورجاء، ابتسمت سارة بمكر لتحمم وتقول:

"أتعلم إياس لقد حدثت قصة غريبة جداً ومخجلة أيضاً"

نظر لها إياس بتعجب ليقول:

"وما هي وعن من"

أجابت بابتسامة مستمتعة:

"عن رجل كبير في السن مع فتاة شابة في أوائل العشرينات، يارجل يوجد بينهما قرابة وهما على علاقة محرمة"

جميعهم لم يعجبهم الموقف إن كان جيداً أو إياس أو ماسة، تحدثت جيداً بانزعاج ونظرة اشمزاز:

"يا للواقحة، حقاً أن الفتاة رخيصة والرجل لا يوجد لديه ذرة أخلاق"

همهمت سارة وهي تمضغ اللقمة وتتنظر لسامح وخلود نظرة استمتاع، تحدثت ماسة بتلقائية وفضول:

"ومن أين علمتي بهذه القصة، وهل تعرفينهما"

ابتسمت سارة باستمتاع لتوجه نظرها إلى خلود التي بدى عليها معالم الخوف لتقول سارة:
"لا أعرفهما جيداً، الفتاة تكون قريبة شخص أنا أعرفه وأحترمه جداً والرجل أيضاً يكون قريب نفس ذلك الشخص"

همهمت لها ماسة ليقول إياس:

"لم يعد هناك أخلاق عند أحد"

حركت سارة رأسها لتقول:

"أجل وياخسارة فهما يخونان الثقة ويفتعلان المشاكل ويرسمان مخططات لأجل أن يوقعان بين امرأة وزوجها"

تحدثت جيداً بانزعاج:

"اللجنة عليهما كم أنهما رخيصان، عزيزتي سارة من أين تعرفينهما أنت؟"

ابتسمت سارة بخفة لتقول:

"أنا لا أعرفهما كثيراً ولكن أعرف ذلك الشخص الذي يحاولان إيقاعه في المشاكل مع زوجته هو زميلي وهو طبيب"

همموا لها وصمتوا ومعالم الانزعاج بدت على وجوههم، أرادت سارة أن تلعب بأعصاب سامح الذي كانت الشياطين تتراقص حوله والنار تشتعل في صدره لتقول بتلقائية:

"عمي مارأيك في هذا الموضوع ألا ترى بأنه خطأ وعيب عليهما"

مضغ لقمته ليضرب كفيه ببعضهما ومن ثم يقول بأرق لكنة لديه قائلاً:

"معك حق عزيزتي سارة إنهما لعينان ومخادعان أيضاً، اا عزيزتي سنتناقش في هذا الموضوع في مكنتي فأنا أريد أن أحدثك بموضوع هام ومن ثم أريد أن أحدث إياس"

ابتسم لها بلطف بينما هي سقطت ابتسامتها حالما سمعت بجملته لتقول بتوتر:

"اا عمي في الحقيقة أنا أريد."

قاطعتها جيداً قائلة:

"عزيزتي يجب أن تسمعين كلام عمك"

ابتسم سامح وحرك رأسه موافقاً لينهض ويوجه حديثه لزوجته:

"عزيزتي دعي الخادمة تعد لي القهوة أنا وسارة، وأنت ياسارة انتهي من طعامك والحقي بي إلى المكتب اتفقنا عزيزتي"

ابتسم بلطف في وجهها ومن ثم توجه إلى المكتب بينما هي ظلت تبتلع ريقها ومعالم الخوف بادية على وجهها، لعنت نفسها مئات المرات على الكلام الذي تفوهت به، تنهدت بقلق لتتأمل لخلود وتجدها تنظر لها بتشفي، رفعت حاجبها سارة بلؤم لتغض خلود أنظارها وتعود لطعامها.

بعد وقت قصير كانت سارة تقف عند باب مكتب سامح وهي تدعو لربها أن تتجو منه، أرادت أن تفتح الباب ولكن هو من فتح الباب ليكون وجهه مقابلاً لوجهها ويتحدث بهمس:

"تأخرتي حبيبتي"

أمسكها من معصمها وأدخلها ليغلق الباب خلفه ويقفله، نظرت له بخوف وابتلعت ريقها وعادت بخطواتها إلى الخلف بينما هو يناظرها بابتسامة شر ويتقدم منها، حاصرها ضد الحائط ليضع كلتا يديه ويستند محاصراً إياها ليقول بشر:

"ماهذا الكلام الكبير الذي كنتي تتفوهين به منذ قليل عزيزتي هممم"

همهم في آخر جملة وهو يمرر شفثيه على وجنتها الطرية لتبتلع ريقها وتقول:

"عمي أنا."

وضع سبابته على فمها ليقول:

"شش لا نتحدثي اصمتي"

نظرت له برهبة وحركت رأسها موافقة ليردف لها بعينان زائغة:

"أعترف بحبي لك وعشقي بك، تتمردين علي وتعصين أوامري، أمرك بشيء ولا تنفيدينه، تمسكين مستمسكات علي وتقومين باستغلالي وأنت وبكل سذاجة تظنينني خائف، أتحدث معك بروية تقومين أنت بدورك وتحديثني بغضب وتتفوهين بكلام جارح، وأخر ما فعلتبه هو أنك تلمحين وتهديين علي مزاجك وكأنه لا يوجد من يؤدبك أليس كذلك"

حركت رأسها رافضةً ببطئ وهي تنظر لعيناه مباشرة، ابتسم بشر ليقول:

"أتعلمين شيئاً! ليس سامح من يستسلم أو يخسر حرباً قد دخل بها، أنت دخلتي قلبي وسلبتي مني عقلي بجمالِك وعفويتِك وأنا بدوري سأحارب لكي أصل إليكِ وتكونين لي طوال العمر، لن أترككِ سارةٍ إعلمي جيداً حتى وإن أردتما إقامة حفل الزفاف أنتِ وإياس هو لن يحصل عليكِ أبداً، أعدكِ بأنني سأجعلكِ تحبينني وتتعلقين بي فقط انتظري علي، وأيضاً انتظري إلى يوم غدٍ لأنه يوجد لديكِ مفاجأة قد حضرتها لكِ"

هبطت دمعتان من عينيها وهي تنظر له بتفاجئ من تصرفاته وحديثه ولكنته المجنونة التي لم تستوعبها، فهو يتحدث بطريقة غريبة جداً، ابتلعت ريقها لتقول بتوتر:

"صدقني كل ما تفعله سيكون ضرر لي ولكِ صدقني عمي لنهني هذه المسألة أرجوك أنا لم."

قاطعها بكلامه وهو رافعاً حاجبيه:

"أنا لا أنتظر منك أي كلمة أو أي تبرير ولن أحاسبكِ على كلامكِ الجارح وتلميحاتكِ التي رميتها على مسامعنا جميعاً، أريد أن أقول لكِ شيئاً واحداً فقط"

ابتسم بمكر واقترب ليلصق شفاهه بشفاهاها بقبلة هادئة ودون أي حركة فقط تلامس بين شفاهه وشفاهاها، أغمضت عيناها بوهن وشعرت بمشاعر غريبة تجتاحها، شعرت بعدها بالفراغ بشيء ينقصها بشيء جعلها تتغاضب، لا تعلم ما هو ولكن حالما ابتعد سامح عن شفاهها حتى فتحت عيناها ونظرت له بعتاب، ابتسم لها بمكر ليكوب وجهها بين يديه ويقول:

"إعلمي جيداً حالما أختلي بكِ سأجعلكِ ملكي"

أنهى جملته ليطلع قبلة سطحية على شفثيها ويقول:

"هيا انصرفي"

ظلت واقفة بمكانها دون حراك مع العلم بأنه قد أفسح لها المجال لتمر ولكنها لم تمر، نظر لها ببرود ليمسكها من معصمها ويفتح الباب ويخرجها ومن ثم اغلق الباب وأقله على نفسه، ظلت واقفة في مكانها تحديق بالفراغ بشرود وعقلها يردد كلمتان فقط (سأجعلكِ ملكي)، ترقرت عيناها بالدموع لتنتهد بقوة وهي تشعر بالضيق من الذي يحدث معها ومن حب ذلك الرجل الذي لم تكن لتحسب له حساب.

في اليوم التالي

وتحديداً عند الساعة الثالثة ظهراً خرجت سارة من صيدليتها وأغلقتها لتتوجه إلى منزل إياس فقد حان وقت الغداء، وبينما هي تمشي في الطريق وطبعاً كانت شاردة الذهن فلم تنتبه لتلك السيارة التي وقفت إلا بعد ما اعترضت طريقها، نظرت سارة للشاب الذي هبط من السيارة وعلى محياه ابتسامة واسعة، عقدت حاجبيها باستغراب وهي تحاول تذكر ملامحه لتجذب عيناها ومن ثم ضحكت بسعادة ليبادلها الضحكة ويقول:

"سارة الجميلة ذات البشرة الرائعة والتي أعشقها كيف حالها ياترى"

ضحكت برقة على جملته فهو دائماً ماكان يتغزل بها ويحب بشرتها الحنطية أيضاً، تحدثت بحماس وهي تصافحه:

"أوه ناصر يالها من صدفه جميلة كيف حالك"

ابتسم باتساع ليقول:

"أنا بخير وبأحسن حال، أخبريني كيف حالك وحال عمك؟ هل تعملين بجد في صيدليتك أيتها الصغيرة"

عبست بوجهها ومن ثم ضحكت لتقول:

"أوف لا تقول لي صغيرة، أنا بخير وعملي أيضاً بخير يا ذو الغمازتين الجميلتين"

ابتسم باتساع وبانت غمازتيه التي تعطيه جمال خاص وجاذبية خاصة، تنهد ناصر ليقول:

"إنذا إلى أين وجهتك"

هممت لتقول:

"إلى منزل أهل خطيبي"

تحدثت بحماس:

"أوه هذا رائع إنذا مؤكداً بأن إياس قد أفصح عن مشاعره وتقدم لخطبتك ليس كذلك"

ضحكت برقة لتحرك رأسها موافقة وهو بدوره بارك لها ليقول:

"إنذا هيا تفضلي لكي أوصلك"

حركت رأسها موافقة لتقول:

"حسناً لا مانع سأكسب توصيلة بالمجان هيا"

ضحك على جملتها ليصعد إلى سيارته وعلى محياه ابتسامة خبيثة، حرك مقود السيارة وهو ينظر لها نظرة ذات مغزى ومن ثم انطلق بها إلى الوجهة التي يريدتها.

طوال الطريق وهما يتحدثان ويضحكان وطبعاً سارة بدورها استرسلت معه في الحديث ولم تشعر بمسافة الطريق التي كانت طويلة وبالعكس مسافة منزل إياس الذي مسافته قصيرة، وأيضاً لم تنتبه بأن وجهة الطريق لم تكن هي وجهة الطريق الذي تودي إلى منزل إياس.

دقائق وانتبهت سارة إلى الطريق المعاكس لتعقد حاجبها وتقول:

"ناصر إلى أين تأخذني هذا ليس الطريق الصحيح"

ابتسم بخفة ليقول:

"اصمتي قليلاً سنصل إلى وجهتنا"

نظرت له بتعجب لتقول:

"أي وجهة"

تنهد ليقول:

"ستعلمين بعد قليل فقط اصمتي قليلاً"

تنهدت بقلق وابتلعت ريقها بخوف، هي تعلم بأن ناصر لن يؤذيها أبداً فهو كان صديقها وقضيا مسيرتهما الدراسية سوياً وهما مع بعضهما منذ أول سنة في الجامعة ومقربان لبعضهما جداً.

ما هي إلا ثواني حتى وصل ناصر بسارة إلى وجهته والتي كان مخطط لها أيضاً، أغمض عيناه بتأنيب ضمير لينظر لسارة ويقول ببرود:

"هيا انزلي"

رفعت حاجبها لتقول:

"إلى أين وأين نحن ولما جئت بي إلى هنا"

تحدث بنفاذ صبر:

"هذا ما طلبت مني وأنا نفذت، أنا حقاً آسف سارة اعذريني، هيا انزلي هناك من ينتظرك في الداخل"

نظرت له بعينان جاحظة وعدم تصديق لتقول:

"ناصر ما الذي تقوله أنت أنا لا أفهم ماذا تع.."

قاطعها بكلامه الحاد:

"قلت لك انزلي، أنا ليس بمقدوري فعل شيء سوى التنفيذ هيا انزلي وستعلمين كل شيء في الداخل"

أرادت أن تتحدث ولكن باب السيارة لديها فتح ليمسكها الحارس من معصمها وينزلها بالغضب تحت مقاومتها وصراخها، بينما ناصر ظل يتابعها بتأنيب ضمير وحزن ليتهدد بقوة وينطلق عائداً إلى منزله والندم يأكله.

بينما عند سارة أدخلها الحارس بالغضب إلى المنزل الذي كان من الأثاث الفخم ليدفعها إلى الأمام ويخرج من المنزل بأكمله مغلقاً الباب ورائه، عقدت سارة حاجبها عندما رأت رجل واقفاً ومعطياً لها ظهره، تنهدت بقوة وهي مغمضة عينيها وهي تدعو بأن لا يكون هو الشخص الذي في بالها، ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول بتوتر:

"من أنت"

استدار لها ليظهر أمامها بابتسامة مأكرة، جحظت عيناها عندما رأت سامح أمامها ليتوجه لها مبتسماً بمكر، وقف أمامها وقرب وجهه من وجهها وهو ينظر لعيناها مباشرة ويقول بهمس:

"والآن ها قد وقعتي بيدي" ...

"وأنى أحبك إمتلاكاً وتملكاً وكمالاً"

وأغار عليك تعصباً وتجنناً وحناناً"

ناظرته بعينان جاحظة وابتلعت ريقها بخوف، هي تعلم جيداً بأنه لن يرحمها وسيقوم باستغلال الفرصة لكي ينتقم منها، لقد وعداها بالأمس بمفاجأة كبيرة وللحقيقة هذه أسوأ مفاجأة لها، بينما هو لم يكن يفكر بشيء غيرها، ينظر لها بهيام وحب، عيناها الحادة تحكي الكثير والكثير من الكلام، فقط لو أنها تصدقه وتؤمن به، هو على استعداد تام أن يتخلى عن الدنيا بأكملها لأجلها، فقط لو تصدقه وتصدق حبه وشغفه بها، مرر يده على وجنتها بخفة بينما هي كانت مستسلمة وكأنها شلت بالكامل، ابتلع ريقه ليقول بهمس:

"أنتِ الآن هنا فقط لكي أدعك تصدقين قلبي وحببي لك"

ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول بصوتٍ خافتٍ وحاجبها معقودان:

"أرجوك ألم تمل بعد"

ابتسم ابتسامته الساحرة ليحرك رأسه رافضاً ويرفع حاجبيه ويقول بهمس:

"أنا لا أمل منك أبداً، وسأسعى جاهداً لكي أحظى بوصولك"

أغمضت عيناها بقوة ومن ثم أخذت نفساً عميقاً وزفرت بقوة لتقول بجمود:

"ليس لك شيء عندي، يجب عليك أن تفهم وتستوعب بأنني سأكون زوجة ابنك بعد عدة أيام فقط"

ابتسم بسخرية ليقول:

"بل يجب عليك أن تفهمي بأنني لن أدع هذا الزفاف يحصل إلا على جنتي"

ظلت تنظر له بجمود وبحاجب مرفوع لتشبح بوجهها عنه بينما هو ظل يناظرها بحب وابتسامة خفيفة نمت على شفثيه عندما رأى كيف تلوي فمها وتعض على شفثها، عض على شفثه هو الآخر ليمسكها من خصرها ويقربها إليه، حاولت التملص من بين يديه ولكن هيهات، ظلت تضربه على صدره وتحدثه بأن يبتعد ولكنه لم يسمع لها وإنما كان كل تركيزه على شفثها وعلى لطافتها، وما ألطف غضبها الطفولي، قرب وجهه منها شيئاً فشيئاً إلى أن امتلك شفثها بقبلة عميقة جعلتها تغمض عيناها بوهن، لم تبادله وإنما ظلت ساكنة، شعرت بفراشات بمعدتها، وكم كانت قبلته هادئة وكم كانت هي ساكنة ومستمتعة بقبلته، لأول مرة يدق قلبها بسرعة ليس من خوفها وإنما من المشاعر الغريبة التي اجتاحتها تجاهه، مهمم في قبلته مستمتعاً ليفصل القبلة ويلهث بقوة ليسندها بالحائط ويدفن وجهه في رقبتها ويطبّع قبلاته الرطبة عليها، لا تنكر بأنه يعجبها ملاحقة سامح لها وحبها أيضاً ولكنها هي أيضاً تحب إياس ولا تريد تركه، فهو لا ذنب له لكي تقابله بالخيانة، لم يعاملها إلا بالإحسان ولم يجرحها بكلمة فكيف سنفعل به هكذا، أبعدته عنها بعنف ودون سابق إنذار عندما استفاقت على نفسها، بينما هو أغمض عيناها محاولاً التحكم في نفسه فهو انجرف في مشاعره كثيراً وهي قد تسببت له بمشكلة كبيرة، شد على قبضته وهو يركز على أسنانه ليقول لها بحدة:

"ما بك"

نظرت له بضياح ومسحت على وجهها لتقول:

"دعني وشأني ولا تقترب مني"

ابتسم بسخرية ليقول بمكر:

"إذا كنتي لا تريدين أن أقترب منك فلماذا بادلتني القبله"

نظرت له بحدة لتقول:

"أتعلم شيئاً أنت تافه، أنا أكرهك اللعنة عليك وع.."

لم يدعها تكمل جملتها لأنه صفعها بقوة لتسقط على الأرض من شدة الصفعة، التفتت له لتناظره بحدة وتقول:

"أهذه هي الرجولة بالنسبة لك، الضرب والإهانة والعلاقات الحميمة فقط أليس كذلك"

كز على أسنانه ليمسكها من شعرها ويوقفها ليحدثها بصوت أشبه بفحيح الأفعى وهو يحركها بعنف:

"اسمعيني جيداً سارة أنا لست رجلاً شهواني وإنما رجلاً أحب فتاة بعمرِكَ ومن كل قلبه، وبالنسبة لمعاملتي فهذا كله من صنع يدك"

عقدت حاجبها بالأم وأطلقت تأوه بسيط لتحثد أنفاس سامح وتقول بحدة:

"ما الذي تريده مني! أتريد أن أطيعك وأجاريك في حبك الأحمق وأترك ابنك مثلاً"

نترها من يده ليبتم بسخرية ويقول:

"شنتي أم أبيتي ستتركين إياس وستكونين لي"

ناظرته بحدة وتحدي لتقول:

"لن يحدث هذا الشيء ولن أكون لك ولتفعل ماشنت لا يهمني"

همهم لها بمكر ليضع يديه في جيوبه ويمشي عدة خطوات بعكس اتجاهها ويقول بصوت عالٍ نوعاً ما:

"إذا أنتِ اخترتِ الحرب وأنا جاهز"

استدار لها ليقول بمكر وهو يشير بسبابته على شيء ما في زاوية السقف:

"أترين هذه الكاميرا، هذه الكاميرا سجلت كل شيء وسجلت كيف كنت أقبلك وكيف كنت تبادليني"

نظرت له بعينان جاحظة لتستدير وترى الكاميرا المعلقة في الأعلى وقد كانت صغيرة، تقدم منها ليقف ورائها ويقول لها وهو يلوح بيده أمامها:

"ابتسمي للكاميرا ولوحي بيدك هيا عزيزتي"

ترقرقت عيناها بالدموع لتقول:

"لما تفعل كل هذا"

قرب وجهه من وجهها ليتحدث ضد شفيتها:

"سأفعل أشياء كثيرة من أجل الحصول عليك حبيبتي وليس بعيد أن أقتل خالتك إن ظللت على عنادك"

نظرت له بحدة وتحدثت بصراخ وهي تعود للخلف:

"ما الذي تريده مني، أنا في عمر ابنتك أيها الأحمق"

اقترب منها ليمسكها من شعرها ويقول بحدة:

"اسمعيني جيداً إن ظللت على عنادك صدقيني سأريهم هذا الفيديو الذي سجلته الكاميرا وسأري الجحيم لخالتك، افهمي واعلمي بأنني أنا مازلت أتحدث معك بروية ولم أستخدم العنف معك وأحدثك لكي تقتني بي وبحبي لك ولكن إن ظللت على عنادك سأفعل ما لا يرضيك وستكونين لي رغباً عن أنفك"

ابتعدت عنه بعنف لتقول بصراخ وعينان جاحظة:

"وأنا لن أكون لك، ساموت ولن أكون لك هل تسمعني"

جملتها الصغيرة هذه هي التي قسمت ظهر البعير، أظلمت عيناه وقلبه يطرق بعنف متخيلاً حياته بدونها، مستعيداً تلك الذكرى المشؤومة تندهم تخلت عنه عبير، والدة سارة، التي هي نسخة عن أمها، ليس بشكلها وجمالها فقط، بل بطباعها وتصرفاتها وعنادها أيضاً، لا وألف لا لن يكون على قيد الحياة بدونها، سيلقنها درساً قاسياً كي لا تنطق بكلماتها هذه بعد الآن، رأت في عيناه تلك النظرة المميته وظل يقترب منها بينما هي تعود للخلف والخوف متمكن منها، مرر يده على وجنتها ليقول:

"أنتِ التي جنيتي على نفسك"

حملها بين يديه وتوجه بها إلى غرفة النوم، دخل بها إلى الغرفة ليرميها بعنف على السرير ويقترب منها شيئاً فشيئاً إلى أن أمسكها بقسوة وبدأ يمزق لها ملابسها، بينما هي تصرخ وتبكي لابتعاد عنها ولكنه لم يكن يستمع لها، جملتها الأخيرة كانت تتردد في عقله وهو يكاد يجن من فكرة ابتعادها عنه أو موتها، مزق لها ملابسها وأصبحت ملابسها كالخرق البالية عليها، بكت بحرقة لتقول ببكاء:

"أرجوك لا تفعل بي شيئاً أرجوك"

ابتسم بشر ليقول:

"ألسني أنتِ من تريدين الموت حسناً لكِ هذا، سأقوم باغتصابك ومن بعدها سأقتلكِ مارأيك"

احتد بكائها لتحرك رأسها رافضة وتقول بتقطع:

"لا تفعل لي شيء أرجوك ابتعد"

ابتسم بمكر ليقول بهمس وهو يقرب وجهه من وجهها:

"أتعلمين شيئاً أنا لي غاية كبيرة في هذا الشيء الذي أفعله بكِ وستعلمين ما هو بعد قليل"

همهم في آخر جملته ليلعق شحمة أذنها ومن ثم امتلك رقبتها ليطلع علامات ملكيته عليها، ابتعد ليقبلها بوحشية وتنزف شفاتها، ظل يصب رذيلته عليها فقط دون أن يؤذيها، لا يفعل شيء سوى اللمسات والقبلات وتحسس جسدها.

بعد وقتٍ قصير نوعاً ما ابتعد عنها وهو ينظر لحالتها المزرية بتشفي، كانت ثيابها ممزقة وأثار أصابع على يديها ورقبتها مليئة بالعضات وعلامات الحب وشفاها حمراء كالدّم، ابتسم بسخرية ليتحدث بمكر:

"منظركِ هذا كفيل بأن يجعل إياس يبتعد عنكِ ويترككِ"

بكت بحرقة وانتحبت بشدة لتراه يخرج من الغرفة وهو يأخذ سترته، خرج سامح من المنزل بأكمله ليوجه أوامره للحارس ومن ثم يتوجه إلى منزله.

دخل إلى المنزل ليرى الجو مليئاً بالتوتر والقلق، ابتسم بمكر وقد علم ما شأن قلقهم ليعتقد حاجبيه بقوة ويقول:

"ما بكم ماذا حدث"

تحدثت ماسة بقلق ونبرة باكية:

"أبي سارة مختفية منذ زمن ولا نعلم عنها شيء وهاتفناها أكثر من مرة ولكن هاتفها مغلق"

تحدث بقلق مصطنع:

"كيف حدث ذلك وأين ستكون مثلاً"

تحدث إياس بقلق وخوف:

"لا أعلم أبي لا أعلم أنا خائف عليها كثيراً"

تنهد سامح بقوة ليقول مهدئاً ابنه:

"لا تقلق بني ستعود حتماً، هل ذهبت إلى منزلها"

حرك رأسه موافقاً ليقول:

"ذهبت إلى منزلها وذهبت إلى الصيدلية وليس لها أثر"

تدخلت جدياء في الحديث:

"حسناً ربما أنت خالتها وذهبت لاستقبالها في المطار"

أجاب إياس بقلق:

"لا أمي فأنا بالأمس تحدثت مع خالتها وقالت بأنها ستعود بعد يومان"

سامح بانفعال:

"إذاً أين ذهبت الفتاة"

زفر إياس بقوة وهو يمسح على وجهه وظل شارداً الذهن لوهلة ينظر للفراغ بشرود، وجه نظره لخلود بعد قليل لينظر لها بشك ومن ثم تقدم بخطواته تجاهها وقال بشك:

"أتعلمين أين سارة ياخلود"

نظرت له نظرة بريئة لتقول:

"ومن أين لي أن أعلم أين سارة صدقي لا أعلم أين هي"

رفع حاجبه ليحدثها بحدة:

"ولكنني أعلم كم أنك فتاة حقودة وتكرهينها، ليس بعيد بأن تقومين بأدبها"

مثلت على أنها تبكي بحضن خالتها لتقول:

"خالتي أرايتي كيف يعاملني ابني؟ أسمعني كيف يتهمني بشيء لا ذنب لي به! صدقيني لا شأن لي باختفائها"

طببت عليها خالتها لتقول معاتبة ابنها:

"إياس هذا عيب وما شأن خلود باختفاء سارة"

تحدث إياس بانفعال:

"أمي لا تعلمين شيئاً عن هذه الخبيثة، هي تكره سارة كثيراً ودائماً تدبر لها المكائد"

زفرت جيداً بقوة وظلت تطبب على خلود التي كانت تمثل البكاء بينما سامح كان يراقب الوضع بصمت وداخله سعادة لا توصف، زفر إياس بقوة ليقول:

"سأذهب لأسئل عنها صديقاتها لربما إحداهن يعرفن عنها شيئاً"

حرك سامح رأسه بإيجاب وقبل أن يخطو خطوة واحدة قرع جرس المنزل، ركض إياس متوجهاً ليفتح الباب وما إن فتح الباب حتى جحظت عيناه من هول ما رآه، فقد كانت سارة واقفة أمامه بوهن وملابسها ممزقة وحالتها مزرية وما إن تقابلت عينها بعيناه حتى سقطت أرضاً مغشياً عليها، لم يسندها إياس ولم يفعل لها شيئاً وإنما ظل مصدوم ولم يستفيق من صدمته بعد، صرخ به والده الذي لحق به ليحمل سارة ومن ثم توجه بها إلى غرفته وطلبوا لها الطبيب ليأتي الطبيب فوراً، بعد الفحص والكشف تبين له كل شيء وخرج لهم ليقول بجديّة:

"في الحقيقة الفتاة متعرضة للتحرش ولا أستطيع الحكم عليها وإخباركم إن كانت مازالت عذراء أم لا، يجب عليكم أن تأخذوها إلى طبيبة نسائية، أما بالنسبة للدوار فهذا شيء طبيعي لقد هبط ضغطها وتعرضت لضغط شديد، لقد أعطيتها حقنة وسترتاح عليها الآن وتنام"

ظلوا متصنمون في مكانهم جميعاً ما عدا سامح الذي كان يبتسم بالخفاء بمكر، فهذا ما يريد أن يصل إليه، لقد فعل فعلته ومن ثم أمر الحراس أن يجلبوها إلى منزله بعد أن يصل بدقائق وهذا ما حدث، إذ أن سامح أراد أن تظهر سارة بهذه الحالة أمام إياس لكي يوهمه بأن أحد تحرش بها ولم تعد فتاة نظيفة ويجب عليه تركها، والآن سيبدأ السيناريو المهم والذي بدأ به سامح مخرجاً ابنه من صدمته ليقول له:

"ما الذي ستفعله معها إياس"

ابتلع إياس ريقه وعيناه مترقرقة بالدموع ليحرك رأسه رافضاً ومن ثم أغمض عيناه بألم ليتوجه إلى غرفته دون أن ينطق بحرف، هذه القصة لم تعجب السيدة جيداء إذ أنها لن تقبل بزوجة ابن كسارة إن كانت تعرضت للأغتصاب، أما ماسة كانت تبكي بصمت وشفقة على حال سارة، بينما خلود كانت تبتسم بتشفي ومكر لتتظر لسامح بابتسامة منتصرة ليبادلها النظرة ويغمز لها بمكر.

مر هذا اليوم العصيب بسلام ولم يضاف عليه أي شيء، هناك من كان يبكي وهناك من كان يخطط وهناك من كان حزين على سارة وهناك من كان جامد المشاعر مصدر القرار بعد أن يكتشف إن كانت سارة عذراء أم لا.

ظل إياس مشغول البال من هذه القصة التي حدثت مع سارة، لا يعلم ماهي مشاعره تجاهها في هذه اللحظة، ظل يفكر ويفكر إلى أن قرر بانتظارها لكي تستفيق ومن ثم سيفهم منها كل شيء وعلى أساسه سيقدر بعلاقته معها.

صباح مليء بالجو المشحون والنظرات المختلفة، فقد كان الكل مجتمع في صالة المنزل وسارة من بينهم وهي جالسة تنظر للفراغ بشرود وجمود، حمم إياس ليجذب انتباهها ويقول:

"سارة أخبريني ما الذي حدث معكِ هيا تحدثي"

نظرت له بعينان مترقرقة بالدموع ولم تجيبه لتتدخل جيداء بالحديث وتقول:

"سارة اسمعيني جيداً يجب عليك أن تحدثينا بكل شيء، من هو الذي تعرض لك ولما كنت بهذه الحالة بالأمس، يجب علينا أن نتأكد من عذريتكِ أيضاً"

نظرت لها بصدمة وعينان دامعة لتحرك رأسها بخفة رافضة، وجهت نظرها لسامح الذي كان ينظر لها بجمود ولا يبدو عليه أي شيء من الارتباك أو التوتر أو ماشابه، وجهت نظرها لإياس لتناظره بنظرة راجية فهو الوحيد الذي سيفهمها، زفر إياس بقوة ليمسك يدها ويقول بهدوء:

"تحدثي سارة، ما الذي حدث معكِ ومن الذي فعل بكِ هكذا هيا قولي"

ابتلعت ريقها ولم تتجرأ على الاعتراف بفعلة سامح معها، بللت شفتيها لتقول:
"لا أعلم"

نظرت لها جيذاء باستنكار وقالت:

"كيف لا تعلمين! إذا أنتِ فقدتي عذريتكِ وهذا لا يناسبنا أبداً عزيزتي"

نظرت لها بصدمة لتقول:

"لا لا، لا يوجد شيء من هذا القبيل صدقيني عمتي"

تنهدت جيذاء بحدة لتقول:

"إذا ماذا هيا تحدثي، أو انتظري لا تتحدثي سأخذكِ إلى الطبيبة وسنعلم عندها كل شيء"

نظرت لها بحزن ولم تتفوه بكلمة، ظل إياس ينظر لها بجمود لينتبه إلى العلامات الموزعة على رقبتها، نظر لها بكره ومن ثم أشاح بوجهه عنها ليقول بجمود:

"أنا معكِ أُمي خذيها إلى الطبيبة ودعيها تقوم بفحصها"

ابتسمت جيذاء بانتصار بينما سارة جحظت عيناها وهبطت دموعها بصمت، كل هذا كانا يتابعاه سامح وخلود بصمت وسعادة داخلية كبيرة، أرادت جيذاء أن تتحدث ولكن هناك صوت أتاها لمرأة جميلة رغم كبر سنها ذات ملامح حادة وواثقة، تحدثت تلك المدعوة خديجة بحدة:

"هذه الفتاة لن يكشف عليها أي أحد"

نظر الجميع للصوت الآتي من الخارج ليروا أمامهم خديجة شقيقة سامح والأكبر منه، نهض إياس ليلقي التحية عليها كحال ماسة بينما جبداء كزت على أسنانها ونهضت لتلقي عليها التحية ببرود، ابتسمت خديجة ببرود لتقول:

"أوه جبداء زوجة أخي الكبيرة كيف حالها"

احتقن وجه جبداء وأشاحت بوجهها عنها وعادت إلى مكانها، فعلتها هذه لن تصمت عنها خديجة وستري جبداء الجحيم لأنها هي بالأساس قد أتت خصيصاً من أجلها، لإن خديجة امرأة متعالية لا تحب الخطأ وتحب النظام والهدوء، تضحك بخفة وهدوء، تمزح بالمعقول وتعطي كل شيء حقه، امرأة ارسقراطية جميلة ذات حسب ونسب وذات جمال وملامح فاتنة برغم عمرها الذي قارب على منتصف الخمسين.

مشت بخطواتها متوجهة لسارة لتتنظر لها من رأسها إلى أخمص قدميها ببرود وتقول:

"ما اسمك"

تحدث سارة بخفوت وصوت مبجوح:

"سارة"

هممت لها خديجة لتقول:

"اسم جميل، أنا أدعى خديجة وأنا التي ستكون واقفة بصفك وتدعمك وتدافع عنك من أي أحد لا يريدك في هذا المنزل"

أنهت جملتها لتتنظر للجميع بتعالي وتقول:

"كلامي واضح"

ابتسم سامح بسره فها هي منقذته قد أتت، توجه لها ليحتضنها وتبادلته الحضان وهي تنظر لجبداء بمكر ونظرة متوعدة، للحقيقة جبداء امرأة غيورة وماكرة ولكن إن وصلت لسابع سماء لن تصل لمكرها وذكاها ودهائها لخديجة وهذا ما يخيفها منها، ابتعدت عنه لتعيد نظرها لسارة التي كانت تنظر بحزن للاشيء وتقول لها:

"ما الأمر"

نظرت لها سارة بأعين دامعة وراجية لتبتسم لها خديجة بدفئ وتطبطب عليها، هدأتها وأجلستها ونهضت لتتوجه بخطواتها نحو خلود مصدررة صوت بطرقة كعبها، نظرت لها بحاجب مرفوع لتقول بتقزز وهي تشير بسبابتها أمامها:

"هذه الفتاة ماذا تفعل هنا"

نهضت جيداء بعنف لتقول:

"لا شأن لكِ بابنة أختي ياخديجة"

نظرت لها ببرود لتتوجه لها وتقول بحدة:

"كلمتان ولن أزيد عليهما أخرجي هذه اللعينة من منزل أخي وإلا أخرجتك أنت. وهي بالغضب هل تفهمين، لا تدعيني أتسبب بخراب بيتك"

نظرت لها بعينان جاحظة ليتدخل إياس ويقول:

"عمتي اهدأي قليلاً، أنا لا أمانع برحيل خلود من هنا ولكن لو سمحتي لا تتحدثي مع أُمي بهذه الطريقة"

ابتسمت بسخرية لتقول له ببساطة:

"وما الذي حدث لعقل أمك، انظر يا ابن أخي ألا ترى كم كبرت وهرمت، تحتاج لتغيير ويحتاج أخي لزوجة أخرى غيرها فهي قد كبرت جداً وأخي مازال في عز شبابه"

نظرت لسامح بمكر ليبتسم من عيناه ومن ثم نظر ببرود، وجهت نظرها لسارة التي كانت واقفة تتابع الحديث بصمت وتقول:

"انظر سامح ما رأيك بسارة، لما لا أزوجك بفتاة بعمرها"

نظرت لها جيداء بصدمة لتقول:

"ما الذي تقولينه أنت، هل تريدين أن تزوجينه لفتاة بعمر ابنته"

ضحكت ضحكة هادئة ورزينة لتقول:

"وأنت عندما كنتي معيدة في الجامعة وتزوجتيه من بعدها ألم تشعرني بأنه صغير عليك"

نظرت لها جيداً بحدة لتتحدث من بين أسنانها:

"خديجة لا تلعب بالنار"

نظرت لها بسخرية وتحدثت بهمس:

"اصمتي لإنك تعلمين بأن كلمة واحدة مني وستكونين في منزل أهلك مع ورقة طلاقك"

أنهت جملتها لتتوجه وتجلس بجانب سارة، ابتسمت لسامح بمكر ونظرت له بثقة وحركت رأسها موافقة بمعنى أن ذوقك رفيع، بادلها النظرة والابتسامة لتتحدث خديجة:

"إذاً لماذا تريدان أن تعرضان سارة على الطبيبة أنت والدتك أيها الجاهلان"

احتدت نظرة جيداً بينما إياس قال بهدوء:

"يجب عليها أن تذهب إلى الطبيبة فقط"

همهمت له خديجة وهي تشعل سيجارتها الرفيعة لتتحدث جيداً بتحدي:

"سارة ستذهب إلى الطبيبة وسنكشف عليها إن كانت عذراء وإن لم تكن عذراء فستنتهي علاقتها بابني"

ضحكت خديجة برزاة لتقول:

"ستنتهي علاقتها بابنك المدلل لتبدا علاقتها مع زوجك الاصغر منك"

جحظت عينان الجميع ولم يصدقوا ما سمعوا، حتى سامح لم يصدق جرأة شقيقته، تحدثت جيداً بجنون:

"ما الذي تهدين به أنت"

تحدثت خديجة ببرود وتحدي:

"كما سمعتي، إن انتهت علاقة سارة بإياس فستبدأ علاقة سارة بسامح والذي أقوله سوف ينفذ"

تحدث إياس بحدة:

"عمتي هذه خطيبي وهي بعمر ابنته كيف تتحدثين بهذا الشكل"

تحدثت جيداء متدخل في الحديث:

"كلامه صحيح وهذا الأمر عائلي وسارة سوف تذهب للطبيبة شنتي أم أبيتي"

نهضت خديجة بعنف لتقول:

"سارة لن تذهب إلى أي مكان لإنني أعلم ما الذي حدث معها، وغير ذلك قبل أن تتأكدي من عذرية خطيبة ابنك إذهي واكتشفي إبنة الساقطة إن كانت عذراء أم لا" ..

"بعد العاصفة يأتي المطر"

وبعد الغيوم تشرق الشمس"

كان جالس في مكتبه وهو شارد الذهن وتحديداً عند تلك الجلسة التي انتهت بالشجار والمشاحنات والغضب، حقاً لم يكن يتوقع هذه الجراءة من شقيقته، الآن وبعد كل شيء هي من ستكون منفذته وهي من ستساعده في كل شيء، لا يعلم لما لوهلة سرح في الماضي عندما تعرف على جيداء وتقربا من بعضهما ومن ثم دخلا في علاقة حميمية، في الواقع جيداء كانت ذكية جداً فهي كانت تعلم كيف تسلك الطريق إلى قلب سامح، حتى بعد أن اكتشف أنها كانت على علاقة مع شاب من عمرها وحدث الكثير من الأشياء بينهما، فهو كان برأيه أنه لن يكون بينهما زواج فقط العلاقة تلك التي تشبعه بها وتعطيه أكثر مما تأخذ هي منه، ولكن تطلعات جيداء كانت أكبر من علاقة عابرة تقيمها مع سامح فقد كانت تطمح لتدخل عائلة الأزهرى، كانت تعلم أنها ستواجه الكثير من المتاعب، ولكنها دخلت العائلة رغماً عنهم جميعاً، واستطاعت أن تعلق سامح في شباكها، وجعلته يغار عليها جداً، حتى أنه لم يكن يفرق معه ماحدث في الماضي، لقد تقبلها بكل عيوبها.

حتى بدأت جيداء تزرع في قلب سامح بذور الشك والغيرة لتجعله يركض خلفها أينما ذهبت ويتعلق بها أكثر.

لم يتمحور دور جيداء على ذلك فقط وإنما بخبثها ودهائها جعلت سامح كالخاتم بإصبعها لدرجة أنها استطاعت تفرقة عن حبيبته السابقة عبير والتي كانت طالبة عند جيداء أيضاً في وقتها.

لم تكن لتجد أفضل من سامح كما أنها لن تجد شاب ميسور الحال أكثر منه، ففي أثنائها كانت عائلة جيداء على وشك الإفلاس بشركاتهم وعقاراتهم وأعمالهم، وكانت دائماً تفكر في مستقبلها، ماذا إن لم يستطيعوا أهلها في وقتها أن يعودوا إلى وضعهم السابق وللحياة الرغيدة؟ ماذا إن أفلسوا حقاً وأصبحوا أناس بسطاء وفقراء؟ كل هذا كانت تفكر به جيداء وبعقل كبير، وطبعاً هي كانت تعلم كل شيء عن سامح وعن وضعه المادي وأحواله وأحوال عائلته لذلك وفي وقتها وجدت سامح صيداً محرزاً تستطيع أن تستغله لتعيش حياة هنيئة، فهي فكرت ودرست الفكرة مراراً وتكراراً وقد وجدتها ممتازة فسامح كان شاب صغير وفي أوائل العشرينات وأصغر منها ولديه الأموال والسلطة والجاه فما الذي ستريده أكثر من ذلك برأيكم.

عائلة سامح ظلوا على قرارهم ولم يوافقوا على هذه الزيجة ولكن بعد المداولات والقال والقيل والمشاكل التي حدثت والتي أنهكت قوى عائلة سامح وافقوا على زيجته بجيداء وزوجوه إياها ولكنهم لم يكونوا راضيين عن

زواجه، علماً بأن أولاد سامح هم المفضلين لدى العائلة ولكنهم لا يطيقون جيداً لذلك هي أيضاً لا تطيقهم ولا تحبهم.

وبعد كل هذه السنوات التي مرت مازالت جيداً تطمح بزوجها وبأمواله علماً بأن عائلتها استطاعت أن تعود وتبني شركاتها وتزدهر بسرعة كبيرة وهذا كان بفضل السيد سامح عندما تبرع لهم بمبلغ كبير لكي يعيدون ترتيب أمورهم وشركاتهم، وإلى هذا اليوم لم يرجعون له دولاراً واحداً من الأموال، هذه الأفعال لم يقف عندها سامح وإنما تخطى كل شيء لأجل أولاده ونسي كل شيء فهو لا يطمح للأموال ولا يفعل إلا بأصله، كونه كان شاب يافع ومن عائلة مرموقة ومحترمة وليس بعينهم الأموال لذلك قد تربي على هذا الأساس ولم يطالب عائلة زوجته بالأموال، ليس خوفاً منهم وإنما فعل بأصله فقط.

جيداً لم تحب أحد كسامح هي تحبه ولا نستطيع نكران هذا الشيء لا بل تعشقه وتريد الاستيلاء عليه فهي وإلى حد اليوم دائماً تراودها الشكوك بأنه في يوم من الأيام سيهجرها وسيتزوج بأخرى بعد ما سيرها كيف كبرت وهرمت، لذلك هي دائماً تراقبه وتحفظه عن ظهر قلب ودائماً ماتهتم بنفسها لأجله ولكي تظل في عز صباها ولكن كل الذي تفعله بنفسها لكي تكون جميلة لن يظل ولن يدوم، فالعمر له حقه.

بعد كل هذا الكلام مؤكداً بأنكم ستقولون بأن سامح ليس لديه شخصية ويخاف من زوجته وعائلتها ولكن لا، فسامح ذلك الرجل المثقف والواعي والوسيم لا يخاف أحداً ولا يفعل حساب لأحد، هو رجل فطن وداهية ويستطيع تدبير أمور نفسه ويفعل الذي يحلو له، وأكبر مثال بأنه هو يفعل المستحيل لكي يكسب سارة ويأخذها إليه ولن يسأل إن أصبح أمره مكشوف أمام زوجته وأولاده، هو متحكم في أهل بيته وله كلمة على أولاده وزوجته ولا يستطيع أي منهم أن يفعل شيء دون إذن من سامح، كما أنه هو لم يعد يحب زوجته كما السابق، لا يعلم في السابق أكان هذا حباً أم جهل أم إعجاب أم سذاجة لا يعلم، كل ما يعلمه بأنه لم يعد يحب زوجته ولا يمت لها للحب بصلة، ولكنه مازال يساير فقط لأجل أولاده ومن أجل عشرة العمر التي بينهما.

خديجة شقيقة سامح كانت تكن لجيداً الحصة الأكبر من الكره والمقت، خديجة تلك المرأة المثقفة والجميلة والفتنة تستطيع أن تقلب حياة جيداً رأساً على عقب ولكنها كانت تصمت فقط لأجل أخيها الذي كان يحذرهما من افتعال المشاكل لزوجته، هي تعلم كل شيء عن جيداً منذ أن كانت شابة وحتى الساعة، تعلم كل صغيرة وكبيرة عنها كما أنها تعلم علم اليقين بأنها تحب أخيها حباً جماً وتعشقه وإن ابتعدت عنه ستتهار كلياً وهي هذا ماتعمل عليه منذ زمن وفي الوقت الراهن.

وبينما سامح كان شارداً ذهن وغارق في دوامة أفكاره في الماضي والحاضر، دخلت عليه خديجة لتناظره ببرود ومن ثم تقدمت وجلست مقابلة له لتقول:

"ما الذي ستفعله مع هذه المعنوية زوجتك"

ابتسم ببرود ليقول:

"لقد فعلتي أنتِ فلما افعل أنا"

ابتسمت له بمكر لتقول:

"تعني بأنك ستسلمني القيادة أليس كذلك"

تنهد بقوة ليقول:

"سأسلمك القيادة بشأن سارة وإنما جيداً ابتعدي عنها في الوقت الحالي، يكفي مافعلتبه بها منذ عدة ساعات"

ضحكت برزانة لتقول:

"تستحق تلك الصفحة التي صفعتها إياها"

ابتسم بسخرية ليحرك رأسه موافقاً ويقول:

"ربما تستحق وربما لا، لا أعلم"

بللت شفيتها لتطرق طرفات خفيفة على المكتب وتقول:

"ماذا عن سارة"

نظر لها بقوة ومن ثم ابتسم من عيناه ولم يتحدث، لاحظت خديجة تلك النظرة لترفع حاجبها وتقول بابتسامة:

"مجرد أن ذكرت لك اسمها حتى ظهرت ابتسامتك العاشقة، أووه لا، لا أصدق بأن سامح الأزهرى واقع في الحب ولفناة صغيرة أووه كم هذا جميل"

ضحك ضحكة رنانة ليقول:

"وما المانع ألا يحق لي مثلاً أم ماذا"

ابتسمت ابتسامة ذات مغزى لتقول:

"بل على العكس تماماً أنت الذي يحق لك كل شيء، غير ذلك يحق لك أن تعوض سنين الحرمان التي قضيتها بعيداً عن حبيبتيك عبير، أم أنك نسيت أن زوجتك الشمطاء هي وراء ابتعادك عنها وهجرها"

نظر لها نظرة حزينة وأخفض بصره ليحرك رأسه موافقاً ومن ثم ارجع رأسه للخلف وأغمض عيناه ليسرح
بملامح صغيرته البريئة، بينما خديجة راقبته بابتسامة خفيفة ومن ثم تحولت ابتسامتها إلى ماكرة لتشرود قليلاً
وتتذكر تلك الصفحة التي أنزلتها على وجنة جيداء قبل عدة ساعات والحديث الذي دار بينهم جميعاً..

عندما نطقت خديجة بجملتها الحادة بشأن خلود لم يعد أحد يستوعب ماقالته فقط نزلت عليهم جملتها كالصاعقة،
وخصوصاً خلود التي كانت ترتجف من خوفها، احتدت نظرة جيداء في وقتها لتقترب من خديجة وتقف في
وجهها وتقول:

"ما الذي تتفوهين به أيتها اللعينة ها"

تحدثت خديجة بحدة ونظرة شرسة:

"إلزمي حدودك معي ولا تتفوهين بكلام نافه ومن مستواك، دعي هذه الألفاظ لك ولأمثالك هل فهمتي، وبالنسبة
لكلامي فكما سمعتي عزيزتي إن أردتي أن تأخذين سارة إلى الطيبة فلا مانع أبداً ولكن خلود ستكون قبلها"

احتدت نظرة جيداء أكثر من ذي قبل لتحديثها بثقة و حدة:

"الآن وحالاً ستخرجين من هذا المنزل قبل ان أخرجك بنفسي، خلود ستبقى هنا وأنت التي ستخرجين"

أرادت خديجة أن ترد عليها وتسكتها ولكن ذاك الصوت الجهوري الذي صدح في المكان قد أخرجها من كلتاهما،
تحدث سامح بصراخ وبنظرة شرسة:

"جيداء"

نظرت جيداء لزوجها بترقب ليرد لها بحدة:

"أختي ستبقى هنا ومن لا يريد لها فليذهب هو هل سمعتي"

نظرت له بعينان جاحظة لتقول بصدمة:

"ما الذي تقوله أنت هل ستتخلي عني من أجل امرأة ساقطة مثل أختك ه.."

وقبل أن تكمل جملتها كانت تلك الصفحة هبطت على وجنة جيداء من خديجة، نظرت لها جيداء بعينان جاحظة
وهي تضع يدها على وجنتها لتقول:

"كيف تجرأتي أيتها ال.."

قطعت لها جملتها للمرة الثانية عندما غرزت أصابعها بمعصم جيداء لدرجة أن جيداء شعرت بيدها ستكسر لتقول لها خديجة:

"كفاك كلام تافه مثلك أيتها الوقحة واصمتي قبل أن أفتضح أمرك أمام أولادك، لا تدعيني أعلمهما بحقيقة والدتهما هل تفهمين"

ابتلعت جيداء ريقها وملاح وجهها منكمشة لتنترها خديجة وترتد جيداء خطوتان للخلف، وجهت خديجة نظرها لخلود لترفع حاجبها وتقول:

"يا لك من لعينة رخيصة يا خلود أخبريني كيف كانت ليلة المكتب ها"

ابتلعت خلود ريقها بخوف بينما سامح نظر لها نظرة حادة ورفع حاجبه بمعنى اصمتي لتبتسم له بمكر وتقول لها:

"دقيقة ولا أريد أن أرى وجهك هنا هيا انقلعي"

ظلت خلود بمكانها تنتظر لها بخوف وترقب ولم تستطع التحرك وكأنها شلت من الحركة، نفذ صبر خديجة لتتوجه إليها بخطوات سريعة وتمسكها من يدها وهي تدفعها إلى الخارج لتبتعد خلود عنها وتخرج من منزل سامح سريعاً هاربة منهم جميعاً كي لا يفتضح أمرها أمامهم أكثر من ذلك.

بينما خديجة ما إن رأت خلود قد خرجت من المنزل حتى عادت وجلست بهدوء ورزانة لتقول موجهة حديثها لجيداء التي كانت ومازالت على وقفنها المصدومة:

"إذهبي واصنعي لي فنجان قهوة بنفسك هيا تحركي"

أنهت جملتها بلهجة آمرة وحادة لتتظر لها جيداء بعينان جاحظة ومن ثم احتدت نظرتها لتوجه نظرها إلى سامح الذي كان ينظر لهما ببرود، حرك رأسه لجيداء بمعنى اذهبي لتكز على أسنانها وتتوجه إلى المطبخ، ثواني من الصمت ومن ثم تحدثت خديجة موجهة حديثها لإياس:

"سارة لن تذهب إلى أي مكان وصدقاً إن أخذتها للطبيبة ستنتهي علاقتك بها لتبدأ علاقتها مع أبيك هل تفهم"

أنهت جملتها بحدة لينظر لها إياس بضياح ومن ثم حرك رأسه موافقاً بصمت، بينما ماسة كان كل مايشغل عقلها هو جملة عمتها عندما قالت لأمها لا تدعيني أفتضح امرئ أمام أولادك، هذه الجملة مازالت قابضة في رأسها، حممت ماسة لتبتلع ريقها وتقول:

"عمتي ماذا قصدت بكلامك الموجه لأمي عندما قلتي لها لا تدعيني أفتضح امرئ أمام أولادك، ما الذي تخفينه عنا أنتِ وأمي"

نظرت لها خديجة ببرود لتقول:

"والدتك تزوجت والدك فقط من أجل أمواله والحقائق الأخرى سأحدثكم عنها فيما بعد"

حظت عيان ماسة من ماسمته كحال إياس، هما كانا يظنان بأن والداهما تزوجا عن علاقة حب جميلة ولم يعلمان بغير ذلك، انتهت الجلسة على خير ومن ثم كلٍ منهم توجه إلى عمله بينما سارة توجهت إلى غرفتها وأغلقت الباب على نفسها ولم تحبذ فكرة رؤية أحد من بعد كل ماحدث.

استفاقت خديجة من شرودها وعلى محياها ابتسامة مآكرة لتنهض وتخرج من المكتب متوجهة إلى الصالة، دخلت إلى الصالة لترى جدياء وإياس جالسان، نظرت لهما ببرود لتتوجه وتجلس مقابلة لهما ونقول بهدوء:

"لما لم تصنعين العشاء إلى الآن هيا أنا جائعة"

نظرت لها جدياء بحدة لتقول بلؤم:

"ليس لدي عشاء لك إن أردتني انهضي واصنعي لك بنفسك"

ابتسمت خديجة بهدوء لتهمهم وتقول:

"فكرة جيدة ولكن قولاً لي ما الذي توصلتما له بشأن سارة"

تحدثت جدياء بحدة:

"لا شأن لك"

تحدثت خديجة بهدوء:

"توء توء لم نتفق على هذا الأسلوب التافه، إن كنت تعلمتي وتربيتي على هذا الأسلوب عند عائلتك وأهلكِ النصابين وأكلون الأموال فأنا وأخي وأولاده لم نترى على هذا الأساس اتفقنا أيتها العجوز الهرمة"

بدأت جيداء تحتد نظرتها أكثر فأكثر وتفرك بأصابعها بعدم راحة، كزت على أسنانها وأغمضت عيناها محاولة تهدأ نفسها بينما إياس يتابع الموقف ببرود كحال خديجة التي كانت تتابع جيداء ببرود ومكر، تحدثت خديجة بنبرة ناعمة ومائعة:

"أوهه أوهه ما الذي يحدث لك عزيزتي لما لا تتصلين بأختك القبيحة وتطلبين منها أن تجلب لك دواء السكري لكي لا يرتفع عندك ونبتلتي بك عند هذا المساء"

أنهت جملتها بانزعاج لتنهض وتقول بحدة:

"انهضي واصنعي العشاء هيا لم تقدم لك أخي على طبق من ذهب لكي تجلسين هكذا كالصنم هيا يا لك من كسولة أوف ما هذه الحياة"

أنهت جملتها بضجر وخرجت من الصالة لتهبط دموع جيداء على وجنتها بقهر والدم يغلي في عروقها من شدة غيظها ومقتها لخديجة، لم تنتهي من هذا الكلام فحسب وإنما عادت خديجة لتزيد الطين بلة وتقول لها بلؤم:

"اسمعيني جيداً أنتِ وابنيك أعود وأكرر إن تجرأ أحدكم على ازعاج سارة أو إعراضها على طيبة صدقاً سأزوجها لسامح وسأدعها تكون الضرة التي ستحرق قلبك وستجرح قلبك أنت أيها الأحمق هل تسمعاني"

أنهت جملتها بحدة ومن ثم خرجت من الصالة تاركة خلفها اثنان يأكلهما الغيظ والقهر، الآن وبعد كل شيء جيداء يجب أن تفعل أي شيء لكي تزوج إياس بسارة فقط لكي لا تقف بطريقها وتتزوج سامح، جلست جيداء وبدأت تحفر برأس ابنها لكي يتزوج سارة بأسرع وقت وبينما هو يستمع لها بإنصات وانتباه كانت سارة جالسة في غرفتها تقرأ إحدى الكتب، الآن وبعد كل شيء سارة الآن ليس لديها أمل من أحد حتى إياس الذي اعتبرته عشيقها الوحيد قد خذلها، من خلال زيارة خديجة فهمت بعض الأمور وفهمت بأن خديجة لديها سر خطير تخفيه عن الجميع بشأن جيداء كما أنها هي بصف سامح، لقد فهمت كل شيء ولكن ومع هذا لن تتدخل.

ثواني ودخلت عليها خديجة بابتسامة خفيفة بدلتها سارة الابتسامة لتجلس خديجة أمامها وتبدأ بالتحدث معها والاطمئنان عنها، وبينما وهي تحدثها تجرأت خديجة لتسألها:

"هذه العلامات من."

بترت جملتها بتساؤل لتتظر لها سارة بصدمة وتخض رأسها من بعدها بخجل وتحرك رأسها بحزن، تمتمت سارة بخفوت:

"لا أعلم ما الذي يريده مني صدقيني أنا أخاف منه جداً"

ابتسمت خديجة بخفة لتقول:

"ولكن سامح يحبك كثيراً عزيزتي وهو يهوى قريبك ويريدك زوجةً له صدقيني"

نظرت لها بضياح لتقول:

"ولكن أنا خطيبة.."

قاطعتها بكلامها:

"لا يجب عليك أن تفكري بهذه الطريقة نهائياً هل تفهمين، إياس لو كان يحبك لكان صدقك ولم يوافق والدته على ذهابك للطبيبة"

نظرت لها بقوة وحزن وابتسمت بسخرية لتحرك رأسها موافقةً بمعنى أنه معها حق، تحدثت سارة بفضول لتقول:

"بالمناسبة ما سر مقتكما لبعضكما إلى هذا الحد"

نظرت لها بابتسامة وبحاجب مرفوع لتقرب وجهها إليها وتقول بخفوت:

"اسمعي جيداً يافتاة إياك أن تثقين بتلك التي تدعى جيداً لأنها امرأة حقيرة وتافهة صدقيني أنا التي تعرفها جيداً، وفي كلا الأحوال إياك أن تثقي بأي أحد مهما كان"

نظرت لها بتعجب لتقول:

"حسناً إذاً كيف تريدني أن أتقبل أخاك وأثق به"

ابتسمت خديجة باتساع لتقول بإعجاب:

"أنت فتاة ذكية ياسارة ويبدو أننا سنصبح صديقتين برغم فارق العمر الذي بيننا"

ابتسمت سارة بخفة لتقول:

"يسعدني ذلك خديجة هانم"

ابتسمت خديجة وصمتت، أرادت سارة أن تسألها سؤال ولكنها كانت خجلة، تجرأت لتقول سارة:

"هل لي أن أسألك سؤالاً"

حرت رأسها موافقة لتتنظر لها بإمعان وإنصات لترد لها سارة:

"في الحقيقة أنا أعلم بحقيقة خلود وبعلاقتها مع السيد سامح، ولكن لقد تعجبت كثيراً اليوم عندما تحدثتني عن عذريتها مع أنها فقدتها مع السيد سامح فيما أنك تقفين لصف أخاك كيف كنت ستفتضحين أمره"

ضحكت خديجة بصخب وهذه المرة الأولى تضحك ضحكة عالية لتقول:

"يافتاة لا تعودني للغباء ابق ذكية، اسمعيني، صحيح بأنني تحدثت عن عذرية خلود ولكن خلود لم تفقد عذريتها مع سامح لأنها فقدتها منذ زمن مع شاب ملتوي وعديم الأخلاق مثلها ومن نسل لعين، وقصة أنني تحدثت عن عذريتها أمام الجميع فهذا لا يعني بأنني سأفتضح أمر أخي لأن أخي لا شأن له هي فقدت عذريتها من قبل ومع غيره وكانت ليلة عابرة بينه وبينها ولا تستحق التحدث بها وحتى إن اتهمت أخي بهذا الشيء فلا يوجد لديها دليل غير ذلك أنا أفهم لها دائماً بالمرصاد فلذلك لا تستطيع فعل شيء لا هي ولا جيداء"

حركت رأسها موافقة بشرود لتقول:

"ولكن السيد سامح خان الثقة و.."

قاطعتها خديجة بانفعال:

"رجلٌ مثل أخي سامح يحق له فعل كل شيء وغير ذلك هي من رمت نفسها بين يديه وهو لم يطلب منها أي شيء وصدقيني طالما هو مع زوجته اللعينة تلك فسيفعل الكثير من الأشياء إلى أن توافقين أنتِ عليه وتكونين معه عندها سيكتفي بكِ أنتِ فقط"

حركت سارة رأسها موافقة بحزن ولم تتحدث لتبتسم خديجة وتقول:

"اهبطي بعد قليل إلى الأسفل لكي تتناولين العشاء معنا، والدّة خطيبك المعنوهة تحضر العشاء"

ضحكت سارة ضحكة رنانة لتقول:

"بدأت أكرهها يا سلطنة خديجة"

ضحكت خديجة برزانة وغرور وتقول:

"فكري ملياً بشأن سامح لأنه وأقسم لك بأنه يعشقك يافتاة"

أنهت جملتها ومن ثم نهضت لتخرج من الغرفة وهي كانت تسمع صوت دعسات أقدام تبتعد، لم تعلم من ذا الذي من الممكن أن يتنصت لحديثها مع سارة ولكن لا يهمها فليعلموا كل شيء لأنها هي قد ملت عن أخاها، فليذهبوا للجحيم، عائلة الأزهرى تعمل على المكشوف ولا تخاف أحد.

دخلت تلك المرأة إلى غرفتها وهي تلهث بقوة وتتنظر للشيء بأعين زائغة، الآن علمت وفهمت كل شيء، زوجها يحب عليها ويخونها، لا والأدهى من ذلك لقد خانها مع ابنة أختها! يا إلهي كيف حدث ذلك! لطالما كانت جيداً تحذر من ذلك وتخاف لأن يفعل ذلك سامح والآن تكتشف بأن زوجها خانها ويحب عليها أيضاً، ومن؟ ابنة عبيير! عدوتها اللدودة، بنياً لها، حتى بعد مماتها مازالت تمقتها.

لم تكن جيداً تعلم أن سارة ابنة عبيير، لأنها أساساً لم تنتبه لهذا الموضوع نهائياً، لا لا هي لن تصمت ولن تمرر هذا الشيء على خير حتماً، تنهدت بحدة وعيناها تترقرق بالدموع لتتوجه لغرفة ابنها وتدخل عليه فجأة وتقول بحدة:

"يجب ان تفعل ما سأمرك به إياس"

نظر لها باستغراب ليقول:

"ما الأمر أمي"

تنهدت بحدة ونظرت له بقوة، هي مؤكدة بأنها لن تقول له عن حقيقة أبيه فإن علم إياس لن يتزوج سارة وهكذا ستظل سارة عزباء إلى أن يتزوجها سامح وعندها لن تكون جيداً بخير أبداً، كما أن جيداً تعلم بأن سامح يماطل في حفل زفاف ابنه فقط ريثما يجد حلاً لكي يفرقهما عن بعضهما ولكن يجب عليها أن تكون أسرع منه وتتصرف والآن أنتها تلك الفكرة الخبيثة التي ستجعل أموراً تسير على مايرام، لوح إياس بيده أمام وجه أمه ليقول:

"مابك أمي ماذا حدث"

زفرت جيداً بقوة لتتنظر لابنها بحاجب مرفوع وتقول :

"يجب عليك أن تفقدها لسارة عذريتها اليوم"

"رغبتى بكِ كانت ومازالت حقيقة جداً"

لم أكن عندها تحت تأثير أغنية أو نظرة أو ماشابه

كنتُ ومازلتُ أدركُ وأعي بأنى أريدك

بطريقةٍ أعمقُ ممّا أظن وتظنين"

سمع جملتها ومن ثم تملكته الصدمة بحق، ما اللعنة التي تنفوه بها أمه، كان ينظر لها بصدمةٍ وحقاً لم يرى بنظرتها أي مزاح بل استشف من نظرتها كل الجدية والإصرار، ابتسم بسخرية ليقول:

"أمي ما الذي تقولينه أنت"

تحدثت جيداً بحزم:

"كما سمعت إياس ستفعل ما أمرتك به"

تحدث إياس:

"أمي أنا وهي سنتزوج بعد عدة أسابيع فقط وعندها سيحدث كل شيء لما تريدين أن يحدث كل هذا الآن"

نقد صبر جيداً لتقول:

"أيها الأحمق إيفهم، عمك ستفعل أي شيء لكي لا يتم هذا الزفاف ولكن إن أفقدتها عذريتها لسارة عندها لن تستطيع التحدث وستسعى لتزويجك بها بأسرع وقت"

تشتت تفكير إياس بحق فهو لم يعد يفهم على والدته نهائياً، أجابها باستنكار:

"لو كانت عمتي لا تريدين أن أتزوجها لكانت لم تدافع عنها وتقف بصفها"

كزت جيداً على أسنانها لتقول:

"أيها الغبي أنت لا تعلم من هي خديجة، هذه المرأة تريد أن تفتعل المشاكل في هذا المنزل وهي تخطط لشيءٍ ما صدقني"

نفخ إياس خديه ليقول:

"أمي أنا لن أفعل هذا الشيء إلا عندما تصبح سارة زوجتي، وبما أنك تعتقدين بأن سارة قد فقدت عذريتها فما الذي سيفرق مع عمتي وستدعني أتزوجها إن لمستها، فسارة الآن في كلا الأحوال ربما ليست عذراء"

تحدثت جيداً بغضب:

"أيها الغبي أنا متأكدة من عذرية سارة لذلك ستفعل ما أمرتك به"

نظر لها إياس بضياح ولم يعلم بماذا يجيبها لترد له قائلة:

"إن لم تفعل ذلك ستخسر سارة ولن تتزوجها صدقني بني"

نظر لها بصدمة ليقول:

"ولكنني أريد سارة وأريد أن أتزوجها أمي لا أريد أن أخسرها"

ابتسمت بمكر لتقول:

"وعمتك تسعى لإبعادها عنك وإن لم تفعل ما قلته لك ستخسرها صدقني"

تنهد إياس بقوة ليقول وهو يمسح على وجهه:

"سأفكر بالأمر أمي ولكنني لا أعدك بفعلها أنا لا أريد أن أغدر بها بعدما أعطتني ثقتي"

أغمضت جيداً عيناها محاولة التحكم بنفسها لتقول:

"والدك يسعى لإبعادها عنك أيها الأحمق"

نظر لها بصدمة ليقول:

"ولما أمي"

تحدثت ببساطة:

"لأنه لا يريد أن يزوجك الآن ولأنه يريد أن يسمع كلمة أخته فكما تعلم إنه يحبها ولا يرفض لها طلباً"

تملكه اليأس وتنهد بقلة حيلة ليقول:

"حسناً أمي سأحاول أن أتحدث مع سارة لأعرف إن كانت مازالت على قرارها بشأن الزفاف أم لا"

نظرت له بحدة لتصرخ به قائلة:

"أيها اللعين أنا أقول لك أن تغتصبها وأنت تقول لي سأحاول أن أحادثها لما لا تفهم لما"

امتعض بوجهه وظل صامتاً بينما جيداء حاولت التحكم بأعصابها وحاولت أن تهدأ من روعها، تنهدت بقوة لتقول:

"اسمعي إياس كل ما أقوله هو لمصلحتك صدقني بني، يجب أن تفعل ما أقوله لك ومن ثم سنفعل أي شيء أنا وأنت لكي نخرج عمثك اللعينة من هذا المنزل، فإن ظلت خديجة هنا ستشكل خطراً كبيراً عليك ولن تدعك تنزوج سارة هل فهمت"

نظر لها بقوة وظلت كلمات جيداء تتردد في عقله ليحرك رأسه بشرود وبطئ موافقاً، أردفت له جيداء مترقبة:
"هل تعدني بأنك ستفعل ما أمرتك به الليلة"

نظر لها بضياح وابتلع ريقه ليتهد بياس ويقول:
"حسناً"

ابتسمت جيداء ابتسامة نصر ومن ثم طبطبت على كتف ابنها وخرجت وهي سعيدة لأنها ستحصل على مرادها وستحاول بثتى الوسائل أن لا تدع سارة تكون لزوجها وتحافظ عليه ليبقى لها هي فقط.

بعدما خرجت خديجة خرج إياس متوجهاً إلى غرفة سارة، حالما خرج إياس حتى دخلت خديجة إلى غرفته ووقفت في منتصف الغرفة وهي ضامة يديها إلى صدرها وتتنظر للاشيء ببرود.

طرق إياس على بابها عدة طرقات ومن ثم دخل، حالما رآته تنهدت بقوة وأشاحت بوجهها عنه، تقدم منها وجلس بجانبها ليقول:

"كيف حالك"

ابتسمت بسخرية لتتنظر له بسخط ومن ثم أشاحت بوجهها عنه ولم تجيبه، تنهدت بقوة ليقول:
"انا اعلم بأنني لم أف بجانبك ولكن صدقيني كنت.."

قاطعته بقولها:

"كنت بحالة ضياع ولم تفهم شيء في وقتها أعلم، عموماً.."

قطعت جملتها وهي تنتهد لتنهض من على سريرها وهي تمشي بعشوائية في الغرفة، استدارت له ونظرت له ببرود لتقول:

"أنا أعفك من زواجك مني، اطمئن سينتهي كل شيء إياس"

نظر لها بصدمة ليقول:

"ولكن انا لا أريد أن أتركك سارة"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"لست أنت من يستحقني إياس، صدقني هناك أناس دائماً كانوا يحذروني ويقولون لي هذا الكلام ولكنني لم أكن أستمع لهم وكنت أثق بك ثقة عمياء ولكنك لم تكن جدير بثقتي"

ظل ينظر لها بصدمة لتتقدم وتقف أمامه وتردف له:

"لذلك انا لا أريد أن أكمل هذه العلاقة، سنهي كل شيء وسوف أسافر إلى خالتي لأنها قالت لي بأنها محتمل أن تقيم خارج البلاد"

ابتلع ريقه بصعوبة ليمسكها من معصمها ويقول بحدة:

"ما الذي تنفوهين به سارة، المسألة لم تكن مسألة تصديق وثقة، أنا فقط كنت بحالة صدمة لا أكثر"

ابتسمت بسخرية لتتحدث باستنكار:

"وصدمتك تجعلك تسمع كلام والدتك لكي تأخذني للطبيبة أليس كذلك"

أشاح بوجهه عنها عندما سمع بكلماتها ليعاود النظر إليها بندم ويقول:

"صدقيني أنا أحبك كثيراً سارة"

تحدثت ببرود:

"لو كنت تحبني ماكنت ستفعل ذلك، لو سمحت اخرج من هنا لم يعد هناك حديث بيني وبينك"

نظر لها بحدة ليكز على أسنانه ومن ثم ابتسم بشر وحرك رأسه موافقاً وخرج من الغرفة صافعاً الباب خلفه بقوة.

على مائدة الطعام

كان الجميع مجتمع بجو هادئ يغلفه النظرات الكثيرة، منها المتسائلة ومنها الخبيثة ومنها الحادة ومنها الماكرة ومنها الباردة، كانت خديجة تنظر لجيداء بحاجب مرفوع وتبتسم بسخرية بين الحين والآخر بينما جيداء لم تنظر لخديجة وإنما كل أنظارها كانت موجهة لسامح، تنظر له بعتاب وغضب وقهر ولكن سامح لم يعيرها أي اهتمام ولم ينظر لها حتى وإنما ظل يتابع أكله بصمت، أما إياس فكان ينظر لسارة بحدة ويحرك رأسه بتوعد وهو عازماً على تنفيذ كلام امه فبهذه الطريقة فقط سيكسب سارة، بينما سارة كانت تنظر لطعامها ولم تلتفت لأي أحد، جو مليء بالتوتر حقاً، حممت خديجة لتقول موجهة حديثها لجيداء:

"ماذا جيداء، ماهي المصيبة الجديدة التي كنتي تدبرينها أنتِ وإياس"

نظرت لها بتوتر كحال إياس الذي ابتلع ريقه بتوتر حالما سمع جملة عمته لتقول جيداء ببرود:

"دعيني وشأني لا أدبر لأي مصيبة"

ضحكت خديجة برزانة لتحرك رأسها موافقة وصمتت، بينما الجميع كان ينظر لجيداء وخديجة بتساؤل ولكن اثنتاهما لم تعير أي أحدهم أهمية.

الساعة الثانية صباحاً

كان إياس خارجاً من غرفته متسللاً على أطراف أصابعه ومتوجهاً إلى غرفة سارة، حالما وصل إلى أمام باب غرفتها أدار مقبض الباب بهدوء ولكنه كان مقفل بإحكام، عقد حاجبيه بغضب ليطرق عدة طرقات على الباب ولكن ما من مجيب، تنهد بحدة ليتحدث بصوتٍ خافت:

"سارة افتحي الباب أريد التحدث معك"

كانت سارة تستمع له من الداخل وتعلم بأنه سيأتي إليها ولكنها هي لم تشأ رؤيته أبداً، ظل إياس يطرق على بابها طرقات خفيفة ويحدثها ان تفتح ولكن سارة كانت جالسة على سريرها ضامة ركبتيها إلى صدرها متجاهلة نداءاته وطرقاته أيضاً، تملك اليأس من إياس ليعود أدراجه إلى غرفته وحالما دخل حتى وجد والدته منتظرة إياه ليقول:

"مقفلت الباب على نفسها"

ابتسمت بمكر لتقول:

"إذا ستأخذها غصباً عنها غداً إلى منزلي أنا وتفعلها معها، قم باختطافها عندما تخرج من الصيدلية"

نظر لها بقوة لترد له بتحدي:

"إن كنت تريدها ستحصل عليها بهذه الطريقة إلى الأبد"

حرك رأسه باستسلام وظل شارداً الذهن بينما والدته خرجت من الغرفة متوجهة إلى غرفتها.

صباح اليوم التالي

كان الجميع مجتمع على مائدة الفطور، كانت سارة مرتدية ثياب المنزل ولم ترتدي ثياب الخروج، عقدت حاجبها جيداً بخفة لتقول بلطف:

"عزيزتي سارة أئن تذهبين إلى عملي"

نظرت لها سارة ببرود لتقول:

"لا"

حدثتها جيداً بلطف أكبر:

"لما عزيزتي إذهبي وسترفهين عن نفسك وتشغلين نفسك بالعمل"

نظرت لها سارة ببرود أكبر لتقول:

"ليس لي مزاج ولا أنوي الخروج اليوم"

همهمت لها جيداً بحدة بينما خديجة كانت مستمعة للحديث باستمتاع، تنهدت جيداً بحنق لتقول بابتسامة:
"حسناً إذاً سنذهب اليوم أنا وأنتِ وماسة وإن أردت السيدة خديجة ستذهب معنا لكي نتسوق ونجهز لزفافكِ أنتِ وإياس"

أنهت جملتها بلطف بينما سارة ابتسمت بسخرية لتقول ببرود وهي تهم بالنهوض:
"لن يحدث هذا الزفاف وإقامتي لن تطول هنا، عن إذلكم"

أنهت جملتها وتوجهت إلى غرفتها تاركة الجميع بحالة من الهرج والمرج وخصوصاً إياس، ابتلع إياس ريقه بصعوبة بينما جيداً احتدت ملامحها، أما عن سامح فا ابتسم بسرره كحال خديجة فهما هي خطتهما تمشي على الاتفاق وكما يريدان، ولنأتي للواقع كلام سارة لم يعجب ماسة أبداً وامتعضت كثيراً بوجهها لتقول بانزعاج ولؤوم:

"لا أعلم على ماذا تتحملونها وتحملون برودها وحنقها، إن لم تكن تريد إياس فهناك ألف فتاة تتمناه وتتمنى أن تحمل لقب عائلتنا"

تنهدت خديجة بقوة لتقول وهي تهم بالنهوض:

"لا تثرثرين كثيراً أيتها الصغيرة، عند الساعة الثالثة ظهراً أريد الجميع مجتمعاً في صالة المنزل"

أنهت جملتها وتوجهت إلى غرفتها، وجهت جيداً نظرها لسامح لينظر لها ببرود ومن ثم أشاح بوجهه عنها، أنهى طعامه وتوجه إلى عمله بينما جيداً ظلت شاردة الذهن والقهر ينهش بها، أما عن إياس فكان أكثر شخص منغاض ومحتد الملامح، انتهت هذه الجلسة على خير وكل منهم توجه إلى وجهته وبقيت سارة وخديجة في المنزل.

عند الساعة الثالثة ظهراً

كان الجميع مجتمعاً في صالة المنزل وكانت خديجة جالسة في الوسط وفي صدر الصالة، وبينما كانت جيداً جالسة تراقب نظرات خديجة وهي تبتلع ريقها بين الحيات والآخر، تحدث سامح:

"ما الأمر أختي لما طلبتي منا أن نجتمع"

ابتسمت بمكر وهي تنظر لجيداء لتقول:

"ستعلمون الآن جميعاً"

أخرجت خديجة هاتفها لتفتح على تسجيل الصوت والذي كان تحديداً تسجيل الصوت بين إياس وجيداء عندما كانا يتأمران على سارة، كما أنها فتحت على التسجيل الثاني بعد أن انتهت أول محادثة بين إياس وجيداء وقد كان التسجيل الثاني عندما كانت جيداء منتظرة ابنها في غرفته حينما كانت سارة مقفلة على نفسها الباب.

ظل الكل متصنماً في مكانه يستمعون للتسجيل بصدمة حتى إياس وجيداء صعقوا من الأمر وسخنت أجسادهم وتملكتهم الصدمة بحق، حتى سامح لم يصدق ما سمعه فخديجة لم تحدته عن أي شيء وظلت تتابع الموضوع بنفسها.

في الواقع خديجة عندما سمعت صوت خطوات تبتعد وتحديداً عندما خرجت من غرفة سارة علمت بأن جيداء من كانت تسترق السمع وتتنصت عليهما، وكما حدثتكم كم أن خديجة امرأة فطنة وداهية لذلك علمت بالخطوة التي ستأخذها جيداء لذلك توجهت إلى غرفة إياس ودخلت عليه وبدأت تتحدث معه بشكل طبيعي ووضعت مسجلاً بمكان بعيداً عن أنظاره وبحيث يصل صوت جيداء وإياس ويسجل المسجل كل شيء، وبعدما خرج إياس من غرفته دخلت وأخذت التسجيل وفي حينها استمعت إلى كل شيء وعلمت بمخططهما لذلك طلبت من سارة أن تقفل على نفسها الباب وبالفعل هذا ما حدث، عادت الكرة مرة ثانية خديجة ووضعت المسجل في غرفة إياس في الليل بحيث تريد أن تسمع ما الذي سيقوله إياس ووالدته وتحديداً عندما رأت بأن جيداء منتظرة إياس برواق المنزل في الأعلى فجيداء كانت مراقبة للوضع وأيضاً خديجة كانت مراقبة للوضع وواقفة لهما بالمرصاد.

دقائق من الهرج والمرج وإلى الآن لم يستفيقوا من صدمتهم، وجهت سارة نظرها لإياس الذي كان ينظر للاشياء ببرود وشرود، بينما سامح نظر نظرة مميتة لجيداء وتوعد لها بالجحيم، أما عن جيداء فكانت تبتلع ريقها بين الحين والآخر بخوف، ماسة كانت ومازالت الصدمة ملجمة عليها بحيث لم تستوعب بأن والدتها سيخرج منها كل هذا، خديجة كانت تراقب صدمة الجميع باستمتاع وخصوصاً جيداء وإياس، وقفت خديجة في المنتصف لتتحدث بتعالى وحزم:

"جيداء ستخرج من هذا المنزل"

نظرت لها جيداء بعينان جاحظة لتقف أمامها وتقول:

"أنتِ لا تستطيعين أن تبعدين عن زوجي وأولادي عل فهمتي"

ابتسمت خديجة بسخرية لتقول:

"لو كنتي زوجة وأم مثالية حقاً لما كنتي تأمرتي أنتِ وابنكِ على فتاة بريئة ليس لها ذنب، لو كنتي تستحقين أخي كنتي اكتسبتيه بالعدل والإنصاف وليس بخطئك الخبيثة، لو كنتي امرأة تستحق التقدير لما كنتي فعلتي ودبرتي وأمرتي ابنكِ بأن يفقد سارة عذريتها، على الأقل كنتي اعتبريها كابنتكِ، ولكن بما أنكِ رضيتي بهذا الشيء على بنات الناس فمؤكد بأنكِ سترضين بهذا الشيء على ابنتكِ في يوم من الأيام وهذا الشيء لا يشرفنا لإن ماسة

وإياس أولاً وآخرأ هما أولادنا ومن عائلة الأزهرى، ولكن أتعلمين أعلم بأنك امرأة ساقطة وتافهة ومن عائلة سارقة ونصابة لذلك لن أعاتبك"

تستمع لكلامها بصدمة ممزوجة بالحدة، لم تصدق بأن خديجة ستهزمها فجيءاء لم تهزم طيلة حياتها بل على العكس كانت دائماً عندما تخوض حرباً هي من تربع وتكسب في الآخر، ومع ذلك هي لم تقطع الأمل ولن تدع نفسها تخسر أمام خديجة، أردفت خديجة بصرامة:

"إياس لن يتزوج سارة وبنفس الوقت سارة لن تخرج من هذا المنزل لإنها وبكل بساطة."

قطعت جملتها لتمرر نظرها للجميع بينما الجميع مترقباً كلامها الذي يؤكد سينزل عليهم كالصاعقة لتكمل جملتها قائلة:

"ستصبح زوجة أخي"

إلى هنا وجيءاء لم تعد تستطيع التحمل لتنفجر بوجه خديجة قائلة:

"أساساً أنا أعلم بأن هذا ماتسعين له، أن تقربين سامح من سارة أليس كذلك؟ تريدين إبعاد زوجي عني لإنك تكرهينني، وأيضاً زوجي المصون أحب فتاة بعمر ابنته وهو من يسعى ليصل إليها أيضاً أليس كذلك؟ فما هي ابنة حبيبته السابقة وحبه الأول قد كبرت ونضجت صحيح"

نزل كلام جيءاء على إياس وسارة وماسة كالصاعقة، بينما سامح وخديجة لم يرف لهما رمش، نظرت جيءاء لسامح بحدة لتقول:

"انت تريد سارة لإنك تحبها وأنا أعلم بكل شيء وأعلم بأنك أنت من اختطفها وقام بالتحرش بها"

نظر لها ببرود وظل صامتاً ولم يتحدث، بينما إياس تدخل ليقول بذهول:

"أمي ما الذي تقولينه أنت"

أجابت بحدة:

"كما سمعت، والدك هو من اختطف سارة منذ يومين لذلك أنا طلبت من إياس أن يفقد سارة عنريتها لإنني أريد الحفاظ عليك أريدك أن تبقى لي وحدي هل فهمت سامح"

أنهت جملتها بصراخ بينما سامح لم يرف له رمش بل ظل على بروده وجموده، تدخلت خديجة بالحديث لتقول:

"ونحن لن نظلمك وسامح لن يطلقك فقط من أجل أولادك ولكن سامح من حقه أن يرى حياته ويتزوج من أخرى خاصة إن كانت زوجته مثلك، امرأة مدبرة للمكاند وغير ذلك لا تخاف على أعراض بنات الناس، والأهم من هذا كله هو أنك أنتِ السبب بإبعاد واددة سارة عن سامح منذ سنين مضت"

صرخت جيداء بأعلى صوتها:

"ما الذي تتفوهين به أنتِ أيتها اللعينة، لم تخلق بعد التي سوف تأخذ زوجي مني هل فهمتي، أقسم لك انني سأقتلها أجل سأقتلها ولن أدعها تأخذه مني"

ابتسمت خديجة بسخرية لتهم بالحديث ولكن سارة تدخلت بالحديث وتحدثت بحدة أمام الجميع:

"أرى أنكم تقررون وتحدثون عني وكأنني لست موجودة، اسمعيني يا جيداء هانم لا أحد سيأخذ زوجك منك اطمئني وأنا لست تافهة إلى هذا الحد لكي أقبل برجل هو بعمر والدي هل فهمتي، وبالنسبة لابنك المدلل فهذا أيضاً أنا لم أعد أريده، سأخرج من هذه العائلة بهدوء بحيث لن أعد أريكم وجهي نهائياً وهذا وعد، ولكن أنتم أيضاً فارقوني ودعوني وشأني"

شددت على حروف جملتها الأخيرة وهي تنظر لسامح بينما سامح كان يتابع حديثها ببرود ومزال، إياس لم يكن يستوعب أن يصل الموضوع إلى هذا الحد أيضاً لم يكن يتوقع أن يخرج كل هذا من والده، بينما ماسة كانت توجه نظرات حاقدة لسارة ولعمتها خديجة، وجيداء كانت تنظر للجميع بحدة، خطت خطواتها وتقدمت من سارة لتقول:

"إذا فارقينا ولا تعودين إلى حياتنا أبداً هل فهمتي"

نظرت لها سارة ببرود ومن ثم حركت رأسها موافقة، أرادت أن تخطو خطواتها خارج الصالة ولكن صوت سامح أوقفها ليقول:

"لن تذهبين إلى أي مكان ياسارة"

استدارت بجسدها لتناظره ببرود وتقول:

"لا شأن لك بي"

ابتسمت بخفة ليتوجه لها بخطوات بطيئة ويقول:

"بل أنا الذي لي كل الشأن بك"

ظلت تتابعه ببرود ليرد لها بصوت عالٍ وهو ينظر للجميع:

"ها أنا أعترف لكم بأنني واقع لهذه الفتاة وأنا سأهددها على مسامعكم جميعاً بحيث إن خرجت من هذا المنزل لن تعد ترى خالتها، بالمختصر سأقوم بقتلها"

نظر له الجميع بصدمة وأيضاً سارة نظرت له بخوف وصدمة لينظر لها بتحدى ويقول:

"اسمعوني جيداً أنا سأتزوج هذه الفتاة، شئتم أم أبيتم فهذه الفتاة لي" ..

"لو مُلئتِ بألفِ عيب

لو كانَ قُربكِ سوء

لو رفضكِ العالمُ أجمع

أنا بكِ أرغب"

صمت رهيب وعيون جاحظة وجو مليء بالغضب والصدمة، لم تصدق جيداً ماسمعه من زوجها، كيف يفعل هكذا بها؟ كيف ينطق بهذه الكلمات أمامها؟ كيف يتخلى عنها ويجرحها بهذا الشكل! لم تستطع تصديق ما يحدث وماسمعه، ظلت تنتظر لسامح بعينان جاحظة بينما سامح كان يوجه نظرات باردة للجميع، للراحة الصدمة الكبرى كانت من نصيب سارة فهي لم تكن تتوقع أن يصل بجرأته إلى هنا، يعترف أمام الجميع بحبه لها ويريد أن يتزوجها أيضاً؟ هه حياً بالله ما الذي يحدث، هي إلى الآن لم تستوعب كلامه وتصرفاته، نظرت له بحاجبين معقودين بينما جيداً كانت الدماء تغلي في عروقها بسبب ماسمعه من زوجها وبسبب هذه الصغيرة التي وببساطة قد أوقعت سامح في شباكها.

إباس كان ينظر لأبيه بعدم تصديق وعينان جاحظة بينما ماسة كانت واضعة يدها على فمها وهي غير مصدقة ماتسمعه، أما سلطانتنا خديجة فقد كانت تبتسم بتعالي وغرور وحقاً الوضع قد أعجبها جداً، أردف سامح للجميع قائلاً بصوته الرجولي:

"لقد علمتم بالحقيقة وسمعتم بالذي أنوي فعله وسوف أفعله رغماً عن أنوفكم جميعاً ولن أبالي لأحد، والآن مارأيكم"

لم تستطع جيداء أن تتحمل هذه المهزلة أكثر لذلك توجهت لسارة بخطوات سريعة والدم يغلي في عروقها لتمسكها من شعرها وتشدّه بقوة بينما سارة صرخت بوجع ليقترّب سامح ويحاول إفلاتها ولكن جيداء كانت حقاً محكمة يدها على شعر سارة بقوة وهي تصرخ بها قائلة:

"أيتها الساقطة لن تأخذين زوجي مني سأقتلكِ أيتها الحقيرة"

كانت سارة تبكي وتتلوى بين يديها ولم تستطع أن تخلص نفسها من بين يدين جيداء، اقتربت خديجة وتدخلت بينهما لتبعد جيداء عنها بعنف بحيث وقعت على الأرض، صرخت جيداء بألم ولكنها تحاملت على نفسها لتنهض بمساعدة إياس الذي استفاق من صدمته لتقف وتوجه نظرات نارية لسارة وخديجة وتقول:

"أيتها اللعينة لن أرحمكِ وأنتِ ياخديجة ستريين ما أنا فاعلة بكِ باللعينة"

صرخ بها سامح صوت زلزل كيانهما ليقول:

"كفي عن جنونكِ واصمتي أيتها اللعينة، ما الذي يحدث معكِ"

نظرت له جيداء بحدة لتقول:

"سأريكم جميعاً لن أدع عاهرة صغيرة تأخذ زوجي مني هل تفهمون، لن أدعكم تفعلون مافي بالكم سترون"

لم يستطع سامح تمالك نفسه لذلك صفعها بكل قوته، للصراحة هذا الموقف لم يعجب إياس نهائياً لذلك وقف بوجه أبيه وتحدث صارخاً:

"كيف تتجرأ وتمد يدك على أُمي"

نظر له سامح بحدة ليصفعه هو الآخر بقوة ليرتد وجه إياس للجانب الأخر، وضع يده مكان الصفعة وظل منصدم من فعلة أبيه، فأخر ماكان يتوقعه من أبيه أن يضربه ويمد يده عليه.

أرادت جيداء فقط أن تصل إلى سارة التي كانت محتمية بخديجة ولكنها لم تستطع علماً بأنها تريد أن تضرب سارة فقط وليس خديجة لأنها إن حدث ومدت يدها على خديجة تعلم جيداً بأنه سيكون خراباً لبيتها، تطلعت حولها لتقع عينها على فائزة صغيرة، أمسكتها بيدها وقامت برميها لناحية سارة حالما ابتعدت خديجة عن سارة قليلاً لتصيها برأسها، صرخت سارة بأعلى صوتها ووضعت يدها مكان الضربة لترى الدماء تنزف من رأسها، توجه الجميع لها ماعدا جيداء التي كانت تنظر لها بتشفي ومع هذا كله شعرت بأنها لم تفعل شيئاً بعد، لم يستطع سامح أن يتحمل منظرها وهي غارقة بالدماء، ألمه قلبه كثيراً على محبوبته الصغيرة ليصرخ بهم بصوته الجهوري:

"ابتعدوا عنها!!!"

جفل الجميع من صراخه وابتعدوا عنها جميعاً ليحملها بين يديه ويتوجه بها فوراً إلى أقرب مستشفى وكانت برفقته خديجة.

دقائق ووصل بها إلى المستشفى ليصرخ بالأطباء بغضب ومن ثم أدخلوها إلى الغرفة، ظل سامح واقفاً في الخارج منتظراً أي أحد ليخرج ويطمئنه عنها وعلامات القلق والحزن بادية على وجهه كما أن عيناه كانت مترققة بالدموع ويبتلع ريقه بين الحين والآخر، بينما خديجة كانت تقف أمام أخيها وهي تنظر لحالته بحزن وتتهد بقلق مخافة على سارة فهي حقاً حزينة عليها جداً وقلقة بشأنها أيضاً، مرت ربع ساعة وسامح وخديجة جالسان على أعصابهما، سامح كان جالساً وواضعاً يديه على رأسه ومغمضاً عينيه بقوة وخديجة كانت تأخذ الرواق ذهاباً وإياباً، خرج الطبيب لينتفض الاثنان ويتحدث سامح بقلق ظاهر عليه:

"كيف حالها هل هي بخير ماذا حدث لها"

ابتسم الطبيب ليقول:

"لا تقلق مجرد جرح سطحي وقد قمنا بخياطته ولا يوجد أي خطر عليها اطمئنوا"

تنهد سامح براحة وكأن نيران وانطفئت بداخله كما أن خديجة حالما سمعت بجملة الطبيب حتى ابتسمت براحة وطببت بخفة على كتف سامح.

ثواني ودخل سامح إليها ليراها ممددة على السرير وهي واضعة يديها على رأسها ومعالم وجهها منكماشة، انتبهت عندما دخل عليها بوجه جامد لتناظره بكره شديد ومن ثم أشاحت بوجهها عنه، اقترب ليجلس على الكرسي ويمسك بيدها الصغيرة ويقول:

"كيف حالك الآن"

نترت يدها من يده لتتنهد بحدة ومن ثم هبطت دموعها بقهر لتقول:

"كله بسببك كل ماحدث بسببك أنت، لم أكن أتوقع بأن حياتي ستصبح مظلمة ومخيفة بهذا الشكل لأنك أنت موجود بها"

نظر لها بجمود ومن ثم ابتسم بسخرية ليقول:

"إن تحصلين شيء من كرهك لي سوى الألم والمعاناة لذلك كوني معي بكامل إرادتك وعندها ستكونين بخير"

نظرت له بحقد لتقول بصراخ:

"هل علي أن أفني عمري لكي أكون مع رجل تافه مثلك، وإن كنت معك هل علي أن أعيش بالرعب والخوف لحظة بلحظة مخافة من زوجتك وأولادك ها"

ظل يتابع ردة فعلها بجمود لترد له بهدوء:

"لم تستطع حمايتي اليوم من تلك السافلة زوجتك لذلك لن تستطيع حمايتي فيما بعد"

نظر لها بقوة ليقول:

"لا لا لن يحدث شيء لك بعد الآن فقط أنتِ صدقيني وأمني بحبي لكِ وكوني لي ولن تتدمين أعدك"

تابعت حديثه بغضب لتقول:

"و هل ستحميني من زوجتك المجنونة، هل ستحميني من ابنك الذي لم يكن رجلاً معي، هذه العلاقة من الأساس خطأ ولن تكتمل صدقتي لذا دعني وشأني وكف عن تهديدي لكي أسافر وابتعد عنكم جميعاً"

ابتسم بسخرية ليتحدث بابتسامة خفيفة:

"خيالكِ واسع جداً حبيبتي الصغيرة"

كزت على أسنانها لتقول وهي تناظره بحدة:

"لست حبيبتك ولست صغيرة، ثم أنني حقاً أنا لا أفهم عليك كيف تحدثني بهذا البرود وأنت من افتعل تلك المصيبة في المنزل وها أنت تبتسم وتقول لي حبيبتي وتطلب مني أن أكون معك، هل أنت مجنون أم ماذا"

ضحك بهدوء ورزانة ليقول:

"صدقيني لقد جننت منذ اليوم الذي التقيت بكِ لذلك لا تلوميني حبيبتي"

انفجرت في وجهه لتصرخ بأعلى صوتها:

"لست حبيبتك هل تفهم لست حبيبتك، دعني وشأني وكف عن جنونك هذا"

تنهد بقوة ليسند ظهره على الكرسي ويكتف يديه ويهمهم ليقول بهدوء:

"يبدو بأن زوجتي قد أحكمت الضربة على رأسك لذلك حبييتي الصغيرة تصرخ وترفع صوتها في وجهي أليس كذلك"

أنهى جملته وهو يناظرها ببرائة لتتنظر له بعينان جاحظة ومن ثم تنهدت بحدة محاولة تهدأ نفسها، بحركة سريعة من سامح كان وجهه مقابلاً لوجهها وهو ينظر لعسلتها اللامعة ومن ثم نزل ببصره لفمها الصغير كرزوي اللون، ابتلعت ريقها هي حالما شعرت بأنفاسه الساخنة تلمح وجهها لتسمعه يقول لها بصوته الرجولي المغربي:

"ستكونين لي يا صغيرة"

أنهى جملته ومن ثم طبع قبلة سطحية على شفتيها ليبتعد وينهض متوجهاً لناحية الباب، وقف أمام الباب ليتحدث دون أن يلتفت لها:

"تجهزي سنعود للمنزل"

انهى جملته وخرج من الغرفة تاركاً خلفه أنثى تحترق من مشاعرها المختلطة والتي لم تعد تفهم منها شيء.

من الجهة الأخرى وتحديداً في منزل سامح، كانت عائلة الأزهرى من كبيرها إلى صغيرها مجتمعاً في منزل سامح.

في تلك الصالة الكبيرة يجتمع شبان وفتيات ورجال ونساء وطبعاً الجد كان متصدراً وجالساً في الوسط بينهم، لم يكن ذلك العدد الهائل فعائلة سامح مكونة من شقيقان وثلاثة شقيقات مع خديجة أي أن جميعهم ستة أولاد لذلك الرجل الكبير الذي يدعى (سالم) رجل في أواخر السبعين من عمره ذو ملامح حادة بشيئته ووقاره وله سيطرة على أولاده وأحفاده، كان يجلس على يمين سالم ابنه الكبير (بسام) وبجانبه زوجته (منيرة) لديهما شابان وفتاة (رامز ومازن وراما) وعلى يسار سالم كان يجلس ابنه الثاني (رأفت) وبجانبه زوجته (ملك) لديهما شابان وفتاتان (مؤيد ومراد وبسمة وهدى)، طبعاً بعد رأفت تأتي سلطانتنا خديجة وهي أيضاً متزوجة ولكن زوجها توفي منذ عدة سنوات ولديها شاب واحد وهو في ألمانيا الآن ويدعى (غسان)، وبعد خديجة يأتي سامح وبعد سامح تأتي أخته التي تصغره بعامين وتدعى (جومانة) زوجها (محمود) ولديها شاب وفتاة (لؤي وفرح)، وبعد جومانة تأتي (حنان) والتي تصغر أختها بعام واحد فقط، زوجها (مالك) ولديها فتاتان (حلا وريمة).

ولنضيف على هذه العائلة فرداً آخرأً ألا وهي (تمارة) والتي تكون ابنة خالة بسام ورأفت وسامح وخديجة وجومانة وجيداء، تمارة امرأة جميلة في الخامس والأربعين من عمرها، كانت ومازالت تعشق سامح بكل تفاصيله وتحبه وتسعى لكي تحل محل جيداء ولكن كونها تمارة امرأة مسالمة نوعاً ما لذلك لم تستطع التقرب من سامح بسبب زوجته جيداء والتي تقف لها دائماً بالمرصاد، وإن خديجة لا تحب تمارة أيضاً لذلك لا تدعها

ولا تساعدها بفكرة زواجها من أخيها وإلا لكانت تساعدها وتساندها منذ زمن بهذه الفكرة فقط لكي تكسر شوكة جيداء، هذه الامراة التي تدعى تمارة تزوجت منذ عشرة سنوات ولكنها تطلقت لأنها لا تنجب الأولاد، فنت عمرها وهي تنتظر سامح لكي ينظر لها نظرة رضا ولكنها لم تحصل على أي شيء منه ولم يعطيها أي مجال للتقرب منه، وعندما تطلقت فرحت كثيراً بطلاقها لأنها وأخيراً ستكون حرة طليقة وتظل على حلمها الوردي باليوم الذي سوف يجمعها بسامح.

كانت جيداء تجلس بينهم بهدوء وتوزع الابتسامات لهذا وذاك بتصنع وكأنها ليست هذه التي كانت تفتعل الجنون منذ ساعتين، عدا تمارة التي كانت تنتظر لها باشمئزاز وكره، لم تكفيها تلك الصغيرة سارة بل جاءت هذه اللعينة تمارة لكي تزيد الطين بلة على جيداء، طبعاً ماسة وإياس أيضاً كانا يجلسان برفقتهم ويتبادلون أطراف الحديث مع الشبان والفتيات، صمت الجميع عندما تحدث الجد سالم:

"أين سامح وخديجة يا جيداء"

تحدثت جيداء بابتسامة وهدهو:

"مم في الواقع سارة خطيبة إياس قد تعرضت لحادث بسيط وقعت لذلك ذهباً وأسعفاها فوراً"

حسناً هي لم تستطع أن تكذب لأنها وببساطة تعلم جيداً بأن سامح سيعيد سارة معه وأيضاً خديجة لن تصمت لها ولكنها مؤكدة بأنها لن تعطي لهم الفرصة لكي يفعلون ما يريدون لذلك سوف تتصرف بحنكة وذكاء، رفع سالم حاجبه ببرود ليقول:

"وابنك الشاب والذي هو خطيبها ماذا يفعل لماذا لم يسعفها هو ها"

ابتلع إياس ريقه ليقول بتوتر:

"جدي في الواقع لم أكن موجوداً عندما وقعت"

همهم له سالم ليقول بحاجب مرفوع:

"لما لم تلحق بهم إذاً عندما عدت وعلمت بأنها وقعت"

ابتلع ريقه ليحييه بتوتر:

"لأنني تحدثت مع والدي وطمئنني عليها وقال بأنهم سيعودون بعد قليل لذلك لا داعي لمجيئي فقط هذا"

ابتسم سالم بسخرية وهو يطرق طرقات خفيفه بعكازه على الأرض ويحرك رأسه موافقاً، تصنعت جيداء اللطف والابتسامة البشوشة لتقول:

"بالمناسبة عمي ألن تبارك لإياس حفل زفافه بعد ثلاثة أسابيع"

نظر لها سالم ببرود ليقول:

"أعلم"

هممت له لتتحدث حنان بهدوء:

"خديجة أخبرتنا بأشياء كثيرة ومن ضمنها عن موعد حفل زفاف إياس"

تحدثت جيداء بحاجب مرفوع:

"وبماذا حدثتكم أيضاً"

تحدثت جومانة ببرود:

"يتهيأ لي بأنه لا شأن لكِ يازوجة أخي فلتحدثنا بما تريد أنتِ ابقي جانباً، نحن جننا لكي نبارك ونقضي عدة أيام في منزل أخي ومن لم يعجبه الوضع فليذهب من هنا"

نظرت لها جيداء بحدة فها هي عدوتها الثانية قد أنتت، في الواقع حنان هي الألف مع جيداء ولا تفتعل معها المشاكل، هي لا تحبها ولكنها لا تتدخل بها وإنما كل تركيزها على منزلها وزوجها وأولادها، بادلتها جومانة لجيداء بنظرة اشمئزاز وتعالى لتقول:

"ألم تتعلمين أن تقديم الضيافة أم ماذا يا جيداء"

أغمضت جيداء عينيها لتهدأ نفسها ومن ثم قالت بابتسامة حانقة:

"مؤكد عزيزتي جومانة سنقدم الضيافة"

أنهت جملتها لتهم بالنداء على الخادمة ولكن جومانة تحدثت بصرامة:

"نريدك أنتِ أن تقومين بضيافتنا وليس الخدم ياهانم"

نظرت لها جيداً بحدّة لتحرك رأسها موافقةً وتنهض بعنف متوجهة للمطبخ، ثواني من الصمت ليتحدث رأفت شقيق سامح موجهاً كلامه لإياس:

"بني إياس لا تحزن من طريقة كلام عمّك مع والدتك أنت تعلم بأنهن لا يتطابقن منذ زمن"

نظر له إياس بهدوء ليقول:

"لا بأس عمي لأن عمّتي خديجة لم تقصر بوالدتي أيضاً"

أنهى جملة بلؤم ليتحدث سالم بصراحة:

"وهل تريد لوالدتك أن تهين واحدة من بنات عائلة الأزهرى يا إياس"

ابتلع إياس ريقه ليقول:

"المعذرة جدي لم أقصد هذا، طبعاً لا يرضيني أبداً"

همهم له جده وصمت لتتحدث منيرة بابتسامة:

"إياس نحن لم نتعرف على سارة جيداً لذلك نريدها أن تقضي كل وقتها معنا ريثما تتزوجان"

نظر لزوجته عمه بتوتر ليقول:

"بالطبع وهي أيضاً تريد أن تتعرف عليكم أكثر"

حركت رأسها بابتسامة وماهي إلا دقائق حتى دخلت جيداً لتقدم الضيافة من العصائر والحلويات، تنهدت وجلست لتحمم وتقول:

"عمي مؤكّد بأنك فرحٌ جداً بشأن حفل زفاف إياس"

همهم لها ليقول بهدوء:

"أجل بالطبع سوف أفرح يا جيداً"

ابتسمت باتساع لتقول:

"جيد عمي مؤكّد بأنك ستنير الحفل بوجودك"

ابتسم ابتسامة جانبية وحرك رأسه موافقاً، ماهي إلا دقائق حتى دخل سامح وخديجة وسارة التي افتعلت المشاكل وصرخت وهم في طريق العودة إلى المنزل، فهي لم تكن تريد أن تعود ولكن خديجة هدأتها وأقنعتها خصوصاً عندما علمت خديجة بأن العائلة مجتمعة في منزل سامح وفي الواقع سيكون هناك عدة أشخاص ليلقنوا جيداً درساً قاسياً وليس بعيداً أن يتسببون بطلاقها أيضاً، حسناً يا سادة سارة هي البيضة الذهبية لهذه العائلة فهي الوحيدة التي ستكسر غرور جيداً وتخرجها من عائلة الأزهرى.

دخل سامح بهدوء وخلفه خديجة وسارة التي كانت تضع كمادة صغيرة على جبينها، تعالت الأصوات والضحكات وتبادلوا الأحضان مع سامح وخديجة بينما سارة القت التحية على الجميع بابتسامة واهنة، جلسوا جميعهم والكل كان موجهاً نظره لسارة ومن ضمنهم جيداً التي كانت تناظرها بحدة وإياس الذي ينظر لها ولوالده بقهر وماسة التي تنظر لسارة بلؤم، ماعدا تمارة التي كانت جميع حواسها مع سامح حبيب قلبها، تنظر له بهيام وتتأمل تفاصيل وجهه الحادة بينما هو لم ينظر لها من الأساس، دقائق من النظرات المتبادلة من البعض والموجهة للبعض ليحمم سالم ويقول موجهاً حديثه لسارة:

"حمداً على سلامتكِ بنيتي سارة"

نظرت للجد بابتسامة لتقول:

"شكراً لك جدي"

ابتسم لها لتتحدث جومانة بابتسامة:

"أوه سارة حقاً أنتِ جميلة جداً أهنأ صاحب النصيب عليكِ بصراحة"

ابتسمت بمكر في آخر جملتها لتتمو بابتسامة ماكرة على شفتين خديجة كحال سامح الذي تمالك نفسه بصعوبة لكي لا يبتسم، بينما جيداً اشتعلت النيران في صدرها كحال إياس لتقول جيداً:

"طبعاً ومن غيره صاحب النصيب بني إياس، صراحة أنا أهنأه على اختياره لـ كنتي سارة الجميلة"

ضحكت جومانة برزانة لتقول لخديجة:

"أتعرفين شيء ياخديجة هناك من يساير نفسه هل توافقيني الرأي أختي"

ابتسمت خديجة بتعالي لتقول:

"بالطبع عزيزتي وأنا أرى ذلك بوضوح أيضاً"

بادلتها جومانة نفس النظرة ونفس الابتسامه بينما جيداء كانت تنظر لهما بغضب و حدة، بالرغم من سعادة
سامح لإن شقيقته تلعبان بأعصاب جيداء إلا أنه حقاً كانت النيران تشتعل في داخله فقط على مافعلته بسارة،
وجه نظرة حادة ومتوعدة لجيداء لتبادله بنظرة باردة مصطنعة خافية وراء نظرتها الخوف والرعب من أفعاله
قبل كلامه وشمته وضربه لها، تدخل مراد ابن رأفت ليقول موجهاً حديثه لسارة بابتسامه:

"أوه بصراحة أنا أحسد إياس عليك ياسارة لقد صبر ونال في نهاية المطاف أنتِ حقاً جميلة وتليقان ببعضكما
كثيراً"

ابتسمت له بتوتر وتمتمت بكلمات شكرها له بخفوت، بينما كان هناك من تغلي الدماء في عروقه بسبب ماسمعه
من مديح على سارة وهو سامح، أراد أن ينهض ويحطم وجه ابن شقيقه ولكنه تمالك نفسه وهدأ من روع نفسه،
أما عن إياس فهو لم يتحمل كلام ابن عمه فهو أيضاً شعر بالغيرة تجاه سارة، أراد إياس أن يتحدث ولكن عمته
جومانة تحدثت بابتسامه مأكرة:

"أرى الغيرة بعينين أحدهم ياخديجة"

ابتسمت خديجة بمكر وهي تنظر لسامح لتهم بالحديث ولكن قاطعتها جيداء بتحدي:
"بالطبع سترون نظرات الغيرة من أحدهم ألا وهو ابني إياس ياجومانة"

ضحكت كل من خديجة وجومانة بينما حنان تدخلت لتقول بهدوء موجهاً حديثها لجيداء:
"ليس من الجميل أن تتدخل في الحديث عندما لا يكون يعينك يا جيداء فا جومانة كانت تتحدث مع خديجة وليس
معك"

نظرت لها جيداء نظرة حارقة لتقول بتعالي:

"عندما يتحدثون الكبار يصمتون الصغار و عذراً منك يا حنان"

أطلقت جومانة ضحكة صاخبة لتقول بغرور وتحدي:

"إنذا الأفضل لك أن تصمتي يازوجة أخي"

ضحك الجميع على جملة جومانة بينما جيداء احتقن وجهها بقوة لتتحدث خديجة وتزيد الطين بلة قائلة:

"في الواقع لا نعلم أنعدّها صغيرة على أحاديث الكبار أم نعدّها كبيرة على أخينا"

ضحكت جومانة بقوة وشاركتها حنان الضحك وأيضاً زوجة رأفت وزوجة بسام وبعض الفتيات والشبان، بينما جيداء انفجرت لتتحدث بحدة:

"عائلة الأزهرى لا تتحدث بطريقتك أنتِ وشقيقتكِ يا محترمة"

ضحكت جومانة بهدوء لتقول:

"ومن أدخلكِ أنتِ بالحديث، هيا خديجة تحدثي ماذا تقصدين بكبيرة على أخينا، قولي لي عزيزتي هل تريدين أن تزوجين سامح من جديد"

حسناً يا أصدقاء هناك من لمعت عيناه بالحماس عندما سمعت بجملته جومانة ألا وهي تمارة، ابتسمت خديجة بمكر لتقول:

"ولما لا فسامح وسيم عائلة الأزهرى يحق له أن يتزوج فتاة بعمر الزهور خصوصاً عندما يكون لديه بعض من الناس الطامعة بأمواله وحسبه ونسبه لدرجة أنهم مستعدون أن يقتلون ويرتكبون الجرائم أيضاً، بصراحة ياجومانة هؤلاء الناس عائلة نصابة كبيرة"

حسناً هذه الجملة بحد ذاتها قد جعلت الجميع يتعجب منها ومن مقصدها فهم فهموا بأن خديجة ترمي الكلام لجيداء ولكنهم لم يفهموا ماقصدها، همهمت ملك زوجة رأفت بهدوء لتقول:

"حسناً هل وجدتي عروس جديدة لسامح يا خديجة"

ضحكت خديجة برزانة لتقول:

"بالطبع وجدت وعن قريب جداً سيتزوج بها، قولوا لي ألا يحق له أن يتزوج أم لا"

تحدثت حنان بابتسامة:

"بالطبع يحق له أن يتزوج مرة واثنان وثلاثة أيضاً"

تدخل بسام بالحديث ليتحدث مازحاً:

"في الواقع يا أعزائي ليس سامح هو وحده وسيم عائلة الأزهرى، فنحن جميعنا وسيمين عائلة الأزهرى وستتزوج مرة واثنان وثلاثة"

انفجر الجميع ضاحكاً عدا جيداء التي كانت تستشيط غضباً وغلاً وقهراً، بينما منيرة نظرت لزوجها بعبوس كحال ملك التي دعست على قدم زوجها رأفت حالما وجدته قد وافق أخيه الرأي، أرادت جومانة أن تشعلها لتقول لخديجة:

"أوه خديجة لقد سمعت بأن تلك الفتاة المتشردة التي تدعى خلود كانت هنا"

ابتسمت خديجة بغرور لتقول:

"أجل عزيزتي لقد وسخت منزل أخي ورحلت أوه، كما تعلمون هذه الفتاة احم احم"

حممت خديجة قاصدة شيئاً بأخر جملتها ليفهم معظمهم مقصدها، لم تستطع جيداء أن تتحمل هذه الإهانة الموجهة بحق ابنة اختها لذلك نهضت بعنف وتحدثت بحدة موجهة حديثها لخديجة وجومانة:

"يتهياً لي بأنه لا شأن لك أنت وأختك لكي تتدخلان بأبنة أختي هل تفهما، حقاً أنتما الاثنتان ليس لديكما ذرة ذوق"

احتدت نظرة الاختان لينهض سالم ويتحدث بصرامة:

"أرى بأن صوتك يرتفع بحضوري يا جيداء ما الذي يحدث معك"

نهضت خديجة رافعة حاجبها لتتضم إلى أبيها بالحديث وتقول:

"لا تهتم لها يا أبي فلقد رأيت الكثير منها وأنا هنا وسمعت الألفاظ السوقية أيضاً ولكنني تجاهلت الأمر فقط من أجل سامح وأولاده"

تنهد سالم بحدة كحال سامح الذي كان يوجه نظرات نارية لجيداء لتتحدث جومانة باشمزاز ولؤم:

"لقد علمنا معادن بعض الناس والحمد لله بناتنا لا تقضي ليالي جامحة في غرفة المكتب كخلود يا جيداء هانم"

نظرت لها جيداء بحدة لتجلس بصمت ولا تنفوه بحرف، لم تستطع جيداء أن تصمت لذلك تحدثت بالألغاز:

"ليس وحدها من قضت هذه اللية فهناك من خان الثقة وكان بجوارها"

تدخلت خديجة بالحديث لتقول بتعالي وغرور واستفزاز:

"عزيزتي هذا الشخص يحق له كل شيء لذلك نحن نسعى لكي نخلصه من حياته اللعينة مع الأشخاص الذين من العائلات النصابين والسارقين أليس كذلك سامح"

نظر لها سامح ببرود ليقول:

"لا أحد يحتاج للمساعدة كله سيغني لوحده على ليلاه"

ثواني من الصمت والهدوء ليتحدث سالم بهدوء:

"هل حقاً تريد أن تتزوج ياسامح"

نظر سامح لأبيه ببرود ليقول:

"أجل سأتزوج"

للصراحة الجميع صدم من صراحته خصوصاً بأنه يتحدث أمام زوجته وفي الواقع لم يجدوا بأنه يمزح او ماشابه فنبرته تدل على الجدية التامة، وأيضاً للصراحة المخفية هم فرحوا كثيراً فها هي جيباء سوف تنكسر شوكتها وتهبط من أعلى السلم الذي كانت ترتفع به دائماً عليهم بغرورها وتكبرها كونها هي زوجة سامح وسيم عائلة الأزهرى، تنهد سالم بقوة ليقول:

"هل أنت جاد في قولك بني! حسناً من تكون التي ستتزوجها"

أجاب ببرود:

"أبي ستعلمون جميعكم في الوقت المناسب أما في الأيام القادمة فستتغير الكثير من الأشياء ولربما تتغير بعض الأشخاص أيضاً إن ظلوا على جنونهم وحقدهم"

أنهى جملته وهو ينظر جيباء بتوعد بينما سارة ابتلعت ريقها بصعوبة فهي تعلم بأن القادم سوف يكون عسيراً جداً، تنهد إياس بحدة متجاهلاً حديث والده لينهض ويمسك سارة من يدها ويقف في المنتصف ويتحدث بابتسامة:

"والآن هيا جميعكم باركوا لي ولحبيبتي سارة لإنني سأتزوج بعد عدة أسابيع قليلة ما رأيكم"

ابتسم معظمهم لإياس وباركوا له بينما سامح حقاً شعر بالدماء تغلي في عروقه كحال خديجة التي غضبت من تصرف إياس وتحديه لوالده، بينما جيباء فتهللت أساريرها لأنها وأخيراً ستتخلص من سارة وستزوجها لإياس ومن ثم ستعمل جاهدة لكي تخرجها من حياة ابنها، هي الآن لا تريد شيئاً سوى أن يتزوج إياس من سارة ومن ثم ستكون قد اكتسبت كل شيء، لم تكتمل فرحتها لإن خديجة وجومانة استغلوا الضجة وانشغال الجميع بالمباركات الموجهة لإياس وسارة لتجلس خديجة على يمين جيباء وجومانة على يسارها لتتحدث خديجة بمكر:

"صدقيني سأفعل المستحيل لكي يفشل هذا الزواج وسترين كيف ستكون سارة الضرة التي ستخلصنا منك ومن قرفك يا جيداء هانم"

لم تستطع الإجابة لإن جومانة تدخلت وتحدثت بصوتٍ خافتٍ بخباثة:

"قريباً جداً ستخرجين من حياة أخي سامح لإنك وببساطة أصبحتي كرت محروق بالنسبة لعائلة الأزهرى بأكملها، وبما أنه تمتع بك وانتهى وقتك أن الأوان لكي تتركين دور لغيرك ألا وهي الجميلة سارة والتي ستكون سبباً في خلاصنا منك وأيضاً لكي يريح قلبه سامح ويكسبها لإنني أنا وخديجة نعلم كم أنه يعشقها"

أنهت جملتها لتطلق ضحكة صاخبة هي وخديجة ومن ثم نهضت اثنتاهما من جانبيها لكي تتوجه كل منهما إلى مكانها السابق، بينما جيداء ظلت جالسة في مكانها تقلب كلام اثنتاهما في عقلها والدم يغلي في عروقها لدرجة أنها من غيظها وقهرها قد هبطت دموعها ونهصت بعنف متوجهة إلى غرفتها.

بينما عند سامح أراد أن يتخلص من هذه المباركات التي تستفزه وخصوصاً بأنه قد وجد نظرة الرضا من سارة وابتسامتها التي تشق وجهها لذلك نهض بعنف وتوجه إلى الحديقة في الخارج، شعر بأن كل تعبه ذهب سداً، لا يعلم كيف سيكسب قلبها ويدعها تبادلها هذا الحب، يعلم جيداً بأنه يخطأ بحق ابنه ولكن قلبه الأحمق قد سيطر على عقله ولم يعد يفكر بشيء سوى سارة وقلبه المرهف بها، تنهد بجمود ليغمض عيناه رافعاً رأسه للأعلى ليشعر بيدان ناعمتان قد وضعت على كتفيه، لوهلة ابتسم ابتسامته الساحرة وقد شعر أنها سارة التي خلفه لينطق اسمها من بين شفثيه بهمس ويستدير ليرى تمارة أمامه تناظره بصدمة....

"أحبك .. بدون كتابة الكثير"

بدون أي نص عميق

بدون كلمات أدبية مُبتدلة

أحبك فقط .."

نظر لها بحاجبين معقودين بينما هي كانت تنظر له بصدمة وعدم إدراك، أرادت أن تتحدث ولكن لسانها أجم عن النطق ولم تعد تستطيع الحديث بتاتاً، ظل يراقب ردة فعلها ببرود ودون أن يرف له رمش، ابتلعت ريقها تمارة لتقول:

"سامح أنا."

قطعت جملتها وابتلعت ريقها ليقول هو:

"مايكِ تمارة"

نظرت لعيناه مباشرة وسرحت بهما، ذاك العسل الصافي الذي بعينه حقاً يجعلها تذوب به إلى أبعد الحدود، ابتلعت ريقها لتقول:

"لقد سمعتك تهمس باسم سارة صحيح"

تنهد بجمود ليشيخ بوجهه عنها ويقول:

"لا شأن لكِ تمارة، قولي ما الذي تريدينه ولما أتيتي إلى هنا"

نظرت له بهيام لتقول بابتسامة عذبة:

"أتيت لكي أسرح بعسليتك التي أعشقهما"

نفخ خديه بغضب ليقول:

"تمارة الذي ببالك لن يحدث مهما فعلتي ومهما قلتي، حاولي أن تقتنعين بهذا الشيء"

ترقرقت عينيها بالدموع لتقول:

"ولكنني أعشقتك ياسامح صدقتي أنا."

قاطعها بكلامه الحاد:

"وأنا لا أحبك ولا أحب زوجتي وإنما أحب فتاة وأعشقها أيضاً وهي سيدة عليك وعلى جيءاء هل تفهمين"

هبطت دموعها بصدمة بينما هو لم يكثر لها وإنما تركها وذهب بحيث خرج من المنزل بأكمله تاركاً وراءه أنثى احترق فؤادها بسببه.

من الجهة الأخرى

ذلك العاشق الولهان الذي توجه بسيارته إلى وجهة هو ذاته لا يعلمها، كل ما يعلمه بأنه يريد أن يظل بمفرده ويستنشق الهواء النقي، هارباً من الأجواء المشحونة والإغاضات التي يوجهها له ابنه.

هو يعلم جيداً بأنه قسي على تمارة بالحديث ويعلم أيضاً بأنه لربما ظلم جيداء عندما اعترف بحبه لسارة أمامها بكل برود ولم يكثرث لحالها، وغير ذلك والذي يزيد عليها الطين بلة هو اجتماع عائلته ضدها والتي لا يطيقونها ويتمنون لها الابتعاد عن سامح بأي طريقة، كل هذا يدل على أن جيداء وحيدة ومظلومة من قبلهم وليس لهم الحق بكرهها ومقتها إلى هذا الحد ولكن يعود ويفكر بأن عائلته معهم حق بكرهها لأنها ليست تلك المرأة الصالحة التي يتمنونها لولدهم، لو كانت قد أحببت سامح وتزوجته لشخصه وليس لأنها طامعة بأمواله وحسبه ونسبه لكانوا حتماً تقبلوها حتى وإن كان هناك فارق عمر بينهما والذي مايقارب إلى الخمسة سنوات، كانوا سيعاملونها بالإحسان فهم ليسوا ظالمين أو متكبرين وإنما هم عائلة متحابية ومتراطة وكل فرد بهذه العائلة يركض وراء راحة الآخر، وأكبر مثال أن حنان وجومانة وخديجة لا يعاملون زوجات أخوتهم منيرة وملك كمعاملتهم لجيداء، فهناك شتان بين منيرة وملك وبين جيداء الطامعة والحقودة والمتكبرة، غير ذلك فهي لم تترك لها صاحب، فيكل اجتماع للعائلة لا بد أن تفتعل جيداء مشكلة أو ترمي أي كلام جارح على أحدهم، أو تدخل بأمور لا تعنيها، أو تجرح بالكلام.

وضع رأسه على مقود السيارة مغمضاً عينيه بقوة متخيلاً أمامه صغيرته التي قلبت موازينه وقلبت حياته رأساً على عقب مذ أن رآها ورأى ذلك الجمال الذي لديها، فتح عيناه فجأة عندما تذكرها وتذكر المشكلة التي حدثت في المنزل ليمسك هاتفه ويبعث لخديجة برسالة نصية والتي كان مضمونها:

"أختي أرجوك انتبهي جيداً لسارة ولا تدعي أي من جيداء أو إياس أو ماسة يزعجونها أو يقتربون منها، كوني مرافقة لها ريثما أعود، أنا لن أتأخر. سامح"

بعث بالرسالة وتنهى بقوة وماهي إلا دقيقتان حتى ردت عليه برسالة نصية وكان مضمونها:

"اطمنن أخي لن يزعجها أحد وأنا وجومانة سنظل برفقتها، لا تتأخر عزيزي"

تنهد براحة عندما رأى الرسالة وظل سارحاً وهو يفكر بحل لمشكلته، مفكراً بخطة لكي يفشل هذا الزواج الذي حتماً سيجعله يموت قهراً إن حدث.

من الجهة الأخرى

تلك العاشقة الولهانة والمنكسرة، لم تدخل للمنزل عندما تركها سامح ومشى بل ظلت مكانها جالسة على ذاك المقعد الخشبي في حديقة المنزل وهي تبكي بصمت وتتحسر على نفسها، تسأل نفسها دائماً لما هو بتلك القساوة؟ لما لا يعيرها أي اهتمام؟ لما لم يتطلع بها ويتزوجها منذ زمن هي وليست جيداء؟ حسناً ما الذي ينقصها ياترى؟ إن أتينا للجمال فهي تتعدى جمال جيداء بأشواط، وإن أتينا للأسلوب والمعاملة فهي أسلوبها ومعاملتها وقلبيها النقي والنظيف أحسن بمائة مرة من جيداء، وإن أتينا للحب فحب جيداء لسامح لا يأتي شيئاً عند حب تمارة لسامح، لقد أحبته لشخصه، لأسلوبه، لرزاقته، لوسامته، وليس لأمواله ونفوده، كانت مستعدة أن تعيش معه في كوخ صغير ولن تبالي ولن تسأل عن الأموال، ولكن ما الذي سنقول له! كل هذا قدر ونصيب وحقاً صدق من قال

الحب أعمى، فحب سامح لجيذاء في أيام شبابه كان قد أعماه عن كل ماحوله لدرجة أنه تحدى الجميع لكي يأخذها وبالفعل أخذها وترك تمارة في وقتها مكسورة القلب ولم يبالي لها، ولم يقتصر الموضوع عليها فقط بل ترك حبه الأول من أجل جيذا، فمن هي تمارة ياترى كي لا يتركها!

حقاً إنها امرأة مثيرة للشفقة إذ أنها ظلت تحبه وتعشقه إلى حد الآن ولم تمل، هي لا تعلم ما الذي تشعر به حالما ترى تلك العينان الساحرتان، ترقع أمام رجولته، تضحي بروحها من أجله وتتمنى نظرة رضا منه.

تنهدت بحرقة وحزن وظلت في مكانها شاردة الذهن إلى أن شعرت بأحد أمامها، تطلعت أمامها وإذا بها ترى سارة واقفة وهي تبتسم لها، بادلتها بابتسامة حزينة لتقول سارة:

"هل تسمحين لي بالجلوس"

حركت تمارة رأسها موافقة لتبتسم سارة وتتوجه لتجلس بجانبها، ثواني من الصمت ومن ثم قالت سارة:

"ما بالكِ حزينة خالتي تمارة"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"طوال عمري حزينة فليس غريب أن أحزن الآن أيضاً"

نظرت لها سارة بحزن وقد علمت ما بها لأنها قبل قليل تابعت انفعالات سامح بوجهها وقد علمت ما السبب، تحدثت تمارة دون سابق إنذار:

"الحب يذل الشخص أليس كذلك"

ابتسمت سارة لتقول:

"ليس دائماً"

هممت لها تمارة لتقول:

"ولكنني أنا أذل الآن بحبي له"

تحدثت سارة بعد أن تنهدت:

"لا يستحق قلبكِ صدقيني"

عقدت حاجبيها تمارة بقوة لتقول:

"وهل تعرفينه"

ابتسمت سارة بسخرية لتقول:

"لا ولكنني أرى الحزن بعينيك، من يحب حقاً لا يحزن محبوبه وها أنتِ حزينة بسببه إذأ هو لا يستحقك"

هممت لها تمارة لتقول:

"كلامك به بعض المنطق ولكنني لا أستطيع أن أتوقف عن حبه"

أجابت سارة:

"أعان الله عاشقاً لا يكثرث لأمره ولا لقلبه"

كلمات سارة جعلت تمارة في أقصى حالات حزنها فهي تتحدث بالمنطق وقد وضعت يدها على الوجع، سارة تعلم بأن تمارة تحب سامح لذلك نطقت بكلماتها تلك أمامها لأنها هي بنظرها لا يستحق هذا الحب من تمارة.

دقائق من الصمت بينهما لتتوجه لهما جدياء وعلامات الحدة ظاهرة على وجهها، وقفت أمامهما لتقول جدياء بسخرية:

"أوه ما سر هذه الجمعة الجميلة"

نظرت لها تمارة ببرود لتقول:

"هل لديك مانع إن جلست أنا وكتنتك سوياً ياترى"

ابتسمت جدياء بسخرية لتقول:

"لا أيتها العاشقة المنكسرة ليس لدي أي مانع"

احتدت ملامح تمارة حالما سمعت بكلمات جدياء لتنهض بعنف وتقول:

"ليتك تكنين له ربع الحب الذي أكنه له أنا"

ضحكت جدياء بقوة لتقول:

"بل أكثر منك عزيزتي، يكفيني بأنني أراك كيف تتلوين وتتعذبين بسبب تجاهله لك"

جاءت تمارة لتتحدث ولكن هناك صوت أتى من خلف جيداء لتقول:

"صحيح بأنه يتجاهلها وصحيح بأنه معك الآن ولكن عن قريب جداً سوف تتبدل الأدوار وسيكون لكل حادثٍ حديثٌ"

استدارت جيداء لترى أمامها جومانة وخديجة، احدثت معالم جيداء لتبتسم جومانة بسخرية وتقول بمكر:

"أضيفي إلى ذلك يا خديجة بأن هناك من يتعذب وهناك أيضاً من يحترق من غيرته وقهره لأن زوجها ينظر إلى غيرها ويعشق غيرها أيضاً"

ضحكت خديجة بصخب وشاركتها جومانة أيضاً بينما تمارة كانت واقفة بصمت ولم تفهم مآلاتها، أما عن سارة فكانت واقفة أيضاً بصمت وهي تتابع الحديث ومدركة لكل الكلام ومستوعبة معناه، تنهدت سارة بياس لتتخطى جيداء ولكنها أوقفتها بكلامها الحاد:

"إلى أين يا كنتي"

نظرت لها سارة ببرود لتقول:

"لا شأن لك"

نظرت لها جيداء بحدة لتقترب منها بحيث أصبح وجهها أمام وجه سارة مباشرة، أيضاً تدخلت جومانة وخديجة لتقفان أمامهما لكي تتابعان الحديث، بينما تمارة لم تحبذ التدخل لذلك تركتهن ودخلت للمنزل، تحدثت جيداء من بين أسنانها بهمس:

"صدقيني قريباً جداً ستخرجين من حياتنا بحيث لا رجعة لكِ وسترين أيتها العاهرة الصغيرة"

ضحكت سارة بهدوء في حين جومانة وخديجة لم يعجبهما حديث جيداء ولكن انتظرتا لكي تتابعان ما الذي ستقوله سارة فضحكا على حديث جيداء كان مثير للاهتمام، توقفت سارة عن الضحك لتتحدث بهمس:

"صدقيني يا جيداء هانم لن تستطيعين فعل شيء هذا أولاً، ثانياً أنا لازلت بريئة ولطيفة معك ولم أدخل لعبة التحدي معك بعد، فإن أردتي سندخل بهذه اللعبة أنا وأنتِ ولنرى من التي سوف تفوز، ها مارأيك"

نظرت لها جيداء بقهر و حدة ولم تستطع إجابتها بينما جومانة وخديجة ابتسما بنصر على كلام سارة، احدثت ملامح سارة لتردف لها بحدة ونظرة الشر ظاهرة بعينيها:

"اسمعي جيداً، الضربة التي تلقيتها منك لم أنساها وسأردها لك، ولا تظنين إن كنتي في عمر والدتي فا هذا يعني بأنني سأصمت ولن أتحدث لا وألف لا حتى لو كنتي بعمر جدتي عندما تتمادين بتصرفاتك سأدوس عليك هل فهمتي، مازلت إلى الآن أتصرف بقيمي وأخلاقِي ولم أخطأ معكِ ولكن إن ظللتي هكذا تدبرين المكائد سترين مني ردة فعل بشعة جداً"

أنهت جملتها بتهديد لتهم بالرحيل ولكنها تذكرت شيئاً لتعود وتقف مكانها وتقول لجيداء:

"وبالمناسبة بما أن زوجك لا يريدك ولا يحبك فالأفضل أن تتركين مكاناً لغيرك فأنت لا مكان لك بقلبه نهائياً، وإن لم أكن أنا التي ستكون في هذا المنزل وبدلاً منك فلربما تكون تمارة لا أحد يعلم، لذلك اختصري على نفسك وارحلي بكرامتكِ لأن بعد الذي رأيته منك حقاً لا يشرقني أن أعتبركِ كوالدتي"

أنهت جملتها وظلت واقفة تتابع صدمة جيداء والتي حقاً لم يكن لها القدرة على النطق أو على إجابتها، أردفت لها سارة ببرود:

"تريدين من إياس أن يتزوجني وهذا ماسيحدث سنتزوج ومن ثم سيطلقني لكي أبتعد عن هذه العائلة وعنيك أنتِ بالتحديد ولكن إن ظللتي على وقاحتكِ معي صدقيني سأظل هنا لكي أحرق لك قلبكِ وليس بعيد بأن أكون أنا السبب بخراب بيتكِ وطلاقكِ أيضاً، كما تعلمين موقفي قوي جداً مع زوجكِ بينما أنتِ لا لذلك كوني عاقلة ولا تدعيني أستغل هذه النقطة"

أنهت جملتها بمكر ومن ثم نظرت لها نظرة اشمئزاز وتخطتها، بينما جيداء ظلت متصنمة في مكانها وهي تدور كلامها في عقلها، جومانة وخديجة للصراحة لم يعجبهم حديث سارة عندما قالت بأنها ستتزوج إياس ومن ثم ستتطلق منه لترحل عنهم ولكنهما أعجبتا بكلامها الذي كان كالصاعقة بالنسبة لجيداء.

من دون سابق إنذار أطلقت خديجة ضحكة قوية لتقول لجيداء:

"يا إلهي يا جيداء لو كنت مكانكِ لكنت قد دعيت لربي لكي يشق الأرض وتبتلعني"

أكملت ضحكتها وشاركتها جومانة الضحك لتحتد نظرة جيداء وتقول:

"أتمنى ذلك من كل قلبي"

ضحكت خديجة لتقول مغیظةً إياها:

"أوه كم أنها متواضعة تدعو على نفسها هذه العقوبة، كنت أظنها غبية ولكنها ذكية لا بأس بها"

أنهت جملتها ورحلت بينما جومانة ظلت واقفة لتقول بمكر:

"اللعبة بدأت يا جيداء هانم، أرجو أن تودعي هذا المنزل لإنكِ عن قريب ستخرجين منه أيتها العجوز الهرمة والكبيرة على أخي الوسيم"

أنهت جملتها ورحلت بعيداً عنها تاركة ورائها امرأة تستشاط غضباً و غلاً وقهراً.

بينما عند سارة وعندما أنهت حديثها مع جدياء توجهت للداخل وإذ بها ترى إياس امامها يناظرها ببرود، طلب منها أن يتحدث معها وبالفعل لبت طلبه وتوجها لغرفته لكي يتحدثان وهما واقفان بالشرفة، تنهد إياس ليقول:

"أعلم بأنه لا ذنب لك بكل الذي حدث"

لم تجبه بل ظلت صامتة ليرد لها:

"وأعلم بأنك تريد أن تتخلصين من حب والدي وأنا سوف أساعدك، الحل الوحيد هو أن نتزوج وسنقضي عدة أشهر مع بعضنا ومن ثم الخيار لك إما أن تكملين معي وأعدك بأن والدي لن يتعرض لك وإما أن تتطلقين مني وترحلين وأيضاً والدي لن يزجك لأنه لن يعد له أي وسيلة للوصول لك وفي كلتا الحالتين أنتِ الراححة، ها ماذا قلتي"

ظلت جامدة وهي تقلب كلامه في عقلها وقد رأت بأن كلامه منطقي جداً لتجيب:

"سننزوج لمدة شهران ومن ثم تطلقني"

ابتسم بهدوء ليقول:

"ولكن لربما تغيرين رأيك وتظلين معي ياسارة لإنني أنا أريدك دائماً"

نظرت له بسخرية لتقول:

"لن يلزمني مدلل مثلك كل ما أريده أن أنتهي من هذه التفاهات التي تحدث حولي وبعدها فلتفعلوا ما يحلو لكم لا يهمني، وأتمنى أن ينتهي كل شيء على خير وتظل عند وعدك، أريدك أن تشعرني بأنك رجل ولو لمرة واحدة في حياتك لذلك إبقى على كلمتك"

نظر لها بقهر ومن ثم أشاح بوجهه عنها لتبتسم بسخرية وتتوجه إلى غرفتها رامية كل شيء وراء ظهرها.

الساعة الثانية صباحاً بحيث كان الجميع نائماً.

بثمالة وتخبط دخل إلى منزله وهو يهذي بكلمات غير مفهومة، مرر بصره بجميع أنحاء المنزل ليراه هادئ وساكن والأضواء خافتة، ضحك ببلاهة ومن دون وعي ليصعد السلالم متوجهاً إلى غرفة سارة فهو يكاد يموت شوقاً إليها، يمشي بخطوات مترنحة وهو يهذي ويضحك ويدندن ببلاهة، دخل إلى غرفتها ليراه غارقة بنوم عميق، اقترب منها ببطئ ليجلس بجانبها ويمسح على شعرها ومن ثم قبل جبينها، وضع جبينه على جبينها ليقول بثمالة:

"ليتك فقط تشعرين بي وبحبي لك"

ابتسم عندما وضع إبهامه على شفتيها الصغيرتين ليقبلها قبلة مطولة ومن ثم تحدث:

"وليتك تبادليني هذه القبلة أيضاً"

تمدد بجسده الضخم بجانبها واحتضنها بقوة غط في نوم عميق.

صباح اليوم التالي

استيقظت سارة وشعرت بيدان تحاوطها، لم تكن مستوعبة ما يحدث حولها، نهضت بنصف جسدها لترى سامح نائماً بجانبها، جحظت عيناها بقوة وشهقت لتضع يدها على فمها، احتدت نظرتها من بعدها لتحركه بعنف بينما هو كان يهتمهم في نومه، ظلت تحركه بعنف وتنادي عليه ليفتح عيناه والنعاس ظاهر عليه ليقول بصوت ناعس:

"ما الأمر"

تحدثت سارة بحدة:

"ما الذي تفعله في غرفتي وعلى سريري أيضاً"

ابتسم وهو مغمض العينين ليقول:

"نائم بجانبك حبيبتي"

جحظت عيناها لتقول بذهول:

"أنت حقاً لا تُصدق يارجل، عائلتك بأكملها موجودة وزوجتك في المنزل وابنتك وابنتك أيضاً هنا وأنت تأتي لتنام بجانبني وكأنك لست فاعلاً شيء"

فتح عيناه لينهض بنصف جسده متكاً بيده على فراش السرير ليقول بابتسامة ماكرة:
"لا تقلقي حبيبتي لن يتجرأ أحد على مضايقتنا وإن كان الأمر يزعجك فسوف نذهب لمنزلي الثاني وننام براحتنا
ياقلبي"

نظرت له بحدة وكزت على أسنانها لتكور يدها وتضربه على كتفه وتقول بغضب:
"أكرهك"

تحدث مستفزاً لها:

"وأنا أيضاً أعشقتك حبيبتي"

أطلقت صرخة مكتومة لتنهض بعنف وتقف بجانب الباب وتقول:
"هيا اخرج حالياً من غرفتي"

ضحك ضحكة رنانة ليعاود النوم ويقول:

"أغلق الباب خلفك عندما تخرجين عزيزتي"

نظرت له بذهول لتقول بحدة:

"أنا لا أمزح هيا اخرج يا هذا، من أنت حتى تنام بجانبني أصلاً"

تحدث وهو مغمض العينين:

"اسمي سامح من عائلة الأزهرى، العمر ستة وأربعون عاماً، متأهل ولدي ولدان ولكنني أكره زوجتي وبشدة،
وأعشق فتاة حمقاء تدعى سارة سالم، لون الوجه ابيض، لون العينين عسلي، العلامات المميزة تامة، ولازلت
أستطيع الانجاب حبيبتي"

نظرت له بذهول وبفاه مفتوح لتقول بصدمة:

"أنت حقاً لا تُصدق هل أنت تسجل على بطاقة هوية شخصية ياترى"

ضحك ضحكة رنانة ليقول متجاهلاً جملتها:

"إن لم تكونين مصدقة بأنني أستطيع الإنجاب فتعالى لكي أثبت لك"

كزت على أسنانها لتقول بحدة:

"حقير تافه لعين أكرهك اللعنة عليك وعلى اليوم الذي رأيتك فيه"

نهض بعنف وبحركة سريعة توجه لها لتتكور هي على نفسها وتقول بخوف:

"أسفة أسفة لن أكررها"

ابتسم باتساع ليقول:

"دعيني أرى وجهك"

نظرت له بحذر لتراه مبتسماً ليقترب ويقبلها بقوة متجاهلاً محاولاتها الضعيفة بإبعاده، فصل القبلة وهو مبتسم ليقول:

"أتعلمين هذا أجمل صباح في حياتي، وإن تزوجنا سيظل هذا الصباح الجميل مرافقاً لي طوال حياتي"

نظرت لعيناه مباشرة لتسرح بهما وترمش ببطئ، جفلا اثناهما عندما سمعا طرقات على الباب لتجحظ عينان سارة وتضع يديها على فمها ومن ثم قالت بخفوت:

"يا إلهي ماذا أفعل يا إلهي"

دارت حول نفسها في الغرفة وهي تقول (يا إلهي) ومن ثم أردفت قائلة:

"اللعنة عليك سيرونك هنا سيظنون بأننا نفعل شيء ستثبت التهمة علي سيحتقرونني يا إلهي اللعنة عليك ياسامح الأزهرى عااااا"

ظلت تبكي وتضرب خديها بينما سامح يتابعها بذهول ليبتسم بسخرية ومن ثم سمع صوت أخته خديجة من الخارج تقول:

"سارة عزيزتي هيا استيقظي لكي تتناولين الفطور معنا"

شهقت سارة بقوة ووضعت يدها على فمها ليتحدث سامح مقلداً صوت سارة وبنعومة:

"حاضر ياخديجة هانم سوف ألحق بك بعد قليل"

احتدت نظرة سارة ليحرك سامح حاجبيه مغيظاً إياها ومن ثم توجه إلى السرير وتمدد عليه بأريحية، بصراحة خديجة استطاعت أن تميز الصوت وقد علمت بأنه ليس صوت سارة لذلك دفعت الباب ودخلت لترى سامح

ممدداً على السرير بكل أريحية، حالما رأتها سارة حتى جحظت عيناها وشهقت بقوة بينما خديجة كانت تنظر لهما ببرود و .

"إليك أنت يا من سرقتي ببسمة قلباً لم يرى إلا الحزن
فحولتي حُزني بلمعة عينك إلى لحظة فرح صورتها
بعقلي"

ناظرتهما ببرود وظلت واقفة أمامهما دون أن تتطرق بحرف، للصراحة سارة تملكها الفرع والخوف في هذه اللحظة خصوصاً أن خديجة لا تفعل شيئاً سوى أنها تنظر لهما ببرود، لم تستطع خديجة أن تتحمل أكثر من ذلك لتنفجر ضاحكة، من جهة خوف سارة منها وظنها بأنها ستفعل لها شيء ومن جهة لامبالاة سامح وهو ينظر لشقيقته باستمتاع، ظلت تضحك بقوة بينما سارة نظرت لها بذهول بينما سامح ابتسم ابتسامة جانبية، التقطت خديجة أنفاسها وهدأت من ضحكتها قليلاً لتتحدث ضاحكة:

"يا إلهي سامح انظر إلى وجه سارة كيف أصبح"

أنهت جملتها وفلتت ضحكة أخرى منها لتقترب من سارة وتطبطب على كتفها وتقول:

"لا تخافي جميلتي فهذا المنظر الذي رأيته اليوم أجمل منظر في حياتي كلها"

ضحكت بصخب بعد أن أنهت جملتها لتقول:

"أدفع نصف عمري لكي تراكما جيءاء لأرى ما الذي سيحدث لها من بعدها"

ضحكت بقوة مرة أخرى بينما سارة مازالت على ذهولها أما عن سامح فانتسعت ابتسامته ليقول:

"مؤكد بأننا سنسنعفها للمستشفى فوراً، مسكينة يا جيءاء سنأتيها جلطة ثلاثية الأبعاد"

ضحكت خديجة بقوة وهي تحرك رأسها موافقة وتشير لأخيها بإبهامها بمعنى كلامك صح، تماكنت نفسها بصعوبة والتقطت أنفاسها لتقول وهي تخرج من الغرفة:

"حسناً أخي نحن بانتظاركما في الأسفل"

أنهت جملتها وهمت بالخروج لترى جيداء واقفة بوجهها، نظرت لها خديجة بذهول، لم تتمالك نفسها خديجة لتنفجر من الضحك ومن ثم تحدثت ضاحكة:

"تفضلي جيداء هانم تفضلي"

عقدت جيداء حاجبيها لتقول:

"إلى أين سأفضل ولماذا تضحكين هكذا، أريد أن تستيقظ سارة لكي تتناول الفطور معنا بناءً على طلب عمي"

نظرت لها خديجة وهي تحاول كتم ضحكتها لتقول:

"وماذا عن سامح"

"تههدت جيداء لتقول:

"لم يأتي منذ ليلة أمس"

انفجرت خديجة ضاحكة لتحرك رأسها رافضة وهي تشير لها للدخل لتقول:

"ادخلي وأيقظيها أنتِ عزيزتي"

عقدت جيداء حاجبيها باستغراب لتبعد خديجة عن طريقها والتي مازالت تضحك، لتدخل جيداء وترى سامح نائم بأريحية على سرير سارة وهو مغمض عيناه بينما سارة كانت واقفة ومعالم القلق ظاهرة على وجهها، ابتلعت ريقها بصعوبة بينما جيداء وقفت تراقب الوضع بذهول، دخلت خديجة ورائها لكي تظل بجانب سارة إن حدث وتملكها الجنون لجيداء فهي مؤكدة بأنها ستحاول ضربها عندها، ظلت جيداء واقفة بذهول لتقول:

"ما الذي أراه هنا"

ضحكت خديجة ضحكة رنانة لتقول وهي تضع يدها على كتف جيداء:

"كما ترى أيتها الشمطاء نحن نحاول أن ندع سارة تتعود على الوضع الجديد لأنها ليست معتادة على أن ينام أحد بجانبها"

نظرت لها جيداء بحدة ليتحدث سامح وهو مازال على وضعيته:

"جيداء اخرجي من هنا ولا ترييني شيئاً من أفلامك الهندية الآن"

تحدثت سارة بسرعة وتوتر:

"أنا لا شأن لي هو من دخل إلى غرفتي أنا لا شأن لي صدقوني"

ضحكت خديجة بقوة لتقول:

"عزيزتي سارة لاتخافي من هذه العقربة فلن تستطيع فعل شيء لك"

كزت جيداء على أسنانها لتقول بحدة:

"هل وصل بك الأمر إلى أن تنام في غرفتها ياسامح"

نفخ سامح خديه بغضب لينهض بتكاسل ويقول لها:

"لو لم يكن لدي عمل لكنت أربيتك شيء لا يعجبك، سأختصر على نفسي الآن وبعدها لكل حادثٍ حديث"

وجه نظره لخديجة ليقول:

"توصي بها أختي"

حركت خديجة رأسها موافقة وعلى محياها ابتسامة عريضة وهي تشير بسبابتها إلى عينيها الاثنتين، خرج سامح من الغرفة وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة بينما سارة ظلت واقفة بمكانها كذلك جيداء التي مازالت مصدومة وخديجة التي مازالت تضحك بخفوت، نظرت جيداء لسارة لتقول:

"هل فقدتي عذريتك معه أيتها اللعينة"

نظرت لها سارة بحدة لتقول:

"لا تتغابين هل تفهمين وهيا اخرجي من هنا أريد أن أبدل ملابسي"

كتمت خديجة ضحكتها لتخرج جيداء من الغرفة وتتوجه إلى غرفتها والقهر ينهش بها، ظلت خديجة واقفة أمام سارة لتقول:

"لا تقلقي منها هذه معتوهة ولن تفعل لك شيء لا تخافي أنا معك"

نظرت لها سارة بحزن لتقول:

"ولكن هي معها حق لا يجدر على السيد سامح أن ينام بجانبها هذا عيب"

ضحكت خديجة بقوة لتقول:

"يا إلهي كم أنت بريئة حسناً صغيرتي، سوف أجلس لكما المأزون وتصبحين حلاله ومن ثم ينام بجانبك"

أنهت جملتها غامزة لتتأمل لها سارة بتوتر وتحاول أن تخفي ابتسامتها التي كانت سوف تشق وجهها، ضحكت خديجة لتقول:

"لا تنكرين لقد رأيت ابتسامتك، هيا لا تتأخري الحقي بي فوراً"

خرجت خديجة من عند سارة لتظل سارة سارحة في كلام خديجة، ما إن تذكرت كيف قالت لها عن المأزون حتى ابتسمت ابتسامة خفيفة وما إن تذكرت الوضع الذي هي به حتى عبت بملامحها ومن ثم تنهدت لتخرج ثياباً لها وتبدأ بتغيير ملابسها.

على مائدة الفطور

بحيث كان الجميع مجتمعاً على المائدة والجد سالم كان يترأس هذه المائدة، كان الجميع يأكل بصمت ولكن خديجة كانت تضحك بخفوت من الموقف الذي حدث منذ قليل، الجميع انتبه لخديجة كيف تضحك علماً بأنها لا تضحك من اللاشيء وهي امرأة هادئة ورزينة فكيف تفعل ذلك، تحدث إياس متدخلًا بعمته:

"عمتي مابك لما تضحكين من اللاشيء"

كتمت خديجة ضحكتها وحركت رأسها رافضة بمعنى لا شيء، نظر لها إياس باستغراب وصمت ليتحدث مؤيد ابن شقيقها:

"عمتي حقاً ما الأمر"

كتمت ضحكتها للمرة الثانية لتقول:

"اسأل زوجة عمك جيداء عزيزي"

ضحكت بخفوت في آخر جملتها ليوجه إياس حديثه لوالدته:

"ما الأمر أمي"

نظرت له جيداء بقهر لتقول بانديفاع:

"لا شيء"

ضحكت خديجة وجومانة بخفوت على جيداء فخديجة لم تستطع أن تكتم في قلبها ما حدث لذلك حدثت جومانة بكل شيء حدث وبالطبع جومانة انفجرت ضاحكة بشماتة وسعادة لأخيها الوسيم، لم يستطع سامح أن يكبح ابتسامته عندما رأى شقيقته كيف تضحك لبيبتسم هو في المقابل، تحدث الجد سالم موجهاً حديثه لسامح:

"بني أين كنت البارحة لم نراك طوال السهرة"

حالما سمعت خديجة بجملة أبيها حتى انفجرت ضاحكة بقوة، ظل الجميع ينظر لها بذهول وعلى محياهم ابتساماة غير مصدقة بينما جومانة شاركت شقيقته الضحك كذلك سامح أصبح يضحك بخفوت، نظر سالم لابنته ليقول:

"ما الأمر يا ابنتي قل ما تضحكين هكذا مابك"

لم تستطع خديجة أن تتمالك نفسها من الضحك وظلت تضحك لدرجة أنها أدمعت عيناها، ظل الجميع ينظر لها بابتساماة كذلك سارة التي لم تستطع كبح ابتسامتها بسبب ضحكة خديجة الرنانة والبريئة، تماكت خديجة نفسها بصعوبة لتتحدث وهي تمسح دموعها:

"أسفة حقاً ولكن أبي منذ قليل حدث شيء أعجبني كثيراً، اسأل كنتك الكبيرة وستقول لك ماهو"

عقد سالم حاجبيه ليقول:

"ما الأمر جيداء"

نظرت له جيداء بقهر لتقول وهي تهم بالنهوض:

"لا شيء عمي، عن إنكم"

أنهت جملتها وتوجهت إلى غرفتها بينما خديجة عادت للضحك من جديد، نهض إياس وماسة ولحقا بوالدتهما وصمت الجميع لثواني ومن ثم قالت خديجة:

"أبي صدقتي لقد حدث موقف جميل جداً وكسر شوكة تلك الشمطاء جيداء"

أنهت جملتها وانفجرت ضاحكة من جديد ليشاركها الجميع الضحك بهدوء وكذلك سامح، دقائق من الصمت والهدوء ليهبط إياس إليهم وينظر أبيه وسارة بحدة، انتبهت خديجة للوضع ولنظرة إياس لتقول له:

"مايك يامدلل أمك"

نظر لعمته بهدوء ليقول:

"لا شيء عمتي"

هممته له وهي تمضغ اللقمة لتقول بمكر:

"هل علمت من والدتك ما سبب ضحكي"

نظر لها بغضب ولم يستطع التحدث لترد له بمكر:

"بصراحة الموقف جميل كثيراً وقريباً جداً سوف ترون هذا الموقف كل يوم لذلك يجب أن تعتاد عليه أنت وأختك الصغيرة"

نفخ خديه بغضب ليقول بلؤم:

"عمتي الذي ببالك لن يحدث أبداً لأنني أنا أقنعتها بكل شيء والمسألة منتهية"

ضحكت بقوة وشاركتها جومانة الضحك لتقول:

"سنرى يا حبيب قلب أمك سنرى"

ناظرها بغضب ليحدثه سامح ببرود:

"اجلس وأكمل طعامك أو اذهب إلى عمك لا تقف هكذا كالأبله"

نظر لوالده بغضب ليقول:

"حاضر"

أراد أن يجلس ولكن جرس المنزل كان قد قرع ليتوجه ويفتح الباب وإذ به يرى هجرس ورامي أمامه، ألقيا عليه التحية واستقبلهما.

بعد قليل من الوقت كانت جميع أفراد العائلة مجتمعة في صالة المنزل وطبعاً الشبان كانوا مندمجين كثيراً مع هجرس ورامي إذ أنهم يعرفونهما جيداً وهم أصدقاء منذ زمن، أيضاً كانت النسوة مجتمعات وجيداء وسارة وماسة أيضاً معهم، كان نظر هجرس موجه إلى إياس وسارة إذ أنه شعر بأنه يوجد شيء بينهما غير طبيعي، تحدث الجد سالم موجهاً حديثه لهجرس:

"كيف حالك يا هجرس وكيف حال والدتك وأخوتك"

ابتسم هجرس بود ليقول:

"كلهم بخير يا جدي"

همهم له سالم ليقول لرامي:

"وأنت يارامي كيف حال والدك وأختك الصغيرة"

ابتسم رامي باتساع ليقول:

"كلهم بخير جدي"

حرك الجد رأسه موافقاً ليحمحم هجرس ويقول:

"في الواقع سبب زيارتي أنا ورامي إليكم هو أن في الغد سوف تتم خطبة ملاك ورامي لذلك أتينا لكي نقوم بدعوتكم جميعاً"

همهم الجد بابتسامة ليحرك رأسه موافقاً ويقول بمكر:

"وأخيراً، حب الطفولة يارامي"

ضحك الجميع على جملته بينما رامي شعر بالحرج ووضع يده خلف رقبتة وابتسم، بارك الجميع لرامي وهنؤوه على هذه الفرحة الجميلة لأنهم جميعهم يعلمون كم أنه يحب ملاك ويتمناها منذ زمن، للراحة الجميع كانت هناك إشارة استفهام فوق رأسه بشأن أحمد شقيق هجرس فكيف له أن يوافق على رامي خطيباً لأخته وهو يكرهه كثيراً، ولكن ليس هذا المهم! المهم بأن الخطبة سوف تتم وسوف يفرح رامي وملاك بعد طول انتظار.

بعد قليل من الوقت كان رامي وهجرس وإياس في الخارج وتحديداً في حديقة المنزل، لم يكن إياس على طبيعته أبداً وقد لاحظا هذا الشيء عليه، حمحم هجرس ليقول:

"ما الأمر هل هناك شيء بينك وبين خطيبتك"

نظر له إياس بضياح وقهر ليقول:

"لا"

عقد رامي حاجبيه ليقول:

"إذاً ماذا! لما أنت بهذه الحالة؟ وغير ذلك لقد رأينا نظراتك لها طوال الجلسة منذ قليل كلها كانت نظرات عتاب ومن هذا القبيل"

انفجر إياس في وجهيهما ليتحدث بقهر:

"والذي يحبها ياهجرس يحبها"

عقدا الاثنان حاجبيهما ليقول هجرس:

"والدك من يحب لم أفهم"

تحدث إياس:

"يحب سارة"

جحظت عيناها اثناهما ولم يصدقان ماسمعا ليقول رامي بذهول:

"إياس هل أنت مستوعب الكلام الذي تقوله"

تنهد إياس بحدة ليقول:

"دعونا نجلس لكي أفص عليكما كل شيء حدث"

بينما في الداخل كانت مجتمعة الرجال والنساء والشبان والفتيات ماعدا جيءاء وماسة وسارة، فقد كانت سارة في المطبخ تعد القهوة، دقيقة ودخلت عليها جيءاء وماسة لتقول جيءاء بقرف:

"لن أشرب القهوة من يديك لأنك مقرفة ياكنتي"

ابتسمت سارة بخفة لتقول:

"ومن أخبركِ أنني حسبت حسابكِ بالقهوة"

نظرت لها جيءاء وماسة بحدة لتقول ماسة بحدة:

"لا تتحدثين مع أمي هكذا، يا لكِ من محتالة كبيرة، تريدين سرقة أبي ممّا أيتها اللعينة"

نظرت لها سارة لتقول بمكر:

"وما المانع إن كان والدك يريد التخلص من زوجته ولم يعد يطيقها"

أرادت جيءاء أن تتحدث ولكن قاطعتها ماسة قائلة:

"لا شأن لكِ بنا أتمنى أن تذهبين للجحيم يا لكِ من خبيثة"

ضحكت سارة ضحكة رنانة لتقول:

"ولما أنتِ تشعرين بالغَيْظِ أيتها الصغيرة"

احتدت نظرة ماسة أكثر من ذي قبل لتقول:

"أيتها السافلة الماكرة"

تحدثت سارة ببرود ومكر:

"توء توء توء بل أنتِ ووالدكِ السافلات"

نظرت لها جيءاء بتفاجئٍ لتهم بالوصول إليها ولكن دخول سامح عليهم منعها من ذلك، مثلت ماسة البكاء أمام والدها لتقول:

"أبي سارة تقول عني وعن والدتي سافلات يرضيك هذا"

نظر لها سامح ببرود لتبادله سارة بنظرة باردة ومن ثم ابتسمت بسخرية وأشاحت بوجهها عنه، طبطب سامح على كتف ابنته ليقول:

"جيءاء خذي ابنتكِ واخرجي من هنا هيا دعوها وشأنها"

نظرت له جيداً بحدة وغضب لتخرج من المطبخ هي وماسة، ثواني من الصمت ليتحدث سامح ببرود:
"أوافقك الرأي بأن زوجتي سافلة ولكن لا أسمح لك بأن تتحدثين عن ابنتي بهذه الطريقة"

ابتسمت بسخرية على حديثه لتهم بالخروج من المطبخ وقبل أن تخرج اقتربت منه وقربت وجهها من وجهه
بجراحة بالغة منها لتقول بهمس:
"أتمنى أن أتخلص من شيء اسمه سامح بأقرب وقت لأنه لا يشرفني أن أكون مع رجل تزوج بواحدة مثل
جيداء وأنجب منها أيضاً"

ابتسم بمكر ليمسكها من وجهها بطريقة أمتها ويقول بحدة:
"إياك والعبث معي يا سارة، لازلت لطيف معك لا تدعيني أريك وجهي الذي لا يعجبك، انتبهي إلى ألفاظك
جيداً"

نترت يدها وأبعدته عنها لتتظر له بسخط ومن ثم توجهت للأعلى بحيث غرفتها، بينما سامح ظل واقفاً مكانه
يلعن ويشتم بنفسه لأنه جعلها تخاف وتفر منه بعد ما هدأ الجو بينهما قليلاً، نفخ خديه بغضب وتوجه إلى
الصالة بحيث العائلة مجتمعة.

وجاء اليوم الموعد والذي هو يوم خطبة رامي وملاك، كل شخص من عائلة الأزهرى كان يجهز نفسه وكل
منهم كان يبدو بأبهى طلة له، بينما سارة كانت في غرفتها وهي مازالت تجهز نفسها، كانت ترتدي فستان باللون
الأسود بأكام ضيق على الجسم ويصل إلى أعلى ركبتيها بإنشآت وقد وضعت قليلاً من مساحيق التجميل ولكن
كل شيء بكفة وذلك أحمر الشفاه الصارخ الذي وضعته بكفة أخرى، كما أنها جعدت شعرها بشكل بسيط لتبدو
بأحلى وأرق طلة لها. بينما ماسة كانت ترتدي فستان باللون الأزهرى بحمالات وضيق من الأعلى وواسع من
الأسفل يصل إلى ركبتيها ووضع مساحيق تجميل خفيفة.

كذلك جيداء ارتدت فستان باللون النيلي يعطي تطريزة جميلة ومناسبة لعمرها.
بينما خديجة كانت ترتدي فستان باللون الأحمر بحمالات يصل إلى كاحلها. كذلك جومانة ارتدت فستان باللون
الفضي.

أما عن تمارة فقد كانت ترتدي فستان باللون الأسود والفضي معطياً لها مظهراً جذاباً وجميلاً.
بينما بطلنا الخطير سامح كان يرتدي بذلة سوداء وقميص أسود وبتسريحة شعره المميزة تلك بدى بكامل
وسامته ووقاره خاطفاً عقول الفتيات والنسوة حقاً.
أما عن إياس فقد ارتدى بنطال جينز وقميص أبيض وبدى بكامل أناقته.
كل النسوة بدت بأبهى طلة لها كذلك الرجال والشبان والفتيات.

جميعهم كانوا مجتمعين في الأسفل منتظرين أن يكتمل العدد لكي يتوجهوا جميعهم سوياً للصالة، سارة وماسة وراما وحلا لم يكونوا بعد وأيضاً إياس ومراد ولؤي لم يكونوا بعد لذلك كان ينتظرهم الجميع، كان سامح منتظراً سارة على أحر من الجمر فهو يريد أن يراها كيف تبدو وما الذي ترتديه، دقيقة وهبط مراد وماسة وراما ولؤي وبقي إياس في غرفته وحلا وسارة في غرفة سارة، ظلوا منتظرين إلى ان هبط إياس وحلا ومن ثم هبطت ورائهما سارة مباشرة، لم يستطع سامح أن يبعد نظره عنها حالما رآها، دق قلبه بشكلٍ عنيف وابتلع ريقه بصعوبة وتعرق وجهه من اللاشيء، نظر الجميع لها بذهول بينما هي كانت تغطيها حمرة الخجل، الجميع جاملها ولاطفها حتى الفتيات واكتفت هي بالابتسام لهم بتوتر، بينما إياس حقاً مظهرها كان أكثر شيء مثير رآه في حياته وللصراحة تملكته الغيرة والغيط عندما مدحها جميع أفراد عائلته، أما عن جيداء فقد كانت تنظر لسارة بكره شديد كحال ماسة التي ناظرتها بلؤم واشمنزاز، وما هي إلا دقائق حتى تحرك الجميع وتوجهوا إلى الصالة وعقل سامح شارد بصغيرته وهو يصور له الكثير من الأشياء المنحرفة بشأنها.

في الصالة

كان الجميع من المدعوين موجودين كذلك عائلة الأزهرى بأكملها، بدأت الخطبة والمراسم وكان أحمد ينظر لرامي بكره شديد فهو إلى الآن لم يروق قلبه على رامي بينما رامي لم يعيره أي اهتمام وظل كل تفكيره مع محبوبته الصغيرة، أيضاً لمى طليقة هجرس ووالدتها كانتا مدعوتان إلى الخطبة وقد حضرتتا وعينان لمى لم تتزاح عن هجرس إذ أنها ظلت تنتظر له بحزن بينما هو يحاول أن يتهرب من نظراتها ولا يضعف أمامها.

سارة وحلا وريمة وماسة كانوا يتحدثون بأشياء عديدة وسخيفة ويضحكن على كثير من الأشياء، أما سامح فكانت عيناه مسلطة عليها بحيث أنه شعر بالغيرة تسري في عروقه فقط لأنه يرى نظرات الإعجاب من بعض الشبان، وكله بكفة ومدح هجرس لسارة وتقبل يدها أمام سامح كان بكفة، شعر سامح بالغيط والغيرة التي تسري في عروقه خصوصاً أن هجرس تعمد أن يفعل هكذا أمام سامح فقط لكي يغيظه ولكي يسترجع قلباً من حق صديقه.

كانت سارة ترى نظرات سامح الموجهة لها وللصراحة قد أعجبها الأمر وخصوصاً أنها لاحظت تعرقه وابتلاع ريقه عندما رآها، أرادت أن تلعب بأعصابه وتغيظه، ابتسمت بمكر وهسهست في أذن ريمة لتنهض هي وسارة وترقصان سوياً، توجهت سارة وبرفقتها ريمة إلى حلبة الرقص وبدأتا تتمايلان على أنغام تلك الأغنية الصاخبة باحترافية من كلتاها فرقص سارة الشرقي لا يعلى عليه نهائياً، انضمت لهما بسملة وفرح وماسة التي كانت ترقص وتنتظر لسارة بلؤم.

حسناً نأتيكم إلى كتلة الغيط والقهر السيد سامح والذي كان جالساً يتابع رقص سارة وهو يبتلع ريقه بين الحين والآخر بصعوبة، وقد كانت خديجة وجومانة تتابعانه وتضحكان عليه بخفوت إذ أنه حقاً مظهره وهو متعرق الوجه كان مثيراً للضحك، لم يحتمل سامح أكثر لذلك نهض بعنف وتوجه إلى الحمامات ليقوم بغسل وجهه واستعادة نفسه من جديد، فهو لو لم ينهض الآن لكان قد فعل شيء مجنون حقاً.

دقائق ودخل شابان إلى الحمامات بحيث كان سامح واقفاً أمام المرأة وينظر للاشيء بشرود، وبينما كانا الشابان يضحكان ويتحدثان لفت انتباه سامح حديثهما ليقول الشاب الأول:

"يارجل ألم ترى تلك الفتاة التي كانت ترندي فستان أسود كيف ترقص وتتمايل، إلهي كم هي جميلة ومثيرة"

ضحك الشاب الثاني ليقول:

"أجل معك حق حقاً هي مثيرة وجميلة وكل الأعين كانت عليها وعلى من معها"

همهم له الشاب لصديقه ليضحك ويقول:

"هاهاها تعال لكي نتابع الأجواء ونتابع رقص الفتيات"

خرجا الاثنان متوجهان للصالة بينما سامح ظل متصنماً في مكانه وهو يقلب كلام الشابين بعقله، خرج بعنف إلى خارج الصالة بأكملها ليعث برسالة نصية إلى سارة وقد كان محتواها:

"أريدك في الخارج لأمر هام"

قرأت سارة الرسالة ولكنها علمت بأنه يريد لها لكي يوبخها بشأن رقصها ولكنها لم تستمع له ولم تخرج، دقائق وحدثتها خديجة بأن سامح غاضب ويريد لها الأمر هام وإلا سيدخل إليها هو بنفسه ويجرها أمام الناس أجمع، ابتلعت ريقها بصعوبة لتخرج إليه بحيث كان واقفاً أمام سيارته وعلامات الحدة ظاهرة على وجهه، نفخت خديجة لتقترب منه وتكف يديها وتقول ببرود:

"ما الأمر"

نظر لها ببرود من رأسها إلى أخمص قدميها لبيتسم بمكر ويقول:

"ألا يوجد لديك فستان أقصر من هذا"

ضحكت برقة وأنوثة لتذيب قلب الرجل الواقف أمامها بهيئته ووقاره لبيتلغ بينما هي ابتسمت بمكر واقتربت منه ليصبح وجهه مقابلاً لوجهها قائلة:

"أريد أن تسأل ابنتك الصغيرة نفس السؤال عزيزي"

ابتسم بمكر ليهمهم لها وهو يمسح على ذقنه ليقول:

"أتعلمين! يقولون بأنه عندما لا يستطيع الرجل أن يجيب على زوجته أو محبوبته فالأفضل أن يقبلها"

ابتعدت عنه قليلاً ولم تتحدث ليبتسم بمكر ويردف لها:

"ولكن اطمئني أنا لن أفعل هنا"

رفعت حاجبها ونظرت له بعدم تصديق ليردف لها بمكر:

"وإنما بمكان أجمل من هذا المكان بمائة مرة"

أنهى جملته وأمسكها من رسغها ليصعدها بالسيارة غصباً عنها ومن ثم توجه بها إلى مكان هي أول مرة بحياتها تراه أو بالأصح هي أول واحدة تراه من بعد سامح.

بينما كان سامح يقود سيارته ويسمع صراخ سارة وشتائمها وضربها له أثناء القيادة وطبعاً كان يتجاهل كل هذا منها فقط ريثما يصلان، صدح صوت هاتفه معلناً عن وصول رسالة، فتح الرسالة وكانت من خديجة وقد كان محتواها:

"أتمنى لك أوقات سعيدة برفقة محبوبتك أخي الوسيم. كل الحب"

قرأ الرسالة وابتسم من قلبه ليبعث لها بالرد ويشكرها بشكل مختصر.

بعد قليل من الوقت وقف سامح بسيارته أمام منزل كبير من الطراز الفاخر والمميز، هبط من السيارة وتوجه إليها لكي ينزلها غصباً عنها بينما هي تصرخ وتلعن وتشتتم به، دخل بها إلى المنزل ومن ثم أقفل الباب ليرميها بعنف على الأريكة ويصرخ بها أن تكف، نظرت له بحدة لتنهض وتتحدث بصراخ:

"ما الذي تريده مني فقط قل لي ما الذي تريده لقد تعبت منك حقاً"

ابتسم ببرود ليضع يديه في جيوبه ويقول:

"أريد كل خير"

نظرت له بغضب لتقول:

"أنت الشر بذاته فكيف تبحث عن الخير"

ضحك برزانة وهدوء ومن ثم تبدلت ملامحه إلى ملامح مخيفة ليقترّب منها بينما هي تبتعد إلى أن حاصرها
بزاوية الحائط ليصرخ بها صوت زلزل كيانه:

"هل فعلتي ماتريدينه، هل رقصتي وتمايلتي على مزاجك فقط لكي تغيطيني، هل وصلتني إلى مرادك ها، هل
استمتعتي وأنتِ ترقصين وترين نظرات الشبان الشهوانية الموجهة إليك هيا تحدثني"

أنهى جملته بصراخ أكبر لتجفل هي من صوته، احتدت نظرتها هي لتصرخ هي بالمقابل أيضاً:
"وما شأنك بي أنت ها، لماذا تدقق على أبسط الأشياء التي تخرج مني، لما لا تذهب لكي تعاتب ابنتك وهي من
كانت ترتدي فستان فاضح أكثر من فستاني"

نظر لها بغضب ليقول بصراخ:

"لا شأن لي بابنتي تركتها لوالدتها لكي تربيها هي، أنا أتحدث عنك الآن"

نظرت له بغضب لتقول باستنكار:

"ونعم الأب"

أمسكها من شعرها ليتحدث من بين أسنانه بينما هي صرخت صرخة مكتومة ليقول سامح:
"اسمعيني سارة لقد تحملتك كثيراً، لا تدعيني أتخلى عن مبادئ وأخلاقي وأفعل بك شيئاً لا يعجبك هل تفهمين"

ابتعدت عنه بعنف لتصرخ بوجهه:

"ما الذي ستفعله ها، هل ستقوم باغتصابي مثلاً أم تتحرش بي هيا تحدث"

ابتسم بسخرية ليقول:

"ربما أفعل أكثر من ذلك"

تحدثت بغضب:

"لا يهمني ما ستفعله بي، هيا أعدني إلى المنزل"

اقترّب منها عدة خطوات ليقف أمامها ويقول:

"هل أنت فرحة هكذا إذ أنك وصلتني إلى مرادك الآن"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"أي فرح وأي مراد هذا الذي تتحدث عنه، لا يوجد فرح وأنا بجانبك ولا يوجد أي شيء في بالي لكي أغبطك لأنك لا تهمني في شيء، لا أعتبرك أكثر من رجل كنت أريد أن يكون مثل والدي ولكن الآن أنت رجل في أواخر الأربعين من عمرك وتقف أمام فتاة من عمر ابنتك"

نظر لها بحدة ليصرخ بها:

"لما تتعمدين إغصابي، لما تريدين أن أخرج لك أسوأ ما بي لماذا أيتها اللعينة"

صرخت بوجهه بالمقابل:

"لا شأن لك بي فقط ابتعد عني أنا لا أريد شيئاً منك دعني وشأني فقط"

تحدثت بحدة و غضب:

"لا تحلمين بهذا أبداً يا سارة، لقد دخلت قلبي ولن تخرجين منه أبداً وسوف تكونين لي وإلا سأدعك تندمين"

نظرت له بسخط لتتحدث بحدة:

"أتعلم ماذا! حقاً إياس لا ذنب له بكل ماتفعله به، أنت رجل أناني إذ أنك تخرب على نفسك حياتك وحياة أولادك وزوجتك، اللعنة على رجل سافل مثلك ليس لديه ذرة أخلاق، إفهم واعلم جيداً بأنني لن أكون لك أنا أكرهك من كل قلبي أيها اللعين أكرهك ولا أطيق رؤية وجهك، دعني وشأني واب.."

قطع جملتها بحيث أنه هبط عليها بتلك الصفحة القوية والتي جعلتها تسقط أرضاً، احتدت نظرتها وشعرت بالدماء تغلي في عروقها لتنهض وتصفعه بكل ما أوتيت من عزم وهي تنتظر له بحدة وأعين زائغة وترتجف في مكانها، نظر لها بذهول لمدة ولم يستوعب ما فعلته لينظر لها من بعدها بغضب الدنيا كلها وينزل عليها بالضرب المبرح والذي جعلها تبكي وتصرخ، ابتعد عنها بعدة ثواني وهو يلهث ليضع كلتا يديه فوق رأسه ويغمض عيناه بقوة.

نظر لها بحدة بعد ثواني ليحرك رأسه موافقاً ويقترب ليحملها ويتوجه بها إلى الأعلى ويدخل بها إلى الغرفة، رماها بعنف على السرير ومن ثم خرج ليهبط إلى الأسفل ويجري اتصالاً وظل منتظراً قدوم الشخص الذي هاتفه.

بعد وقت طويل نوعاً ما أطل ذلك الشاب والذي لم يكن سوى ناصر الذي جلب سارة إلى سامح دون علمها منذ عدة أيام، دخل ناصر إلى الصالة برفقة سامح وقد رأى بأن الجو متوتر قليلاً ليحتم ناصر ويسأله عن حاله،

تنهد سامح بقوة وقص عليه كل ماحدث وأيضاً طلب منه مايريده أن يفعله مع سارة، للصراحة لم يتوقع ناصر أن سامح سيطلب منه كهذا الطالب فقد جحظت عيناه بذهول ولم يصدق أبداً، ابتلع ريقه ليقول:

"سيد سامح كيف تريدني أن أفعل هكذا"

تحدثت سامح ببرود مخيف:

"ستفعل ما أمرتك به فقط"

تحدث ناصر بحرج:

"عفواً سيدي ولكن إن فعلت هكذا لن تلز.."

قاطعه سامح بصراخه:

"اصمت أيها اللعين، هيا إذهب وافعل ما أمرتك به"

ابتلع ناصر ريقه وحرك رأسه موافقاً فهو مجبور على الطاعة ليس لأنه غصباً عنه بل لأنه يضحي بروحه من أجل سامح ويفعل كل شيء لأجله.

حسناً يارفاق بعيداً عن نذالة ناصر إلا أنه حقاً يحب سارة وفكرة ذلك الموقف الذي فعله بها في ذلك اليوم لم يكن في خاطره أن يفعله ولكن أوامر سامح هي من أجبرته على ذلك، ناصر يعرف سامح منذ زمن وسامح يثق به جداً ويكلفه بمهام عدة، هو مستعد أن يلبي كل حاجيات سامح دون أن ينطق بحرف لشدة حبه واحترامه له وهو يعمل لديه بشكل رسمي ولكن دون علم أحد.

ولكن الموضوع الذي أتى ناصر من أجله الآن جعله مكتف اليدين ولكن ما باليد حيلة وسوف ينفذ، فسامح طلب منه أن يقوم بالاعتداء على سارة، لا يعلم لما سامح أقدم على هذه الخطوة كل مايعلمه بأنه الآن بحالة جنون ويريد أن يفرغ شحنة غضبه منها وينتقم منها على ذلك الكلام الجارح الذي رمته على مسامعه، فهي قد جرحتة كثيراً لذلك يريد الانتقام منها وهو حقاً عقله واقف عن العمل في الوقت الحالي ولا يعلم لماذا أمره بهذا الشيء والذي لا يعتبر أمر طبيعي نهائياً، وحتى إن أردنا أن نسميه انتقام فسوف يكون انتقام تافه وكبير وليس من شيمه نهائياً.

صعد ناصر متوجهاً إلى الغرفة التي بها سارة ليدخل عليها وهو متردد، نظرت له سارة ولم تصدق بأنها تراه هنا، ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول ببيكاء:

"ما الذي تفعله هنا أنت ناصر"

ابتلع ريقه ليتعهد بجمود ويقول:

"سامحيني ولكنني أيضاً مجبر على التنفيذ هذه المرة"

نظرت له بعدم فهم لتراه يتقدم منها ومن ثم بدأ بمحاولة الاعتداء عليها بينما هي تبكي وتصرخ وتناجي.

لم يستطع ذاك الذي بالأسفل أن يقاوم مناجاتها وصراخها، وكان ضربة قوية أتته على رأسه لكي توقظه من الذي به وتجعله في هذا الواقع الذي موجودة به صغيرته وهي تتألم وتناجيه، نهص بعنف وعيناه حمراء كالدماء ليصعد إليها ويفتح الباب ليرى ناصر كيف يحاول الاعتداء عليها بينما هي تدفعه بمحاولة ضعيفة منها، توجه له كالنور الهائج ليعده عنها بعنف ومن ثم أخرجه من الغرفة، دقائق من الهرج والمرج وسامح جالساً على الأرض واضعاً يديه على رأسه ومعالم القهر بادية على وجهه، بينما سارة ممددة على السرير وهي تبكي بقهر على الحال الذي وصلت له وبسبب من دق قلبها لأجله...

"ياقلبُ ضاع هواك"

في حُبٍ من جافاك

عذبت من يهواك

أحببت من ينساك"

يومان من القهر والدموع والبكاء، لا تفعل شيء سوى هكذا وهي وحيدة في منزلها، تبكي بحسرة على نفسها وهي غير مصدقة ما بدر منه، لقد ألمها وجرحها بطريقة فاجعة، كيف له أن يفعل هكذا بها؟ لا تنكر بأنه ولدت نقطة مشاعر في قلبها تجاهه ولكن حقاً لقد دمرها بلحظة غضب منه، هي لم تراه منذ ذلك اليوم ولا تريد أصلاً أن تراه، لقد تركت منزله وتركت العائلة وتركت الجميع وعادت إلى منزلها لتبقى وحيدة ولتفرح بعض الأشخاص في بعدها عنهم، وأيضاً ليحزن البعض الآخر لإنها رحلت.

للصراحة لقد تعجبت العائلة من رحيلها ورجوعها إلى منزلها علماً بأنها كانت سعيدة بينهم فهم لم يعلموا ماذا فعل بها سامح، كما أن إياس لم يكف عن اتصالاته لها والاستفسار عن سبب رجوعها وحبس نفسها في المنزل طيلة اليومين الماضيين، فهي لم تخرج من المنزل نهائياً منذ ذلك اليوم، كما أنه أتى إلى منزلها ودق عليها الباب كثيراً ولكنها لم تفتح له ولم تحبذ رؤيته، أيضاً خديجة وجومانة اتصلتا بها مراراً وتكراراً وحاولتا الوصول إليها ولكن مامن جدوى، كما أن بعض الأشخاص من العائلة تعجبوا من غياب سارة عندما اقيمت حفلة رامي وملاك، ولكن سامح قد كذب عليهم وبرر موقفها بأنها عندما خرجت أغمي عليها ونقلها إلى المستشفى ومن ثم أعادها إلى منزلها بناءً على طلبها ولم يعلم منها ما السبب.

في الواقع جيداء عندما علمت بالقصة لم تقتنع نهائياً كحال إياس الذي لم يقتنع أيضاً وقد شك بأمر أبيه من أن يكون قد أجبر سارة على العودة إلى منزلها لكي لا يقترب منها إياس أو يحدثها، وأيضاً خديجة وجومانة لم تقتنعن بالأمر لذلك ظلنا وراء سامح حتى عرفنا ما الأمر وما الذي فعله بها سامح.

بينما سامح منذ ذلك اليوم لم يستطع نسيان فعلته الشنيعة وغدره بها، فهو أحس بتأنيب الضمير والسفالة منه لأنه فرط بملاكه الصغير، منذ يومين وهو ليس على مايرام نهائياً خصوصاً ببعدها عنه وب الذي فعلته به خديجة من تهزيئ وصراخ وعتاب لكي تزيد الطين بلة عليه.

حسناً سنعود قليلاً للوراء لكي نعلم ماذا حدث في اليومين الماضيين من ردود أفعال:

:Flash back

في يومها وعندما كانت ممددة على السرير تبكي وتشهق كان سامح جالساً على الأرض وهو ينظر للاشيء بشرود ويفكر فيما فعله بها، أحس بنيران تأكل جسده والقهر امتلئ بصدرة، ترقرت عيناه بالدموع ولكنه كبج دموعه وأبت النزول، نهض بعنف ونظر لها بقهر ليصرخ بها:

"اللعنة عليك و علي"

أنهى جملته وخرج من الغرفة متوجهاً إلى الغرفة المجاورة وبدأ بتحطيم وتكسير كل شيء يراه أمامه وهو يصرخ ويشتم، أصبحت حالته مزرية بكل معنى الكلمة، صرخ كثيراً لدرجة أنه كادت حباله الصوتية أن تنقطع، في آخر نوبة جنونه توجه إلى المرأة الكبيرة والوحيدة التي كانت مازالت سليمة وغير محطمة ليكور قبضته ويضرب المرأة بكل قوته تزامناً مع صرخة قهر خرجت وانكسار جزء من المرأة وجرحه البسيط الذي بيده.

كانت تستمع لكل حركة وكل كلمة جنون وصراخ ينفوه بها، لأنأي للواقع صراخه وصوته الجهوري الذي كانت تسمعه حقاً أخافها وبعث في قلبها الذعر من أن يعتدي عليها هو ويكمل وما كان سيفعله ذلك اللعين ناصر، تحاملت على نفسها ونهضت لتخرج من الغرفة بهدوء وهي تحاول كبح شهقاتها خصوصاً بأنها لم تعد تسمع أي صوت من الغرفة التي هو بها، كانت ترتدي في قدميها حذاء بكعب عال وقد خلعتة لكي لا تسبب صوت من وقع أقدامها، حملت حذائها بيدها وخرجت من المنزل بسرعة بالغة لتخرج إلى الشارع العام وهنا بدأ الذعر يتسلل إلى قلبها أكثر من ذي قبل، إذ أنها كانت تمشي بوهن في ذلك الطريق وفي منتصف عتمة الليل وتنظر لحلفها كل مدة مخافة من أن يكون أحد خلفها.

ظلت تمشي إلى أن لم تعد قدميها تحملها لذلك توجهت وجلست على الرصيف لكي تستريح قليلاً، ماهي إلا دقائق حتى ظهرت أمامها أضواء سيارة قادمة من مسافة بعيدة نوعاً ما، انتابها الذعر عندما ظنت بأنه قد يكون سامح لحق بها، وقف ذلك الشاب بسيارته أمام سارة وهبط منها لينظرها بتعجب، بادلتها سارة بنظرة واهنة وللصراحة لم ترتاح له نهائياً، فهو كان يرتدي بنطال أسود وقميص أسود مشمراً عن ساعديه لتظهر تلك الوشوم الكثيرة في يديه، ليس من الضروري أن يرتدي الأسود لكي تخاف منه سارة ولم يكن هذا سبباً كافياً ولكنها حقاً لم ترتاح له نهائياً، ابتلعت ريقها وهمت بالنهوض لترتسم ابتسامة مأكرة على شفثيه ليقول:

"أوه أنستي الصغيرة هل تحتاجين لتوصيلة"

نظرت له بوهن لتقول بخفوت:

"لا شكراً"

أرادت أن تمشي ولكنه أمسك بمعصمها ليمنعها من السير قائلاً:

"يبدو بأنك تعرضتي لحادثة أو ماشابه، حسناً هيا اصعدي معي لكي نذهب إلى قسم الشرطة وتقديم شكوى"

عقدت حاجبيها لتقول:

"وعلى من سأقدم شكوى، لم أتعرض إلى أي حادث ودعني وشأني"

للمرة الثانية أرادت أن تمشي ولكنه منعها ليقول:

"حسناً منزلي قريب من هنا، هيا تعالي وسوف ترتاحين قليلاً ومن ثم أوصلك إلى منزلك ما رأيك"

نترت يدها من يده لتتحدث بحدة:

"ابتعد عني أيها اللعين"

خطت خطواتها وواصلت سيرها ليلحق بها ويحاول معها ولكنها أبعدته عنها ومن ثم انتبها اثناهما إلى أضواء السيارة القادمة نحوهما ليهبط من السيارة وغضب الدنيا كلها به ويتوجه نحو ذلك الشاب ويمسكه من ياقة قميصه ويحدثه بحدة:

"ماذا تريد منها أيها العاهر"

نظر الشاب لسامح ببرود ليقول:

"أردت أن أوصلها إلى منزلها، ثم أنه ماشأناك أنت ومن تكون"

أجابته سامح بجواب شافي وجميل أيضاً ألا وهو لكمة عنيفة على وجهه، سقط الشاب على الأرض من عزم اللكمة ليلتفت سامح إلى سارة ويمسكها من يدها ويجرها خلفه إلى أن ركبا بالسيارة وتوجه بها إلى وجهة هو تحديداً لا يعلمها.

دقائق من الصمت وقد كان سامح مشغول بالقيادة بينما سارة كانت تبكي بصمت، ألقى نظرة خاطفة عليها ومن ثم وجه نظره للأمام ليتنهد ويقول:

"لقد فقدت زمام نفسي ولا أعلم لماذا فعلت بك هكذا"

ابتسمت بسخرية من بين دموعها لتقول ببيكاء:

"أنت أحقر رجل رأيته في حياتي"

لم يجيبها وظل صامتاً، هه طبعاً سوف يصمت فكيف له أن يجيبها وهو من فعل فعلته الشنيعة تلك، أردفت له ببيكاء:

"أريد أن أذهب إلى منزلي لا أريد العودة إلى منزلك"

تنهد بقوة ليقول:

"حسناً ولكن لا تظني بأنك سوف تتخلصين مني"

تحدثت بجمود:

"أتمنى أن تنتهي حياتي وعندها سوف أتخلص منك وسأرتاح كثيراً"

نظر لها بعتاب ليشيح بوجهه عنها وهو يفكر بمدى مقتتها له، ولكن مهما يكن لا يجب عليها أن تفكر بالموت نهائياً، تفكر بالموت بينما هو لا يفكر سوى بها وبامتلاكها، كيف سيستطيع العيش بدونها إذا ماتت أو حدث لها شيء، مؤكداً بأن حياته لن يصبح لها معنى.

دقائق أخرى من الصمت وبينما سارة كانت تجفف دموعها التفتت لتنتبه ليد سامح التي يقود بها وكانت مليئة بالدماء، تحدثت بخفوت:

"مابها يدك"

نظر ليده ليقول ببرود:

"ليس مهم"

تنهدت بقوة لتقول:

"الأفضل أن تعالجها"

ابتسامه عاشقة نمت على شفثيه عندما رأى خوفها اللامباشر عليه، ولكن ابتسامته تلاشت عندما سمع جملتها بلكنتها الباردة:

"لا تظن بأنني خائفة عليك أنت لا شيء بالنسبة لي خصوصاً بعد هذه الفعلة التي فعلتها بي"

نظر لها ببرود ليبتسم بسخرية ويحرك رأسه موافقاً ومن ثم وجه نظره للأمام ليكمل قيادته متوجهاً بها إلى منزلها.

عندما وصل سامح إلى منزله كان جميع أفراد العائلة بانتظاره، دخل عليهم والتعب ظاهر على وجهه، كانوا قلقين عليه وعلى سارة بينما نيران الغيرة كانت تنهش بصدر كل من جيداء وإياس لإنهما تيقنا بأن سارة معه، برر لهم موقفه وكذب عليهم كذبه ومن ثم توجه إلى غرفته ولكن جومانة وخديجة لم تقفعا بتبريره لذلك قررنا استجوابه ولكن ليس الآن وإنما في اليوم التالي.

في اليوم التالي

وفي المساء كان سامح جالساً في مكتبه وهو يفكر بفعلته مع سارة، ينظر للسقف بشرود ويتخيل سارة أمامه، حاول مراراً وتكراراً أن يتصل بها ولكن مامن جدوى ولم تجيبه نهائياً، دقائق ودخلنا عليه خديجة وجومانة لينظر لهما ببرود ويشيح بوجهه عنهما، تقدمت خديجة وجلست أمامه وفعلت جومانة المثل، ابتسم سامح بسخرية ليقول:

"أعلم بأنكما أنتما الاثنان لم تقفعا بما حدثكما عنه البارحة أليس كذلك"

تحدثت خديجة بثقة وبرود:

"أجل وأريد أن أعلم ما الذي فعلته للفتاة"

تنهد سامح ليبل شفتيه ويقول:

"أنا لم أفعل شيء أختي"

عقدت خديجة حاجبها لتقول:

"لم أفهم"

مسح سامح على وجهه ليقول بهمس:

"أنا متعب كثيراً"

تنهدت جومانة لتقول بلطف:

"أخي مابك حدثنا ما الذي حدث البارحة فأنا وخديجة نعلم جيداً بأن كلامك ليس صحيحاً لذلك حدثنا وصارحنا أرجوك"

نظر سامح لشقيقتيه بأعين دامعة ليرفع حاجبيه ويتحدث بابتسامة مجنونة:

"ما الذي تريدنا معرفته بالتحديد، أنا ارتكبت خطأ فادح بحقها، لقد أدبت صغيرتي وجعلتها تتألم، هي الآن تبكي بسببي"

أنهى جملته ودموعه تهدد بالسقوط في أي لحظة، نظرت له خديجة بعينان جاحظة مخافة من أن يكون سامح قد قام بأذية سارة أو ماشابه وكذلك جومانة كانت تفكر نفس التفكير، ثواني من الصمت ليبتلع ريقه بصعوبة ويحدثهما بكل شيء حدث وكل شيء فعله بها، كانتا تستمعا له بإنصات ولكن بعد ذلك لم تستطع خديجة تمالك أعصابها لذلك نهضت وصرخت به بأعلى صوتها:

"ما الذي فعلته أيها المجنون، كيف تفعل ذلك بها، وأنا التي كنت أدمك في قراراتك وأقف بجانبك لكي تحصل عليها، هذا ماتفعله بها الآن، أهذه هي رجولتك أيها الغبي"

نظر لها بعينان دامعة ونظرة باردة ولم يتفوه بحرف، في الواقع خديجة مهما كانت هادئة ولكنها امرأة نيرانية ولا تستطيع أن ترى الخطأ وتصمت عنه لذلك هي تتقلب مائة وثمانين درجة عندما تغضب وتتحول تماماً من امرأة هادئة ورزينة إلى امرأة حادة وغازبية كالجحيم، وطبعاً جومانة تعرف أختها عز المعرفة لذلك خافت كثيراً من أن تزيد على أخيها لذلك حاولت تهدأتها وتهدأ الوضع بشكل عام، تحدثت جومانة بهدوء:

"أختي اهدئي قليلاً لا يجب عليك الانفعال، لنسمع أولاً تبريراته وما هو الدافع الذي جعله يقوم بفعلته مع الفتاة"

تحدثت خديجة بعصبية:

"ما الذي تريدين أن أفعله مثلاً، أن أجلس وأضع قدم فوق الأخرى وأصفق له وأقول له ممتاز على مفاعله يا أخي الأصغر ها"

صمتت جومانة لتنظر خديجة إلى سامح بحدة وتقول:

"اسمعني جيداً سامح، هذه الفتاة سوف تنساها نهائياً ولن تقترب منها بعد الآن، فإن كان الرجل الذي عشقتها من كل قلبه قد غدر بها ولم يكن لها رجل فلن أعتب على ابنك الذي هو مثلك تماماً"

أنهت جملتها الحادة ومن ثم أرادت أن تخرج من المكتب ولكنها استدارات لتردف له:

"وبالمناسبة حفل زفاف سارة وإياس سوف يتم في موعده، فعلى الأقل ابنك لم يصل إلى فعلتك بعد ولم يفكر بأن يفعل بها هكذا"

أنهت جملتها وخرجت من المكتب متوجهة إلى غرفتها بينما سامح ظل ينظر للفراغ بشرود، نظرت له جومانة بحزن لتربت على كتفه وتقول:

"لا تقلق أخي هي الآن غاضبة ولا تعلم ما الذي تقوله، مؤكداً بأنها ستراجع نفسها وتسحب كلامها"

ابتسم سامح بسخرية ليقول:

"فلتتكلم كما تشاء، ولتشهدي على كلامي بأن هذا الزفاف لن يحدث"

تنهدت جومانة بقوة لتقول:

"أتمنى أن تفعل شيئاً صائباً هذه المرة لكي تكسب قلب سارة"

حرك رأسه بإيجاب وهو ينظر للاشيء بشرود لتقبل رأس أخيها ومن ثم خرجت من المكتب متوجهة إلى غرفتها أيضاً.

.End flash back

لم يكن يجدر به أن يحدث شقيقته التي قامت بتهزأته وجرحه في حديثها ولكن قلقه وخوفه على صغيرته تخطى كل شيء لذلك سمح لنفسه أن يلجأ لشقيقته ويدق عليها بابها، أناه صوتها من الداخل لتقول:

"تفضل"

أدار مقبض الباب ودخل إليها بوجه جامد، حالما رآته حتى نظرت له بلؤم ومن ثم أشاحت بوجهها عنه، توجه إليها ليجلس بجانبها لتقول له وهي تشيح بوجهها عنه:

"ماذا تريد"

تنهدت بقوة ليقول:

"أريدك أن تذهبي إلى سارة وتطمئني عليها أنا قلق جداً عليها لأنها لم تخرج من المنزل ولم تجيب على اتصالاتي أبداً"

نظرت له لتبتسم بسخرية وتقول:

"هه وهل تريد منها أن تجيب على اتصالاتك وتحدثك بعد كل مافعلته بها"

أخذ نفساً عميقاً محاولاً التماسك ليقول:

"أختي أرجوك لا أريد منها شيء أريد فقط الاطمئنان عليها"

تحدثت خديجة بجمود:

"ولما لم تذهب إليها"

أجابها سامح:

"ذهبت وطرقت عليها الباب كثيراً ولم تفتح لي"

نهضت لتفتح خزانها وتنتقي شيء من ثيابها وتقول:

"سأذهب ليس من أجلك بل من أجلها هي، أنا أيضاً قلقة عليها"

ابتسامة خفيفة نمت على شفتيه ليشكر شقيقته ويقول:

"حسناً سأوصلك أنا وسأنتظرك بالأسفل لن أصعد معك إلى المنزل"

تحدثت بصراحة:

"سأذهب لوحدي أعرف المنزل لا داعي لأن تتعب نفسك"

كز على أسنانه وحرك رأسه بحدة وخرج من غرفتها، دقائق وتجهزت خديجة لتخرج من غرفتها وتتوجه للأسفل إذ أنها قابلت سامح على السلام وهو يهبط للأسفل، لفت انتباهها صوت الضجة وجيّداء واقفة أمام باب المنزل تستقبل أحدّ ما، ثواني وظهرت أمامها خلود والدتها التي تدعى (جميلة)، رفعت حاجبها بلؤم ورفعت رأسها بتكبر لتبتسم بسخرية وتتقدم منهم وتحدث ساخرة:

"أوه أوه من أرى أمامي يا إلهي السيدة جميلة وابنتها المحترمة خلود في منزل سامح الأزهرى يا أهلاً وسهلاً"

نظرت لها جميلة بتكبر لتبتسم بسخرية وتقول:

"سررت برؤيتك ياخديجة هانم"

ضحكت خديجة برزانة لتقول:

"شكراً لك عزيزتي، ااا هيا قولي لي ما المصيبة التي أتيتي بها أنتِ وابنتك هذه المرة"

تنهدت جميلة بغیظ لتقول:

"خديجة هانم أنا لم آتي لافتعال المصائب هدفي من الزيارة هو أن أرى أختي واطمنن عليها"

ضحكت خديجة بقوة لتهمم لها، صوت ضحكة خديجة كان عالٍ نوعاً ما وكما حدثتكم بأن خديجة لا تضحك بقوة إلا نادراً لذلك صوت ضحكتها كان شيئاً يدعى للاهتمام من قبل عائلة الأزهرى لذلك نهض البعض ليروا ما القصة، اجتمعن ملك ومنيرة وجومانة وبسمة وحلا ولؤي ومراد وإياس وماسة وأيضاً سامح كان واقفاً من أول ما دخلت جميلة وابنتها، تلاقى عينا جومانة بعينا جميلة لتبتسم جومانة بسخرية وتقول:

"أوه انظروا من أتى إلينا السيدة جميلة التي لا تمت لإسمها بـصلة"

ضحك البعض بخفوت والآخر بقوة لتحدد نظرة جميلة وتحدث من بين أسنانها:

"ما بالكم اجتمعتم علي ها، أتيت لأرى أختي ولن يمنعي أحد"

انضمت لهم حنان لتقول:

"ومن منعكِ عزيزتي تفضلي ادخلي ولكن.."

قطعت جملتها لتتظر لخديجة نظرة ذات مغزى لتكمل خديجة عنها:

"ولكن اسمحي لنا ابنتكِ المحترمة خلود لن تدخل معكِ لإسباب خاصة وفي منتهى السرية"

رفعت جميلة حاجبها لتقول بلؤم:

"هاهاها لقد أضحكنتي جداً يامدام أنتِ وشقيقتيكِ المدللتين، هذا منزل أختي وأنا سأدخل وبرفقتي ابنتي وغصباً عن الذي يريد والذي لا يريد، ثم أنني أتيت لكي نصفي حساباتنا بشأن طردكِ لابنتي ياخديجة هانم"

ضحكت خديجة بقوة وقد شاركتها جومانة وحنان الضحك، أرادت أن تتحدث ولكن تدخل سامح بالموضوع أسكتها ليقول سامح ببرود:

"مالك هذا المنزل لا يسمح بدخول العاهرات، إن أردتي ادخلي من دون ابنتكِ لكي ترين شقيقتكِ وإن لم يعجبكِ الأمر خذي شقيقتكِ معكِ واشبعي منها ومن رؤيتها في منزلكِ"

نظرت له جيداء بعينان جاحظة ومن ثم بحدة كذلك جميلة وخلود قد فعلتا المثل لتتحدث خلود بحدة:

"ما الذي تهذي به ياسيد سامح أصبحنا الآن عاهرات أنا ووالدتي! أنسيت كلامك لي في السابق"

ابتسم سامح ببرود ليقول:

"لا لم أنسى أبداً وأيضاً لم أنسى ماحدث في المكتب"

جحظت عيناها بقوة عندما سمعت بجملته ومن ثم ناظرته بحدة لأنه يهددها، ابتسم سامح بسخرية ومن ثم وجه حديثه لجيداء قائلاً:

"جيداء يتهيا لي أنكِ سمعتي كلامي أنتِ وشقيقتكِ وابنتها"

كزت جيداء على أسنانها وناظرته بحدة فهي تعلم لما يرمي إليه، أدار ظهره ليهيم بالرحيل ولكن صوت خلود أوقفه لتقول:

"كيف حال ناصر يا عمي سامح"

هذه الجملة جعلت الدماء تغلي في عروق سامح، استدار لها ليحدثها ببرود:

"يتمنى قضاء ليلة مع العاهرات أمثالكِ"

أرادت جميلة وخلود وجيداء أن تعترضن ويتحدثن، أي واحدة منهن تتحدث وتنفجر في وجهه لا يهم ولكنه أوقفهن بكلامه الموجه لـ لؤي ابن جومانة ليقول:

"لؤي ابن أختي العزيزة، لطالما كنت تحب هذا النوع من الفتيات لذلك خذها لك عزيزي"

كتم إياس ومراد ضحكتهما وأيضاً لؤي ولكن مراد لم يستطع أن يكتفم ضحكته أكثر لذلك انفجر ضاحكاً أمام الجميع مما جعل جيداء وجميلة وخلود يناظرونه بحدة، أنهى جملته سامح ونظر لهن بسخرية ومن ثم صعد إلى غرفته، أيضاً خديجة ضحكت بشماتة واستفزاز ومن ثم نظرت لجومانة نظرة ذات مغزى بمعنى أن تتولى الأمر، أرادت خديجة أن تخرج من المنزل ولكنها تذكرت شيء لذلك التفتت وحدثت جميلة:

"أوه بالمناسبة إن أردتي انتظريني ريثما أعود لكي نصفي حساباتنا عزيزتي"

أنهت جملتها وضحكت بشماتة ومن ثم خرجت من المنزل متوجهة إلى منزل سارة.

مضى قرابة الربع ساعة ومن ثم وصلت إلى منزل سارة، هبطت من سيارتها ودخلت إلى المبنى لتصعد السلالم ومن ثم وصلت إلى منزل سارة، طرقت على الباب وانتظرت قليلاً ولكنها لم تفتح لها، ظلت تطرق على الباب كثيراً وتدعها تسمع صوتها لكي تطمئن بأنها خديجة وليس أحد آخر، ثواني وفتحت لها سارة وهي بوجه شاحب وعينان دامعة ونظرة واهنة، نظرت لها خديجة بقلق لتقول لها:

"عزيزتي سارة مابك ياقلبي"

حركت رأسها رافضة ولم تجيبها لتدخل برفقة خديجة إلى الداخل وتجلسان في الصالة، دقائق من الصمت لتتحدث خديجة وهي تلمس على شعر سارة لتقول:

"أهكذا تعلقينا عليك ياسارة، لما لم تجيبين على اتصالاتنا"

ترقرقت عيناها بالدموع ومن ثم انفجرت بالبكاء لتحتضنها خديجة وتطبطب على ظهرها تاركة إياها تخرج كل القهر الذي بداخلها.

بعد فترة قصيرة هدأت سارة قليلاً لتقول لها بنبرة باكية:

"ألم تعلمين بالذي فعله بي أخاك"

تنهدت خديجة بحزن لتقول:

"بلى لقد علمت وصدقيني لم تهوني علي ياسارة، أنا الآن هنا لكي أساعدك ولكي أفعل لك ما تشائين، اطلبي أي شيء تريدينه وسأفعله لك، لن أضغط عليك بشأن سامح ولن أدعك تكونين له، أنا معك بكل شيء تريدينه صدقيني وسوف أساعدك حبيبتي"

نظرت لها بعينان دامعة وهي تشهق ببكاء لتقول:

"أحقاً ستقفين بجانبني وتساندينني"

تحدثت خديجة بانتسامة:

"أقسم لك سأفعل ماتشائين وأدعمك بأي شيء تريدين فعله"

ابتلعت ريقها بصعوبة لتأخذ نفساً عميقاً ومن ثم زفرت بقوة لتقول:

"إذاً سوف تظلين معي إلى الأخير وإلى أن أخرج من عائلتكم نهائياً صحيح"

ابتسمت خديجة بخفة وحركت رأسها موافقة لتردف لها سارة:

"حسناً إذاً، سوف أتزوج إياس وسأظل معه فترة قصيرة ومن ثم ستساعديني لكي أتطلق منه، هذه الطريقة الوحيدة التي ستجعل سامح يبتعد عني"

همهمت لها خديجة بتفهم وتنهدت بحزن على حال أخيها، فمهما هزأته وشتمته يبقى أخيها الذي تريد سعادته وراحته، ولكن الوعد الذي قطعته على سارة فوق كل شيء وستساندها بأي شيء تريده، تحدثت خديجة بثقة:

"حسناً وأنا سأبقى عند وعدي، ولكن لي عندك رجاء صغير"

أجابتها سارة:

"حسناً ماهو"

تحدثت خديجة:

"أريدك أن تعودين معي إلى منزل سامح وسيتم كل شيء حسب ما اتفقنا وكما تشائين وصدقيني لن يتجرأ أحد على الاقتراب منك"

شردت سارة قليلاً ومن ثم حركت رأسها موافقة، ابتسمت لها خديجة ونهضت اثنتاهما لكي توضح سارة جميع أغراضها وتعود معها إلى المنزل.

في منزل سامح

كان الجميع مجتمعين في صالة المنزل الكبيرة وأيضاً جميلة كانت موجودة ولكن خلود لم تدخل وإنما عادت أدراجها مخافة من سامح، لم تكن جميلة مسرورة بهذه الجلسة نهائياً ولكنها تحاملت على نفسها لتقول لجيداء:

"بالمناسبة متى موعد حفل زفاف إياس"

تحدثت جيداء بابتسامة واثقة:

"على مواعده بعد عشرة أيام تماماً"

همهمت لها جميلة وحركت رأسها موافقة مما جعل جومانة تضحك بقوة على جملتها وثقتها التي ستذهب بعرض الحائط بعد مدة، فكلهم يعلمون عندما سامح يحتم على شيء يحصل عليه، ناظرتها جيداء بحدة لتقول:

"على ماذا تضحكين عزيزتي"

تحدثت جومانة ضاحكة:

"هناك مفاجأة جميلة جداً تنتظرك ستعرفينها بعد قليل ياقلب أمك"

نظرت لها جيداء وجميلة بلووم ومن ثم أشاحتا بوجهيهما عنها، دقائق ودخلت خديحة بابتسامة واسعة وبرفتها سارة، تفاجأ الجميع بوجود سارة ولكن الملبثوا حتى نهضوا واستقبلوها أروع استقبال عدا ماسة وجيداء وجميلة.

نعم جميلة لا تحب سارة لأنها خطيبة إياس وهي تعلم بأن ابنتها تحب إياس وهو لم يعبرها أي اهتمام لذلك تكرهها فهي قد أخذت حبيب ابنتها، حسناً هذا هو مفهومها للعلاقات.

جلست مع الجميع واطمننوا عليها كما أن جومانة فرحت كثيراً بمجيء سارة ولكن معالم الحزن فوراً ظهرت على وجهها عندما حدثتها خديجة بالذي تريده سارة.

دقائق ودخل عليهم سامح وتقابلت عيناه بعيناها ليبدأ قلبه يقرع كالطبول ويتعرق وجهه، ابتلع ريقه ولمعت عيناه بالفرح عندما ظن بأنها قد عادت من أجله ليقترب منها ويسلم عليها برسمية، لم تكن تريد أن تسلم عليه ولكنها أجبرت على ذلك كونهم الجميع موجودين، جلس مقابلاً لها وعيناها لم تنزاح عنها لدرجة أنه عندما يحدثه أحد أو يسأله أي سؤال يجيبه وهو ينظر لها، بينما هي لم تنظر له نهائياً وأشاحت بوجهها عنه وظلت جامدة، أما عن إياس فتلهلت أساريره عندما رآها لأنه كان خائفاً من أن تكون لم تعد تريده ولكنها عادت فهذا معناه أن كل شيء على مايرام وكل شيء سيمشي كما خطط له، نهض ليقف أمامها ويتحدث بابتسامة:

"سارة تعالي معي أريدك قليلاً"

ابتلعت ريقها بصعوبة وأرادت أن تعترض ولكنها تذكرت لما هي أنت وعلى ماذا تنوي لذلك ابتسمت بوجه إياس ونهضت معه ليتوجهان إلى الحديقة تحت نظرات سامح النارية والحادة، فعلتها هذه جعلته يكور قبضته وتغلي الدماء في عروقه لذلك نهض بعنف وصعد إلى غرفته تحت نظرات والده الذي ربما قد فهم ما سر تغيير ابنه الأصغر وعذاب قلبه.

في المساء الجميع كان مجتمعاً على مائدة الطعام عدا سامح الذي كان خارج المنزل خصوصاً بعدما سمع من شقيقته ماتنوي فعله سارة وما الذي تريده، لم يصدق بأنها ستتخذ هذا القرار وتقبل بالزواج من إياس، في حينها برزت عروقه واحمرت عيناه من فرط الغضب الذي كان يكتبه ليخرج من المنزل كالمجنون.

في الحقيقة خديجة وجومانة حزنتا كثيراً على سامح وأرادت جومانة أن تحدث سارة وتجعلها تغير رأيها ولكن خديجة منعها ولم تحبذ فكرة الضغط على سارة نهائياً.

عند الساعة الثالثة صباحاً

دخل إلى المنزل وحالته مزرية بكل معنى الكلمة، هندامه غير مرتب يحمل بيده ستترته وأول أزرار قميصه مفتوحة وشعره غير مرتب، لم يكن ثمل وكان يعي كل شيء أمامه، أجل لقد شرب ولكنه مازال صاحياً، تنهد بقوة ليصعد السلالم بتكاسل، مر من جانب غرفتها ووقف استدار وهم بطرق الباب عليها ولكنه تردد، فتح الباب فجأة وظهرت أمامه مما سبب لها جفلة قوية، نظرت له ببرود وأرادت أن تغلق الباب ولكنه منعها ليبدخ عليها ويغلق الباب خلفه ويقول:

"أريد أن أتحدث معك قليلاً"

نظرت له بغضب وقليل من الخوف وهي تعود بخطواتها للوراء ليقول بحذر:

"لا تخافي لن أفعل لك شيء فقط سنتحدث"

ابتلعت ريقها لتشجع نفسها وتقول:

"لا يوجد كلام بيني وبينك، ثم أنني أعلم ما الذي تريد قوله وأنا سوف أختصر عليك الأمر وأقول لك بأن زواجي من إياس سوف يتم ولا شيء سيتغير لذلك لا داعي للنقاش نهائياً"

نظر لها ببرود ليقول:

"هذا آخر كلام عندك"

تحدثت بثقة:

"أجل آخر كلام وهيا اخرج من غرفتي إذا سمحت"

حرك رأسه موافقاً ولم يناقشها نهائياً وخرج من الغرفة متوجهاً إلى غرفته، تعجبت كثيراً من استسلامه الفوري وعدم نقاشه معها ولكنها لم تهتم نهائياً وتجاهلت أمره.

أيام تتلوها أيام وحياء أبطالنا على ماهي

لا يوجد شيء جديد سوى أن سامح لم يعد يحتك بسارة ولا يزعجها ولا يحدثها أبداً، لدرجة أنه لا يجلس في المنزل وإنما يعود في منتصف الليل ولا أحد يعلم أين يقضي وقته مما جعل الجميع في حالة تعجب، حاولت خديجة أن تعلم مابه وتستجوبه ولكنه كان يجيبها بهدوء وبرود بأنه بخير ولا يحدثها عن سارة نهائياً أو يهتم لأمرها بتاتاً.

في الواقع سارة تعجبت كثيراً من استسلامه للأمر لأنها كما تعلم بأنه لا يسكت عن حقه ويأخذ كل شيء يريد ويحارب أيضاً لكي يربح هذا مقاله لها ولكنها لم ترى أية محاربة من قبله في الأونة الأخيرة مما سبب لها خوف من القادم وتعجب من حالته، للصراحة لم تكن مرتاحة ولا فرحة وكان بعض الحزن والخوف يتملكها ولكنها كانت تلهي نفسها بالتجهيزات لحفل زفافها.

وها هو اليوم الموعود قد أتى

يوم حفل زفاف إياس وسارة، ليس الجميع فرح لهذا الزفاف ولكن هناك من كان فرح أيضاً وخصوصاً إياس الذي وأخيراً سيحصل على سارة كما يظن، وطبعاً جيء كانت تطير من الفرحة لأن ابنها سيتزوج سارة وسيبعدها عن طريقها وطريق سامح فهذه هي الطريقة الوحيدة التي سوف تحافظ على زوجها من سارة.

كانت سارة جامدة وباردة لا تبدي أي ردة فعل نهائياً وقد شعرنا بها جومانة وخديجة وحزننا كثيراً عليها، أرادت جومانة أن تعترض وتحاول إقناع سارة بعدم التهور بشأن خطوتها هذه ولكن خديجة منعتها ولم تدعها تتدخل، كانت سارة تبدو بكامل رقتها وأنوثتها ومظهرها الرائع والخاطف للعقول.

كذلك إياس بعدما تجهز ويدي بكامل وسامته وبينما كان موجوداً في صالة المنزل مع جميع العائلة وهو يتلقى المباركات والتهنئات من قبل الجميع ومنتظراً عروسته بفارغ الصبر، لم يكن سامح موجود مما أثار تعجب الجميع فالיום حفل زفاف ابنه الوحيد كيف لا يكون أول الناس ويقف بجانب ابنه، هبطت خديجة إلى الأسفل وهي بكامل أنوثتها وزينتها لتتضم إليهم وتجلس بينهم والقلق ينهش بقلبها مخافة من غياب أخيها الغير متوقع، دقائق وصدح صوت رنين هاتفها مما جعل الجميع يصمت لتجيب هي برسمية:

"مرحباً"

أتاها صوت رجل غريب ليقول لها:

"عفواً سيدتي أنا أتحدث من المستشفى"

جحظت عيناها عندما سمعت بجملته ليرد لها الرجل:

"السيد سامح تعرض لحادث وهو الآن عندنا"

"أراني أدوبُ يا عمري ولا أدري ما يجبرني

نيراناً فا تُشعلني ودمعُ الذاتِ يُغرقتني

وأنتَ أراكِ تأسرنِي مني إليكِ تسرقني

أراني أدوبُ يا عمري وليسَ سواكَ يُفقدني"

أربع شهور من الحزن والدموع على ذلك الرجل الذي لم يستيقظ من تلك الغيبوبة إلى حد الآن.

حزن خيم على العائلة وعلى الأشخاص الذين يحبون سامح ويخافون عليه، وعلى من سنكذب فسامح محبوب من قِبل الجميع والكل خائف عليه ويتمنى له الصحة والعافية والاستيقاظ من غيبوبته في أسرع وقت.

ولكن! هناك واحدة تشعر بسكاكين تغرز في قلبها منذ يوم الحادث إلى يومنا هذا، تلك الفتاة التي لا تكف عن ذرف الدموع عليه، كم ندمت على كل مافعلته به، على كل كلمة جارحة له خرجت منها، لم تكن تعلم بأنه سيفعل هكذا بنفسه، فهو وكما تبين مع الشرطة وبعض الأشخاص الذين شهدوا على الحادث بأنه تعمد افتعال هذا الحادث وعن قصدٍ منه أيضاً.

في يومها قلبت حالة الجميع رأساً على عقب عندما سمعوا بخبر الحادث وبأن سامح موجود في المستشفى، أصيبوا بحالة فزع وخوف عليه وهرعوا جميعهم سريعاً إلى المستشفى، لم تذهب سارة معهم في يومها لأنها وعندما أخبرتها راما بالحادث ألجمت الصدمة عليها ومن ثم غابت عن الوعي، لذلك بقيت الفتيات في المنزل مع سارة بينما الرجال والنساء والشبان توجهوا سريعاً إلى المستشفى ومن بينهم تمارة وجميلة وخلود وبعض الأشخاص الذين هم من عائلة جيداء.

وبعد ساعات من الانتظار والقلق الذي كان ينهش بقلوب الجميع خوفاً وفزعاً على سامح خرج أحد الأطباء ليخبرهم عن حالة سامح ألا وهو بأنه أصيب بكسور عديدة في جسده وهو فاقد للوعي وسيدخل في غيبوبة ولا يعلمون متى سيستيقظ منها، وفي يومها صارحهم الطبيب بشكلٍ عام وحدثهم بأنه نجى بأعجوبة خصوصاً بعد أن نقلوه إلى المستشفى وكان مغطى بالدماء فظنوا بأنه حقاً سيموت ولن ينجو من الحادث، لأنه وكما صارحتهم الشرطة أيضاً بأنه قد تعمدَ افتعال الحادث وحساباً على أقوال بعض الأشخاص الذين شهدوا الحادث فسامح كان يمشي بسرعة بالغة في السيارة ومن خلال سرعته على الطريق المليء بالبحص والتراب قلبت السيارة ووقع الحادث.

أما عن مشاعر سامح وقيل الحادث الذي افتعله فكما حدثتكم كيف كان يتجنب سارة ويتحاشى الحديث معها أو الاحتكاك بها، في الواقع هو كان ينتظر يوم الزفاف لكي يفتعل هذا الحادث، فهو بنظره بأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي سوف تفشل الزفاف، لم يكن أبهاً إن حدث ولم ينجو من الحادث فهو كان يريد أن يلغي هذا الزفاف ولو كلفه الأمر حياته، المهم أن يفشل الزواج وبعد موته فليتزوجان، المهم أن لا يكون على قيد الحياة ويشاهد هذه المأساة.

لقد حاول معها كثيراً وحاول إقناعها بشتى الطرق ولكن محاولاته كلها بائت بالفشل لذلك لم يرى حلاً مناسباً إلا هذا الحل الذي كان سوف يودي بحياته وأيضاً لكي يكفر عن ذنبه الذي اقترفه بحقها عندما جلب ناصر وطلب منه أن يعتدي على سارة بكل سداجة.

حسناً يارفاق لقد أعطيتكم ملخص بسيط عن الذي حدث ولكننا سندخل بالتفاصيل وسأحدثكم بالتفصيل الممل عن حالة كل من جيداء و ردة فعلها على سارة بعدما عادت من المستشفى وعلمت بتعمد سامح لافتعال هذا الحادث:

:Flash back

منذ أن علمت جيداء بالخبر ودموعها لم تجف، تبكي بحرقة قلب على زوجها ولكن ما لبثت وانقلبت هذه الدموع من الحرقه إلى القهر والغضب، فهي لم تصدق بأنه سيفعل بنفسه هكذا فقط لكي يفشل زواج ابنه، لقد تبين لها مدى صدق سامح في حبه لسارة ومدى عشقه لها وهذا ماجعلها بحالة جنونية وغازبية، فغيرتها على زوجها كانت قد أعمتها عن كل ماحولها وكانت النيران تشتعل في صدرها لإن زوجها قد أبدى فتاة صغيرة عليها وأحب غيرها.

توجهت إلى المنزل بمفردها وبسرعة بالغة، فقط تريد أن تلتقط سارة وتدفعها ثمن كل دمعة قهر قد ذرفتها بسببها، دخلت إلى المنزل وغضب الدنيا بها ودموعها تغطي وجهها لتصرخ بملأ صوتها:

"سأارة أين أنتِ أيتها اللعينة"

كانت جميع الفتيات مجتمعات في صالة المنزل الكبيرة بينما سارة كانت جالسة في غرفتها تبكي وتتنحب بدم وقهر على سامح، خصوصاً بعدما أعلمتها خديجة بحالته، كانت تريد أن تذهب له ولكن خديجة لم تسمح لها وأمرتها بالبقاء في المنزل مع الفتيات كما أنها أوصت فرح على سارة وبأن لا تدعها بمفردها نهائياً ولكن سارة أصرت على فرح بالنزول إلى الفتيات لأنها تريد البقاء بمفردها قليلاً، فزعت عندما سمعت ذلك الصوت الذي ينادي باسمها، لم تميز صوت من ولكنها فزعت جداً كما أن الفتيات اللاتي كانت بالأسفل أيضاً فزعن من صوت جيداء ونهضن جميعهن ليرون ما الأمر، وأيضاً ماسة فزعت معهن ونهضت برفتهن لكي ترى ماذا يحدث لوالدها بعد ما جففت دموعها التي كانت تهبط بغزارة، عادت جيداء وصرخت عندما رأت الفتيات مجتمعات حولها عدا سارة لتقول:

"أين هي تلك الساقطة الصغيرة"

تحدثت ماسة ببياء:

"أمي ما بكِ لما تصرخين هل أبي بخير"

تحدثت جيداء بغضب وصراخ:

"أين سارة أريد سارة أين هي"

وهنا هبت سارة وهي تراقب حالة جيداء بجمود، توجهت لها تحت أنظار الفتيات لتقف أمامها وتقول:

"ما الذي يحدث معكِ ها"

احتدت ملامح جيداء لتتحدث من بين أسنانها:

"أيتها العاهرة كله بسببكِ أنتِ، لو لم تظهرين في حياتنا ماكان حدث ماحدث، لقد افتعل الحادث متعمداً لكي لا تكونين لغيره، سأقتلكِ بيدي أيتها اللعينة"

اندفعت جيداء نحو سارة لتمسكها من شعرها ومن ثم أسقطتها أرضاً لكي تركلها بقدمها بينما سارة تصرخ وتبكي، تدخلت الفتيات عدا ماسة لكي يبعدون جيداء عن سارة، كانت جيداء حقاً بحالة جنونية وكان الدم يغلي في عروقها لدرجة أنها جمعت كامل قوتها وبدأت تدفع الفتيات عنها لكي تكمل ضرب سارة، فرح ابنة جومانة هي كانت أول من تدافع عن سارة، وقد طفح الكيل مع فرح لذلك تقدمت من جيداء بعنف وقامت بدفعها لتسقط جيداء أرضاً وتصرخ فرح بها:

"كفاكِ جنوناً ما الذي يحدث معكِ"

نظرت لها جيداء بعينان جاحظة وأنفاس لاهثة لتتقدم فرح من سارة وتنهضها من على الأرض وتساعدتها للعودة إلى غرفتها، لم تكن سارة بحالة جيدة نهائياً للدفاع عن نفسها أبداً لذلك استسلمت لجيداء ولم تقوى عليها ولكن وجود فرح والفتيات كان من حسن حظ سارة، دخلت فرح وسارة إلى الغرفة وقد قامت فرح بتضميد جرح فمها وأنفها بينما سارة لا تفعل شيئاً سوى البكاء. انتهت فرح من تضميد جرح سارة لتمتددها على السرير وتقوم بتغطيتها وتمس على شعرها وهي تحدثها بكلمات حنونة لكي تهدأ، كان كل مايشغل تفكير فرح هو حديث جيداء عندما قالت بأن سامح تعمد افتعال الحادث من أجل سارة وقد انتبهت في ذلك اليوم على خالها كيف كان ينظر لسارة بكل شوق ومحبة، جمعت الأحداث ببعضها وقد تيقنت بأنه يوجد شيء بين سارة وسامح. لم يكن وضع سارة يسمح باستجوابها لذلك هدأتها واعتنت بها إلى أن غطت في نوم عميق تاركة كل أسئلتها إلى يومٍ آخر.

بينما عند كتلة الغضب جيداء كانت جالسة في الصلاة وعلامات الحدة ظاهرة على وجهها، أنفاسها متسارعة وتفرك يديها والغضب يعمي عينيها، تريد فقط أن تخلص على سارة ولكن وجود ابنة أمها والتي هي فرح قد منعها، بينما كانت الفتيات مجتمعات حول جيداء وعلامات التعجب ظاهرة على وجوههن مما بدر منها ولكن أيضاً كان مايشغل عقولهن هو حديث جيداء عن حادث سامح بسبب سارة فهن لم تفهم شيئاً من حديثها ولكن جملتها ظلت عالقة في عقولهن، هبطت فرح بملامح حادة متوجهة إلى جيداء لتقف أمامها وتكثف يديها وتقول بحدة:

"لما فعلتي هكذا مع الفتاة ها"

للصراحة جيداء الآن بموقف لا تحسد عليه ففرح تؤكد بأنها ستوصل الخبر لخالتها ووالدتها وعندها جيداء لن تسلم منهما نهائياً، تنهدت جيداء بقوة لتقول:

"كنت غاضبة، وهذه التي تدافعين عنها تريد أخذ زوجي مني يافرح"

تحدثت فرح بسخرية:

"حباباً بالله تحدثني بكلام منطقي يازوجة خالي، كيف تريد أخذ زوجك منك واليوم كان سيقام حفل زفافها هي وابنتك"

كزت جيداء على أسنانها لتهم بالحديث ولكن ماسة تدخلت بالحديث لتقول:

"أمي معها حق هذه الفتاة خبيثة ولعينة ويجب أن تخرج من هذه العائلة"

لم يعجب فرح حديث ماسة وتصرف جيداء مع سارة لذلك حركت رأسها بحدة لتقول:

"إن كان مافي بالي صحيح فسئري من الذي سيخرج من هذه العائلة أيتها المدللة"

التفتت لكي ترحل ولكنها تذكرت شيئاً لتستدير وتوجه حديثها لجيداء:

"وبالمناسبة الذي حدث الآن سوف تعلم به العائلة وخصوصاً جدي وخالتي وأمي ولنرى إن كان سيعجبهم تصرفك أم لا يا جيداء هانم"

أنهت جملتها وناظرتها بلؤم لتخرج من الصالة متوجهة إلى غرفتها وقد لحقت بها جميع الفتيات لكي تعلمن ما القصة منها، بينما جيداء دق قلبها بعنف وخوف وظلت تهدأ من روعها لكي تتوخى الحذر من القادم.

في منتصف الليل عادت جميع العائلة إلى منزل سامح، لم يسمح لأحد منهم أن يظل عنده وقد طلبوا منهم الذهاب بعد معاناة كبيرة والمجيء في اليوم التالي صباحاً، كان الجميع في حالة مزرية والجميع على أعصابهم ومرهقين ومتعبين ولكن فرح لم يغمض لها عين إلى أن وصلت العائلة لكي تعلمهم ب الذي فعلته جيداء فهي أقسمت على أن لا تصمت لإن جيداء استقرت فرح بفعلتها، اجتمع الجميع في الصالة وقد هبطت إليهم كل الفتيات ومن بينهم فرح، اطمئنت الفتيات على سامح ولكن الذي أحزنهم هو أنه في غيبوبة الآن ولا أحد يعلم متى ستنتهي هذه الغيبوبة، وقفت فرح في المنتصف لتقول موجهة حديثها لسالم:

"جدي لقد حدث شيء في غيابكم جميعكم وسوف أحدثكم به لكي أعلم إن كان هذا الشيء يرضيكم أم لا"

تعجب الجميع من حديث فرح ولكنهم جميعهم أصغوا إليها وهي تتحدث عن مافعلته جيداء بسارة وكيف ضربتها وماذا قالت ماسة عنها، وقد كانت جيداء جالسة بينهم وهي تحاول أن تسكت فرح ولكنها لم تصمت وظلت تتابع حديثها كما أن جميع الفتيات شهدت على كلام فرح، بينما الجميع كان بحالة صدمة من فعلة جيداء ما عدا جومانة وخديجة فهاتان الاثنتان لم تكونان في حالة صدمة وإنما في حالة غضب و حدة، تحدث سالم موجهاً حديثه لجيداء:

"لما فعلتي بسارة كل هذا يا جيداء"

لم تستطع أن تتحدث بل ظلت جامدة ليعيد سالم سؤاله وعندها أجابت:

"عمي في الواقع أنا.."

قطعت جملتها ونظرت له بتوتر ولم تستطع أن تكمل لتتدخل خديجة بالحديث وتقول بحدة:

"يا لك من تافهة ولعينة، زوجك في المستشفى بين الحياة والموت وأنت تفكرين بغيرتك المرضية أيتها اللعينة"

نظرت لها جيداء بحدة لتقول:

"أفكر بالحفاظ على زوجي من عاهرة صغيرة وليس بغيرتي المرضية أيتها الساذجة"

نهضت خديجة بعنف متوجهة إلى جدياء، للصراحة كانت تريد ضربها ولكن صوت والدها منعها ليقول سالم:

"خديجة عودي إلى مكانك"

عادت خديجة إلى مكانها بعد أن وجهت لجدياء نظرات سخط واشمئزاز، تنهد سالم بحدة ليقول:

"ماذا تقصدين بحديثك يا جدياء هيا حديثنا وصارحينا ما الذي تخفيه عنا"

لم تتجرأ جدياء على الحديث وطال صمتها لتتنهد وتهم بالحديث ولكن إياس تدخل بالحديث ليقول:

"انا سأحدثك بكل شيء يا جدي"

استمع الجميع لحديث إياس وقد حدثهم بكل شيء حدث وحدثهم عن مشاعر والده لسارة، كان الجميع بحالة ذهول مما سمعوه والصدمة الكبرى كانت من نصيب تمارة إذ أنها لم تكتفي من انهيار أعصابها عندما علمت بخبر حادث سامح لكي تنهار أعصابها الآن من هذا الحديث أيضاً، انتهى إياس من الحديث وصمت بينما الجميع كان في حالة صدمة، في الواقع ليس جميعهم فالفتيات كانوا يشكون بالأمر وأيضاً سالم لم ينصدم من الحديث ولا بسام فهو علم بمشاعر أخيه أما الباقي فهم حقاً صدموا من الحديث، وبعد الهرج والمرج تحدثت رأفت باستنكار:

"وأنت بعد ما علمت بمشاعر والدك تجاهها كيف تسمح لنفسك أن تنزوجه"

تحدث إياس بجمود:

"بدل صيغة السؤال ياعمي وقل لي كيف لوالدي أن يسمح لنفسه بأن يحب خطيبة ابنه"

تدخل بسام في الحديث ليقول:

"بعد كل الذي فعله سامح لأجل هذه الفتاة أرى بأنه هو الوحيد الأحق بها وليس أنت يا إياس"

نهض إياس بعنف ليقول:

"أعلم بأنكم سوف تقفون معه لأنه أخاكم أليس كذلك"

تحدثت رأفت:

"أنت أيضاً ابن العائلة وابن أخينا ولكننا نتحدث بالمنطق"

تدخلت جيداء لتتحدث بحدة:

"أي منطق يدع رجل متزوج وله ولدان أن يقع بحب فتاة بعمر أولاده"

تحدثت جومانة بحدة:

"وأي منطق يجعل امرأة في عمرك ومثلك أن تتزوج رجل كأخي سامح"

ابتسمت خديجة بسخرية لتقول:

"وأيضاً من عائلة سارقة ونصابة"

صرخت جيداء بأعلى صوتها:

"اصمتي أيتها العاهرة"

نهضت خديجة بعنف لتتوجه إلى جيداء وتصفعها بقوة لدرجة أنها ارتدت للخلف لتقع على الأريكة، احتدت معالم وجوه الجميع من حديث جيداء ومنهم من احتدت معالم وجوههم من فعلة خديجة ألا وهو إياس وماسة، توجه إياس بعنف ليصرخ بوجه خديجة:

"بأي حق تتجراين وتمدين يدك على والدي"

تدخل سالم في الحديث ليقول:

"بحق أن والدتك هي العاهرة ومن نسل عاهر"

نظرت جيداء لعمها بصدمة فأخر ما كانت تتوقعه هو أن ينقلب عمها ضدها، تحدثت خديجة بحدة:

"أن الأوان لكي يعلم الجميع بحقيقتك يا جيداء وخصوصاً أولادك ف لنكشف الحقائق"

نظرت لها جيداء بصدمة لتردف خديجة:

"اسمعوني جميعكم هذه المرأة أنتم لا تعلمون عنها إلا القليل بينما أنا أعلم عنها كل شيء، اسمع يا إياس أنت وماسة والدتكما كانت على علاقة بوالدك قبل زواجها منه وكان بينهما علاقة جسدية أيضاً وهي من كانت تطلب من سامح هذا الشيء فهي عملت المستحيل لكي تتقرب من سامح في صباها خصوصاً بعد إفلاس عائلتها، كما أن سامح لم يكن الشخص الأول في حياتها والذي يمارس معها علاقة جسدية، لا بل هناك شخص قبله كانت

تحبه ومتعلقة به وحالما أخذ منها ما يريد حتى رماها بطول ذراعه وتخلى عنها، وبعدما تزوج سامح بها قدم لعائلتها مبلغاً كبيراً من المال لكي تعود شركاتهم كسابق عهدها، أظن بأن والدتكما قالت لكما بأن عائلتها قد أعادت جميع الأموال لوالدكما ولكنهم إلى حد الآن لم يرجعوا له شيء ووالدكما صمت ولم يطالبهم بشيء وفعل بأصله، كما أنها في شبابها وعندما علمت بحب تمارة لسامح عملت المستحيل لكي تدبر لها أي رجل لكي تزوجه لتمارة وبالفعل حرّضت رجل على تمارة وقد أفنعتها بالزواج وتزوجته فقط لكي تبعدها عن طريقها ولكي يبقى سامح لها، كحال والدة سارة التي تدعى عبير، سامح كان على علاقة بها وكان يحبها جداً ولكن حالما دخلت جيداً إلى حياته حتى دبّرت المكائد وأبعدته عنها ليبقى لها لوحدها ولكي تمارس لعيتها القذرة، والذي قلب موازينها هو طلاق تمارة لأنها لا تنجب الأولاد وزوجها كان يريد الأولاد وهي لا تستطيع الإنجاب لذلك طلقها وهذا ما أغضب جيداً من زوج تمارة وجعلها تخفيه بطريقتها الخاصة من الوجود، وبالنسبة لإبنة خالتكما خلود فهي قد فقدت عذريتها مع شاب ملتوي منذ زمن وكانت السبب بطلاق أختها أيضاً، فما رأيكم جميعكم بحقيقة جيداً ياسادة"

أنهت جملتها بصوت عالٍ لتوجه نظرها للجميع والذين كانوا حقاً بحالة ذهول غير مصدقين هذه الحقائق وخصوصاً تمارة، بينما جيداً كانت تنظر للجميع بجمود وحاجب مرفوع، ماسة كانت تبكي مما سمعته بينما إياس كان واقفاً ينظر لوالدته بصدمة.

بعد مدة من الصدمة والذهول من البعض وقف سالم ليتحدث بجمود:

"جيداً لا أريدها هنا نهائياً، عندما يستيقظ سامح بإذن الله هو من سيقدر بشأنها ولكن من هنا إلى أن يستيقظ لا أريد أن أراكي في منزل ابني"

نظرت جيداً لعمها بحدة لتقول:

"إن تستطيع أن تخرب بيتي وتبعدني عن زوجي وأولادي"

صرخ سالم بها:

"كلامي لن أعيدته هيا اجمعي أغراضك وانقلعي وعندما يستيقظ زوجك يقرر بشأنك"

نظرت له بصدمة لتحتد نظرتها ومن ثم توجهت إلى غرفتها لتجمع أغراضها وخرجت من المنزل بأكمله متوجهة إلى منزل أهلها، بعد وقتٍ قصير كان ومزال الجميع مجتمعاً في الصالة عدا ماسة التي توجهت إلى غرفتها باكياً ليقول سالم لإياس:

"بالنسبة لك يا إياس غداً نريد أن نعلم بقرار سارة بشأن زواجها منك إن كانت تريدك سنزوجها لك فوراً وإن لم تكن تريدك ستخرج هي من المنزل"

نظر لجدته بأعين دامعة لبيتسم بسخرية ويحرك رأسه موافقاً ومن ثم توجه إلى غرفته وانتهت هذه الليلة العصبية على الجميع ولكن ليس بالخير فكلٍ منهم كان يبكي على ليلاه..

في الحقيقة وبعدما علم الجميع بقرار سارة الذي صدمهم وأحزن البعض لم يستطيعون أن يجبرونها على شيء فهي كانت قد قررت بأنها ستخرج من العائلة بهدوء ولن تعود لها خصوصاً بعد أن علمت بما حدث لجيداء بالأمس، حتى أنها صارتهم بحقيقة ندمها على مافعلته بسامح وبأنها لم تعد تريد إياس ولا حتى سامح، كل ماتتمناه هو السعادة والخير للجميع ومن ثم رحلت عنهم وعادت إلى منزلها مقررّة بأنها ستسافر إلى خالتها وستبتعد عن كل شيء ولكن ليس قبل أن يستيقظ سامح من غيبوبته وتراه وتحدثه لكي يسامحها وتطمئن عليه ومن بعدها سوف تسافر مرتاحة الضمير والقلب.

أيام تتلوها أيام ولا شيء جديد سوى أن سارة كل يوم تذهب إلى سامح بالسر ودون أن يعلم أحد بشأن زيارتها له، تجلس بجانبه وتحدثه وتطمئن عليه ومن ثم تخرج متوجهة إلى منزلها، مازالت تمارس عملها في صيدليتها وترفه عن نفسها بالعمل وتعيش حياتها ولكن قلبها يؤلمها بشأن سامح ودائماً ما تدعو له بأن يتعافى سريعاً، في كل ليلة تبكي من أجله وتتمنى له الصحة والعافية.

بينما جيداء تلك المرأة التي خرجت من منزل زوجها وهي مهزومة، كان كل مايشغل بالها هو أنه عندما يستيقظ سامح كيف ستكون ردة فعله بما حدث وما الذي سيقرره بشأنها، كما أنها رأت خلود وكانت محتفنة منها بشكل كبير لذلك قامت بتهزأتها وضربها وشتمها وقد علمت خلود لما فعلت جيداء كل ذلك بها ولكنها لم تتجرأ على التفوه بحرف لكي لا يفتضح أمرها أمام عائلة والدتها.

...End flash back

هذه الأيام العصبية مرت على الجميع بشكلٍ مخيف، كل أفراد العائلة كانوا يذهبون كل يوم إلى سامح ويجلسون ويحدثونه وكأنه موجود معهم ولكن الذي لم يعلموه إلى الآن هو مجيء سارة إلى سامح كل يوم، عدا خديجة وجومانة اللتان تعرفان بكل شيء واللذان أيضاً مازالتا تتواصلان مع سارة وتطمئنان عليها بين الحين والآخر.

الجميع على هذه الحالة منذ أربع شهور لا يفعلون شيء سوى المجيء إلى سامح وهم متأملين بأنه سوف يستيقظ في هذا اليوم ولكنهم يعودون خائبين وحزينين على حالته التي لم يحدث بها تطور منذ أربع شهور إلى حد الآن.

حسناً لقد تجرأت جيداء وأتت إلى المستشفى لكي تطمئن على زوجها وعلى مرأى الجميع كما أن سالم لم يدع أحد يتعرض لها معللاً بأنها زوجته ويحق لها الاطمئنان عليه وإلى حد الآن هم صامتين وتاركين قصة جيداء إلى حين استيقاظ سامح.

و شاء القدر و جرت مشيئته على استيقاظ سامح من غيبوبته بعد أربع شهور وتحت فرحة الجميع والتي كانت ممزوجة بدموع الفرح من الجميع، عندما استيقظ كانت بجانبه خديجة وجومانة ومنير وسالم وتمارة معهم وكان قبل أن يفتح عيناه يهذي ويهمس بإسم سارة والذي سمعه كل من كان معه في الغرفة، أحست تمارة في حينها بسكاكين تغرز في قلبها ولكنها نسيت كل شيء وتركت نفسها لفرحتها باستيقاظ محبوبها.

واجتمعت العائلة عند سامح والجميع كان فرحاً بمعاافته وسلامته ولكن سامح لم يكن معهم وإنما كل تفكيره كان عند سارة، لم يكن يسمح له بالسؤال عنها أمام العائلة ولكن الذي علمه من خديجة وجومانة هو أنها خرجت من العائلة وعادت إلى منزلها وقد صارتهم بأنها لم تعد تريد إياس، للحقيقة هذا الخبر قد أفرح سامح كثيراً ولكن الذي أزعجه وأحزنه هو عودتها لمنزلها وعدم السؤال عنه.

علمت جيداء باستيقاظ سامح من غيبوبته وقد توجهت له بسرعة البرق والدنيا لا تسعها من فرحتها، وصلت إليه ودخلت بابتسامة واسعة عليهم لتحتضن سامح بقوة تحت أنظار الجميع، لم تبالي لأحدهم وإنما كان كل تركيزها متمحور على سامح فقط.

وبعد المداولات والأحاديث كانت جيداء جالسة بصمت ولكن مايشغل بالها هو ردة فعل سامح عندما يعلم بالذي افتعلته في غيبوبته، كما أن خديجة وجومانة كانتا توجهان لها نظرات حادة ومتوعدة وصدقاً شعرت بالقلق منهما.

لم يستطع أحد أن يضغط على سامح ولا أن يحدثونه بشيء لأن وضعه لا يسمح بذلك، كما أن خديجة وجومانة لم تحدثانه بشيء بعد عن جيداء وللصراحة لقد تركا فرصة لجيداء لكي تخطط وترتب أمورها لكي تنجي نفسها منهما وتكسب ود سامح.

عادت جيداء إلى منزل أهلها لترى شقيقها راغب عندهم في المنزل، لقد علم شقيقها بكل شيء حدث معها وقد رأى شقيقته كيف معالم القلق تحتل وجهها، دخل عليها غرفتها ليطمئن عليها وبعد الأحاديث العديدة تحدثت راغب:

"ماذا ستفعلين الآن أختي وكيف ستعودين إلى منزلك؟ هل أنت متأكدة من ردة فعل زوجك الإيجابية والتي ستكون لصالحك أم ماذا"

تحدثت جيداء بقلق:

"لا أعلم يا راغب أنا خائفة جداً من أن يطلقني سامح خصوصاً بأن علاقتي معه قد أحاطها التوتر في الفترة الأخيرة، أنا خائفة من الطلاق يا أخي"

تنهد راغب بياس ولم يتحدث لتلمع في رأسه فكرة خبيثة ويقول:
"لدي فكرة سوف تجعل زوجك يكون كالخاتم في إصبعك ما رأيك"

تحدثت جيداء بلهفة:

"أرجوك ما هي واطلب مني ماتريد وسوف أعطيك"

ابتسم راغب بمكر ليحدث جيداء بمخططه والذي لم يكون في الخير نهائياً بينما هي كانت تستمع له بكامل حواسها وقد أعجبتها الفكرة وقررت تنفيذها منذ الغد بمساعدته هو..

صباح اليوم التالي توجهت جيداء إلى سامح بعدما نفذت ما اتفقت عليه هي وأخيها بالأمس، دخلت عليه بابتسامة واسعة ولكنه قابلها بنظرات حادة ومشتعلة، ابتلعت ريقها عندما علمت بأن سامح قد علم بكل شيء فعلته، لم يكن له القدرة على الحديث معها ولكنه تحامل على نفسه وقال:

"عودي إلى منزل أهلك ولا تريني وجهك نهائياً، عندما أخرج من المستشفى سوف آتي لمنزل أهلك ونهني كل شيء"

احتدت ملامح وجهها لتقول:

"لكي تنزوج سارة من بعدها أليس كذلك"

تنهد سامح بتعب ليقول بوهن:

"ليس لي القدرة على الحديث معك ومحاسبتك يا جيداء، اخرجي ولا تريني وجهك إلى أن آتي إلى منزل أهلك هيا"

ابتلعت ريقها لترفع حاجبها وهي تنظر بتحدي لخديجة وجومانة قائلة:

"حسناً كما تشاء، ولكم ثق تماماً بأنك ستأتي إلي بقدميك وسوف تطلب مني العفو والصفح ياسامح"

ابتسم بسخرية وأشاح بوجهه عنها بينما خديجة تحدثت بلؤم ونبرة مستفزة:

"هيا هيا انقلعي"

وجهت نظرة حادة لخديجة ومن ثم خرجت من الغرفة وهي تبتسم بخبث لأن خطة أخيها حتماً سوف تجلب نتيجة..

بعد مرور عشرين يوم تحسنت حالة سامح بشكل ملحوظ وخرج أخيراً من المستشفى مستعيداً كامل صحته تحت فرحة وسعادة الجميع، أول من كان يريد الذهاب إليه هو سارة، ولو أنها لم تسأل عنه ولم تأتية طيلة فترة مكوثه في المستشفى كما يظن ولكن مع كل ذلك سيذهب للإطمئنان عليها ولكي يفرحها باستيقاظه لأنه وكما علم من شقيقته بأنها حزنت كثيراً على ماحدث معه، كان يريد فقط إشباع ناظره منها لذلك توجه إليها وقد توجهت معه خديجة أيضاً لكي تطمنن سارة ولا تخاف، هبط الأخوين ليتجهان إلى منزل سارة، طرقت خديجة عدة طرقات على الباب ولكن ما من مجيب، نادت عليها لكي تطمننها بأنها خديجة فكما علمت خديجة بأنها أصبحت سارة في الفترة الأخيرة تخاف من أي شخص يدق عليها بابها وتجفل عند سماع صوت الجرس ظناً بأن شيء خطير يحيط بها، ومع كل النداءات والطرقات على الباب لم تفتح لهما، كما أن سامح كان ينتظرها بفارغ الصبر ولكنها لم تفتح، تحدثت سامح بلهفة:

"على الأغلب بأنها في الصيدلية هيا لنذهب"

تحدثت خديجة:

"أوف حسناً هيا أخي ولكن لا تجهد نفسك كثيراً"

ابتسم سامح بخفة ليقول:

"أختي أنا لا أجهد نفسي أبداً أنا فقط مشتتاً"

تحدثت خديجة بدرامية:

"أوووه كم هذا جميل"

ضحك الأخوان معاً ليتوجهان إلى السيارة ومن ثم إلى صيدلية سارة، وصلا إلى الصيدلية ولكن خاب ظنهما وتملكهما اليأس عندما وجدا الصيدلية مغلقة، تنهد سامح بيأس ليقول:

"أين ممكن أن تكون"

تحدثت خديجة بشرود:

"هل يعقل أنها سافرت إلى خالتها ياترى"

بلل سامح شفتيه وهم بالحديث ولكن خديجة أردفت له:

"لا لا مستحيل ليس بعد"

تعجب سامح من حديث شقيقته ولم يفهم قصدها، أسند رأسه على كرسي السيارة ليقول:

"لنعود إلى المنزل، اشتقت للأولاد"

تنهدت خديجة بيأس وحركت مقود السيارة متوجهة إلى منزل سامح، دقائق ووصلا إلى هناك ليستقبله الجميع بفرحة عارمة وأولهم إياس وماسة اللذان فرحا جداً بعودة والدهما، حسناً مهما فعل بهم والدهما ومهما بدر منه لا يستطيعان كرهه نهائياً.

اجتمع الجميع في المنزل بسعادة تامة ولكن سامح لم يكن في داخله تلك السعادة الكبيرة لأنه مازال ينقصه شيء ألا وهو سارة حبيبة قلبه، كانت تمارة تنظر لسامح بهيام وتشبع ناظريها منه لا تكل ولا تمل فقط تنظر له وكأنه لا يوجد أحد سواه في الوجود.

تحدثت ماسة موجهة حديثها لوالدها:

"أبي متى ستعود أمي؟ ألم يحن الوقت بعد؟ لقد قال جدي بأنه عندما تستفيق من غيبوبتك ستعود أمي"

تحدث سالم مصححاً:

"لقد قلت بأن سامح سيقدر بشأن عودتها لا أن تعود فوراً"

تنهد سامح بقوة ليبتنسم بوجه ابنته ويقول:

"سنتحدث بهذا الموضوع فيما بعد بصغيرتي"

نظرت له بحزن وصمتت بينما إياس ظل جامداً ولم يبدي أي ردة فعل تذكر، استأذن سامح لكي يستريح قليلاً فهو مازال يشعر بالتعب، دخل إلى غرفته والحزن مخيم في قلبه، لا يعلم ما الذي سيفعله بشأن جدياء ولكنها هي قامت بتحديه وهو لن يفعل كما قالت له ولن يذهب لكي يسترجعها ولو طبقت السماء على الأرض، تمدد على السرير وظل ينظر للسقف بشرود وهو يفكر بصغيرته وبكم اشتياقه لها مغمضاً عينيه ومتمنياً كل المنى بأن يحظى في وصالها بأسرع وقت.

في مكان مظلم ومخيف، جالسة تلك الفتاة على كرسي خشبي متهالك، وجه متعب ويدان مقيدتان وعينان واهنة وحمراء، خصلات شعرها تغطي نصف وجهها وحالتها مزرية وفمها مغلق بشريط لاصق.

شعرت بحركة في الخارج لتجفل ويدخلان عليها، ابتسمت جيداء بمكر عندما رأت سارة بهذه الحالة وأطلقت ضحكة عالية تعبيراً عن شماتها بها فهي قد وقعت في قبضتها، نظرت لها سارة بوهن ومن ثم أشاحت بوجهها عنها فهي لها على هذه المدة عشرين يوم، كل يوم تدخل عليها جيداء هي وشقيقها ويشمتان بها ويدخلان لها الطعام ويحدثانها بكلمات مستنزة ومن ثم يخرجان، طبعاً يفكان وثاقها لكي يدعونها تآكل تحت أنظارهما ومن ثم يعودان ويقومان بربطها ويخرجان.

هذه المرة كانت جيداء تحمل في يدها شيء ماء، اقتربت من سارة بخطوات بطيئة لتجلب كرسي وتجلس أمام سارة وتنزع الشريط اللاصق من على فمها وتريها لسارة قارورة صغيرة وهي تبتسم بمكر، تحدثت جيداء بمكر:

"أتعلمين ماذا يوجد بيدي ياسارة"

نظرت لها سارة بوهن وحركت رأسها رافضة ببطئ لتردف جيداء بمكر:

"هذه مادة أسيد، مارأيك أن أشوه لك وجهك الجميل وعندها زوجي المصون لن ينظر لعاهرة قبيحة مثلك بعد الآن"

ترقرقت عينان سارة بالدموع لتحرك رأسها رافضة وتقول بوهن:

"أرجوك أنا لم أعد أحتمل دعيني وشأني، لقد خرجت من حياتكم منذ زمن ما الذي تريدينه أكثر من ذلك"

همهمت لها جيداء لتقول:

"الذي أريده ليس منك وإنما من زوجي ولكن عن طريقك هل فهمتي شيئاً"

نظرت لها سارة باستغراب ولم تتحدث لتردف لها جيداء:

"حسناً سامح سوف يعلم بوجودك عندي عاجلاً أم آجلاً وعندها هو من سوف يقرر ببقائك لدي أو إطلاق سراحك، أعني إن لم يعيدني إليه وطلقني إما سأقتلك أو سأشوه وجهك أما إن أعادني إليه وعادت الأمور إلى مجاريها فسوف أطلق سراحك فوراً وهذا وعدٌ مني"

نظرت لها سارة بسخط لتقول:

"لما تفرضين نفسك على الناس، إن كان زوجك لا يحبك فلماذا تريدين احتلال قلبه وحياته بالغضب"

استفرتنا بهذه الكلمات لذلك صفعتها وصرخت بها:

"أنت سارقة الرجال تريدان أن أخلي لك المكان لكي تأخذينه مني ولكن لن أسمح لك أبداً، أنا الآن بفعلي معك هذه أكون قد أخذت حقي منك فما أنا أذلك وأشتمك وأضربك وأنت لا تجرأين على فعل شيء وقريباً جداً سوف أخذ حقي من جومانة وخديجة وسألني تمارة نهائياً من حياة سامح لبيقي هو لي فقط أنا فقط ولا أحد غيري سيأخذه هل فهمتي"

أنهت جملتها بصراخ لتقول سارة بسخرية:

"أنت مجنونة"

أطلقت جيداء ضحكة عالية لتقول:

"إن كان الجنون يعيد لي زوجي فسوف أفعل الجنون إلى آخر حياتي"

صمتت سارة ولم تجيبها بكلمة لتتنظر لها جيداء بسخط ومن ثم خرجت هي وأخيها من المكان مغلقان الباب الحديدي على سارة ليصدر صوتاً مزعجاً.

ثلاثة أيام أخرى مروا على سامح كالدهر وهو فاقداً لمحبوبته الصغيرة، إذ أنه ذهب إلى منزل سارة وإلى صيدليتها ولم يجدها نهائياً، تحدث مع معارفه وأراد أن يعلم إن كانت قد سافرت إلى خالتها ولكنه اكتشف بأنها لم تخرج من البلاد نهائياً بعد، في الواقع قلقه وخوفه عليها فاق الحدود ولكنه لا يعلم ما الذي حدث معها ولا أين هي، دقائق ودخلت عليه خديجة لتقول له بسرعة:

"سامح، جيداء أنا متأكدة بأن جيداء هي وراء اختفاء سارة"

عقد حاجبيه باستغراب ليقول:

"وما أدراكي أختي"

تحدثت بقلق:

"ألا تذكر عندما أنت إليك المستشفى كيف قالت بأنها ستجعلك تأتي بقدميك إليها وتطلب منها العفو والصفح"

نظر لها بقوة ومن ثم جحظت عيناه لينهض واقفاً ويقول:

"أيعقل بأنها."

قطع جملته وسرح في الأحداث الماضية ليلتقط سترته بعنف ويتوجه إلى منزل أهل جيداء بسرعة البرق، لم يمضي سوى ربع ساعة ليصل ويدق الباب لتفتح له جيداء وتفاجئت بوجوده ولكنها ما لبثت حتى ابتسمت بمكر واستقبلته أروع استقبال، لم يكن أحد في المنزل سواها، دخل سامح إلى الصالة وظل واقفاً واضعاً يديه في جيوبه ويناظر جيداء بحدة، ابتسمت جيداء ابتسامة لعوبة لتقترب منه وتحيط رقبتة بيديها وتقول بدلال:

"حبيبي هل اشتقت لي"

أبعد يديها عنه بعنف ليقول بحدة:

"أين سارة"

شهقت بخفة لتدعي البراءة وتقول:

"وما أدراني أنا"

تحدث سامح من بين أسنانه:

"جيداء لا تتغابي علي أين سارة"

ابتسمت بمكر لتقول بحاجب مرفوع:

"اجلس لكي نتفاهم على كل شيء عزيزي"

حرك رأسه بحدة ليجلس وينظر لها بغضب ويقول:

"أين هي"

تحدثت جيداء بابتسامة بريئة:

"أولاً أريد أن أعلم هل مازلت تريد أن تطلقني ولا تعيدني إلى المنزل أم أنك غيرت قرارك"

تحدث سامح من بين أسنانه:

"جيداً لا تلعبى بأعصابى، قولى لى أين هى وانسى أمر العودة إلى المنزل لإننى لن أستقبل فى منزلى لعينة مثلك بعد اليوم"

جيداً ببساطة:

"حسناً إذا وأنت لن ترى سارة بعد الآن أيضاً"

نظر لها بعينان جاحظة ليقول:

"هل أنت وراء اختفائها"

حركت رأسها موافقة بابتسامة ليرد لها:

"كم أنك لعينة يا امرأة"

ضحكت ضحكة رنانة لتقول:

"لست كذلك عزيزى، حسناً اسمعنى هى موجودة فى مكان ما ولا أحد غيرى يعرفه منذ عشرين يوم وأكثر، للصراحة أنا انتظرتك إلى أن تسأل عنها وعندها إما أن أطلق سراحها أو أشوه وجهها بمادة الأسيدي، أو غالباً سأجلب لها من يغتصبها كما فعلت أنت لكى أدلها وأجعلها تتمنى الموت، ما رأيك"

جحظت عيناه ليقول:

"ما الذى تهذين به أيتها اللعينة كيف لك أن تفعل ذلك"

تحدثت ببساطة:

"كما سمعت عزيزى وإن لم أعود إلى منزلى ثق تماماً بأن سارة سوف تتأذى كثيراً، هل تريد ما ياترى أن تتأذى"

نظر لها بعدم تصديق وحقاً هذه المرة قد غلبته ليقول بهدوء مخيف:

"ما الذى تريدينه"

ابتسمت بمكر لتقول:

"أريد أن أعود إلى منزلى وإلى زوجى وأولادى وأريد أن يخرج جميع عائلتك من منزلى"

أغمض عيناه محاولاً التماسك وعدم الانفجار بها ليقول:

"حسناً انهضي واجمعي أغراضك لكي نعود للمنزل وفي طريقنا سنعيد سارة إلى منزلها"

تحدثت جيداء:

"توء توء توء عزيزي ما الذي يضمن لي حسن كلامك وصدقك؟ وما أدراني بأنه عندما تعود سارة سليمة إلى منزلها تعود أنت لرؤيتها وليس بعيد أن تتزوجها"

تحدثت سامح بصراخ وانفعال:

"جيداء لا تحاولين استفزازي بأسلوبك الرخيص هذا، لن اقترب منها ولن أحدثها فقط أعيديها إلى منزلها، هي أصلاً سوف تسافر إلى خالتها أنا متأكد"

تحدثت بترقب:

"وما هو الضمان"

تحدثت سامح بغضب وصراخ:

"كلمتي هي الضمان"

ابتلعت ريقها ورفعت حاجبها لتهمهم له وتقول:

"حسناً سأطلق سراحها اليوم مساءً وهذا وعد ولكن إن اقتربت منها أو علمت بشيء صدقاً سوف أنهي حياتها وعندها لن يهمني إن طلقنتي المهم أن أنهي حياة تلك اللعينة"

نظر لها سامح بعدم تصديق ومن ثم ناظرها بياس ليحرك رأسه موافقاً باستسلام وملامح وجهه تكسوها الحزن والشفاء ...

"ها هو الحُب ذا يستهزئ بي

ها قد جعلني سُخرية

وقادني حيثُ الآمال تُعدُّ غُيوباً

والأمانى مذلةً"

عادت جيداء إلى منزلها والدنيا لا تسعها من الفرحة، إذ أنها حققت انتصاراً كبيراً برجوعها إلى منزلها وبرضى زوجها ولكي تكسر أعين الجميع وخصوصاً جومانة وخديجة، للحقيقة الجميع صدم من قرار سامح بعودة زوجته إلى منزلها إذ أنهم توقعوا جميعهم بأنه سوف يبقىها بمنزل أهلها وليس بعيد أن يطلقها أيضاً ولكن كل توقعاتهم ذهبت بعرض الحائط وخيب آمالهم جميعاً، والذي فرح بقدم جيداء وعودتها إلى منزلها هي ماسة إذ أنها طارت من فرحتها لإن والدتها قد عادت، بينما إياس عندما رأى والدته لم يحرك ساكناً ولم يكلف نفسه باللقاء التحية عليها حتى، لأنه إلى الآن لم ينسى مافعلته والدته بسارة ولم ينسى فعلة سارة أيضاً وتخليها عنه وأيضاً لم يروق قلبه على والده بعد.

الجميع كان يراقب سامح كيف حاله ونظرة الانكسار والعجز ظاهرة في عينيه، لم يتقبلوا حقيقة عودة جيداء وظنوا بأنها لعبة من سامح لا أكثر، ولكن نظرتهم وضعفه واستسلامه جعلهم في حالة رعب، فهم على حق مائة بالمائة بعدم تقبلهم لعودتها إذ أنها سببت الكثير من المشاكل والمتاعب لسارة ولسامح ولابنها الوحيد أيضاً.

في الواقع جيداء كانت عازمة على طرد عائلة سامح من منزلها ولكن العقل المدبر والذي هو أخيها راغب أمرها بأن تتربث قليلاً ولا تخطو هذه الخطوة الآن، فإن طردتهم أو بالأصح إن جعلت سامح يطردهم بناء على طلبها ف كيف سوف تحقق انتقامها منهم وتغيظهم بعودتها وتريهم العين الحمراء وخصوصاً لـ خديجة وجومانة، تلك الامراتان واللذان هما ألد أعداء جيداء، حسناً ولن ننسى تمارة أيضاً فجيداء تخطط وتتأمر ضد هؤلاء الثلاثة نسوة ولن يهدأ لها بال إلا عندما تحقق انتقامها منهن أو بالأصح أن تتسلى قليلاً بغيظهن وقهرهن ومن ثم ستطردهم خارج منزلها، كما أنها وعدت ووفت بشأن إطلاق سراح سارة وقد أمرت أخيها راغب بإطلاق سراحها وإعادتها إلى منزلها وبالفعل نفذ راغب فوراً وأعاد سارة إلى منزلها.

الآن جيداء هي في أعلى مراحل سعادتها وتحسب نفسها سلطانة زمانها بتحقيق انتصارها ذلك وها قد عادت رغماً عن أنوفهم جميعاً.

سارة تلك الفتاة التي لا تعلم كيف وصلت إلى هذا الحال أو بالأصح هي غير مصدقة ما حدث معها وما بدر من جيداء تجاهها وكيف هي تحمل بقلبها كمية الحقد والكراهة إلى هذه الدرجة، هي تريد أن تسافر وتبتعد عن كل الأشياء الموجهة، تريد أن ترحل وتلتحق بخالتها وقد عزم على ذلك فهي تجهز نفسها للسفر فعلاً.

هي لن تكون فرحة من دون سامح ولن تكون فرحة بوجوده، من دونه ستصبح حياتها فارغة وليس لها أية لذة وبوجوده سوف تصبح حياتها مليئة بالخوف والتوتر بسبب جيداء، حقاً إنها معادلة صعبة ومعقدة جداً، الآن علمت لما سامح يريد التخلص من زوجته وإخراجها من حياته وفي الحقيقة وضعت كامل الحق معه ولكنها هي تلومه على مشاعره تجاهها وإحداثه لكل هذه الجلبة فلولا ما كانت هي وصلت إلى هذا الحال وما كانت جيداء فعلت ما فعلته، ولكن ولناأتي للحقيقة القلب ليس له وقت عندما يحب وعندما يعشق فما هو سامح قد أحب وعشق فتاة بعمر ابنته وهو في أواخر الأربعينات من عمره.

يوم جديد وعصيب وكئيب على عاشقنا الولهان والذي أصبحت حياته قائمة ومعتمدة من بعد ما ابتعدت عنه محبوبته الصغيرة، أيامه تتلوها أيام ولا شيء جديد عليه سوى التاريخ الذي يتغير فقط، لم يتغير فيه شيء لا شكله ولا مشاعره ولا شوقه ولا عشقه لتلك الصغيرة، هو مجبور على تقبل الواقع ومجبور تقبل ابتعاد صغيرته عنه.

يصبر نفسه برؤيتها من بعيد عندما تخرج وتتوجه إلى صيدليتها، وأحياناً يخطر على باله أن يذهب إليها ويراها ويضمها ويحدثها عن كم اشتياقه لها ولكنه يعود ويفكر بأفعال زوجته المجنونة.

يوم عن يوم يزيد شوقه لها ويزيد احتراق قلبه ببعدها، ويوم عن يوم تحاول جدياء التقرب منه بالحسنى أو بالإغراء أو بالعصبية وهو لا يلتفت لها أبداً، حسناً هو فعل ماطلبتة منه وابتعد عن سارة ولكن معاقبته لها كانت على الشكل التالي ألا وهو هجرانه لها، لم يقترب منها ولم يلمسها منذ عودتها إلى منزله وهذا مازاد من غضبها وقهرها وغيظها، لم تترك وسيلة لإغرائه والاقتراب منه إلا وبانت بالفشل ولا تعلم ما هي الطريقة التي سوف تكسب وده بها، ظنت بأنها عندما تعود ستفرج عليها وستفتح جميع الأبواب لها، لا تعلم بأن هناك باب قد سد بوجهها وصعب جداً أن يفتح من جديد ألا وهو باب قلب سامح.

نهض من فراشه ومزاجه عكر إلى أبعد حد، فعل روتينه اليومي وبدل ملابسه ليخرج من غرفته ويتوجه إلى الأسفل بحيث الجميع مجتمعاً على مائدة الفطور، ألقى تحية الصباح على الجميع ببرود وجلس مقابلاً لجدياء ولم ينظر لها نهائياً وتجاهلها.

وبينما الجميع يتناول فطوره بصمت حمم سالم ليقول:

"نحن في المساء سوف نرحل جميعنا ياسامح"

التفت سامح لكلام أبيه ولم يعجبه الأمر، كذلك جدياء التي نظرت له بصدمة فهي لا تريد أن يرحلوا في الوقت الحالي وإنما تريد أن يبقوا لأنها لم تأخذ حقها من جومانة وخديجة بعد، تحدث سامح بانزعاج:

"أبي مابالكم هل ملتم من البقاء هنا حتى تريدون الرحيل"

ابتسم بخفة ليقول:

"على العكس بني ولكننا يجب أن نعود إلى منازلنا وأيضاً شقيقاتك يجب أن تعود كل واحدة إلى منزلها وزوجها"

همهم له لتتدخل جدياء في الحديث وتقول:

"عمي نحن فرحين بمكوثكم عندنا فلتبقوا عدة أيام أيضاً"

نظر لها سالم ببرود ولم يتحدث، تدخلت خديجة في الحديث لتقول ببرود:
"تريدين منا أن نبقى محبةً بنا أم أنكِ تدبرين مكيدة جديدة في الوقت الحالي"

نظرت لها جيداء بحاجب مرفوع لتقول بلطافة مصطنعة:
"على العكس تماماً يا خديجة أنا فرحة جداً بكم وأريدكم أن تبقوا بجوارنا فقط هذا"

هممت لها خديجة لتقول جومانة:
"المرأة التي تدبر المكائد وتفتعل الجنون بعمرها لن تحب أحد ولن تحب وجود أحد في منزل زوجها وستبقى على دنائتها وأساليبها الرخيصة مثلها تماماً"

شددت على حروف جملتها الأخيرة لتتناظرها جيداء بحدة وتقول:
"يستحسن أن لاتضعين رأسك في رأسي يا جومانة ابقى بكامل أريحتكِ فهناك حساب يجب علينا أن نصفيه أنا وأنتِ وخديجة وأخيراً تمارة"

ابتسمت جومانة ببرود وناظرتها بتحدي كحال خديجة، تدخلت تمارة في الحديث لتقول ببرود:
"ليس لدي أي حساب معكِ فلتهمي بحالكِ وبزوجكِ والأفضل لكِ أن تسعين لكي تستعيدين مكانتكِ عنده وعند العائلة هذا إن كان لكِ مكانة عند أحد في الأساس أيتها المحترمة"

أنهت جملتها ونهضت متوجهة إلى الأعلى بينما جيداء كانت تنظر للأشياء بحدة، واكتفت جومانة وخديجة بالابتسام بشماتة، كما أن سامح كان بارد الأعصاب ويتابع الحديث بصمت كحال الجميع أيضاً، تنهدت جيداء بحدة لتهم بالنهوض وتقول:

"لا تتركوا أحد يتهنئ في لقمة أوف"

توجهت إلى غرفتها بغضب بينما سالم نظر لابنه ببرود ليقول:
"لا داعي لبقائنا وهذه المرأة موجودة هنا ياسامح، وأيضاً لم أكن أتوقع بأنك بهذا العجز"

نظر لوالده بقهر وكز على أسنانه لينهض بعنف ويتوجه إلى عمله والشياطين تحوم حوله.

وعادت العائلة إلى منازلهم في المساء وبعد أن ودعوا سامح وأولاده ولم يحبذ أحد من العائلة أن يودع جدياء أو ينظر لوجهها حتى، حاولت جدياء كثيراً أن تقنعهم بفكرة البقاء ولكنهم لم يستمعوا لها ولم يعطوها أية أهمية نهائياً.

مضى عدة أيام على رحيل العائلة وبخلال هذه الأيام توجهت خديجة وجومانة وفرح وبسمة وراما لزيارة سارة بناءً على طلب سامح، وأيضاً خديجة وجومانة أحببتا الفكرة ولم تكن تريدان أن ينقطع حبل الود الذي بينهن وبين سارة مهما حدث.

في الحقيقة فرحت سارة بقدومهم إليها وشعرت بالسعادة إذ أنهم سألوا عنها ولا زالوا يحبونها ويطمئنون عليها ويخففون عنها وحدثها، حاولت سارة أن تطمئن على سامح وتسال عنه بشكل غير مباشر وقد لمعت عينان كل من خديجة وجومانة بالحماس بسؤالها عنه وقد حدثتها خديجة عن أحواله وعن ما يحدث به، لن ننكر بأن سارة قد شعرت بالحزن عليه وبالشوق له أيضاً ولكنها تعاملت على نفسها ولم تبين لهم أي شيء من مشاعرها.

كما أن إياس حاول أن يهاتف سارة ويحدثها وأيضاً ذهب إلى صيدليتها ولكنها تعاملت معه بكل رسمية ولم تعطيه أية فرصة للتحدث عن أي شيء يخصها ويخصه وقامت بصدده فوراً، وعاد إياس إلى منزله مكسور خاطر والأبواب كلها مغلقة في وجهه بعد أن باءت كل محاولاته مع سارة بالفشل.

في منزل سالم الأزهرى كان الأخوة جميعهم مجتمعين عند والدهم ومن ضمنهم سامح وتمارة، لم يكن هناك أحد من الفتيات أو الشبان وإنما فقط أولاد سالم، الصمت كان حليف المكان ولا يسمع صوت لأحد، كسرت حنان الصمت لتقول موجهة حديثها لوالدها مازحة:

"ما رأيك أن نزوجك يا أبي"

ضحك على جملتها وقد شاركه أبناؤه الضحك ليقول سالم:

"اصمتي يا حنان أنا لن أتزوج من بعد والدتك وغير ذلك العمر مضى يا ابنتي"

ابتسمت خديجة لتقول:

"مازلت في عز شبابك يا أبي أطل الله في عمرك"

ابتسم بحنان وحرك رأسه موافقاً و عاد الصمت ليحتم بسام بعد قليل من الوقت ويقول بمكر :
"حسناً لما لا نزوج أختنا الأصغر إذاً"

نظر الجميع لسامح بينما سامح نظر لأخيه ببرود ولم يتحدث ليقول سالم:
"كيف حال سارة ياسامح"

تنهد بحنق ليقول بانزعاج:
"لا أعلم عنها شيء"

همهم له سالم ليقول:
"هذا لإنك استمعت لكلام زوجتك المصون وأصبحت عاجزاً أمامها وضعيفاً أيضاً أليس كذلك"

تنهد بحدة ليقول:
"أبي أرجوك دعك من هذا الحديث لا أريد أن أتحدث بهذا الموضوع نهائياً"

أجابته سالم باستفزاز:
"قلت لك أنت ضعيف جداً"

أصبحت وتيرة تنفسه عالية مسح على وجهه ليهدأ من روعه ولم يجيب والده ليرد له سالم ويزيد الطين بلة عليه:
"ما الذي حدث لك ياسامح، امرأة بلهاء جعلتك عاجز وضعيف هكذا لماذا ها، طوال عمرك كنت تفعل المستحيل وتفعل المصائب ولا يهملك أحد
، الآن أصبحت تشعر بالعجز أمام زوجتك الخبيثة"

وكان والده وضع يده على جرحه لينتفض وينهض واقفاً ويحدثهم بصوته الجهوري:
"ما الذي بوسعي أن أفعله ولم أفعله، كيف تريدني أن أتصرف وهي تهدد وتتوعد بأنها سوف تقوم بأذية سارة وأنا على يقين بأنها سوف تفتعل الجنون بها إن حدث واقتربت منها، أنا أعرف جيداً جيداً هي لا تسأل عن شيء وتفعل كل الأشياء الجنونية عندما يتعلق الأمر بي، طوال هذه المدة أنا صامت ولم أنفوه بحرف ولم أقترب من سارة ليس مخافةً من جيداء وإنما مخافةً على سارة منها، ها هي خديجة أمامك سوف تحدثك بكل شيء حدث قبل مجيئكم إلى منزلي وستحدثكم كيف اعترفت بحبي لها أمام الجميع ولم أبالي لأحد ولكنها استطاعت أن

تبعدي عنها في نهاية المطاف، أنا لست ضعيفاً ولست عاجزاً ولكنني خائف على سارة هي لا ذنب لها، منذ أن عرفتني والمصائب تهبط فوق رأسها لذلك ابتعدت لأنني لا أريدها أن تتأذى بسببي أكثر من ذلك"

أنهى كلامه الذي كان يخبئه في قلبه منذ زمن، شعر بالارتياح من بعد ما حدثهم بالذي في قلبه ولكنه أيضاً لم يعجبه تصرفه وصوته العالي في وجه أبيه، هدأ من روعه قليلاً ليمسح على وجهه ويقول:

"أنا أعتذر على انفعالي ولكنني سأمت من اتهامكم لي بالعاجز والضعيف، أنتم تعرفونني جيداً بأني لست ضعيف ولا يوجد شيء يضعفني"

أشاح بوجهه عنهم بينما الجميع منهم من ينظر له بذهول ومنهم بقهر، وفي الحقيقة تمارة كانت تنظر له بانكسار ودموعها في عينيها، نظر لهم سامح ليبتسم بسخرية وعيناه تلمع بالدموع ليقول:

"لماذا سأكذب عليكم، حسناً سأعترف وأقول بأن سارة جعلتني ضعيف أجل أنا ضعيف أمامها هل ارتحمت الآن"

خرج من المنزل وهو يشعر بأن جبل يطبق على صدره، قاد سيارته إلى وجهة لا يعلمها، طوال طريقه وهو يفكر بها، يكاد يموت من شدة شوقه لها وأيضاً يكاد يموت من اتهامات والده له ونعته بالعاجز والضعيف، هو ليس ضعيف ولكنه لا يعلم كيف سيبدأ ومن أين سيبدأ وكيف سيصلح الأمور ويحصل على سارة دون أن تتأذى، حسناً سيذهب لرؤيتها ولن تتجراً جيداً على فعل شيء لها لأنه سيكون لها دائماً بالمرصاد ولن يسمح لها بأذيتها نهائياً.

وقف بسيارته أمام مبنى منزلها ليهبط من السيارة وينظر لشرفة منزلها بابتسامة عاشقة، حتى منزلها وشرقتها تجعله يبتسم، كل شيء منها ولها يعشقه، تنهد بقوة ليهم بالتوجه إلى المبنى، وقف فجأة وتوقفت الدنيا من حوله عندما رآها قادمة نحو المبنى تمشي وهي شاردة الذهن وذابلة الوجه، يبدو بأنها قد عادت من عملها الآن، نظر لها بشوق الدنيا كلها ولمعت عيناه ليبتسم باتساع ويتوجه نحوها، وقف بطريقها لتقف هي بالمقابل وترفع رأسها له وتجدد أمامها، جحظت عيناه وتفاجأت بوجوده وعيناها تتلألأ بالدموع، ثواني من النظرات المتلهفة والمشتاقة والمتبادلة لتبتسم هي باتساع وتنسى نفسها وتحتضنه بقوة، وهنا طابت كل أوجاعه وأوجاعها وتركها نفسيهما لهذه اللحظة التي جعلتهما بأعلى مراحل السعادة والارتياح، شعرت بنفسها لتبتعد عنه دون سابق إنذار، ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول بنبرة مهزوزة:

"ما الذي أتى بك"

ابتسم بحزن ليقول:

"أتيت لرؤيتك"

أشاحت بوجهها عنه لتقول:

"ولكن ماذا عن.."

قاطعها بكلامه:

"دعينا نصعد بالسيارة ونتحدث في مكانٍ ما أرجوك"

أنهى جملته بهمس لتتنظر له وتبتلع ريقها وتحرك رأسها موافقةً بتردد، ابتسم لها بخفة ليصعدان بالسيارة ويتوجهان إلى حيث لا يعلمان.

طوال الطريق وهما صامتان ولا أحد يحدث الآخر، وأيضاً هي لاتفعل شيء سوى النظر إليه بشوق بالغ والابتسامة لم تفارق ثغرها، نظر لها هو أيضاً لتشريح بوجهها عنه فوراً، ابتسم لفعاليتها وأعاد نظره إلى الأمام، كانت الدنيا معتمة على ذلك الطريق الذي هما فيه، وقف بسيارته لتبتلع ريقها بصعوبة ونقول بحذر:

"لماذا وقفت هنا"

ابتسم باتساع ليقول:

"سأحتظفك"

نظرت له بخوف ليضحك عليها ويقول:

"لا تخافي لن أؤذيك صدقيني، ألا تتقين بي"

عقدت حاجبيها بحزن لتقول بخفوت:

"لم أعد أثق بك"

نظر لها بحزن ليمسك يدها ويقبلها قبل دافئة ومطولة ليقول:

"صدقيني لن أحاول أذيتك وسأكون الأمان لكِ ثقي بي"

نظرت له بقوة والتمست الصدق بعيناه لتحرك رأسها موافقة وتقول:

"حسناً هيا واصل القيادة أريد أن أعود للمنزل"

ابتسم ليقول:

"ولكننا لم نتحدث بعد"

تنهدت بقوة لتقول:

"عن ماذا سنتحدث"

همهم لها باستمتاع ليمسك يدها ويقول:

"عن كمية اشتياقي لك"

ابتسمت بخجل ولكنها عبت مباشرة لتقول:

"أرجوك أنا لا أريد أن أسبب لك مشاكل، أعدني إلى منزلي لقد انتهى كل شيء"

تنهدت بقلة صبر ليقول:

"قلت لك لا تخافي وأنا معك لن يحدث شيء، حسناً ما أسوء ماسيحدث أكثر من أن جيداء ستعلم بأننا معاً الآن
ويجن جنونها ها"

أنهى جملته ببراءة لتتنظر له بابتسامة ومن ثم ضحكت ليشاركها الضحك ويقبل يدها، عادت لفلقها لتقول بتردد:

"حسناً أكمل القيادة وسنتحدث هيا لا أحب العتمة ولنعد إلى الطريق العام"

أشعل أضواء السيارة من الداخل ليقول ببساطة:

"لم يعد هناك عتمة ها هي الأضواء"

ابتسمت لتقول:

"حسناً هذا جيد ولكن هيا واصل القيادة أرجوك"

نظرت له ببراعة لتسود عيناه ويعض على شفته السفلى ويحرك رأسه ببطئ وبلاهة، كتمت ضحكتها ليشعر هو بنفسه ويدور محرك السيارة ويواصل القيادة، دقائق من المرح والأحاديث المضحكة والسعادة بينهما ناسيان تماماً كل الأحداث السابقة التي حدثت معهما، وبينما سامح يقود وينظر لسارة وسحر ابتسامتها وضحكتها صدم شاب بسيارته ليسقط أرضاً وتجحظ عينان سارة وسامح، هبط سامح من السيارة ولحقت به سارة ليريان حال الشاب وإذ بهما يريان الدماء تسيل من رأسه، وليكمل حظهما المخزي مرت من جانبهم سيارة شرطة وقد رأت الحادث مما جعل سامح يضع كلتا يديه على رأسه بينما سارة شهقت ووضعت يدها على فمها.

من الجهة الأخرى جيداء التي كانت تأخذ غرفتها ذهاباً وإياباً منتظرة قدوم زوجها أو بالأصح منتظرة أخبار زوجها فهو لم يعد إلى الآن والساعة قاربت على العاشرة مساءً.

في الواقع هي وضعت أحد ما لكي يراقب كل تحركاته وهي تتصل بذلك الشخص منذ مدة ولكنه لا يجيبها نهائياً.

دقائق وصدح صوت هاتفها لتجيب بلهفة على ذلك الشخص والذي أتاها بكل الأخبار، أغلقت الهاتف في وجهه وهي تتنفس بحدة، من جهة وجود زوجها في السجن الآن ومن جهة وجوده المسبق مع سارة. هه يالا هذا الحظ حتى في السجن ستكون مرافقةً له.

نعود لسامح وسارة واللذان قبضا عليهما فوراً، اعترض سامح فكرة القبض على سارة معه وافتعل المشاكل ولكن رجال الأمن لم يستمعوا له وأخذوها معهم مما جعلها تخاف على نفسها وعلى سامح وتبكي بشدة. كانا في مكتب الضابط والذي يحقق معهما عن افتعال هذا الحادث وقد شرح له سامح بالتفصيل الممل عن وقوع الحادث، ابتسم الضابط بسخرية ليقول:

"تركت قيادتك وأصبحت تنظر إليها"

تحدث سامح ببرود:

"أجل"

همهم له الضابط ليقول:

"حسناً وما صلة قرابتك بها"

أجابه ببرود:

"خطيبتى"

رفع الضابط حاجبيه ليبتسم بسخرية ويقول:

"ولكنها صغيرة عليك"

وضع قدم فوق الأخرى وأجابه ببرود:

"نحن متفان جداً وستزوج بأقرب وقت"

نظر الضابط لسارة قائلاً:

"هل كلامه صحيح يا أنسة سارة"

نظرت للضابط بخوف لتحرك رأسها موافقة ومؤكدة كلام سامح مما جعل الضابط في حالة تعجب.

حسناً لم يكن هذا حديثهم والضابط لا شأن له بعلاقتهم الذي يهيمه الآن هو وقوع الحادث وذلك الشاب المرمي في المستشفى والذي لا يعلمون عنه شيء إلى الآن ولم يتم تشخيص حالته بعد ولكنهم فعلوا له الأطباء الإجراءات اللازمة وهم منتظرين الصور الشعاعية لكي يعلمون إن كان خلل في الجمجمة أو نزيف داخلي فالضربة أتت على رأسه وهما يدعوان الله أن لا يتأزم وضعه فعندها لن يكون سامح وسارة محظوظان كثيراً.

تحدث سامح إلى الضابط بشأن إخلاء سبيل سارة ولكنه اعترض بذلك وطلب منه الهدوء ريثما يعلمان كيف حال الشاب.

وضع الحراس كل من سامح وسارة في زنزانة منفردة ريثما ينتهي الأمر ويعلمون أخبار الشاب، كانت سارة تشعر بالخوف وطوال وقتها تبكي وتنتحب على نفسها وعلى سامح فهي حقاً خائفة عليه كثيراً، تعلم جيداً بأنها ستخرج من هنا بسرعة ولكنها لا تعلم إن كان سامح سيخرج فوراً أم لا وأيضاً وللصراحة هي خائفة من جبناء كثيراً فإن علمت بما حدث ستؤذيها حتماً. بينما سامح كان جالساً في المنفردة المعتمة وراء تلك القضبان الحديدية ولا يفكر بشيء سوى سارة، كيف حالها؟ ماذا يحدث لها الآن؟ حتماً هي خائفة الآن، ليته بجانبها لكان قد طمئنتها بوجوده، هو ليس خائفاً على نفسه ولا يهيمه حاله بقدر ما يهيمه حال سارة، وليس خائف من علم جبناء بالموضوع وإنما هو خائف من أن يقضي وقتاً طويلاً في السجن وتخرج سارة ومن ثم جبناء تستغل الفرصة بوجوده في السجن وتقوم بأذية سارة، ظل طوال الوقت يصبر نفسه بالتفكير بالأشياء الإيجابية مذهباً من عقله كل الأفكار السلبية وقلبه وعقله مع محبوبته الصغيرة.

في الواقع الحظ حالف سارة وسامح إذ أن الشاب وفي اليوم التالي استيقظ ولم يكن هناك أية خطورة عليه، وغير ذلك لم يقدم شكوى بحق سامح وأصفت عن حقه فوراً وقد وعده سامح بأنه سيتحمل كل أقساط علاجه.

كما أنهم أطلقوا سراح سارة ولكنها أثبت الخروج دون سامح وكانت خائفة عليه جداً ولكنهم حدثوا بأنه لن يخرج الآن حتى وإن أصفت الشاب عن حقه لأن هناك حقاً عام وسوف يأخذ جزائه والذي لم يكن ذلك الجزاء القاسي فقط بضعة أيام في السجن ومن ثم سيخرج.

توجهت إلى منزلها فوراً ولم تخرج منه مخافةً من تلك الشمطاء لأنها لن تفلت من يدها هذه المرة إن أمسكتها.

بينما سامح فقد تفاجأ بأنهم سيطلقون سراحه بنفس اليوم وبالفعل أطلقوا سراحه لأنه زوجته المصون أتت وقد دفعت الكفالة له ومن ثم عادت للمنزل، ابتسم بسخرية حالما علم بـ الذي فعلته جدياً ولكنه لم يبالي ليتوجه إلى منزل سارة فوراً، طرق عدة طرقات على الباب وقد أسمعها صوته لكي تطمئن وما إن سمعت صوته حتى فتحت الباب وارتمت في أحضانه باكية، ابتسم بسعادة لأنها خائفة عليه وظل يطبب عليها ويحدثها بكلمات حنونة إلى أن هدأت وابتسمت من بين دموعها بسعادة، مسح دموعها ليكور وجهها بين يديه ويتحدث مبتسماً:

"ألن تسمحين لي بالدخول جميلتي"

حركت رأسها موافقة بسعادة ليدخلان إلى المنزل، جلسا في الصالة وقد حدثها سامح بكل شيء حدث معه وطمنها بالنسبة لجدياء بأنها لن تتجراً وتفعل لها شيء، التمس الصدق في كلامه وقد سعدت كثيراً بحديثه معها واهتمامه البالغ إذ أنه حالما خرج من السجن حتى توجه لها فوراً ولم يكلف نفسه للذهاب إلى منزله أبداً.

كان يريد أن يتحدث وينطق مافي داخله إلا أنه لم يكن يعلم كيف يجمع الكلمات المناسبة ولم يتجرأ على التحدث، بينما هي كانت تراقبه وتتنظر له بقوة وقد رأت عليه الارتباك، تنهد سامح بيأس لينهض ويتحدث ببرود:

"حسناً لقد اطمئنت عليكِ والآن سأذهب وداعاً"

ما إن سمعت بكلماته حتى اغرورقت عيناها بالدموع وابتلعت غصتها، نظر لها بطرف عينه ليهم بالرحيل ولكنه توقف عندما حدثته بصوتها الباكي:

"ابقى قليلاً معي أرجوك"

استدار لينظر لها ببرود وقد هبطت دموعها، هو لا يريد أن يغضبها على شيء ولا يريد أن يسبب لها الأذى ولن يضعف أمام دموعها، ابتلع ريقه ليتحدث ببرود:

"أريد منك شيئاً واحداً فقط والذي هو أن تختارين رجل صحيح في حياتك"

أنهى جملته وتوجه للباب إلا أنها أوقفته بندائها له:

"سامح"

استدار لتتقدم منه ودموعها على وجنتها لتخفص رأسها وتقول ببيكاء:

"ولكنني إخترت الرجل الصحيح والذي هو أنت"

لانت ملامحه ليبتسم بسعادة ويرفعها عن الأرض ويحتضنها بقوة ويدفن رأسه برقبته ليشم رائحتها التي يعشقها، بينما هي أصبحت تبكي وتبتسم في آن واحد وهي محتضنة إياه بسعادة بالغة.

ابتعدت عنه قليلاً لتتظر لها بابتسامة واسعة من بين دموعها كحاله هو ليقول:

"هل تقبلين الزواج بي"

ومن دون أدنى تفكير منها حركت رأسها موافقة وهي مبتسمة ليبتسم هو بسعادة ويحملها ويدور بها وسط ضحكاتهما التي عمت بأرجاء المنزل.

من الجهة الأخرى تلك التي نار الغيرة والقهر تشتعل في صدرها كلما تخيلته معها وبرفقتها، لقد علمت بأنه توجه إليها حالما خرج من السجن وهذا مازاد من قهرها وغلbian قلبها، لقد باءت كل محاولاتها بالفشل ومع كل التهديدات التي وجهتها لسارة وسامح ومازالا مع بعضهما.

حسناً سارة تلعب معها وجيداء ستكسب اللعبة كما تظن، هي لن تصمت ويبدو بأن سارة تريد التخلي عن حياتها لذلك سوف تدبر لها مكيدة تليق بها وتبعدها عن زوجها ليبقى سامح لها وحدها، ولكن كل شيء بوقته ووقته قريب جداً بالنسبة لجيداء.

"يافتنة العُشاق يا محبوبيتي

أنا من رآك وغاب في شفتيك

أنا من يُعذبهُ الجمال وطالما

عصف الجمالُ به فعادَ إليك"

جميع عائلة الأزهرى من كبيرها إلى صغيرها فرح ومسرور لسامح إذ أن سامح لم يستطع أن لا يفصح عن حقيقة ما سوف يجري وقد حدثهم بأنه سوف يتزوج بعد يومين، لم تصدق خديجة وجومانة عندما سمعتا من سامح إذ أنهما قد طارتا من الفرح لأخيها كما أن الجميع فرح له وبشدة لهذا الخبر المفرح. لن ننكر ونقول بأنه كان هناك بعض من حالات الاستغراب والرفض من قبل الفتيات والشبان إلا أنهم فيما بعد وعندما رأوا مدى فرحة عمهم بمحبوبته الصغيرة فرحوا لأجله وتمنوا له الحياة الهنيئة، فهم على أشد العلم بكمية المعاناة التي عاناها برفقة زوجته ولكن كل ذلك كان من صنع يد سامح، إذ أن العائلة كثيراً ما قاموا بنصحه ليبتعد عن جيداء ولا يقترب منها، إلا أنه لم يكن يستمع لهم وقد تزوجها رغماً عن الجميع، ولكنه بالفعل بالسنوات الحاضرة قد دفع ثمن خطأه وحصد مازرعه بزواجه من جيداء وأن الأوان لكي يضحك له القدر ويكافئه بزواجه من سارة.

ماسة عندما علمت بأن أبيها سوف يتزوج من سارة كرهته ومقتته ولم تعد تستطيع السماع بإسمه حتى هو وسارة، كذلك بكت كثيراً لأنها ظنت بأن سارة سوف تأخذ والدها منها وتحرمها منه.

أما عن إياس فكان جامد المشاعر لا يشعر بأي كره أو حزن أو فرح أو سعادة كما أنه لم يكن يشعر بالاهتمام إلى ذلك الموضوع لأنه كان يعلم علم اليقين بأن أبيه سوف يسعى جاهداً لكي يحصل على سارة ويتزوجها وكل محاولات إياس بارجاعها له كان يعلم بأنها ستفشل ولكنه كان يساير نفسه فقط ويحاول الابتعاد كل البعد عن الحقيقة المرة ومواجهتها، ولكن الآن حقاً يجب عليه أن يتقبل هذه الحقيقة بأن والده سوف يتزوج من محبوبته السابقة.

جيداء تلك المرأة التي لم تتقبل الحقيقة وأصبحت تصرخ وتشتم وتلعن بسامح وسارة عندما علمت بأنهما سوف يتزوجان، لم تصدق بأنهما بتلك الشجاعة، هي عندما علمت بوجود سامح عند سارة وتحديداً بعدما خرج من السجن لم تكن تعلم بأنهما سيتوصلان لأمر الزواج بل ظنت بأنه قد ذهب لكي يراها فقط وبذلك الوقت كانت تخطط لشيء ما لكي تبعد سارة عن سامح ولكن الآن وبعد علمها بقرار زواجهما وبعد موجة جنونها وغضبها قررت قراراً خطيراً.

هذا الأمر يحتاج لتخطيط وهدوء مبالغ لكي تنفذه وعندها لن تعد سارة تضاييقها وتشاركها بزوجهما.

للصراحة إياس عندما رأى موجة جنون والدته لم يكثر لها بل أصبح يبتسم بسخرية ويراقبها بجمود وبرود، هو برأيه بأنها تستحق ذلك إذ أنها لم تترك لها صديق أو حبيب، الجميع يكرهها من عائلة الأزهرى وهو يرى بأنها تستحق ذلك الكره بسبب أفعالها الجنونية منذ أن تعرفت على سامح حتى يومنا هذا، وإلى الآن لم يستطع تقبل حقيقة والدته المرة وقد شعر بأنه قد أنته ضربتان قويتان على رأسه عفواً حقيقتان قويتان، حقيقة والده وزواجه من محبوبته وحقيقة والدته وأفعالها الرخيصة في الماضي والحاضر.

سامح منذ اليوم الذي وافقت سارة على زواجهما والابتسامة السعيدة لم تفارق ثغره، سعيد جداً وفرحته لا توصف بها، لم يؤثر عليه أي شيء حتى جنون زوجته وشتائمها عندما أخبرها بموضوع زواجه لم يؤثر عليه، هي لم تشتم فقط وإنما افتعلت الجنون بكل معنى الكلمة وتوعدت له ولسارة بأفطع الأفعال ولكنه لم يبالي وتعامل معها بكل برود ولم يكثر لحالها.

أراد سامح أن يقيم حفل زفاف ولكن سارة أبت ذلك الشيء واعترضت ولم تحبذ هذه الفكرة، لم يعجب سامح بقرارها ولكنه أجبر على ذلك عندما حدثته بأسبابها المقنعة واكتفيا بأن يقيمان حفلة بسيطة ضمن عائلة الأزهرى لترتدي سارة فستان الزفاف والذي انتقته من النوع البسيط والناعم كما تحب وكما تريد.

حسناً يارفاق مؤكداً بأنكم تنتظرون هذه اللحظة وهذا اليوم وها هو اليوم الموعود لسامح وسارة، كان جميع عائلة الأزهرى مجتمعين في منزل الجد سالم عدا ماسة وإياس وجيداء، وقد جهزوا الشبان ورتبوا لإقامة حفلة بسيطة في زاوية من حديقة المنزل كما أمرهم سامح، اعترض الجميع على هذه الفكرة وكانوا يريدون أن يقيمون له حفلة صاخبة وفي صالة كبيرة ولكن تحت إصرار سارة فعلوا ما أرادت هي.

كانت الحديقة مزينة بشكلٍ بسيط ولكن خاطف للعقول، كما أن المدعويين كانوا قليلين نوعاً ما فام يجتمع الكثير من الأشخاص وإنما فقط المقربين من العائلة وثلاثة من أصدقاء سارة، كما أن خالة سارة قد عادت من السفر وأحدثت جلبة عندما عادت وعلمت بقرار سارة بزواجها من سامح وب الذي حدث في غيابها ولكن إصرار سارة وسامح حال دون ذلك، وأيضاً لهفتها وحبها وتعلقها ببعضهما والذي كان ظاهر أمامها جعلها تصمت وتتقبل الأمر.

كانت سارة ترتدي فستان أبيض يصل لكاحلها ومن القماش الحريري والناعم، بدت بكامل أنوثتها ورقتها، كانت تشعر بالسعادة والفرح عكس مشاعرها التي شعرتها عندما كانوا يجهزونها لإياس في السابق، بدت كالقمر في سمائه.

هيبة، وقار، إطلالة محببة، ووسامة صاخبة، كل تلك الصفات كانت مجتمعة برجلنا الخطير سامح والذي كان يرتدي بذلته السوداء وقميصه الأبيض، منتظراً محبوبته الصغيرة على أحر من الجمر وسط المدعويين في حديقة المنزل.

تعالت التصفيقات والتصفيرات حالما خرجت سارة بكامل أنوثتها وحياتها وخجلها ليبدأ قلب سامح يفرع كالطبول من فرط سعادته، تقدمت منه سارة بحياء حاملة بين يديها باقة من الزهور باللون الأبيض لينظر لها سامح بانبهار وبلاهة في أن واحد، ابتلع ريقه وتعرق وجهه لترفع سارة نظرها له وتناظره بابتسامة تحولت لضحكة خافتة عندما رآته كيف ينظر لها ببلاهة، تقدمت منه خديجة لتلكزه وينتبه لنفسه لبيتسم لسارة ويمسك يدها ويقبلها وهو ينظر لعيناها مباشرة، ناظرته بخجل لبيتسم باتساع ويتوجهها للمنصة تحت التصفيقات الحارة وفرحة من الجميع، عفواً ليس الجميع فهناك من كانت في أشد حالات حزنها وقهرها ألا وهي تمارة، تمننت لو أنها مكان سارة وهي ترى نظرة الحب من سامح، ولكن ما بيدها حيلة وليس باستطاعتها فعل شيء فهي لن تفرض نفسها عليه وتجبره على محبته لها، هذا قلبه وقد أعطاه لسارة فهي ستحترم رغبته ورغبة قلبه وسترى بأن سارة جديرة بقلب سامح، ولكن ومهما حدث ستظل تمارة محتفظة بجنبه في قلبها دائماً وأبداً.

نظر سامح لسارة بسعادة وهو يكاد لا يصدق بأنها أصبحت له وعلى اسمه، بينما هي ناظرته بخجل وابتسمت بحياء ومن ثم أخفضت رأسها، بدأت بعض الفتيات بالرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة ومن ضمنهم كانت خديجة وجومانة ترقصان لأخيها بفرح وسعادة والابتسامة العريضة تشق وجهيهما، نهض سامح وبرفقته سارة

من بعدها ليرقصان ويتمايلان على أنغام تلك الموسيقى الهادئة والرومانسية وهو يناظرها بحب وعشق جارف، نظرت له بابتسامة سعيدة ليقترب ويلصق جبينه بجبينها وهو ينظر لها ويتمعن بتفاصيلها البريئة والفاطنة لينسى العالم بأسره في هذه اللحظة وكأنه لا يوجد غيرها أمامه، بينما سارة كانت خجلة منه كثيراً وتحاول ألا تنظر له ولكنها حقاً كانت سعيدة ومطمئنة لنفسها معه.

وانتهت مراسم ذلك الزفاف البسيط والرومانسي على خير ليتوجه سامح بمحبوبته الصغيرة إلى منزلها الجديد.

دخلا سوياً للمنزل والسعادة ظاهرة على وجهيهما ليتوجهان فوراً إلى غرفتهما ويقومان بتبديل ملابسهما إلى ملابس مريحة ومن ثم توجهان لكي يتناولان العشاء، انتهيا من تناول عشاءهما بجو مليء بالحب ونظرات العشق والشغب والمكر من قبل سامح بينما سارة كانت تأكل بحياء وتتحاشى النظر لسامح وتبتسم بخجل، توجهها من جديد لغرفتهما ليبدأ السيناريو الجميل بينهما والذي كان كالتالي.

جلست سارة على طرف السرير بحياء ومن ثم ابتسمت بسرها بشغب فهي تريده أن يجن جنونه هذه الليلة، اقترب سامح وجلس بجانبها ليمسك يدها ويقبلها قبل متتالية، أدارت وجهها للجهة الأخرى وهي تعض على شفثها السفلى وتبتسم بمكر، استدارت لتتنظر له ببرائة وتقول:

"أشعر بالنعاس"

نظر لها بخوف ليقول:

"ها ماذا ماذا قلتي"

كتمت ضحكتها لتقول بدلال:

"أشعر بالنعاس سامح"

عض على شفثه السفلى ونظر لها بغیظ ليتحدث باستنكار:

"حبيبتي وأنا مع من سأمارس الحب مع نفسي مثلاً أم مع الحائط أم مع السرير ها هيا قولي لي هيا هيا"

عضت على شفثها السفلى بقوة كاتمة ضحكتها لتسود عينان سامح من فعلتها لتقول:

"حسناً ما رأيك أن نلعب لعبة"

همهم لها ليقول بترقب:

"وما هي"

تحدثت بحماس:

"سأسألك سؤال فإن أجبت عليه سنسهر سوياً وإن لم تعرف الإجابة فسوف ننام"

أنهت جملتها وهي تناظره ببرائة ليضحك بتهكم ويقول:

"أنا برأي أن نلعب لعبة أجمل ما رأيك"

أجابته هي:

"أها وما هي"

همهم لها ليمسك يدها ويقبلها مطولاً ليقول:

"سأقوم بسؤالك عدة أسئلة وكل سؤال لا تعرفين إجابته تخلعين قطعة من ملابسك مقابلاً لعدم معرفتك به ها مارأيك"

أنهى جملته غامزاً لتشهق وتقول بعبوس:

"هذا عيب أنت عديم الأخلاق وغشاش أيضاً"

ضحك ليقول:

"جربي ولن تندمي ولن أصعب لك الأسئلة"

همهمت بتفكير لتحرك رأسها موافقة من بعدها ويبتسم سامح بمكر ليبدأ بالسؤال الأول والذي كان:

"كم عمر والدي"

عبست بملامحها لتقول:

"وما أدراني أنا بعمر والدك سامح"

ضحك ليقول:

"إذاً هيا اخلعي هذه المنامة التي ترتدينها هيا ياحلوة"

نظرت له بعبوس لتقول:

"أنت تغش ثم أنه هذا عيب"

ضحك باستهزاء وكاد يشق نفسه من جوابها ليقول ببرود:

"سارة حبيبتى انت وافقتى على هذه اللعبة لذلك هيا نفذي ماقلته لك وبصراحة لن أحتاج لإن أسئلك أسئلة كثيرة فأنت لا ترتدين سوى المنامة والملابس الداخلية"

شفت بقوة وجحظت عيناها لتقول بانتحاب:

"عاه لا تتحدث هكذا هذا عيب عيب"

كز على أسنانه لينظرها بغيظ ولم يتحدث لتتظر له هي ببرائة لتقول بخفوت:

"حسناً أطفئ الإنارة إذاً"

ضحك بسخرية ليقول بتهكم:

"وما الذي سيفيدني إن أطفئت الإنارة أيتها الصغيرة"

قلبت شفتها كالأطفال لينظر لها بقوة ويتنهد ليقول:

"حسناً سأطفئ الإنارة لتخلعين هذه المنامة ومن ثم سأعود سؤالك لتخلعين جميع ثيابك وتوفرين علي مجهود كبير اتفقنا حبيبتى"

جحظت عيناها لتقول:

"هااا"

ابتسم بمكر ليرفع لها حاجبه مغيضاً إياها وينهض ليطفئ الإنارة، عاد وجلس بجانبها ليقول:

"هيا لقد اطفئت الإنارة ولم أعد أرى إصبعي حتى"

هممت له لتقول:

"حسناً مارأيك أن ننام"

تحدث بغضب وصراخ:

"سارة"

جفلت من صوته لتنهض وتخلع المنامة وحمرة الخجل تكسوها بالرغم من أنه لا يوجد إلا ضوء خافت جداً،
جلست بحياء بعيداً عنه لتقول بخفوت:

"حسناً لقد خلعتها والآن ألبسني إياها لكي ننام سامح"

اقترب منها لياتصق بها ويقول بانتحاب:

"قلب سامح روح سامح حياة سامح عشق سامح دعينا ننهي اللعبة لنبدأ بلعبة أخرى تحت أغطية السرير ودعي
نفسك لي لكي أدعك تحلقين بالسماء من فرط سعادتك ومتعتك، ارحميني وارحمي أمي حباً بالله"

وضعت يدها على فمها كاتمة ضحكتها ولم تبدي أي ردة فعل لتجفل من حركة يده على فخذها الممتلئ
والمغزي، مددها على السرير ليستلقي بجانبها ويظل يمرر يده على سائر جسدها بينما هي فقدت حصونها شيئاً
فشيئاً إثر لمسائه وهمساته وقبلاته التي يطبعها على رقبتها بتخدر ووهن، كانت تريد أن تتحدث ولكنه لم يعطيها
فرصة للتحدث إذ أنه حاصر شفيتها بلهفة وهو يحيطها بين يديه ليمتص من رحيق السكر كما اشتهى ويأكل
شفيتها كشخص قد أهلكه الجوع ويمتص لسانها كطفل متلهف لحواه، لم يترك إنشأ بها إلا وقد التهمه ليجعلها
تغرق وتتلهف وتتشبث به أكثر فأكثر تاركة إياه يترجم كلماته لها بأفعال شغوفة تجعلها تدرك كم أنها الحياة
والهواء بالنسبة له.

صباح اليوم التالي استيقظ سامح على صوت رنين هاتفه ليرى من المتصل وقد كانت جومانة، فصل الخط في
وجهها ولم يشأ أن يحدث أحد فقط يريد التفرغ لملاكه الصغير، نهض بنصف جسده ليرى سارة مازالت غارقة
في النوم، ابتسم بحب ليقرب ويطبع قبلة مطولة على جبينها وهو يتذكر ليلة أمس كم كانت ساخنة بينهما، ظل
يطبع قبلات ناعمة على وجهها لتهمهم وما إن استوعبت حتى ابتسمت وهي مازالت مغمضة عينيها، ابتسم
سامح عندما رأى ابتسامتها ليتحدث بهدوء:

"هيا ياروحي افتحي عيناك ودعيني أراهما لكي يكون صباحي أجمل"

فتحت عيناها ببطء وابتسمت ليطبع قبلة سطحية على شفيتها ليقول:

"ألا تريدان أن نلعب لعبة أمس حبيبتني"

عقدت حاجبيها لتقول بانتحاب ونبرة ناعمة:

"ساالمح"

ضحك وطبع قبلة على وجنتها الطرية، أراد أن يقبلها على شفيتها ولكنه سمع رنين جرس الباب لتجحظ عيناه وهو يكاد يبكي ليتحدث بغيظ وغضب:

"يا إلهي كان ينقصني، من الذي سوف يأتي منذ الصباح"

ضحكت سارة بقوة لتحرك حاجبيها مغيظة إياه بينما هو ناظرها بغيظ ليتأفأف بانزعاج عندما سمع صوت رنين جرس الباب مرة أخرى لينهض بتكاسل لكي يفتح الباب وهو يصرخ قائلاً:

"حسناً واللعنة حسناً قادم"

ضحكت سارة بقوة عليه ليتوجه هو ويفتح الباب لكي تظهران أمامه خديجة وجومانة بابتسامة واسعة، قلب عيناه وناظرهما بغيظ ليقول وهو مستنداً على الباب:

"نعم ماذا تريدان يامفسدتان اللحظات الجميلة"

ضحكت كل من جومانة وخديجة لتقول خديجة بمكر:

"ما به أخي الأصغر هل كان يريد أن يصب رذيلته على زوجته منذ الصباح"

قلدها بصوت أنثوي ساخر ومغتاظ ليقول:

"ننننن لا شأن لك"

انفجرتا ضاحكتان لتقول خديجة ضاحكة:

"يا إلهي لقد فقد عقله هذا الرجل هيا ابتعد عن طريقي"

أبعدته عن طريقها لتدخل وتلحق بها جومانة والتي كانت تضحك على أخيها، دخل ورائهما لينظر لهما بغيظ وتحذته خديجة بابتسامة:

"ها أين هي كنتنا الجميلة هيا نادي عليها"

تحدث سامح بغرور:

"لا شأن لك بها دعها وشأنها ثم أنها لم تستيقظ بعد"

تحدثت جومانة ضاحكة:

"كاذب أنت كاذب ياسامح"

نظر لها بغيظ ولم يتحدث لتبتسم خديجة بمكر وتقول:

"كيف كانت ليلة أمس أخي"

تحدث سامح ببرود:

"منذ أن دخلنا إلى المنزل وإلى الآن كل شيء جميل ولكن حالما أتيتي أنتِ وشقيقتكِ حتى أفسدتي علي لحظتي الجميلة"

ضحكت كلتاهاما لتنتبهان لسارة التي تهبط على الدرج وتتوجه نحوهما بابتسامة واسعة، احتضنتها وباركت لها كل منهما وهما بكامل سعادتهما لأجلها هي وسامح، جلست سارة بينهما وبدأتا بأسئلتها أسئلة محرجة لتدعاهما تحمر خجلاً وتضحكان على حياثها، بينما سامح كان يتابعهن بغيظ ليقول:

"سارة تعالي إلى جانبي"

نظرت له سارة ببرائة لتبتسم وتنهض لتجلس بجانبه بحيث وضع يده على كتفها وضمها إليه ونظر لشقيقتيه بتعالي وغرور، ضحكت كل من خديجة وجومانة لتقول جومانة:

"أوه سامح يغار بطريقة سيئة ياخديجة"

نظر لها بغيظ ليقول:

"لا شأن لكِ أيتها الصغيرة"

ضحكت كلتاهاما وشاركتها سارة بالضحك لتقول خديجة وهي تهم بالنهوض:

"حسناً على العموم نحن لم نأتي لكي نجلس ونضايقكما بل من أجل أن نجلب لكما الفطور ونبارك لكما والآن خذا راحتكما إلى اللقاء أيها الخطير إلى اللقاء ياكننتنا الجميلة"

ضحكت سارة على جملة خديجة وشاركتها جومانة أيضاً لكي تودعانهما ومن ثم رحلتا تاركتان خلفهما القطة برفقة الأسد.

أيام جديدة وسعيدة مرت على سامح وسارة وهما يعيشان أسعد اللحظات مع بعضهما وفي أحضان بعضهما، الآن علم سامح ما معنى السعادة وهي في أحضانه، تذوبه وتجعله كالطفل الصغير أمامها وأمام دلعها ودلالها عليه، كحالها هي التي لا تنفك عن الالتصاق به علمت معنى السعادة برفقته هو وكم أن حياتها جميلة وسعيدة معه.

جيداء مازالت تخطط وتشتعل غلاً وحقدًا وغيره خصوصاً بعد أن علمت بأن أوضاع سامح وسارة من أحسن مايكون، تكاد تموت من قهرها فقط لأن زوجها يلمس غيرها ويكون مع غيرها، تشعر بالنار تغلي في عروقها ولكنها هي لن تصمت ولن تترك سارة تهنأ في زوجها وستدفعها ثمن فعلتها غالياً.

في منزل سامح والذي تسكن به جيداء هي وأولادها، تجلس جيداء وبرفقتها خلود وهي تفهمها ماستفعله وكيف ستندف حالما تتوجه اثنتاهما إلى وجهتهما، بينما خلود كانت تستمع لها بإنصات جاعلة كل حواسها مع خالتها فهي تكاد تموت فقط لكي تؤذي سارة وتؤذيها، كحال جيداء التي سوف تفتعل العجائب بها لكي تربيها وتربي عائلة الأزهرى بها كونهم جميعاً وقفوا بصف سارة وسامح، بعد أن انتهت جيداء من الحديث حدثتها خلود:

"حسناً خالتي ولكن كيف سنصل للمفاتيح ونحن لا نعلم أين تضعهم"

تنهدت جيداء بحدة لتقول:

"سوف تخترعين أي حجة وتنهضين لكي تبحثين عن المفاتيح وأنا بدوري سأقوم بتغطية أمركِ وإلهاء سارة وسامح اتفقنا"

تنهدت خلود بقلق لتقول:

"حسناً ولكن ماذا سنفعل إذا اكتشفت أمرى انتِ تعلمين كم أن سارة ذكية"

ابتسمت جيداء بسخرية لتقول:

"لا تقلقي قلت لك سأعطي عليك وأحاول أن ألفت نظرهما قدر الإمكان أنتِ فقط تشجعي ولا تخافي وصدقيني بعد هذه الزيارة انتظري يوم واحد فقط وبعدها سنتخلص من سارة"

تحدثت خلود بحماس:

"وسوف أحصل على إياس أيضاً"

نظرت لها جيداء ببرود لتقول:

"إياس لن يقبل بوحدة مثلكِ خصوصاً بعدما علم بأنكِ قضيتي ليلة حمراء مع والده أيتها اللعينة"

نظرت لها خلود بحدة لتقول:

"بلى سوف يقبل بي وسترين وإلا صدقيني لن أساعدكِ بشيء"

تنهدت جيداء بحدة لتقول:

"أيتها الغبية كلانا يوجد لنا ثأر عند سارة وسوف ننفذ أنا وأنتِ لكي ننتقم منها وحالما نتخلص منها تفرغي أنتِ لإياس واكسبيه بشطارتكِ هل فهمتي"

نظرت لها خلود بشرود لتحرك رأسها موافقة ومن ثم سرحت بأحلامها الوردية وهي تتخيل نفسها برفقة إياس.

انتهيتا من مخططهما الدنيء لتتطلقا متوجهتان إلى منزل سامح لكي تزعمان بأنهما تريدان المباركة للعrsان.

دقائق ووصلتا إلى المنزل لكي تطرق الباب جيداء وناار قلبها تزداد أكثر فأكثر كونها سترى سارة والتي أصبحت ضررتها وسامح الذي استبدلها بسارة.

كانت سارة جالسة برفقة سامح في صالة المنزل وهما يتسامران ويتغازلان ببعضهما وكل منهما يضحك لضحكة الآخر والسعادة ظاهرة على وجهيهما، سمعا صوت طرقات على الباب ليكز سامح على أسنانه ويتحدث بغیظ:

"يا إلهي من اللعين الذي سيأتي إلينا الآن"

ضحكت سارة ضحكة رنانة ليبتسم سامح لضحكتها بحب ويتنهد لينهض ويفتح الباب ظناً منه بأن الطارق هما جومانة وخديجة، فتح الباب لتظهر أمامه جيداء وخلود، رفع حاجبه ليبتسم بسخرية ويقول:

"ما الذي أتى بكما إلى هنا"

حاولت جيداء أن تبدي أكثر ابتسامة مقنعة ولطيفة له لتقول:

"جننا لكي نبارك لك ألا يحق لنا أم ماذا يزوجي العزيز"

رفع حاجبيه بذهول ليبتسم بسخرية من بعدها ويقول:

"تفضلاً"

دخلتا خلود وجيداء إلى الداخل لتلتقيان بسارة التي صدمت من وجودهما هنا، ثواني من النظرات الجامدة لتتقدم جيداء بابتسامة حانقة وتحتضن سارة وتقول:

"مبارك لكِ ياعروستنا الجميلة"

نظرت لها سارة بذهول لتتقدم منها خلود وتصافحها ومن ثم جلسنا أمام سارة، بينما سامح ظل واقفاً وهو يراقبهما ليحدث نفسه:

"أقسم بأنهما جائتا لكي تفتعلان مصيبة وترحلان"

تنهد بقوة ليتوجه ويجلس بجانب سارة وهو ينظر للاشيء ببرود، بينما جيداء كانت تتحدث مع سارة ببرود وبأحاديث عادية وتجيبها سارة على قدر السؤال فقط، حممت خلود عندما لكزتها جيداء بخفة لتقول:

"سارة أريد أن أدخل إلى الحمام"

نظرت لها سارة بسخرية لتقول:

"حسناً تفضلي إذهي باتجاه اليمين"

حركت رأسها بابتسامة خفيفة ونهضت لتتوجه إلى اليمين مثلما حدثتها، عكست اتجاهها وتسللت على أطراف أصابعها لتصعد السلالم بينما جيداء كانت تحدث سارة وسامح وتقوم بلفت انظارهما قليلاً، خطت خلود خطواتها للأعلى لتدخل غرفة النوم وتبدأ بالبحث عن مفتاح الصيدلية والذي علمت شكله من جيداء ووصفت لها بأنه هو المفتاح الوحيد الذي تعلقه سارة بعلاقة صغيرة على شكل حرف (S)، ظلت تبحث هنا وهناك إلى أن توجهت للكمدينو وفتحت الجرار الأول لتبحث به ولكنها لم تجد شيء، بحثت بالجرار الثاني ووجدته فوراً، أمسكته بيدها وقلبته بين يديها ومن ثم ابتسمت بانتصار لأنه هذا هو المفتاح المطلوب، أخرجت من جيبها علبة صغيرة بها قطعة معجون لتلصق المفتاح بقطعة المعجون كي تسحب نسخة عليه ومن ثم أعادت المفتاح إلى مكانه وخبئت قطعة المعجون في جيبها وخرجت من الغرفة متوجهة إلى الأسفل على أطراف أصابعها، ألقنت نظرة عليهم لترى جيداء تحدثهما وتحاول لفت أنظارهما لتتنهد بقوة وتتوجه لهم وما إن دخلت إلى الصالة حتى نظرت لجيداء وغمزت لها ومن ثم جلست بجانبها.

بينما سامح تعجب من تأخير خلود ولكنه لم يستطع النهوض لكي يرى سبب تأخيرها من أجل سارة فهو لا يريد أن يذكرها بفعلته مع خلود في السابق لذلك تجاهل الأمر وظل جالساً بقربها، انتهت جلستهم لتنهض جيداً وتناظرهما ببرود ومن ثم ودعتهما بجمود وخرجت من المنزل وبرفقتها خلود تحت أنظار سامح وسارة المتعجبة، بعد ذهابهما تنهد سامح بقوة ليقول:

"أشعر بأن وراء مجيئها مصيبة ولكن لم أرى أي شيء يلفت النظر بها ولم تفعل شيء لأشك بها"

نظرت له سارة بشرود لتقول:

"ربما تسابير نفسها فقط"

همهم لها وحرك رأسه موافقاً لبيتسم بمكر ويحيط خصرها بتملك ليقول:

"قطتي الصغيرة ألم تشتاق لي"

ابتسمت بخجل لتقول:

"اشتقت لرجلي وسندي كثيراً"

ابتسم باتساع ليلصق أنفه بأنفها ويقول بنبرة هائلة:

"أعشقتك صغيرتي"

ضحكت بخجل ليحاصر شفيتها بقبلة شغوفة مليئة بالمشاعر التي كانت نابغة من قلبيهما ليتعمقان أكثر فأكثر ويصلان إلى ما هو أكثر من القبلات.

يومان مروا بهدوء ولا شيء جديد سوى العشق المتبادل بين سارة وسامح، لم تستطع جيداً أن تفعل ما أرادت لأن شيئاً ما قد عرقل عملها لذلك اضطرت أن تنتظر قليلاً ريثما يحين الوقت فقط ولكي تدبر الشيء الذي تريد وضعه في صيدلية سارة، كما أن سارة عادت لعملها في صيدليتها وكذلك سامح عاد لعمله إلا أنه لم يكن يريد العود فقط يريد أن يبقى مع محبوبته الصغيرة ولكن إصرار سارة وإقناعها له بالفكرة بدلالها وغنجها حال دون ذلك وجعلته يفقد حصونه ويفعل مثلما طلبت منه.

كما أن سامح قد ذهب لمنزله ورأى أولاده ولكن ماسة لم تشأ رؤية وجه والدها نهائياً، حاول سامح أن يحدثها وقد دخل إلى غرفتها ولكنها طردته خارجاً بكل وقاحة ولم تشأ رؤيته نهائياً، بينما إياس فقد واجه والده بوجه

جامد وسلم عليه كأنه رجل غريب وبارك له بأكثر لكنه باردة لديه، لم يعجبه وضع أبنائه ولكنه يعلم جيداً بأنها صدمة كبيرة عليهم جميعاً لذلك يجب أن يصبر عليهم قليلاً ريثما يتخطون هذه المرحلة ولن يشعر باليأس مع أولاده فأولاً وأخيراً هذان ولداه الوحيدان ولن يتخلى عنهما مهما بدر منهما.

أما عن جيداء فقد واجهت سامح بوجه حاد وملامح حادة وطلبت منه مراراً وتكراراً أن يعود للمنزل ويترك سارة ولكنه أجابها بالصمت وتجاهل رغبتها التي لا تدخل لعقله نهائياً، هو يعلم أنها حزينة ومقهورة ولكنه تحمل كثيراً منها طوال الأربعة وعشرون سنة التي تزوجها بها والآن من حقه أن يشعر بالراحة حتى لو كان على حسابها هي.

عند الساعة الثالثة مساءً

كانت جيداء في في سيارتها تراقب الوضع من بعيد وبجانبها خلود، كانت تنتظر خروج سارة من الصيدلية فهي تعلم بأن سارة عند الساعة الثالثة تخرج لتتوجه إلى منزلها إن كان قبل أن تتزوج أو الآن فلم يتغير شيء في نظام عملها كحال سامح، دقائق وخرجت سارة لتتوجه إلى منزلها في سيارتها ولم ينتبه أي من سامح أو سارة لسيارة جيداء الواقفة من بعيد، حالما رأته سارة حتى ابتسمت له باتساع وصعدت معه في السيارة ليتوجهان إلى منزلهما، أما عن جيداء فكانت تراقب الوضع بملامح حادة والغل والقهر ينهش بها، ذاك المشهد الذي شاهدته جعلها تصر على فعلتها أكثر من الأول لذلك توجهت إلى جانب صيدلية سارة وهبطت من السيارة وبرفقته خلود والتي كانت تحمل بيدها شيئاً ما، راقبت جيداء الوضع من حيث إن كان أحد المارة أو هناك أحد يراقبها ولم ترى أحد لتتوجه فوراً وتفتح باب الصيدلية بالمفتاح الذي نسخت عليه ودخلت إلى الصيدلية فوراً لتفتح أول جرار من الكمدينو الموجودة في المنتصف وتضع تلك الأشياء التي وضعتها بكيس صغير في الجرار ومن ثم خرجت لخلود التي كانت تراقب لها الوضع من الخارج وهي تقضم أظافرها وقلباها يطرق بعنف، حالما خرجت جيداء من الصيدلية حتى عادت وأغلقتها وكان شيئاً لم يكن لتتنفس الصعداء ومن ثم توجهت هي وخلود إلى المنزل.

في المساء

في منزل سامح وسارة كانت جميع العائلة مجمعة عنده في المنزل إذ أن الجميع أرادو أن يباركون لسامح وسارة فقد مر على زفافهما أسبوعين تقريباً، كانوا يتحدثون ويتسامرون فيما بينهم كذلك الفتيات كانت تجلسن مع سارة وتحدثانها بكثير من الأشياء وهن في غاية الفرح إذ أن سارة لم تخرج من العائلة فهم قد أحبوا جداً وحزنوا كثيراً عندما خرجت من العائلة في أول دخول سامح للمستشفى.

وانتهت هذه الجمعة الجميلة على خير ورحل الجميع تاركين سامح وسارة بمفردهما.

حسناً يارفاق سامح كان قد وعد سارة بليلة حمراء وهو الآن يريد أن يفني بوعدة لها.

توجه لها وعلى محياه ابتسامة مأكرة لبحصنها من الخلف بينما هي كانت ترتب الصالة لتبتسم حالما احتضنها، استدارت له لتضع يديها حول رقبته وتقول بابتسامة:

"ما الذي تريده الآن"

ابتسم بخبث ليقول:

"أريد أن أفي بوعدى لك"

هممت بابتسامة لتقول:

"أى وعد ها"

تحدث ببرود:

"حبيبتى لا تدعين الغباء أنت تعلمين ما الذى أقصده"

ضحكت بلطافة لتقول:

"يجب أن أرتب المنزل ومن ثم أريد النووم"

شددت على حروف كلمتها الأخيرة لينظر لها باستنكار ويقول:

"خيالك واسع يا صغيرتى الجميلة، أنا أموت من شدة شوقى لك وأنت تفكرين بالنوم، لا يجوز هذا الكلام"

هممت له باستمتاع لتقول:

"إنأ ما الذى يجوز ها"

أقترب ليقبلها قبلة ناعمة جداً على وجنتها ومن ثم همس فى أذنها:

"سأقول لك ما الذى يجوز ولكن فى غرفتنا"

أنهى جملته ليحملها بين يديه ويتوجه بها إلى غرفتهما لكي يحدثها بالذى يجوز ولكي ترتفع نسبة الجفاف العاطفى عند القراء.

في اليوم التالي وتحديدًا عند الساعة الثانية عشر ظهرًا كانت سارة في صيدليتها تمارس عملها بكل نشاط وحيوية.

بينما من الجهة الأخرى جدياء التي كانت في الشارع الرئيسي وتحديدًا عند الهاتف العمومي أجرت جدياء اتصالاً هاتفياً من هناك بحيث أنها لا تريد أن تجري الاتصال من هاتفها أو أن يكتشف أحد هويتها، لذلك ذهبت إلى ذلك المكان وأجرت اتصالاً إلى قسم مكافحة المخدرات وقدمت شكوى بحق سارة على أنها فاعل خير وقد أعطتهم العنوان ومن ثم أغلقت الهاتف فوراً.

بعد ربع ساعة من إجراء المكالمات كانت مجموعة من الرجال يحاوطون المكان وتحديدًا في صيدلية سارة مما أثار الذعر لقلبها لبدأوا بتفتيش المكان إلى أن وجدوا ضالتهم.

وبعد ساعة من الأحداث أتى اتصالاً هاتفياً لسامح والذي كان في عمله ليجيب على أخته خديجة:
"أهلاً أختي"

تحدثت خديجة بسرعة وقلق :

"سامح أرجوك إلق سارة لقد قبضوا عليها"

"الحُب معكِ ديانة جميلة

فيها كلُّ أصناف التجهُّد والتعبُّد

الحُب لأجلِك ثورة طويلة

فيها لذة العصيان والجحود والتمرد

الحُب من بعدكِ قصة مستحيلة

كيف لبركانٍ ثائر أن يهدأ أو يبرُد"

يحدث كثيراً أن تتلقى صفة قوية في لحظة من لحظات حياتك، أن يفاجئك شيئاً لم يكن بالحسبان، كرواية يموت بطلها في أول المشهد، أن تتلقى خبراً قد يكون هذا الخبر هو نهاية سعادتك وبداية تعاستك.

هو يحق له العيش بسعادة مع محبوبته الصغيرة ولكن الأناس الموجودين في حياته لا يسمحون له العيش في سعادة، ترى ما الذنب الذي اقترفه لكي يكون هكذا عقابه؟ عقاب الهجر والحرمان من السعادة.

برغم كل الصعاب وكل المشكلات التي واجهها في حياته إلا أن هذه المشكلة العصبية أو لا، هذا البلاء الكبير الذي أصابه وليس مشكلة، لم يرى كهذا البلاء في حياته ولم يمر عليه، بعد محبوبته الصغيرة ورميها في السجن ظلماً وعدواناً.

عندما تلقى خبر القبض عليها من أخته لم يصدق ما سمعه منها، صغيرته لا تفعل شيء ولا تؤذي أحد فلماذا قبضوا عليها! عندها توجه فوراً إلى قسم مكافحة المخدرات كما قالت له أخته ليرى ما سر هذه المصيبة التي حلت عليه وعليها، فخديجة كانت هناك عند الحادثة فهي كانت تريد الذهاب إلى سارة إلى أن رأت رجال الأمن يحاولون المكان وقد دخلوا إلى الصيدلية، أرادت أن تدخل لتعلم ماذا يحدث ولكنهم منعوها إلى أن رأتهم كيف يقبضون على سارة، ومن ثم لحقت بهم ولكنهم منعوها من رؤية سارة لأنها على ذمة التحقيق ولم تستطع التدخل وعندها اتصلت بسامح فوراً.

قابلها وهي تجهش بالبكاء المرير وتقسم له بأنها لا علاقة بها بالمخدرات التي في صيدليتها، حسناً هو جن جنونه عندما علم بأن الرجال قد وجدوا في صيدليتها مخدرات.

:Flash back

دخلت إلى مكتب رئيس قسم مكافحة المخدرات لترى سامح جالس على أعصابه منتظراً إياها بفارغ الصبر، حالما رآته حتى ارتمت في أحضانه باكية من الخوف والذعر والظلم الذي حل بها، جلس يهدأها ويفهم منها ما القضية ولكنها لم تجيبه سوى بالبكاء المرير، تنهد بقوة محاولاً تمالك أعصابه ليفهم القصة ويحاول إخراجها من هذا المأزق، استدار للضابط ليقول:

"أرجوك قل لي ما القضية؟ ولما زوجتي هنا؟ مؤكداً بأن هناك خطأ ما صحيح"

نظر له الضابط بتعجب ليقول:

"هذه زوجتك، لقد ظننتها ابنتك"

كز سامح على أسنانه ليقول:

"إنها زوجتي وليست ابنتي"

همهم له الضابط ليقول:

"لقد وجدنا في صيدليتها كيس مليء بالمخدرات والحبوب المخدرة ألا تريد أن نقبض عليها ياسيد"

حرك رأسه رافضاً ليقول:

"زوجتي لا تفعل شيئاً كهذا مؤكداً بأن هناك أحد ما قد ورطها بهذه القصة"

ابتسم الضابط بسخرية ليقول:

"ولكننا وجدنا المخدرات عندها وإلى الآن لم ينتهي التحقيق معها ولا تريد أن تعترف"

انفصص سامح صارخاً:

"تعترف على ماذا إن كان لا شأن لها ولا تعلم من أين أنت هذه المخدرات كيف ستعترف هيا قل لي"

نهض الضابط ليتحدث بحدة:

"اسمعي جيداً، أنت في قسم مكافحة المخدرات وليس في الشارع يجب عليك أن تحترم أسياذك هل تفهم"

نظر له بحاجب مرفوع ليبتسم بسخرية ويقول:

"أسياذ من الذين تتحدث عنهم ومن أنت حتى تتحدث معي هكذا"

غضب الضابط من كلامه ولكن مع كل هذا يعطيه العذر فهو قد رأى مدى خوفه ولهفته على صغبرته ولكن ما بيده حيلة لشيء، تنهد الضابط ليجلس ويتحدث بهدوء:

"اسمعي يا سيد سامح زوجتك متهمة بمتاجرة المخدرات، نحن جاتتنا شكوى بحقها من شخص مجهول لذلك توجه رجالنا وقد وجدوا عندها المخدرات لذلك جلبناها إلى هنا وكما قلت لك التحقيق لم ينتهي بعد وإن كانت زوجتك بريئة ولديها الأدلة الكافية لبرائتها فسوف تخرج من هنا لا تقلق، كما أننا أجرينا لها بعض الفحوصات وسحبنا منها دماء لكي نرى إن كانت تتعاطى أم لا"

ابتلع ريقه بصعوبة بينما سارة مازالت تبكي ليقول سامح بلهفة:

"حسناً بإمكانكم تحليل دمها مؤكداً بأنها ستظهر النتيجة وستعلمون بأنها لا تتعاطى أنا متأكد"

ابتسم الضابط بسخرية ليقول:

"حتى وإن تبين لنا بأنها لا تتعاطى ستظل عندنا فهناك قضية أخرى والتي هي المتاجرة ياسيد سامح، فالمتاجرة اصعب من التعاطى وعقوبتها أشد"

أغمض سامح عيناه بقوة ولم يتحدث بينما الضابط ظل يتابعه ببرود ليقول:

"سأترك لك فرصة التحدث معها قليلاً"

أنهى الضابط جملته ليخرج من الغرفة ويظل سامح وسارة في المكتب، ظلت سارة تبكي بينما سامح محتضناً إياها بقوة مغمضاً عينيه بألم على حالها، ابتعدت عنه قليلاً لتقول ببكاء:

"صدقني لا شأن لي بالمخدرات ولم أراها في حياتي أرجوك صدقني سامح"

تحدث سامح بلهفة:

"ياروحي ياقلبي أنا أعلم جيداً بأنه لا ذنب لك، لا تخافي سأسعى جاهداً لكي تخرجين في أقرب وقت لا تقلقي حبيبتي"

احتد بكائها لتقول:

"لا لا أرجوك لا أريد أن أظل هنا أنا خائفة جداً هذا المكان مخيف والسجن مخيف والنسوة الموجودات به مخيفات أيضاً أرجوك"

أغمض عيناه بألم ليتنهد بقلة حيلة ويكوب وجهها بيديه قائلاً:

"أرجوك تماسكي حبيبتي أرجوك سأفعل ما بوسعي وأقسم لك بأنني سأخرجك من هنا، أنا متأكد بأن جيداء هي وراء هذه الفعلة وسوف ترين ما أنا فاعل بها، سأوكل محامي ممتاز من أجل القضية لا تقلقي"

تحدثت سارة ببكاء:

"هناك محامي يدعى عماد ** وقد كان صديق والدي، هو محامي ممتاز لربما يساعدني أرجوك سامح"

تنهد بقوة ليحرك رأسه موافقاً ويقول:

"حسناً حبيبتي لا تقلقي ستخرجين من هنا وهذا وعد مني، فقط أنتِ تماسكي، تماسكي لأجلي"

ما إن أنهى جملته حتى دخل الضابط وخلفه عسكريان ليأمرهما بأخذها، ظلت سارة تتخبط وتصرخ وتتشبث بسامح ولكنها أخذوها غصباً عنها، جلس سامح بعجز ليضع كلتا يديه على رأسه ويغمض عيناه بألم بينما الضابط ظل يتابعه بشفقة ليقول:

"إن كان لديكم دليل قاطع ستخرج بإذن الله"

نظر له سامح ليقول:

"سأوكل لها محامي وسأجلب لكم الذي فعل هذه الفعلة"

نظر له الضابط بانتباه ليقول:

"هل تشك بأحد سيد سامح"

حرك رأسه موافقاً ليقول:

"أجل زوجتي والدة أبنائي، أنا متأكد بأنها هي وراء هذه المصيبة"

عقد الضابط حاجبيه بقوة ليقول:

"حسناً إذاً كانت محور الشك فسنجلبها إلى هنا لكي نحقق معها"

همهم له سامح ليقول:

"أريد أن أتأكد فقط وعندها اقبضوا عليها أرجوك حضرة الضابط"

حرك رأسه بتفهم ليستأذن سامح منه ويخرج من المكتب ومن ثم من القسم بأكمله متوجهاً إلى ذلك المحامي الذي حدثته عنه سارة، قابله ببرود وحدثه بالقضية وحدثه بعلاقته بسارة، للصرامة لقد تفاجأ جداً السيد عماد بالقصة وبشأن زواج سارة من رجل يكبرها بأعوام كثيرة ولكنه لم يقف على هذه القصة لإن لهفته وخوفه على ابنة صديقه المرحوم فوق كل شيء لذلك قبل باستلام القضية ووعده سامح بأنه سييذل قسارى جهده لكي يخرجها من التهمة ومن ثم توجه فوراً إلى قسم مكافحة المخدرات.

أما عن سامح فقد توجه إلى منزله فوراً ونظرة الشر ظاهرة في عينيه، دخل كالإعصار ليصرخ بأعلى صوته على جدياء، كان هناك جدياء وماسة وجميلة وخلود وإياس الذي كان جالساً في الصالة الثانية، عندما سمعوا بالصوت جفلوا جميعهم وخصوصاً جدياء التي تشجعت وخرجت أمامه ببرود لترى نظرة الشر في عينيه، تقدمت منه لتقول ببرود:

"ما الأمر لماذا تصرخ هكذا"

ابتسم بشر ليقترب منها بخطوات بطيئة ومن ثم أمسكها من شعرها بقوة لتصرخ هي بدورها، جرها ورائه من شعرها متوجهاً بها إلى غرفتهما السابقة ليرميها بعنف على السرير بينما هي ابتلعت ريقها وتماسكت أمامه ليقول سامح:

"ماذا فعلتي بسارة"

تحدثت بتوتر:

"لم أفعل لها شيئاً"

كز على أسنانه ليقول:

"ألستي أنت من وضعتي المخدرات في صيدليتها أم ماذا"

ادعت البرائة والتعجب لتقول:

"صدقني لم أفعل شيئاً بها ثم أنني كيف سأدخل إلى الصيدلية أنا لم أقترب منها صدقني"

حرك رأسه بإيجاب وهو ينظر لها بحدة ليقول:

"اسمعيني جيداً أنا على يقين تام بأنك وراء هذه الفعلة، سيأخذونك إلى قسم مكافحة المخدرات وسوف يحققون معك لإثباتي أنا الذي قلت لهم بأنك وراء هذه الفعلة، مثلما سارة في السجن فأنت أيضاً ستكونين في السجن وإلى الأبد، انتظري هناك وسوف تتلقين ورقة طلاقك أيضاً أيتها الساقطة"

أنهى جملته وخرج من الغرفة متوجهاً إلى الأسفل بينما جيداً ظلت في مكانها جاحظة العينين وقلبها يطرق بعنف من شدة خوفها، فهي لم تكن تتوقع بأن سامح سيسك بها ويقول لهم عنها، هي فعلت كل هذا من أجل أن تكسب زوجها وتدعه يكون لها فقط وها هي لربما ستخسر زوجها إلى الأبد بسبب أفعالها الدنيئة.

.End flash back

مرت ثلاثة أيام ولا يوجد شيء جديد كما أنهم لم يتوصلوا إلى أي دليل إلى الآن، ذهب المحامي عماد إلى سارة منذ اللحظة التي حدثت بها سامح وقد فهم الأمر منها وجعل جيداً محور الشك.

كما أنهم حققوا مع جيداً ولكنهم لم يتوصلوا إلى أي شيء وقد أنكرت كل شيء وادعت بأنها لا تعرف شيء من الذي يتحدثون عنه، ولأن ليس لديهم دليل على اتهامها أطلقوا سراحها فوراً بعد التحقيق.

في الحقيقة المحامي عماد كان يطلب من سارة أن تحدثه بالتفصيل الممل ماحدث معها منذ أن خطبها إياس وحتى هذا اليوم، وهي بدورها لم تبخل عليه بذلك وحدثته بكل شيء، وطبعاً عماد وبعدما سمع بكلام سارة لم يرى بأن أحداً ما سيخطو خطوة أذيتها سوى جيداء، وكما نعلم على المحامي أن يتحرى ويسأل ليصل إلى طرف خيط وقد وصل إلى طرف الخيط عندما علم بأنه هناك سوبر ماركت مقابلة لصيدلية سارة ومؤكداً بأنه يوجد كاميرات لذلك لم ينتظر نهائياً وقد توجه إلى هناك فوراً.

يبدو بأن الحظ لم يحالف سارة نهائياً ولم يحالف عماد أيضاً فهو لا يتعامل مع امرأة هينة وإنما جيداء خبيثة وذكىة لذلك كانت قد سبقتهم جميعاً إلى السوبر ماركت وقد دفعت مبلغاً محترماً لصاحب السوبر ماركت وأمرته بأن يخفي كل شيء وبالفعل فعل هكذا ذلك الرجل عندما رأى الأموال الكثيرة وتغلب طمعه على صحو ضميره.

في هذه الأيام التي مرت صدقاً لا أستطيع أن أصف لكم حالة سامح وحرنه على صغيرته، هو عاجز كلياً عن إخراجها وتبرئتها من التهمة خصوصاً بعدما علم من عماد بأخر التطورات، قلبه ينزف ويحترق عليها إذ أنه زوجها ولم يستطع حمايتها، في هذه المشكلة بالتحديد هو لم يعتبر نفسه رجلاً إذ أنه كان عاجزاً وليس بيده حيلة ولكنه تحدث مع عماد وحدثه بأمر أن يأخذ التهمة عن سارة فقد سأله إن كان يستطيع ذلك أم لا والجواب طبعاً كان لا، إن الصيدلية بإسم سارة ولديها شهادة صيدلية وأجل لقد سحبوا منها شهادة الصيدلية في الوقت الراهن.

جميع عائلة الأزهرى علموا بموضوع سارة ولم يعجبهم ذلك الشيء وقد انهارت خديجة من أجلها وكانت تريد أن تذهب لجيداء لكي تحطم رأسها ولكن سامح منعها طالباً منها أن تصبر قليلاً لأن الحق لا بد أن يظهر في الأخير، كذلك إياس علم بالذي حدث مع سارة ولم يهون عليه ذلك وقد سمع من الجميع بأن والدته وراء هذه القضية ولكنه إلى الآن يشك بأن والدته لا ذنب لها، هو قام بمواجهتها ولكنها لم تجيبه سوى بالبكاء المصطنع والنحيب على أساس هي مظلومة والجميع واقف ضدها وهذا ماجعله يشكك بحديث والده والعائلة.

أيضاً ماسة علمت بالقصة وقد شمتت كثيراً بسارة وفرحت كثيراً لأنها سجنتم ولن تعد تراها.

مازالتمت خلود تخطط وتسعى لكي تتقرب من إياس ولكنه لا يعطيها أية أهمية ودائماً ما يصدها ويبعدها عنه ولكن هي بقرة ولا تفهم.

حسناً بعد يومين بالتحديد والذي يكون يوم الاثنين سوف تكون محاكمة سارة ولنرى ماذا سيحدث معها وماهو حكمها.

في سجن النساء وبالتحديد حيث سارة موجودة، كانت جالسة ضامة ركبتيها إلى صدرها وهي تنظر للأمام بشروء، مذ أن دخلت لم تقترب من أحد علماً بأنها تعرضت للمشاحنات والأوامر والكلام الجارح والسخرية من البعض ولكنها لم تجب على أي منهم وظلت بحالها، إلا إمرأة واحدة من بين النسوة التي كانت في السجن لم تسخر من سارة أو تضايقها وإنما تعاطفت معها وأرادت أن تعلم ما قصتها ولكن سارة لم تحدث أحد نهائياً، اقتربت هذه المرأة التي تدعى (غيداء) وجلست أمام سارة، لم تبتسم لها المرأة ولم تمنحها أي نظرة حانية وإنما كانت باردة تنظر لها ببرود وجمود، نظرت لها سارة ببرود مماثل ومن ثم أشاحت بوجهها عنها، تنهدت غيداء بقوة لتقول:

"ما تهمنك يافتاة"

لم تجبها سارة وظلت صامتة لتردف لها غيداء:

"مذ أن دخلتي إلى هنا وأنت على هذه الحال لا تتحدثين ولا تقتربين من أحد لماذا ياترى ما الذي حدث معك"

نظرت لها سارة لتبتسم بسخرية وتقول:

"ولما علي أن أقترب من أحد أو أن أخالط أي واحدة منكن"

ابتسمت غيداء بسخرية لتقول:

"أولستي واحدة منا نحن سجينات وأنت سجينة أيضاً"

هممت لها سارة لتقول:

"أجل باختلاف الأصول والتهم والتربية والأخلاق"

أطلقت غيداء ضحكة قوية لتقول:

"حسناً حسناً حدثيني ماتهمتك"

تنهدت سارة لتقول:

"متاجرة بالمخدرات"

تحدثت غيداء:

"أوه وهل أنتِ حقاً تتاجرين بإفتاة"

نظرت لها سارة بحدة لتقول:

"أنا لم أرى المخدرات بعمرى كلها وليس لي أي عمل بها"

هممت لها غيداء لتقول:

"حسناً إذاً حدثيني كيف وصلت المخدرات إليك واتهمتي بها"

أغمضت سارة عينها بقوة ومن ثم تنهدت لتقول:

"أرجوك دعيني وشأني لا أريد أن أتحدث في هذا الموضوع"

هممت غيداء لتتنهد بقوة وتحرك رأسها بياس، ثواني وأنت امرأة يبدو عليها من أصحاب السوايق والمشاكل، لكزتها لسارة على كتفها لتقول:

"انهضي من هنا هذا مكاني"

نظرت لها سارة بسخرية لتقول:

"منذ أن دخلت إلى هنا وأنا جالسة في هذا المكان الآن تذكرتي أنه مكانك"

أجابتها بغضب:

"لا تجادليني أيتها الحمقاء وهيا انهضي"

تدخلت غيداء في الحديث لتصرخ بالمرأة:

"هياي ماخطبكِ ابتعدي عن الفتاة وعودي إلى مكانك هيا"

امتعضت تلك المرأة لتتظر لسارة بحدة وتتبعدها عنهما بصمت، نظرت سارة لغيداء بابتسامة واهنة لتبادلها غيداء الابتسامة وتقول:

"حسناً هل ستحدثين أم لا، بالمناسبة متى محاكمتك"

تنهدت سارة لتقول:

"يوم الاثنين"

هممت لها غيداء لتقول:

"حسناً هيا حدثيني بكل شيء وإن كنتي بريئة يجب عليك أن تواجهي كل شيء ولا تخافي صدقيني أنا عندما دخلت إلى السجن ظلماً لم أعرف ماذا أصنع أو كيف سأحدث ولإنني لم أعرف شيء ولم يوجهني احد إلى الطريق الصحيح انتهى بي المطاف هنا وحكموا علي عشرة سنوات ظلماً"

نظرت لها سارة بحزن لتحرك رأسها موافقة وتبدأ بسرد كل الأحداث التي حدثت معها بينما غيداء كانت تستمع لها بإنصات وبإمعان، لم تنقص سارة عليها حرفاً واحداً وقد حدثتها بكل شيء آملة بأن توجهها هذه المرأة إلى الصواب.

وبينما كان عماد في مكتبه دخل عليه سامح ليعلم منه آخر التطورات بشأن القضية والأدلة، تنهد عماد بقوة ليقول:

"نسبة براننتها ضعيفة ياسيد سامح لقد ألبسوها التهمة لأنه لا يوجد ولا دليل لبراننتها"

نظر له سامح بقلق ليقول:

"ألم يحللوها دمها ألم تتوصلوا لأي شيء أقسم لك بأن سارة لا تفعل هذا الشيء نهائياً"

ابتسم عماد بحزن ليقول:

"أنا أعرف سارة منذ أن كانت صغيرة وأعرف كم أنها فتاة خلوقة ومهذبة وقوية ولكن المحكمة والضباط لن يسألوا عن قسمك وحدثك وإنما كل ما يهمهم هو الدلائل التي سنقدمها لهم"

أغمض سامح عيناه بألم ليقول:

"حسناً ألم تتوصل لأي دليل بعد"

تنهد عماد بيأس ليقول:

"للأسف لقد كنت متأملاً أن تساعدنا كاميرات المراقبة في السوبر ماركت المقابلة لصيدلية سارة ولكنني لم أجد شيئاً يدل على براننتها ولم أرى أحداً قد دخل إلى هناك نهائياً"

تحدث سامح بلهفة:

"مؤكد بأنك ستري من فعل ذلك ودخل إلى الصيدلية أليس كذلك"

حرك رأسه رافضاً ليقول:

"الكاميرات كانت معطلة ولم أستطع رؤية أحد ولكنني أصريت على أن ألقى نظرة وقد وجدت بأن الكاميرات أصبحت تعمل بعد الحادثة"

تحدث سامح بترقب:

"أليس هذا يدّعي للاهتمام افرض بأن الذي وضع المخدرات في الصيدلية يكون قد طلب من صاحب السوبر ماركت أن يلغي الكاميرات ويعطيه الأموال"

ابتسم عماد بنهكم ليقول:

"لقد شككت بهذا الأمر ولكنني هددت على مسامح صاحب السوبر ماركت وهو لم يرف له رمش وقد حدثني بثقة ولم أرى أي محور للشك من قبله نهائياً"

تنهد سامح بياس ليردف له عماد:

"أنت قلت لي بأنهم حللوا دمها وأجل النتيجة ممتازة ولا يوجد في دمها أي نسبة صغيرة للمخدرات أو الحبوب ولكن كونهم قد وجدوا المخدرات في صيدليتها فهذا سيعتبرونه متاجرة والمتاجرة أصعب من التعاطي"

تحدث سامح بترقب:

"حسناً عندما وجدوا كيس المخدرات ألم يرفعوا البصمات"

تنهد عماد بقوة ليقول:

"لم يجدوا أية بصمات وهذا الشيء لا يدعي للاهتمام إذ أنهم من المحتمل أن يفسروا بأن سارة هي مسحت البصمات وإن حدث ووجدوا شيئاً في صيدليتها ستدعي بأنها لا تعلم من أين جاءت هذه المخدرات"

عقد سامح حاجبيه ليقول:

"حسناً وهذه هي الحقيقة"

حرك رأسه بإيجاب ليقول:

"انا وأنت نعلم ما الحقيقة ولكن لا يوجد لدينا أي دليل"

ترقرقت عيناه بالدموع ليقول:

"المعنى"

تنهد عماد ليقول:

"انتظر ليومين فقط وسنسمع ما الذي سيقوله ممثل النيابة العامة لربما يعترض هو من نفسه عندما يرى بأنه لا ذنب لها بشيء"

ضرب سامح المكتب بقبضته ليقول:

"إذا سنظل تحت رحمة ممثل النيابة ذاك ونظل على أعصابنا أليس كذلك"

ابتسم عماد بحزن ليقول:

"لا تقلق سيكون كل شيء على مايرام ولكننا نحتاج لبعض الوقت، حتى وإن لم نجد الأدلة الآن وحتى إن حكموا على سارة بالسجن سأظل وراء الذي فعل هذه الفعلة وسأعود وأفتح القضية لأخرج سارة من السجن"

أغمض سامح عيناه بألم وزفر بقوة ليحرك رأسه موافقاً وكله أمل أن تخرج محبوبته بأسرع وقت ممكن.

وجاء اليوم الموعد والذي هو يوم الاثنين لكي تتم محاكمة سارة، الجميع كان موجود في قاعة المحكمة وهم منتظرين القضاة لكي يدخلون ومن بين الجميع جيداء وخلود وماسة وإياس قد حضروا أيضاً، كان سامح يشعر بانقباض في قلبه ولا يعلم ماسببه ولكنه ظل متماسكاً من أجل صغيرته فهو ومهما يكن يعلم جيداً بأن صغيرته سوف تخرج من هذا المأزق وتعود إلى أحضانه، دقائق وجلبوا سارة ليضعوها في القفص الكبير، نظر لها سامح وأحس بالنيران تاكل صدره على ما حل بصغيرته ومدلته فقد كانت حالتها مزرية ومتعبة جداً ووجهها شاحب مما جعل جيداء تبتسم بشماتة ومكر هي وخلود. ماسة عندما رأت سارة حزنت عليها ورأت كم أنها متعبة وأحست بأنها بريئة ولكن مع كل ذلك هي بنظرها تستحق كل ما يحدث لها لأنها أخذت والدها منها. خديجة كانت تنظر لها بحزن وأسى كحال جومانة التي ترقرقت عينها بالدموع لأجلها.

لم تنظر سارة لأي واحد منهم حتى سامح لم تنظر له وإنما جلست ووضعته يديها على رأسها منتظرة ومتقبلة كل الذي سوف يحل بها إن كانت ستخرج برائة أو ستحاكم.

دقائق ودخلوا القضاة الثلاثة ليجلس كل منهم في مكانه ويتقدم المحامي عماد ليقف في المنتصف أمام القضاة، وبعد الأسئلة الموجهة لسارة تدخل عماد ليتحدث بهدوء ورزانة:

"سيدي الرئيس إنني أطلب من محكمتكم الموقرة تبرئة موكلتي من التهمة المنسوبة إليها لانني أعرف عن قرب ماضي وحاضر تلك الفتاة الخلوقة، هذه الفتاة التي تربت وترعرعت في كنف عائلة كريمة لم يعرف عنها سوى

الخير والفضيلة، وإنني إذ أطالب بتبرئة موكلتي أكون بذلك ألتمس العدالة والرفقة من محكماتكم الموقرة ودمتم
ذخراً للعدالة والعدل"

تحدث كبير القضاة قائلاً:

"السيد ممثل النيابة العامة تفضل لإبداء المطالبة"

نهض ممثل النيابة ليحمم ويقول بهدوء:

"سيدي الرئيس والسادة الحضرات المستشارين

إن المتهمة الماتلة أمامكم في قفص الاتهام هي مذنبه لذلك ياسيدي الرئيس نطلب الحكم وفق قرار الاتهام
وتجريم المتهمه ساره سالم بجناية الاتجار بالمواد المخدرة وفقاً لقانون عقوباتنا وشكراً"

ما إن سمعوا بهذه الجملة حتى جحظت أعينهم ومن بينهم ساره، ظل القاضي والمستشارين يتشاورون فيما بينهم
بهمس إلى أن تحدث القاضي:

"قررت المحكمة تأجيل النطق بالحكم للخميس القادم، رفعت الجلسة"

أنهى جملته لينهضوا ثلاثتهم ويخرجوا من القاعة بينما ساره أغمضت عيناها بقوة ووضعت رأسها على
القضبان الحديدية، نهض سامح متوجهاً لها ليقف أمامها ويحدثها من وراء القضبان:

"لا تقلقي يا عمري ستخرجين فقط تماسكي"

تدخل عماد في الحديث ليقول:

"لا تقلقي ياساره بما أن القضية قد تأجلت فهذا يعني بأنهم سينظرون للقضية جيداً ويقررون بالإفراج عنك"

حركت رأسها باستسلام وتقدمت خديجة وجومانة وسالم ليحدثوها ولكن الحارسان جاءا ليأخذانها وقد أخذها
وهي بدورها ذهبت معها دون أن تلتفت لأحداً منهم، كز سامح على أسنانه ليوجه نظره لجيداء التي كانت
تخرج من القاعة هي وخلود وماسة وقد أتى إياس إليه ليقول:

"لا تقلق أبي ستخرج بإذن الله"

نظر له سامح ببرود وحرك رأسه موافقاً ليقول لعماد:

"سيد عماد أريدك في أمر هام"

حرك رأسه بإيجاب وخرجا معاً متوجهان إلى مكتب عماد ، وبعد الحديث الذي دار بينهما خرج سامح متوجهاً إلى منزله لكي يراجع ذكرياته مع صغيرته وحببية قلبه ...

في اليوم التالي

كان السيد عماد بجانب منزل سامح والذي تسكن به جيداء وأولادها، طرق على الباب وماهي إلا ثواني حتى فتحت له الخادمة ورحبت به وقد طلب منها أن تدعو له جيداء، وماهي إلا دقائق حتى أتت جيداء وقد انقبض قلبها من وجود محامي في منزلها وليس أي محامي بل هو محامي سارة، بعد السلام والكلام تنهد عماد بجمود ليقول:

"اسمعيني يا جيداء هانم أنا على يقين تام بأنك أنتِ وراء تلك المصيبة وصدقيني الحق سيظهر في الأخير"

عقدت جيداء حاجبها لتقول:

"هل جئت لتسمعني هذا الحديث ياسيد، أنا لست امرأة حاقدة لكي أصل إلى هذا المستوى وأفعل هكذا بسارة"

ضحك عماد بسخرية على كلامها وقد شعرت جيداء بالإهانة ليقول عماد:

"لقد أتيت لكي أعلمك بشيء لربما يجعلك مجنونة أكثر من ذي قبل، ثم أنني لا أريدك أن تعارضين بالكلام الموجه لك وإنما أريدك أن ترين ما الذي سيحدث بك بعد فترة من الزمن"

صمت قليلاً ليبلل شفثيه بينما جيداء طرقات قلبها تزداد ليخرج عماد من حقيبتة ورقة ويسلمها لجيداء ويردف لها:

"السيد سامح أوكلني بقضية طلاقك منه وقد طلب مني أن أعلمك بالأمر وقال لي أن أحدثك بشأن خروجك من منزله في المساء كما أنه في الورقة موجود كامل حقوقك ولم ينقص عليك شيء"

نهض ليمسك حقيبتة ويمشي عدة خطوات ولكنه التفت ليقول لها:

"كما سمعتي، في المساء السيد سامح لا يريدك في منزله، وداعاً يهانم"

ظلت جيداء ساكنة وكأنها شلت عن الحركة لتستفيق على نفسها وتتنظر لورقة الطلاق بأعين زائغة ومن ثم أطلقت صرخة جنونية وبدأت تضرب نفسها، هي فعلت كل ذلك فقط لكي تحافظ على زوجها لا تعلم بأنها خسرت له للأبد بأفعالها الجنونية.

سامح الأزهري لا أحد يتحداه أبداً.

يوم الخميس

الساعة العاشرة صباحاً

كالعادة الجميع كان الكل مجتمعاً في قاعة المحكمة منتظرين دخول القاضي والمستشارين، دقائق وجلبوا سارة ليضعوها بالقفص الحديدي الكبير، لم تكن جيداء حاضرة وإنما فقط خلود فهي أرادت أن تحضر لتعلم ما حكم سارة، أيضاً ماسة وإياس حضرا كذلك، نظر سامح لسارة بلهفة وعيناه تترقرق بالدموع ولكنها كانت جامدة وساكنة وتتنظر للأمام بشرود، دقائق ودخل القضاة ليقف الجميع ومن ثم جلسوا وبدأت الجلسة، وبعد الأحاديث والوقت العصيب الذي مر على الجميع بخوف ومن دون أي أدلة تذكر قرر القاضي:

"قررت المحكمة بالإجماع ما يلي!"

أولاً تجريم المتهمه سارة سالم بجناية الإتجار بالمخدرات، ثانياً يحكم عليها بالسجن ثلاث سنوات، قراراً وجاهياً صدر وأفهم علناً، رُفعت الجلسة"

ما إن نطق بكلماته حتى تعالت الأصوات والضجة وبدأت سارة بالبكاء.

سامح كان كالجثة الهامدة ينظر للأمام بأعين زائغة وكأنه شلت حركته.

خديجة وجومانة بدأتا بالبكاء.

سالم وضع يده على رأسه.

إياس تملكه الحزن والشفقة تجاه سارة.

ماسة أحست بالحزن تجاهها.

خلود ابتسمت بشماتة ومن ثم خرجت من قاعة المحكمة فوراً لكي تخبر خالتها التي كانت منطوية ومنعزلة على نفسها في منزل أهلها منذ أن طلقها سامح.

عماد كان يشعر بالعجز وأحس بالخجل إذ أنه لم يستطع أن ينقذ ابنة صديقه الحميم.

أتيا الحارسان ليأخذان سارة بينما هي ظلت تتخبط وتصرخ وتناجي ولكنها أخذها بالغضب وخرجت من القاعة تزامناً مع هبوط دموع سامح العاجز.

مر على الحادثة شهر

وسامح لا أكله أكل ولا شربه شرب، ليس على لسانه سوى سيرة سارة ولا يشغل باله سواها، ذهب ورأها عدة مرات، كلاهما كانا متعبين وكان هموم الدنيا وأتاعها حطت عليهما هما الاثنان، أتعبهما البعد والهجر والفراق، حقاً حالتها مثيرة للشفقة.

الأحداث تمر والجميع يعيش حياته ولكنهم جميعاً يشعرون بالنقص وعندما أقول الجميع فأنا حقاً أعنيها فخلود تشعر بالنقص من جفاء إياس.

أما جيداء فهي منهارة بسبب سامح.

إياس يشعر بالحزن على حال سارة فهو مازال يكن لها المحبة والمودة.

ماسة تشعر بالنقص لأن أبيها بعيداً عنها ففي آخر فترة هي أيضاً ابتعدت عنه وخاصمته لأنه طلق والدتها ولم تعد تريد أن تراه.

جومانة وخديجة والفتيات والجميع يشعرون بالنقص لأن سارة وسامح ليسا بينهم وهذا ماجعل حياتهم كئيبة.

في منزل أهل جيداء

أتى أخيها راغب وغضب الدنيا كلها به إذ أنه عاد من سفره وعلم بما صنعتته أخته، توجه لها ولم يكن أحداً سواها في المنزل هي وابنة أختها جميلة والتي تكون شقيقة خلود وتدعى (حنين) هذه الفتاة تصغر أختها خلود بعام ونصف أي أن عمرها عشرون سنة، تزوجت ليوم واحد ومن ثم تطلقت لأسباب خاصة وسوف أحدثكم عنها عما قريب لأن هذه الفتاة لها دور هام في هذه القصة وسيبدأ دورها منذ الآن، دخل راغب وناظر أخته بحدة ليقول:

"هل لك أن تعطيني تفسير لما فعلتته يا جيداء"

نظرت له بوهن لتحرك رأسها بمعنى ماذا ليرد لها راغب:

"هل أنت فرحة الآن بخراب بيتك أيتها الغبية، ما الذي فعلتته ها؟ لقد قمتي بتوريط الفتاة لتكسبين زوجك ولكنك خربت بيتك"

عندما سمعت حنين بصوت خالها والضجة المنبعثة من الخارج خرجت لتعلم ما القصة ولكن عندما سمعت بكلمات خالتها وقفت مكانها مختبئة خلف الحائط وهي تسترق السمع، ترقرت عينان جيداء بالدموع ومن ثم احتدت نظرتها لتقول:

"حتى لو أنني خسرت سامح يكفي بأنني حرمتها منها وسأسعى جاهدة لكي أدبر لها مكيدة أخرى وأقتلها وهي في السجن لكي لا تخرج بعد ثلاث سنوات"

جحظت عينان راغب عندما رأى مدى مقت شقيقته وجنونها ليقول:

"ما اللعنة التي تقولينها أيتها الغبية! كيف لك أن تفعلين ذلك ها"

حسناً ياسادة حنين تعلم بالقصة كاملة ولكنها لم تكن تعلم بأن خالتها وراء فعلتها مع تلك الفتاة التي تدعى سارة، هي لا تحب الظلم ولا تحب الأذية لأنها حدثت وتعرضت للأذية والظلم ولا تريد لأحد أن يظلم، توجهت إلى غرفتها بخطوات سريعة لتجلب شيئاً ما ومن ثم عادت لتسترق السمع لتسمع جيداً تقول:

"لطالما كنت تساعدني بكل شيء يراغب ولقد ساعدتني باختطاف سارة منذ فترة قصيرة، كيف تتحدث الآن بهذه الطريقة"

همهم لها بحدة ليقول:

"أجل لقد ساعدتك لتحافظين على زوجك ولكننا كنا متفقان على أن لا نؤذي الفتاة وسوف نرجعها حالما يبتعد عنها سامح ولكن عندما تزوجها تملكني اليأس وبذلك لم أعد أستطيع مساعدتك، أردت أن تتقبلين الواقع وانتهينا لأن سامح لم يطلقك وقد حافظ عليك ولكنك افعلتي الجنون وحرمتيه من زوجته لذلك أنا أرى بأنك تستحقين ما يحدث لك يا جيداً"

نظرت له بغضب وصمتت ليرد لها:

"كيف دبرتي هذه المكيدة ومن كان معك يا جيداً"

ضحكت بقوة لتقول:

"خلود من كانت معي فالبلهاء أرادت مساعدتي لأنها تريد الانتقام من سارة كونه ابني إياس أحب سارة ولم يحبها هي"

وضعت حنين يدها على فمها عندما سمعت باسم شقيقها وظلت تسترق السمع ليههم راغب ويقول:

"وأنتِ مؤكدة بأنك قد أعطيتها وعداً بأنك حالما تسجين سارة ستدعين إياس يتزوجها أليس كذلك"

نظرت له ببرود لتقول:

"لا على العكس فانا قد ذكرتها بمقامها وبحقيقتها الرخيصة وقلت لها بأن ابني لا ينظر لواحدة مثلك ولكن مع كل هذا أعترف بأنني قمت بمسايرتها قليلاً لكي أحصل على مرادي"

قطعت جملتها لتضحك بسخرية وترد لها:

"والحمقاء مند أن سجت سارة وهي تحاول مع إياس ولكن إياس لا يهتم لحالها نهائياً"

نظر لها بصدمة ليقول:

"جيداء كيف افتعلتي هذه المصيبة تحدثي"

ضحكت بشماتة لتقص عليه كل شيء حدث معها وبينما هي تتحدث كانت حنين تستمع لها بكامل حواسها وتسجل كل شيء تتحدث به جيداء، أنهت كلامها بضحكة شامتة لينظر لها بصدمة ويقول بذهول:

"أنت مجنونة يا امرأة أقسم بأن سامح لو نزل عليك بالضرب المبرح وقطعك مائة قطعة فلن أبالي لك بل تستحقين أكثر من ذلك أيضاً"

نظرت له بغضب و حدة لتقول:

"الآن أصبحت أستحق الذي يحدث بي أليس كذلك، أنت تقف ضدي الآن ياراعب من أجل سامح هه لا لا ليس من أجل سامح وإنما من أجل تمارة هانم التي لطالما تمنيتها وأحببتها من كل قلبك أليس كذلك"

عقد حاجبيه بغضب ليقول:

"وما العيب إن أحببتها يا جيداء؟ هل هو عيب إن أحببتها وتمنيتها زوجة لي أم ماذا! لماذا تكرهينها وتمقتينها وتمقتين الناس هكذا قللي لي"

ابتسمت بسخرية لتقول بحاجب مرفوع:

"أمقت وأكره كل واحدة تحب زوجي، وما أنت تتعذب وتتلوى لإن تمارة تحب سامح ولا تحبك وأعلم جيداً بأنك أنت أيضاً تكره سامح"

نظر لها بصدمة ولم يصدق ما يسمعه من شقيقته ليقول:

"أنا بحياتي لم أكره سامح يا جيداء، لو كنت أكرهه كنت سأفعل المستحيل لكي لا أزوجك به، وإنما أنا أكرهه حب تمارة لسامح فقط، أنا بحياتي لم أكن له العداوة والكره ولكنك أنت امرأة حاقدة ومهوسّة ومجنونة وتستحقين ما يحدث لك"

كزت على أسنانها لتقول:

"أنا لست كذلك أنا فقط أحب سامح ولن أدع أي امرأة تقترب منه وسترى ما أنا فاعلة ياراعب، ثم أنني أنا أعلم جيداً بأنك أنت فرحٌ ومسرور إذ أن سامح تزوج سارة ولم يكثر ثلتمارة حبيبة قلبك فقط لكي تبقى لك أليس كذلك"

ابتسم ليقول بثقة:

"أجل انا فرحٌ لأنه لم يكثرث لتمارة ولم يتزوجها لإنني أريد ان أعلمها بحبي لها، حبي لها الذي منذ سنوات وهي لم تعترف به ولكنني سأسعى جاهداً لكي تكون لي بعد كل هذه السنين وسوف ترين"

ضحكت جيداً بقوة لتقول:

"حسناً يارغب بما أن أطول الحقيقة قد قرعت وبما أنني سأكن لك أنت أيضاً الكره الشديد من الآن فصاعداً فسوف أخبرك بشيئاً مهماً جداً والذي هو بأنني أنا التي بعثت ذلك الذي يدعى خلدون زوج تمارة السابق لكي يتزوجها ولكنه طلقها لأنها لا تنجب الأولاد وهذا ماجلني أتخلص منه، هذا هو السر الذي أخفيته عنك طوال الفترة الماضية ولكن خديجة كانت تعلم بذلك وقد أعلمت الجميع بالحقيقة"

نظر لها بعينان جاحظة ولم يصدق ماسمعه، ابتلع ريقه ليقول:

"لماذا لماذا جيداً؟ ألم تكونين تعلمين بأنني أحبها وأريدها"

ابتسمت بسخرية لتقول:

"بلى كنت أعلم ولكنها لم تكن تحبك لذلك بعثت بذلك الداهية خلدون وقد جعلها تتعلق به في وقتها ولكنه بان على حقيقته مع مرور الزمن وقد تخلى عنها، وأنا بصراحة لم أكن لأنتظر ريثما تحن عليك وتتقبلك ومن ثم تتزوجها لإنني كنت أريد أن أتخلص منها في أسرع وقت وأحافظ على زوجي، لقد أبعدتها عنه مثلما أبعدت عبير عن سامح في أيام شبابهما"

كز على أسنانه ليقول:

"اللعنة عليك وعلى أمثالك أيتها اللعينة، صدقاً أنا خجلٌ لإنك أختي"

أنهى جملته وخرج من المنزل بأكمله بينما جيداً كسرت وراءه الفازة وتحدثت بغضب وصراخ:

"اللعنة عليك وعلى زوجي وسارة والجميع أيها اللعين، فلتنذهب للجحيم أنت وتمارة حبيبة قلبك"

أنهت جملتها وجلست على الأرض وهي تبكي بينما حنين تتابعها بحدة لتتوجه إلى غرفتها ومن ثم تغير ملابسها لتخرج من منزل جدها عازمة على تنفيذ مايجول بخاطرها وبدخلها مقت شديد لخالتها ولشقيقتها وخوف كبير من الآن والقادم أيضاً.

في منزل سامح بحيث كانت جميع العائلة مجتمعين عنده لكي يرون حاله فهم لم يعودوا يرونه كثيراً، حزين ومكتئب ومنطوي على نفسه، كان يسعى جاهداً لكي يعثر على أي دليل لسارة من بعد ما حكمت بالسجن لمدة ثلاث سنوات ولكنه عجز تماماً عن إيجاد دليل كان.

كان جالس بينهم ولكنه لم يكن معهم نهائياً، كما أن إياس كان من بينهم ولكن ماسة لم تكن معهم، وبينما كانوا يتبادلون أطراف الحديث قرع جرس الباب لينهض إياس ويفتح الباب وإذ به يرى حنين أمامه تنظر له ببرائة وخوف، عقد حاجبيه باستغراب ليقول:

"أهلاً حنين ما الذي جاء بك إلى هنا"

ابتلعت ريقها لتقول:

"الدي شيء مهم يجب أن أقوله لك ولوالدك"

همهم لها ليسمح لها بالدخول بينما هي دخلت بخطوات بطيئة وما إن رأت عائلة الأزهرى مجتمعة حتى سقط قلبها فهي تخافهم وبشدة، حالما رأتها خديجة حتى نهضت بعنف هي وجومانة لتقول خديجة:

"أنتِ ماذا تفعلين هنا؟ وماذا تريدين"

ترقرقت عيناها بالدموع لتتحدث جومانة:

"هيا اذهبي من هنا لا ينقصنا مصيبة ثانية، ألا يكفي ما فعلته خالتك الحقيرة بسارة"

امتعض إياس بوجهه وقد تدخل سامح بالحديث لينهض ويقول:

"خديجة، جومانة، ابتعدا عن حنين هي لا شأن لها بأفعال خالتها وأختها، تفضلي حنين ادخلي"

ابتلعت غصتها لتحرك رأسها رافضة وتقول بخفوت:

"لا لا أريد الدخول وإنما أتيت لأمر يهمكم بشأن قضية سارة ياعمي"

نظر لها سامح بأعين زائغة وبدأ قلبه يقرع كالطبول كحال الجميع كانوا منتظرين حديثها بترقب ولهفة ليقتررب سامح ويحدثها بلهفة:

"ماذا تعرفين عن القصة يا حنين تحدثي هيا قولي لي"

ابتلعت ريقها لتقول:

"أنا لذي الدليل بشأن براءة سارة وأعلم من الذي قام بتوريثها بهذه القصة"...

"يا كل كُلي فُكن لي

إن لم تُكن لي فَمَن لي"

أووهِ يا إلهي أجد صعوبة في التحدث والكتابة عن الذي حدث ومر معي، حسناً لقد خرجت براءة بعد أن قدم عمي عماد الأدلة الجديدة، كما أنه وبعدما سمع جميع العائلة ذلك التسجيل الصوتي كانوا قد صدموا جميعاً مما سمعوه من حديث جيداء وراغب، إذ أنهم لم يصدقوا بأن حقدوا وهوسها بسامح سيوصلها إلى فعل هذه الأفعال الدنيئة، والصدمة الكبرى كانت من نصيب تمارة فهي لم تصدق ماسمعه ولم تكن لتعلم بأن راغب سوف يظل على حبها إلى وقتنا هذا.

في يومها ذهبنا سامح وخديجة إلى عمي عماد وأعطوه التسجيل ومن ثم قدمه للمحكمة، حينها قبضوا عليها وعلى خلود وتمت محاكمتها، بالنسبة لجيداء وبما أنها متورطة بمقتل زوج تمارة وهي من كانت وراء قتله وتوريثي بقصة المخدرات فقد حكموا عليها بالسجن لمدة ستة عشر عاماً، بينما خلود فقد حكموا عليها بالسجن لعام واحد وذلك نظراً لمشاركة جيداء بقصة توريثي بالمخدرات.

في الحقيقة لست شامتة بهما ولكنني فرحة إذ أن الله أخذ لي حقي منهما لأنني تعبت كثيراً بسببهما، حسناً أنا لم أكرههما وإنما كرهت تصرفاتهما وكرهت الذي فعلتاه بي، أعلم بأن كل واحدة منهما كان لها دافع للإنتقام مني ولربما كان دافعهما مقنع، إذ أن جيداء فعلت كل ذلك للحفاظ على سامح ولتتملكه وحدها بينما خلود قامت بمساعدة جيداء فقط لأنها حاقدة علي ولإن إياس لم يبالي بها وبحبها وإنما اختارني أنا، لا أنكر بأنهما تستحقان ما يحدث لهما الآن ولكن أيضاً أنا أحزن عليهما كثيراً.

عندما خرجت من السجن كنت في حينها أشعر بالسعادة إذ أنني سأعود إلى أحضان زوجي، كنت متعبة كثيراً ولم أكن أريد شيء سوى أن أرتمي في أحضانه لأنعم بالدفئ والراحة، كم اشتقت له واشتقت لكل شيء يتعلق به. عندما رأيته لم يكن سامح الذي أعرفه نهائياً، كان بارد وجامد ونظرة الألم ظاهرة في عينيه، لم أكن لأفهم ماذا يعني بنظرته تلك ولكنني أيقنت بعدها بأنه كان متألم من أجلي كثيراً، وأيضاً يشعر بالندم والمعاناة إذ أن كل ماحدث معي ظن بأنه كان بسببه.

في الواقع أنا لم أكن أفكر بهذا الشكل نهائياً ولم يخطر على بالي هذا الشيء أبداً وإنما كل ماكنت أفكر به هو أن أعود إليه لكي أرتمي في أحضانه فقط، لقد أتعبني بعده عني كثيراً ولكن ما أتعبني أكثر هو عدم نسيانه لـ الذي حدث وتعامله معي عندما خرجت من السجن وعدت إلى المنزل:

:Flash back

لم يكن مثلما عرفته صغيرته عندما رآها، كان عندما يراها وفي أي وقت كان وجهه يبتسم بسعادة وحب، ولكن في يومها لم يكن يبتسم ولم يستقبلها سوى بنظرة الألم، جميع العائلة كانوا مجتمعين في منزل سامح عندما خرجت سارة وقد رأت الجميع وفرحوا جميعهم لخروجها من السجن وعودتها إليهم، حقاً وجودها بينهم أشعرهم بالسعادة والراحة، كما ان الجميع كانوا فرحين لأن جيداء قد أصبحت في السجن فهم بنظرهم يعتبرون بأنها تستحق ما هي عليه في وقتها، حتى إياس علم أخيراً من هي والدته وقد رأى بأنها لا بد من معاقبتها كي لا تصب جنونها مرة أخرى على فتاة ليس لها ذنب، لن ننكر بأنه شعر بالحزن تجاه والدته إذ أنها خسرت كل شيء ولكن هذا عملها وخطأها وها هي تدفع ثمن خطأها الفادح.

لم يكن حال سامح كحال الجميع فهو كان جامد وبارد طوال الوقت، كما أن سارة كانت تتابعه بنظراتها المتلهفة ولكنه لم يقابلها سوى بنظرات باردة تتخللها نظرة الألم أيضاً، رحل الجميع بعد أن اطمئنوا على سارة، ظلت في مكانها وهي تتابع سامح بنظرات متلهفة ومشتاقة، لم يبادلها سوى بالنظرات الباردة ومع ذلك فهي قد منحتة ابتسامة محبة واقتربت لتجلس بجانبه، حالما جلست حتى نهض فوراً وهو ينظر للأمام بنظرات متألمة، نهضت لتقف ورائه ووضعت يدها على كتفه لتهمس له ببيرة مهزوزة:

"سامح اشتقت لك"

لم يجيبها وإنما اكنفى بالصمت وظل جامد، استدارت لتقف أمامه وهي تنظر لعيناه بعمق وبأعين دامعة، ابتلعت غصتها لتقول:

"مايك"

نظر لها بقوة وشرد بملامحها ليحرك رأسه بعنف ويقول:

"أنا لا أستحقك"

رمى هذه الكلمة على مسامعها وخرج من المنزل بأكمله تاركاً إياها بصدمتها وقلبها الذي يدق بشكلٍ عنيف.

في الواقع هي كانت متعبة بشكل لا يوصف، لم تكن تريد سوى أن تنام في أحضانه ولكنه وببساطة خرج من المنزل ولا تعلم إن كان سيعود أم لا، في حينها قضت وقتها تأن وتبكي إلى أن نامت بعد مدة قصيرة وذهبت في نوم عميق.

في اليوم التالي

كانت سارة جالسة بمفردها في المنزل، لا تعلم أنفرح على ماتخبئه لسامح أم تحزن على غيابه المفاجئ وغير المبرر، لم تفهم لما تركها وخرج من المنزل أو بالأصح هي لم تفهم مامقصده بكلمته عندما قال بأنه لا يستحقها، هه الآن أصبح لا يستحقها! وهو من كان يحارب فقط لكي يظفر بها.

ابتسمت بسخرية عندما تذكرت لقائها به في ذلك المطعم يوم كان يخطط لكي يفشل علاقتها بإياس، في يومها قال لها بأنها تستحق الأفضل من إياس ويجب عليها أن تنتظر جيداً أمامها لتعلم من هو الذي يستحقها، حسناً هي نظرت جيداً أمامها وعلمت من الذي يستحقها حقاً ولكن تصرفه هذا جعلها تدرك كم أن حياتها ستسوء أكثر فأكثر.

تتهددت بحرقه وظلت جالسة تنتظر للأمام بشرود إلى أن عاد سامح إلى المنزل، وقف أمامها ووجهه متعب وهو يناظرها بإنكسار، نظرت له بحزن لتقف مقابلةً له وعيناها مرققة بالدموع، ابتلعت غصتها كي لا تبكي لتقول بنبرة مهزوزة:

"أين كنت، لماذا تركتني وذهبت"

ابتلع غصته هو أيضاً وأشاح بوجهه عنها ليقول بجمود:

"لا أعلم"

ابتسمت بسخرية من بين دموعها لتقول:

"أهذا جزائي من بعد خروجي من السجن"

نظر لها بألم ليقول:

"دخولك للسجن هو من جعلني أشعر بالعجز والضعف، صدقيني لم أعد قادراً على التحمل، أنا اتألم كثيراً بسبب المشاكل التي تأتيك بسببي، بكيتي كثيراً بسببي وتألمتي كثيراً، يكفيك هذا"

هبطت دموعها لتتناظره بحزن وتقول:

"ماذا تقصد"

أغمض عيناه لياخذ نفساً عميقاً ومن ثم زفر بقوة لينظر لعيناها مباشرة ويقول:

"لا أعلم ولكن لن أتحمّل معاناة أخرى تلحق بك بسببي، اطلبي مني ماتشائين سارة وسأنفذ لك، تريدين أن أخرج من المنزل سأخرج ولكن لن أطلقك"

شهقت ببيكاء لتقول:

"لما تفعل بي هكذا سامح، انا لم أشتكي لك ولم أضع الحق عليك بـ الذي حدث، أنا سأتعب كثيراً إن ابتعدت عني صدقتي"

نظر لها بانكسار ليقول:

"لقد تأذيتي كثيراً بسببي، وجودي بجانبك لم ينفع، أنا حتى لم أستطع حمايتك من جفاء"

نظرت له بألم ليبادلها نفس النظرة، ظلاً ينظران لبعضهما مدة قصيرة إلى أن التفتت سامح ليرحل ولكن سارة أوقفته بقولها وبنبرة باكية:

"سامح أنا حامل"

توقفت الدنيا من حوله وظل واقفاً معطياً لها ظهره وعيناه جاحظة، لم يصدق ما يسمعه منها، استدار لينظر لها بصدمة بينما هي كانت تبكي، ارتسمت ابتسامة بلهاء على محياها ليتوجه نحوها ويمسكها من معصمها ويحدثها بلهفة:

"منذ متى سارة وكيف أنت ي.."

بتر جملمته وتشوش تفكيره، لم يشك بها ولم يفكر بتلك الطريقة ولكن لهفته وفرحته جعلته يتحدث هكذا، شهقت ببيكاء لتقول:

"منذ أن كنت في السجن والأعراض تأتيني، لم أكن أعلم بذلك ولكنني ذهبت اليوم إلى الطبيب وأجريت تحليل حمل والنتيجة ظهرت إيجابية وقد أكدت لي الطبيبة بأنني حامل منذ شهرين"

ابتسم بسعادة حالما سمع بجملتها ليحدثها بلهفة:

"أبقيه أرجوك سارة"

نظرت له بألم لتقول:

"كيف تريدني أن أبقيه وأنت تريد الابتعاد عني"

نظر لها بضياح ليقول:

"أرجوك سارة أبقى الطفل انا أريده لا تجهضيه أرجوك حبيبتي"

شهقت ببيكاء لتقول:

"لا تقول حبيبتي أنت لا تحبني ولا تريدني"

ابتلع ريقه بصعوبة لينفض كل تلك الأفكار من رأسه ويقول بتشتت:

"أنا كنت لم أقصد صدقيني فقط أردتك أن تكونين مرتاحة و.."

ابتلعت عبراته المتبقية لتمتلك شفثيه بقبلة عميقة وشغوفة ومتلهفة، بدلها القبلة بلهفة وجوع مقرباً إليها إليه أكثر، كانا مستمتعان بالقبلة وهادئان جداً لا يخرج من سارة سوى شهقات وأثار الدموع مازالت عالقة على وجنتها بينما سامح كان يهتمهم باستمتاع وهو يتذوق رحيق شفثيتها الذي يسكره والذي كان يموت شوقاً لتذوقه.

.End flash back

في الواقع لم أستطع في ذلك اليوم رؤية سامح وهو يبتسم بسعادة وعيناه التمتع بضى الفرح حالما سمع بخبر حملي، أيضاً كان شكله مضحكاً عندما انتابه التوتر وهو يبرر لي إلى أن امتلكت شفثيه التي كنت متشوقة جداً لتذوقها.

في الواقع أنا أيضاً سعيدة جداً بطفلي وأكاد لا أصدق بأنني أحمل في أحشائي قطعة من سامح، شعور جميل ينتابني كلما وضعت يدي على بطني المنتفخة وأتحمسها بسعادة.

أوه حسناً نسيت أن أقول لكم أنا أصبحت في شهري الخامس أي أنه مر على خروجي من السجن ثلاثة أشهر، وبهذه الثلاثة أشهر حدث الكثير من الأحداث ومن ضمنها هو أنه يتهيا لي بأن إياس مستلطفاً حنين كثيراً، خصوصاً بعد موقفها معي، حقاً كبرت في أعين الجميع وأصبحت موضع احترام من قبل جميع عائلة الأزهرى وخصوصاً سامح وإياس والسلطانة خديجة.

للحقيقة لا أعلم إن كان استلطف أم إعجاب أم حب كل ما أعلمه أو بالأصح ما أشعره هو بأن حنين ستكون من نصيب إياس وهذا يسعدني كثيراً.

أما عن راغب فهو قابل سامح بعد الحادثة وقد اعتذر له عن كل ما بدر منه، أراد راغب أن يسافر ويأخذ حنين معه ويهرب بها من والدتها ولكن سامح لم يقبل الفكرة وقد طلب منه البقاء في منزله الثاني برفقة إياس وماسة وحنين.

نعم بإسادة فوالدة حنين عندما علمت بـ الذي فعلته بأختها لم تتقبل الفكرة ولم تصدق أصلاً بأن ابنتها خلود سوف تخرج منها هذه الأفعال، لذلك عندما علمت توجهت فوراً إلى منزل سامح وأرادت أن تضربها ولكن لحسن الحظ أن سامح وإياس وراغب كانوا هناك وقد أوقفوها عند حدها.

أجل حنين نجت من ضرب وتهزيئ والدتها ولكنها لم تنجو من لسانها وكلماتها الحادة التي رمتها على مسامع حنين وهي تعيرها بطلاقها وسبب طلاقها أيضاً.

في الواقع رمت جملة على مسامع إياس وحنين وسامح وراغب والتي كانت:

(أيتها العاهرة تتأمرين على أختك وتتحدثين عنها بالسوء ويقومون بزجها في السجن بسببك وأنت التي عدتي إلى ثاني يوم من زواجك وأنت معيوبة)

في الحقيقة هذه الجملة جعلت الجميع يتسمرون في أرضهم ماعدا راغب فهو يعلم بالقصة كاملة ويعلم ما حدث مع ابنة أخته لذلك لم يفعل شيء سوى أنه طردها خارجاً، بينما حنين فهي لم تصدق بأن والدتها ستتحدث عنها بهذا السوء وتجرحها بكلماتها، كانت صدمة عليها حقاً.

سامح لم يفهم ماذا تقصد جميلة بجمالها ومع كل ذلك لم يبخل على حنين باستقبالها في منزله وأيضاً راغب ظل بمنزل سامح فقط من أجل حنين، كما أن سامح كان قد وعد راغب بأنه سوف يساعده ويسانده بموضوع تمارة.

تتسائلون كيف لي أن أعلم بكل هذه الأحداث وأنا لم أكن موجودة معهم لأنه وببساطة زوجي وحببي لا يخفي عني شيئاً ويقول لي كل شيء ويحدثني بكل التفاصيل التي تحدث، ولا أخفيكم أمراً لقد حاولت أن أفهم ما قصد جميلة بجمالها لحنين ولكن حنين لم تقبل التحدث بهذا الموضوع لذلك لم أحبذ إحراجها نهائياً وقد تركت كل شيء إلى أوانه.

بقي لدينا الأنسة الصغيرة المتعجرفة ماسة والتي لم أحدثكم عنها بعد، في الواقع هذه الفتاة لم يصلح حالها بعد فهي إلى الآن تكرهني وتمقتني وقد زاد كرهها لي من بعد ما علمت بحملي، شعرت بأن الغيرة تسري في عروقها وفي الواقع لست مطمئنة لها ولكنني ومع كل ذلك لن أبالي لها فزوجي وحببي معي وبرفتي وهذا ما يهمني فقط.

أيضاً إياس علم بموضوع حملي وقد رأيت عيناه تلمع من الفرح، حسناً علاقتي به لا بأس بها ويأتي إلينا ويقوم بزيارتنا أنا وسامح وفي معظم الأوقات يجلب معه حنين، في المختصر أشعر بأنه عاد إلى روحه المرححة ونسي كل شيء حدث في الماضي وقد عادت علاقته بأبيه جيدة جداً.

لقد أخبرتكم بأنني في شهري الخامس ولكنني لم أخبركم عن جنس المولود، ممم سوف نرزق بفتاة صغيرة وأنا سعيدة جداً بها وأيضاً سامح يكاد لا يصدق نفسه فهو يصل لأعلى مراحل سعادته وفرحته بطفلتي التي في بطني.

ولكن ماسة أيضاً عندما علمت بأن جنس المولود فتاة جن جنونها وصارت تبكي من قهرها وغيرتها كالأطفال، في الواقع لقد ضحكت عليها كثيراً فمنظرها كان مضحك جداً، وإلى الآن هي على قطيعة بوالدها ولا تحدثه أبداً.

دخل سامح إلى المنزل ليتوجه فوراً إلى سارة ويحتضنها بقوة وهو مبتسم بسعادة، ابتعد عنها قليلاً ليجلس على ركبتيه ويضع يده على بطنها المنتفخة ويطبب عليها ويقول:

"كيف حالها طففتي ها"

ابتسمت سارة باتساع لتقول:

"بخير وبأحسن حال ولكنها جائعة جداً وفي الحقيقة والدتها الكسولة لم تحضر الغداء ولم تطبخ شيء"

نهض لينظر لها بهيام ويقول:

"وأنا لا أريد من والدتها أن تتعب نفسها يكفيني أن تظل مرتاحة ولا تقلقي يا أميرتي أنا سأأولى أمر الغداء"

صفقت سارة بمرح لتقول:

"هبيبي إذاً هيا أطمع طففتك حبيبي وأطمع والدتها أنا وهي جائعات جداً"

ابتسم باتساع ليخطف قبلة من شففتها ويقول:

"حبيبي تأمرني وأنا أنفذ"

أمسكت وجهه بلطف لتطبع قبلة مطولة على شففتيه وتقول:

"هذا هو أسدي"

ضحك ضحكة رنانة ليقول بمكر:

"مارأيك بجولة سريعة ومن ثم نأكل ياحلوة"

عبست بوجهها لتقول:

"ولكن طففتي جائعة سامح"

همهم لها ليقول:

"سنطعمها اطمئني ولكن أنا أيضاً أريدك أن تطعميني، هيا أطمعيني لكي أطمعك وأطمع طففتي"

نظرت له بغيرور لتكتف يديها وتقول:

"ليس لدي طعام لديك حبيبي، أريد أن أعودك على نظام جديد والذي هو أنه طعامك في المساء فقط"

أنهت جملتها غامزة له بمكر ليعض على شفته السفلى ويقول بانتحاب:

"لقد أصبحنا في المساء أرجوكِ حبيبتي"

حركت حاجبيها بالرفض مغيظةً إياه لينظر لها بيرود ويحرك رأسه موافقاً ويقول:

"انتبهي جيداً فكل امرأة لا تطعم زوجها تقوم ابنتها الصغيرة بركلها بقوة لكي تتألم، حسناً كما تشائين"

عبست سارة بوجهها لتقول بصوت عالٍ:

"ابنتي تحبني ولا تركلني أبداً إغرب عن وجهي"

ابتسم باستفزاز ليقول:

"حسناً سأغرب عن وجهك وسأذهب لتناول الطعام بمفردي وسوف أطعم طفلي أيضاً وأنتِ لن أطعمكِ شيء"

عقدت حاجبيها باستغراب لتقول:

"كيف ستطعم طفلك وهي في بطني ها"

تحدث ببساطة:

"سأقوم بشق بطنك وأخرج طفلي وأطعمها ومن ثم سأعيدها إلى مكانها وأخيط لكِ بطنك"

فتحت فاهها بصدمة لتقول:

"ألا تعلم بأنها تتغذى من غذائي عن طريق الحبل السري أيها الأبله"

نظر لها بطرف عينه ليقول:

"بلى أعلم ولكنني سأفعل هذا إن لم تطعميني"

عبست بوجهها لتقول:

"لن أطعمك ثم أنه إن فعلت هكذا كما قلت لي سوف أموت أنا وطفلي"

تبدلت ملامح سامح ونظر لها بغضب ليقول بصراخ:

"لا تتحدثي هكذا سارة هل فهمتي"

أنهى جملته وتوجه إلى الأعلى بغضب، ظلت سارة واقفة مكانها وهي متعجبة من تبدل حاله وغضبه، تنهدت بئأس لتهم بالتوجه إليه ولكنها سمعت طرقات على الباب لذلك توجهت لتفتح الباب وإذ بها تنصدم بوجود ماسة أمامها، نظرت لها ماسة ببرود بينما سارة ناظرتها باستغراب لتقول:

"أهلاً ماسة تفضلي"

دخلت ماسة متوجهة للصالة لتقول:

"أين أبي"

تحدثت مبتسمة:

"إنه في الغرفة سأصعد لأنادي عليه انتظري"

حركت رأسها موافقة لتتوجه سارة نحو السلالم وتصعد عدة درجات، لحقت بها ماسة فوراً وصعدت ورائها على السلالم لتقف ماسة أمامها من الأعلى بينما سارة وقفت أمامها من الأسفل لتقول ماسة بتوتر:

"انتظري قليلاً لم أعد أريده، أريد أن أتحدث معك أنتِ دعينا نجلس في الصالة قليلاً"

نظرت لها سارة بتعجب وعقدت حاجبها لتحرك رأسها وتستدير بجسدها لتهبط على السلالم، وما إن هبطت درجة واحدة حتى تدخل الشيطان في عقل ماسة لتدفع سارة بقوة على السلالم وتطلق سارة صرخة قوية ومتألمة، بينما ماسة جحظت عيناها وانتابها الذعر لتهبط فوراً وتهرب من المنزل بسرعة البرق.

"كُل من في الدنيا يبحث عن جنة له"

وهو جحيمي الذي فيه أحيا وأشقى"

كان كالمجنون يصرخ ويشتم بكل من يراه أمامه، توقف عقله تماماً عندما رآها وهي ملقاة على الأرض والدماء تسيل أسفلها وتصرخ، لم يستوعب شيئاً وظل واقفاً يناظرها بصدمة، حقاً عقله توقف عن العمل في حينها ومن ثم أسرع ونقلها إلى المستشفى كالمجنون.

بدأ يأخذ الرواق ذهاباً وإياباً وهنا اشتغل عقله وبدأ يعمل كالماكينة والأفكار السوداء تحيط به وبعقله، هو لم يرى ماسة ولم يعلم بأنها أنتِ إلى منزله أساساً لم يشعر بوجودها وكان غاضباً جداً من جملة سارة عندما تحدثت عن

موتها وموت طفلتها، كان منتظراً إياها لكي تأتي إليه وتصلحه بغنجها ودلعها وعندها كالعادة سوف يفقد حصونه أمامها ولكنها لم تأتي، عندما سمع صوت صراخها جفل وهبط قلبه ومن ثم خرج كالمجنون من الغرفة متوجهاً للأسفل ليرى ذلك المشهد، في حين أنها كانت قد خرجت ماسة من المنزل فوراً قبل أن يهبط سامح.

أيعقل بأنها وقعت من تلقاء نفسها! ولكن كيف كيف وهي كانت بالأسفل وبمفردها فكيف ستقع هكذا! هو لم يتحدث معها ولم يعلم كيف حدث ذلك إذ أنها لم تقابله سوى بصراخات ألمها ومناجاتها وهي تبكي وتردد كلمة واحدة فقط (ابنتي).

حسناً حسناً لن يحدث شيء، سارة لن يحدث لها شيء ولا حتى طفلته، كلتاهاما ستكونان بخير، هذا ما كان يحدث نفسه به، أخرج كل الأفكار السوداء من رأسه وظل منتظراً ومترقباً ريثما تخرج الطبيبة وتطمئنه عنها.

تنهد بتعب وأراح جسده على الكرسي ليضع كلتا يديه على رأسه وهو مغمض العينين، ثواني ورن هاتفه معلناً عن وصول رسالة نصية وقد كانت من خديجة وكان محتواها:

"أخي أين أنتم لقد أتيت إلى منزلك ولم أجد أحد"

تنهد بتعب ليضغط على زر الاتصال، ثواني وأجابته ليقول لها بتعب:

"نحن في المستشفى، لقد وقعت سارة وهي تنزف كثيراً"

ألجمت الصدمة على خديجة ولم تصدق ماسمعه، طلبت منه عنوان المستشفى وقد أعطاها إياه وأغلق الهاتف فوراً، ظل منتظراً مدة طويلة ولا خديجة أنت ولا الطبيبة خرجت من الغرفة.

ثواني ومن بعدها أنت خديجة كالمجنونة لتقول بلهفة وخوف:

"ماذا حدث سامح أخبرني"

ظل على وضعيته ليحرك رأسه رافضاً ويقول:

"لا أعلم كيف سقطت وإلى الآن لم تخرج الطبيبة لتطمئنني"

تنهدت بقلق وجلست بجانبه لتضع يدها على كتفه وتقول بنبرة حانية:

"لا تقلق أخي ستكون بخير لا تقلق"

نظر لها بألم ليرتمي في حضنها وهي بالمقابل لم تبخل عليه بأن تستقبله لتحتضنه بقوة وتطبطب عليه، تحدث هو بنبرة متألّمة:

"أنا خائف من فقدانها أختي، منذ ساعتين كانت تتحدث عن موتها هي والطفلة، أنا خائف عليهما جداً لا أريد أن أفقد أي واحدة منهما"

تنهدت بقوة لتقول:

"لا تقلق سارة قوية وستكون بخير كذلك طفلاتك لن يحدث لها شيء اطمئن عزيزي"

دقائق وخرجت الطيبة لينتفض سامح ويتحدث بلهفة:

"ها ماذا حدث أخبريني أرجوك"

تنهدت الطيبة بتعب لتقول:

"لا أعلم ما الذي سأقوله لك ياسيد سامح"

ابتلع ريقه بصعوبة ليقول بقلق:

"حياً بالله تحدثني هل زوجتي وابنتي بخير"

أجابت الطيبة:

"حالياً الطفلة مازالت نبضات قلبها تعمل ولكن سقوط والدتها أثر جداً على بقائها على قيد الحياة، باختصار لا أعذك بأن الحمل يظل ثابتاً ولا تجهض، من المحتمل بأن تنزف في أي وقت، أجل لقد توقف النزيف والطفلة مازالت على قيد الحياة ولكنني لا أعلم إن كانت زوجتك ستكمل أشهر حملها وتلد الطفلة أم لا، على العموم كل شيء بقدره الله وحده ولن أطلب منك شيء سوى الدعاء لها ولا تدعها ترهق نفسها أو تتحرك كثيراً، حتى نفسيتها يجب أن تكون مرتاحة لأن هذا سيؤثر على الطفلة، أنا لم أخبرها بشيء وقد طمئننتها وقلت لها بأن حملها مازال ثابتاً ولكنني لن أخفي عنك أنت، وإن شاء الله كل الأمور ستكون بخير"

أنهت جملتها ورحلت من أمامه بينما سامح ظل واقفاً وكأن الدنيا توقفت من حوله، ترفرفت عيناه بالدموع كحال خديجة لتقول له:

"لا تقلق أخي كل شيء على مايرام"

نظر لها نظرة فارغة لا تدل على أي شيء، توجه للداخل ليدخل على سارة ويتوجه نحوها ببطئ بينما هي ناظرته بلهفة لتقول:

"سامح"

نظر لها بجمود ليقترب ويقف أمامها ويقول بهمس:

"كيف وقعتي سارة"

ابتلعت ريقها لتحاول تغيير مجرى الحديث وتقول بتعب:

"أرأيت لقد كان الله معنا ولم يؤذي طفلي هي بخير هكذا قالت لي الطيبية"

أنهت جملتها بابتسامة واهنة بينما هو بدت معالم الألم على وجهه ليغمض عيناه بقوة ومن ثم ينظر لها بجمود
ليقول:

"لم تجيبيني سارة"

تلعثمت سارة في الحديث ولم تعلم بماذا ستجيبه ليرد لها:

"هل أتى أحدٌ إلينا؟ هل هناك أحد ما قام بدفعك؟ أجبني"

ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول:

"لا لم يأتي إلينا أحد ولكنني أنا عندما سعدت عدة درجات اختل توازني وسقطت فقط هذا كل شيء"

همهم لها وهو يناظرها بألم ليقول:

"منذ ساعتين كنتي تتحدثين عن الموت، هل حقاً أنت تستهينين بنفسك وبطفلي"

أدمعت عينيها وشهقت ببكاء لتقول:

"أنا لا ذنب لي"

حرك رأسه موافقاً بصمت ليتنهد بقوة رافعاً رأسه للأعلى ومن ثم قال:

"ستظلين هنا للغد هكذا أفضل"

أنهى جملته وخرج من الغرفة بأكملها تاركاً إياها ورائه تبكي بحرقه، هو لا يعلم ما الذي حدث معها وهي ببساطة لن تفصح عن ماجرى لأنها تعلم علم اليقين بأنه إن علم بأن ماسة هي من دفعت سارة سيصب عليها نوبة جنونه ولن تسلم من عقابه القاسي نهائياً.

كانت جالسة في حديقة المنزل وهي شاردة الذهن وذابلة الوجه، مرت مدة شهر ونصف على مجيء والدتها إليها وإلقاء كلماتها السامة على مسامعها، هي أساساً لم تنسى ما حل بها من ظلم وأسى لتأتي والدتها الآن وتزيد الطين بلة عليها وتسمعها كلاماً قاسياً وحاداً، تنهدت بحرقة وهبطت دمعة بريئة على وجنتها لتمسحها بباطن كفها حالما رأت إياس يتقدم نحوها، ابتسم لها ليقول:

"هل بإمكانني الجلوس معك"

ابتسمت بوهن وحركت رأسها موافقة ليجلس إياس بجانبها ويردف لها:

"ما بكِ لما أنتِ جالسة بمفردكِ! لما لا تجلسين مع ماسة يا حنين"

تنهدت بقوة لتقول:

"أردت البقاء بمفردتي قليلاً ثم أن ماسة لم تكن على طبيعتها عندما عادت، سألتها عن حالها ولكنها توجهت إلى غرفتها فوراً وقد شعرت بأنها مفزوعة من شيء ما لربما"

عقد حاجبيه باستغراب ليقول:

"ما الذي حدث معها ياترى"

حركت كنفها دلالة على عدم معرفتها ليحرك رأسه موافقاً وقد ظلا مدة قصيرة صامتان ولا يتحدثان بكلمة، كان إياس يريد أن يعلم ما سر حنين وما تفسير كلمات والدتها ولكنه كان خجل منها وخائف على مشاعرها فلربما هي بحالة لا يسمح لها بأن تتحدث أو أن تتذكر ما حدث معها علماً بأنه هو لا يعلم ما قصتها ولم يعلم سوى بزواجها ليوم واحد ومن ثم طلاقها ثاني يوم وعودتها إلى منزل والدتها، فقط هذا ما علمه عنها، تحدث بتلعثم:

"مم حنين أريد ان أسألكِ سؤالاً فهلا سمحتي لي"

نظرت له باستغراب لتحرك رأسها موافقة بترقب ليردف لها:

"مم اا ترى ما سركِ أنتِ؟ وما سر زواجكِ ليوم واحد وعودتكِ إلى منزل والدتكِ في اليوم الثاني"

سؤاله نزل عليها كالصاعقة، نظرت له بصدمة لتترقق عينيها بالدموع وتبتلع غصتها بصعوبة، ثواني ونهضت من جانبه متوجهة إلى غرفتها تحت نظراته المتلهفة لها والمتعجبة من حالها، لحق بها وهو ينادي باسمها ويحدثها بأن تنتظر قليلاً ولكنها ظلت مكلمة طريقها لتدخل إلى المنزل وقبل دخولها أمسكها من معصمها وأوقفها لتستدير هي وتنتظر له بأعين دامعة ومنكسرة، نظر لعيناها مباشرة بقوة لتتحول نظرتة إلى حنو ويقول بصوت هادئ:

"أنا آسف إن أزعجك سؤالي انسي الأمر ولكن أرجوك لا تبيكي"

نظرت له بحزن لتحرك رأسها موافقة وتدخل إلى المنزل ومن ثم تتوجه إلى غرفتها، دخلت إلى الغرفة لتجلس على السرير وهي تنتظر للأمام بشرود مسترجعة ذكرياتها مع الذي دق قلبها لأجله والذي لم يكن سوى ناصر، أجل ناصر فهو كان زوجها في السابق وليوم واحد ولكنه كان حبيبها لمدة سنة كاملة، أحبا بعضهما وقضايا أجمل أوقاتها معاً ولكن ناصر لم يتقدم لخطبة حنين فوراً وإنما كان ينتظر لكي يتخرج أولاً ومن ثم يتقدم لخطبتها وقد حدث ذلك وتقدم ناصر إلى خطبة حنين وقد وجد من عائلتها القبول والموافقة.

لطالما كان ناصر يعشق حنين بكل تفاصيلها ولكن يوم الخراب خلود كانت دائماً تظل وراء أختها وخطيب أختها وتوقعهما بالمشاكل لدرجة أن خلود تجرأت وتحدثت عن أختها بالسوء عن أخلاقها وتربيتها، في حينها لم يصدقها ناصر وقد أصمتها ولكنها كانت تظل ورائه وتقول له عن حنين أشياء لم تحدث ولم تفعلها في كل حياتها كما أن كثرة محاولات خلود بتشويه سمعة شقيقتها قد راوده الشك لناصر ولكنه كان دائماً يكذب نفسه ويكذب خلود.

نعم ياسادة لقد وصل بها الحال لإن تشوه سمعة شقيقتها فقط لإن حنين الصغيرة وقد تمت خطبتها قبل أختها الكبيرة، وطبعاً هذا شيء متوقع من فتاة مثل خلود، فتاة انتقامية حاقدة تشعر بالنقص بسبب إياس وتجاهله لها.

سامح كان يعلم بعلاقة ناصر وحنين وكان يجد ناصر خير زوج لحنين ولكنه أحبط كل آماله به عندما طلقها فوراً ولكنه ومع كل ذلك لم يتخلى سامح عن خدمات ناصر ولم يعلم ماسبب الطلاق لإن ناصر لم يرغب بالتحدث نهائياً بهذا الموضوع، وحتى إياس لم يستطع أن يعلم ماسبب الطلاق علماً بأن إياس وناصر أصدقاء ولكنهما ليسا مقربان جداً من بعضهما ولكنهما يعتبران صديقان، أما عن سارة فهي لم تكن تعلم من هي زوجة ناصر، أجل هي تعرف ناصر منذ أيام الجامعة ولكنها لا تعلم من هي زوجته وما سبب الطلاق أيضاً وقد تفاجئت جداً عندما علمت بأن حنين هي من كانت زوجته وتعجبت كثيراً من الفكرة، فكيف لناصر أن يتخلى عن فتاة مثل حنين ياترى!.

ظلت حنين شاردة الذهن وهي تتذكر ذكرياتها مع ناصر وأيامها الجميلة التي قضياها سوياً، ولكن كل تلك الذكريات الجميلة تبخرت عندما عادت بذاكرتها قليلاً للوراء وتحديداً عند يوم زفاف حنين وناصر:

:Flash back

سعادة، حب، عشق، قلوب تدق بسرعة من فرط السعادة وأعين حاقدة تتابع فرحة العروسان ببعضهما، لم تكن خلود على مايرام بل كانت الغيرة تنهش بلحمها وقلبها لإن أختها الصغيرة ذات التسعة عشرة عاماً قد تزوجت قبلها وسوف تعيش بسعادة مع زوجها وحبيبها، كان كل شيء جميل بالنسبة للعروسان، وجودهما مع بعضهما كان بحد ذاته جميل جداً بل أكثر من جميل ورائع، في حينها انتهت مراسم الزفاف على خير وقد ذهب ناصر ويرفته زوجته الصغيرة حنين منطلقاً بها إلى عش الزوجية الخاص بهما.

كانت تشعر ببعض التوتر والخوف ولكن ناصر كان دائماً ما يطمئنها بكلماته الحنونة والعطوفة، كل شيء بينهما قد حدث وكانا في أشد السعادة، من جهة ناصر وسعادته التي لا توصف لإن مالكة قلبه بين يديه ومن

جهة حنين التي كانت بغير دنيا لأنها تشعر بمشاعر جميلة وجديدة عليها أيضاً، إلى أن حدث ما حدث وأصبحت زوجته وفعلها معها ولكن! أين الدماء؟ أين دماء عذريتها؟ لما لم لا يوجد دماء ياترى؟ هذا ماجعل ناصر في أشد حالات غضبه و حدته، جعلته يتحول مائة وثمانين درجة من ذلك الشخص العطوف والحنون والرومانسي إلى ذلك الشخص المجنون والغاضب والحاد.

كان يفكر ويأخذ الغرفة ذهاباً وإياباً وعقله يأتيه بالأفكار السوداء، لقد توقف عقله لم يعد يعلم ماذا سيصنع، هي ليست عذراء ولم يرى أية دماء إذاً تحذيرات خلود وتنبيهاتها له كانت في محلها، إذ أنها كانت تنصحه وتحدثه عن أخلاق أختها ولكنه لم يكن يستمع لها نهائياً بل كان يطرد الأفكار السوداء من رأسه فوراً ويصدق صغيرته فقط.

حنين كانت في حالة رعب فهي أيضاً لا تعلم ما الذي يحدث معه ولا تعلم ما سر غضبه وحنقه، هي حقاً بلهاء في تلك الأمور ولا تعلم مايتوجب عليها فعله كما أن والدتها لم تحدثها إلا بالقليل عن تلك الأمور وهذا ماجعلها في حالة تعجب واستغراب من زوجها وأيضاً حالة رعب من مظهره الغاضب.

كسر الصمت هو ووجه حديثه لها بحدة:

"أين دماء عذريتكِ حنين ألستي عذراء"

ترقرقت عينيها بالدموع عندما سمعت كلماتها الحادة لتقول:

"لم أفهم ماتقصده"

كز على أسنانه ليقول:

"اللعة عليكِ هل تتظاهرين بالبرائة الآن أيتها اللعينة، ألا تعلمين ما معنى عذراء"

أنهى جملته بصراخ لتشهق هي ببيكاء وتقول:

"لا أعلم بالتفصيل لقد قالت لي أمي بأن زوجك سوف يعلمك كل شيء"

نظر لها بذهول ليقول:

"ألم تفهمك والدتك على تلك الأمور! هل يتوجب علي ان أفهمك أنا مثلاً؟ قولي لي ما الذي فعلتبه كيف أخطئتي من اقترب منك ها"

حركت رأسها رافضة بخوف وابتلعت ريقها بصعوبة ولم تتحدث ليردف لها بصراخ:

"إذاً كلام خلود صحيح أيتها اللعينة أنت لستي سوى عاهرة صغيرة تدعي البرائة، أنت لستي عذراء يا حقيرة"

انتابها الذعر من وجهه الغاضب وصراخه بصوته الجهوري وبدأت تبكي وتجهش بالبكاء غير عالمة مامقصده، توجه لها بسرعة ليمسكها من شعرها بقوة ويقول:

"أنتِ معيوبة ولستي عذراء، أنتِ لعينة ساقطة، سأدفعك الثمن غالٍ يا حنين، لن أدعك على ذمتي وسأنهي ذلك الحب الذي أكنه لك ولكن ليس قبل أن تأخذين جزائك مني"

أنهى جملته بصراخ لينزل عليها بالضرب المبرح بينما هي تبكي وتتلوى بين يديه، ابتعد عنها بعدة مدة وهو ينظر لها بأعين زائغة وحادة وهو يلهث بقوة ليخرج من الغرفة بأكملها متوجهاً للصالة بينما هي ظلت تبكي وتصرخ من ألم جسدها.

كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحاً وهو إلى الآن مستيقظاً، احتدت نظرتة لينهض بعنف متوجهاً إلى الغرفة ليدخل ويوقظها بعنف، نهضت بفرع لتتظر له وقد رأت نظرتة الحادة، ابتلعت ريقها بخوف وقد تملكها الذعر من فكرة أن يعيد الكرة مرة أخرى ويضربها، أخذ نفساً عميقاً ليزفر بقوة ويقول ببرود:

"أنا لا أريدك في منزلي اجمعي أغراضك واغربي عن وجهي وسأبعث لك بورقة طلاقك قريباً جداً هيا"

بدأت تبكي وتجهش بالبكاء لتقول:

"ولكن لماذا ناصر لماذا أنا."

قاطعها بصراخه:

"من غير لكن افعلي ما أمرتك به أنتِ لن تلزميني بعد الآن ولن أندم على قراري هذا نهائياً، عودي إلى والدتك وقولي لها بأنك معيوبة هل تفهمين قولي لها هذا الكلام"

أنهى جملته وقد بدل ملبسه وخرج من المنزل بأكمله بينما حنين فعلت مثلما أمرها وقد جمعت أغراضها وهي تبكي وتنتحب ولكنها لن تظل عنده وهو يعاملها كهذه المعاملة لتجمع أغراضها وتتوجه إلى منزل والدتها.

وبرائتها وسذاجتها كانت قد أوصلت لوالدتها كلمات ناصر وحدثتها بكل شيء حدث ولم يكن من جميلة ردة فعل سوى الجنون وضربها لابنتها الصغيرة والتي لم تكن تعلم لما تضربها هي أيضاً.

في يومها جميلة قد جنونها على حنين كما أن خلود لم تكن لتعلم بأن أختها الصغيرة ستكون هكذا ولا تكون عذراء، حقاً لم تكن لتصدق هذا نهائياً، ظلت جميلة في يومها تحاول التواصل مع ناصر والتحدث معه ولكنه لم يعطيها أية فرصة للحديث لا لها ولا لحنين أيضاً، وقد فوجئت جميلة بعد يومين عندما وصلتها ورقة طلاق ابنتها كما أن حنين كانت قد انهارت بالكامل في يومها مما جعل من خلود تبتسم وتضحك بسعادة وشماتة.

نعم بإسادة ناصر من ذلك النوع المتسرع الذي يأخذ الأمور بتسرع وغضب و حدة ولا يفهم ما القصة وإنما هو يكون الحاكم والجلاد في نفس الوقت.

.End flash back

مر أسبوعان وحالة سارة على ما هي كذلك الطفلة في بطنها مازالت حالتها مستقرة ولكن يوجد بعض الجفاء بعلاقة سامح وسارة، أجل يهتم بها ويعطف عليها ولكن قلبه يكاد يحترق لأنه يعلم بأن حمل زوجته لن يكتمل وإن اكتمل لربما تموت الطفلة، ولكنه ومع كل شيء يحمد الله ويشكره على نعمته ودائماً ما يدعو بأن تكتمل سعادته وتأتي طفله سليمة لتتير حياته وحياة زوجته الجميلة.

أيضاً إلى الآن لم يعلم سامح بفعلة ابنته مع سارة وطبعاً سارة لن تحدثه ولن تعلمه بشيء مخافة من أن غضب سامح يطال ماسة.

حنين مازالت غارقة بذكرياتها القديمة، خائفة من المستقبل، تائهة لا تعلم ماذا تصنع ولكنها تظمن بوجود إياس بجانبها وتفرح عندما يهتم بها فهي لم تحصل على الاهتمام منذ زمن وأساساً لم تحصل على الاهتمام إلا عندما كانت مع ناصر قبل زواجه منها.

"سيجأ لنا القدر

وجوهاً تليقُ بنا

تبقى معنا دائماً بلا غياب

وتمنحنا جمال الحياة

ونمحوها معها وجوه من رحلوا"

ماسة منذ فعلتها الشنيعة لم تستطع العيش بهدوء فالشعور بالذنب يقتلها لا بل يكاد يفتك بها، لم تصدق بأنها ستصل إلى هذا المستوى وتكون سبباً بموت أختها الصغيرة، كيف أتى من قلبها أصلاً؟ عموماً هي قد علمت بما حل بسارة وبتناجج الكشف والفحص عن الجنين من إياس وهي الآن بأعلى مراحل تعاستها وقهرها وندمها.

في كل ليلة تبكي وتنتحب من شدة ندمها ومن شدة اشتياقها لوالدها فهي لم تعد تراه إلا نادراً وإن رآته لا تحدثه.

تتهددت بقوة بعد أن ذرفت الكثير من دموعها لتنهض متوجهة إلى غرفة أبيها وأمها في السابق، فتحت الباب ببطي لتدخل وتتنظر للغرفة بأعين دامعة، كم اشتاقت لرائحة والدتها ووالدها، شهقت ببيكاء لتتوجه إلى الخزانة كي تخرج قطعة من ملابس والدها والدتها لتشتتم عبق رائحتهما، هما الآن ليسا بجوارها وقطعة الثياب لا تساوي شيئاً أمام رائحتهما ذاتها ولكن لعلها تطفئ نار شوقها.

أخرجت قطعة من ملابس والدها وسحبتهما من أعلى الرف ليسقط دفتر بحجم متوسط تزامناً مع سحبها لقطعة الملابس، عقدت حاجبها باستغراب وهي تنظر للدفتر الذي سقط على الأرض لتمسكه بين يديها وتقلبه، علمت من الصفحة الأولى بأنه لوالدها إذ أنه مكتوب اسمه عليه، تتهددت بقوة لتتوجه إلى السرير وتجلس عليه ومن ثم فتحت الدفتر لتبدأ بقراءة ما مدون عليه، كانت هناك عدة أسطر وصفحات وكتابات قد كتبها سامح عن حياته السابقة وحياته الحالية منذ أن التقى بسارة، أجل هذا الدفتر الصغير قد دون عليه كل ذكرياته الجميلة والسيئة.

وللمصراحة كان قد كتب عن جيداء أيضاً ومن ضمن كتاباته عنها تبين لماسة بأنه ليس له زمن بعيد قد كتب هذه الكتابات عنها أي أن كتاباته حديثة العهد وليست منذ زمن، ومن ضمن كتاباته لها كانت:

"زوجتي جيداء أو بالأصح طليقتي جيداء

لا أعلم أكتب عنك بأنك المخلصة والمحبة أم أنك المريضة والمهووسة.

صدقيني لم أكن أريد أن نصل إلى هذا الوضع الذي نحن به.

أجل لقد أحببت غيرك وعشقت غيرك ولكن لم يكن يجدر بك أن تعامليني هكذا وتغلين بي كل مافعلتية.

لن أكذب وأقول بأنني لازلت أحبك بل على العكس سوف أترف لك وأقول بأنني لم أعد أحمل لك أية ذرة حب من وراء أفعالك وحقدك وكرهك.

أترين إلى أين أوصلك حقدك وهوسك؟ أترين كيف انقلب السحر على الساحر؟ أترين كيف توجهت كل الأذيات إليك والتي كنتي توجهينها لحبيبتني الصغيرة؟.

اشربي من نفس الكأس يا جيداء وذوقي العذاب الذي ذقته وتلوعت به أنا في السابق.

لن أقول بأنني حاقدٌ عليك ولا شامتٌ بك بل أنا حزين عليك وأشفق عليك كثيراً.

وسأقول لك شيئاً واحداً فقط تمنيت أن لا يحدث بيننا ماحدث ولا أن نصل لما وصلنا إليه الآن.

ليس حباً بك بل من أجل ولدنا، شمعتينا، وفلة كيدي وكبدك.

تمنيت لو كنتي أحببتني لشخصي ولأنني سامح وليس لأموالي ولحسبي ونسبي.

هذا هو السبب الذي دفعك للزواج بي وأنا كنت كالأحمق الذي لا يرى أمامه ولم أكشفك على حقيقتك وحاربت الدنيا لأجلك وتزوجتك.

وفي الأخير بماذا كافتني سوى بالحقد والكراهة وتديير المؤامرات والهوس والجنون.
أجل أعلم بأنك أحببتي ولكن حبك كان من نوع التملك والهوس وهذا مالم أتقبله بك.
بصراحة أنا خجلٌ كثيراً لأنك أحببتي هذا الحب، لأنه من وراء هذا الحب قد آذيتي الكثير من الناس بسبب مرضك وهوسك بي.
جلُّ ما أريد التوصل إليه هو أنه أتمنى أن يصلح حالك وتسامحيني لأنني تخليت عنك ولكنني حقاً لم أعد أحتمل جنونك ولم أعد أحتمل أذيتك لزوجتي والتي لم يكن لها أي ذنب.."

بدأت ماسة بالبكاء والنحيب عندما قرأت هذه الكتابات عن والدتها، أجل والدها معه حق مائة في المائة، هو تخلى عن والدتها ولكنه تخلى عنها بعد أن طفح الكيل معه، لقد كان يطبب ويداري ويساير ويصمت ظناً منه بأنها لربما ينصلح حالها وتكون طبيعية وتتقبل الفكرة ولكنها لم تنصلح بل زادت الطين بلة بأفعالها الدنيئة.

قلبت ماسة على الصفحة الثانية لترى كتابات لوالدها وهو يتحدث عن إياس وقد كان مدون عنه ما يأتي:

"بني إياس. أما بعد

لقد كبرت يابني كبرت وكبرت أنا معك وكبر حبي لك أكثر فأكثر.

لطالما كنت دائماً بجواري تذهب معي وتأتي معي وترافقني أينما ذهبت.

أعلم كم أنك متعلقٌ بي كما أنا متعلقٌ بك فأنت ولدي الوحيد والبكر والذي خرجت فيه من الدنيا أنت وأختك.

أتذكر يابني ذات مرة وقد كنت مازلت طفل العشرة سنوات في يومها قلت لي جملة لم أنساها إلى الآن ولن أنساها طوال حياتي وقد كانت (أبي أنا فرحٌ ومسرور إذ أنني أملك أباً رائعاً مثلك، إلى الآن يا أبي لم أرى بك أي عيب وسوف أظل أفتخر بك طوال حياتي، أنا أتق بك جداً، أحبك أبي).

هذه كانت كلماتك يا إياس ولكنك أنت لم تتق بي.

أتذكر عندما كنت في سن الحادية عشر عندما حدث الحريق في منزلنا القديم! أتريد أن أذكرك ماذا حدث؟! حسناً بني.

في يومها خرجت أنا لأشتري بعض الأشياء والتسالي لك، وقد كانت والدتك وأختك خارج المنزل، في حينها أنت بقيت وحيداً في المنزل وقلت لك انتظرنني.

وبعد فترة من خروجي حدث حريق في المحل أسفل المنزل والذي لم أكن لأعلم كيف حدث.

أتذكر في يومها كيف ابتدأوا السكان يلقون بأنفسهم من الشرفات أو يصنعون من الأغصية حبالاً وينزلون والدخان الأسود يتصاعد و يحجب عنهم الرؤية.

في يومها عدت وشاهدتك كيف كنت واقفاً على سور الشرفة والدخان المتصاعد يحيط بك ولا تقوى على فعل أي شيء والنيران تقترب منك.

أذكر أنا في وقتها عندما ناديت عليك وقلت لك:

(بني أسمعني؟ أنا والدك إنى أراك ولكنك لا تراني، لأن الدخان يعمي عينيك فلا تخف، ثق بي و إرمي بنفسك وستجد أحضاني في إنتظارك)

أعلم بانك سمعت صوتي في وقتها وأعلم بأنك كنت خائف ومتردد وبدأت تفكر في احتمالات كثيرة، في حينها قلت لي:

(لا أستطيع يا أبي لا أقدر أن أرمي بنفسي من الأفضل أن أعمل مثل باقي السكان فأصنع حبلاً من الأغصان وأحاول الوصول إليك بها، ولكنها قد تحترق أو أنتظر قليلاً فقد تبتعد النيران عن الشرفة، ولكن هذا غير مؤكد، أه يا أبي لست أدري ماذا أفعل، إنني خائف جداً)

وهنا صحت بصوت منكسر وحزين ولكنه مفعم بالحب: (إذا كنت تحبني وثق بي إرمي بنفسك، لا تفعل شيئاً ولا تحاول أن تفعل فقط ثق بي ولا تخف،

إنني أراك يا بني سأمسك بك وأخذك في أحضاني، إنني فاتح ذراعي لك وأحضاني في إنتظارك، هيا لا تضع حياتك، أرجوك بل أتوسل إليك يا بني)

في يومها أغمضت عينيك وتركت كل محاولتك العقيمة ورميت بنفسك في وسط الدخان واثقاً بي لأنه لم يكن هناك أي منقذ آخر.

وفجأة وجدت نفسك في أحضاني وقلت لك بحب و عتاب:

(يا بني لماذا شككت بي! ألا تعرف أنني أحبك وإنك جزء مني)

فنظرت إلي في يومها وعينيك ممتلئة بالدموع فرحاً بأحضاني ونادماً على عدم ثقك بي.

هل تذكرت جيداً يا بني، اااه أعلم بأنني أكتب بمفردي وبأنه لربما لا تقرأ هذه الكتابات ولكنني سأدونها لربما أحفادي يقرأونها في يوم من الأيام.

أجل لم تثق بي في حينها ولكنك من بعدها أصبحت تثق بي عمياء ولكنني أنا من خان الثقة.

أعلم بأن الجرح الذي سببته لك كبير جداً وعميق ولكنني لم أكن أفكر بشي سوى بحبيبتني الصغيرة، حبيبتني التي بديتها عن جميع الناس وأولهم أنت يا ولدي.

لربما لم تسامحني بعد ولربما سامحتني لا أعلم ولكن أعلم جيداً بأنني لن أتوانى لحظة عن تكفير ذنبي بحقك وسأجعلك تسامحني.

كل ما أريده منك أن تذكرني بالخير وتظل رافعاً رأسك بي وليس مطأطأ الرأس من والدك الذي أحب حبيبة ابنه."

أي فتاة في عمر ماسة عندما تقرأ كتابات والدها، قدوتها، سندها، وحبيبتها الأول سوف تبكي وتشعر بقلبيها سينفجر، هي لا تعلم إن كان أخيها قد قرأ هذه الكتابات ولكنها سوف تسأله وستعرف، عبتت بوجهها وهي تبكي ظناً منها بأن والدها لم يكتب عنها أي شيء، شهقت ببيكاء ودمت شفيتها لتقلب عدة صفحات وقد رأته اسمها من بين كتابات والدها وقد كانت هذه الكتابات بعنوان: (إعترافات أب)

"ماسة عمري وحبيبة قلب أبيها.

أه يا ابنتي كم اشتقت لك ولمشاكساتك ولشغبيك وطيشك وابتسامتك العذبة.

ابتسامتك التي كانت ترد لي الروح يا ابنتي.

في الواقع أنا قد خبئْتُ سرّاً عنكِ، سرّاً لا أحد يعرفه سوى أنا وأنتِ والله سبحانه وتعالى.

أتذكرين يا ماسة، أتذكرين عندما كنت أشاهدكِ تجلسين على الهاتف لساعات كنت أعلم أنكِ تتحدثين إلى أحد أبناء آدم.

عندما كنت أذكر اسم جدكِ كانت تلمع عينكِ فعلمت أنه مشابهٌ لإسمه.

عندما أصبحتي تشاهدين المباريات فجأةً وتشجعين فريقاً معيناً لا تعلمين عنه شيئاً علمت أنه فريقه المفضل وقد تأثرتي به كثيراً.

أذكر مرةً عندما تركتني هاتفكِ أمامي مفتوحاً ولم أستطع منع فضولي من تفحصه فوجدت صورته علمت أنه هو فقد ملأت صورته الهاتف.

عندما كنتي تتحججين بتأخيرات في المدرسة كنت أعلم أنكِ تقابليه لذلك كنت أكثر من اتصالاتي بكِ.

عندما فكرت في إخباركِ بما أعلمه ترددت كثيراً لم أرد أن أبعدكِ عن من تحبين، خائفٌ عليكِ لا أنكر ذلك لكن قلبي لا يستطيع حرمانكِ سعادتكِ.

تذكرين أحد الأيام عندما طلبت منكِ أن تكرري في كل صلاة "اللهم أبعد عني من يريد ابنائي" كان الحل الوحيد لدي.

عندما كنت أناديكِ لتجلسي معي ومع والدتكِ وأخيكِ أو أقترح عليكِ الخروج سوياً كان ذلك لأمنعكِ من التعلق به أكثر.

عندما أيقنت من تعلقكِ به واستحالة الابتعاد عنه دعوت وقتها "اللهم إن أراد بها شراً فأبعده عنها اللهم إني استودعتك إياها".

أذكر أنه في نفس الليلة سمعت أنينكِ وبكائكِ وما يدل على قهركِ وحزنكِ، أعلم أنكِ تتألمين وأنا أحمد رب العالمين لأنني أعلم أن هذه ثمرة دعائي، فأقسمت ألا أجعل قلبكِ يتعلق إلا بأمير يستحقكِ ياماسة عمري.

أعلم بأنكِ تألمتي ولكنكِ تعلمتي في ذلك الوقت أن لا تثقين بأحد وأن يظل ذكر الله على لسانكِ وعينكِ بعين الله، فإن لم أكن أنا بجواركِ أحميكِ وأنتبه لكِ فهناك من هو أقوى مني وأعلى شأناً مني ألا وهو الله سبحانه وتعالى.

أجل لقد ابتعدت عنكِ وأحببت فتاة بعمركِ وتزوجتها ولكن قلبي وعمري وكياني لكِ ولابتسامتكِ ولا أحتمل أن يمسكِ أي سوء أو أذى.

أعلم بأنكِ لا تريدين التحدث إلي ولا رؤية وجهي حتى ولكنني اشتقت لكِ كثيراً، عموماً يا ابنتي استودعتكِ لله سبحانه وتعالى وأتمنى أن تعودتي إلى أحضان والدكِ.."

يا الله يا فتيات ما أروعها من اعترافات، وما أجملها من كلمات نابغة من قلب محب وصادق، أبّ واعٍ كسامح أدرك أن الحل ليس في القوة ولا بالإجبار، رجل أعيته الحيلة فلجأ إلى رب السماء، دعى وابتهل فما بخل الرحمن عليه، صدق من قال الحب دعاء.

هذه الكتابات كانت قد فطرت قلب ماسة وجعلتها تبكي وتنتحب بغشاوة، هذه الكتابات قد أعادتها إلى أيام طيشها ومراهقتها عندما أحببت شاب لأول مرة في حياتها، كانت قد تعلقت به كثيراً ولكنه لم يكن سوى شاب ملتوي يريد منها التسلية وقضاء الوقت معها، وبما أن ماسة كانت فتاة مسالمة كثيراً وتخاف جداً وأيضاً تحذيرات والدتها في فترة مراهقتها عندمت كانت تحذرهما من الشبان وبأن لا تماشى أحدهم أو تسمع أي شيء منهم حتى

لو أحببت، وفي حينها كانت قد أخذت بنصيحة والدتها ولم تستمع لمتطلبات الشاب لذلك تركها في يومها مما جعلها في حالة حزن وبكاء وانتحاب طوال الليل.

لم تكن لتعلم بأن والدها يعلم بكل هذه الأحداث لولا كتاباته، حقاً هي تشكر الله وتشكر والدها إذ أن ثمرة دعائه لم تذهب سداً بل أن الله سبحانه وتعالى قد استجاب لدعاء سامح وحمى له ابنته الصغيرة من أن تفعل الخطيئة أو أن تقع في شرك ذلك الشاب الملتوي والذي لم يكن يستحق قلبها النظيف والصادق.

حسناً حالة ماسة لا تبشر بالخير الآن ولم تعد تستطيع أن تكمل قراءة ماتبقى من الكلمات في الصفحات التالية، لا تعلم ماذا يحدث لها ولكنها شعرت بالدنيا تدور بها وآخر ما رأتها هو دخول إياس وحنين عليها ومن ثم أغمي عليها ولم تعد تشعر بشيء.

لا نعلم لما ماسة وصلت إلى هذه الحالة، لربما من البكاء الشديد أو الضغط الشديد أو الندم أو عذاب الضمير، كل شيء جائز.

في منزل سالم الأزهري

بحيث كان مجتمعاً عنده جميع أولاده، فقط أولاده بينما أحفاده لم يكونوا موجودين، أيضاً وجود تمارة بينهم شيء طبيعي ومعتاد ولكن دخول راغب عليهم ومجالستهم هذا ما جعلهم متعجبين منه، ولقد رأى ذلك في أعينهم ولكنه لم يهمله، هو أصلاً أتى لرؤية معذبة فؤاده ولكي يشبع ناظره منها، يا الله كيف لهذا القلب أن يخفق بجنون حالما يراها ويرى ذلك الحسن والجمال ويظل على حبها وعشقها بهذا الشكل وطوال تلك السنوات الماضية.

للصراحة كان يشعر بالتوتر إذ أن الجميع كانوا ينظرون له باستغراب ومنهم من ينظر له بلا مبالاة ومنهم من ينظر له ببرود، بينما هو كان يوزع ابتساماته لهم بتوتر، ولكن كل ما كان يفكر به هي تمارة فقط، ينظر لها بطرف عينه وقلبه يخفق بسرعة بالغة وبيتلع ريقه بين الحين والآخر.

حسناً ياسادة سأعرفكم عن راغب قليلاً وأحدثكم عنه، راغب يبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاماً، أي أنه يصغر جيداً بثلاث سنوات، رجل محترم ذو سلطة وهيبة ووقار وطلّة بهية برغم كبر سنه، في الحقيقة هو لم يدخل في عائلته كثيراً ولم يكن يجتمع بهم إلا بالمناسبات فقط، والداه متوفيان منذ زمن لذلك منذ أن توفيا والداه أصبح لا يرى أخوته إلا نادراً، نعم ياسادة فالوالدان هما من كانا يلمان شمل العائلة ويجمعان أولادهما وأحفادهما بالمناسبات وغير المناسبات، ولكن من بعد وفاتهما تغير كل شيء وأصبح كل منهم يقول اللهم أسألك نفسي ولم يعودوا يجتمعون إلا بالمناسبات الرسمية والأعياد فقط، وطبعاً راغب كان يراهم ويطمئن عليهم ولكن ليس كثيراً وإنما نادراً جداً.

في الحقيقة موت والديه قد أثر عليه كثيراً وبشكل سلبي وزاد الطين بلة عليه، فمن جهة زواج تمارة وضياها من يده في ذلك الوقت ومن ثم زواجه من امرأة أجنبية تدعى (ميرنا) كان قد تعرف عليها في إحدى سفراته إلى الولايات المتحدة ومن ثم طلقها، ومن الجهة الأخرى موت والديه، كل هذه الأشياء أتته كضربة واحدة لتجعله بأقصى حالات حزنه ووحده.

أجل لقد مر بتجربة زواج فاشل وأنجب من زوجته السابقة فتاة وأطلق عليها اسم (تمارة)، كان يريد أن يظل اسم تمارة موجود في حياته فإن لم تكن زوجته فستكون ابنته وهذا ماحدث، علماً بأنه لم يكن يفكر بالزواج من بعد زواج تمارة ولكن شعوره بالوحدة والفرق والهجر جعله يخطو هذه الخطوة ويتزوج من امرأة أجنبية.

لقد التقى بتلك المدعوة ميرنا عدة مرات عندما كان يسافر لعمل ما في الولايات المتحدة، ومن ثم تقربا من بعضهما وتزوجا وأنجبا فتاة.

لقد عارضت ميرنا بشأن تسمية ابنتها باسم تمارة فراغب كان قد حدثها عن تمارة حبيبته وقص عليها قصته المأساوية مما جعلها تقف معه لكي تنسيه إياها ومن بعدها عرضت عليه أن يتزوجها وهذا ماحدث.

ولكن فكرة أن يسمي ابنته على اسم محبوبته هذا ما لم يتحملة عقلها واقتعلت المشاكل في حينها ولكن راغب ظل على قراره وأسمى ابنته تمارة ولكن ميرنا كانت دائماً تطلق على ابنتها اسم (إيفا)، مما جعل من راغب يغضب ويفتعل المشاكل معها في كل مرة تنادي على ابنتها بهذا الاسم.

لم يكن هذا السبب الوحيد لانفصالهما بل معتقدات زوجته وأصولها الأجنبية وتصرفاتها بحكم أنها أجنبية وكانت تقيم ببلد أجنبي جعل راغب يغضب كثيراً وينفصل عنها بعد الكثير من المشاكل التي حدثت لأجل هذا السبب بالتحديد.

وبحكم أن ميرنا تأخذ الأمور ببساطة وتعلم ابنتها على معتقداتها وأصولها وتريد أن تربي ابنتها على تربيتها قد جعل راغب يجفل من هذه الفكرة ويحذر منها، لقد حاول كثيراً أن يداري هذه العائلة الصغيرة ليس حباً بزوجه وإنما من أجل ابنته فليس لها ذنب لكي تعيش بين نارين، ولكن وبعد الكثير من النزاعات والمشاحنات لأجل هذا الموضوع تم الطلاق وأبقى راغب ابنته لديه في حين أن ميرنا عادت إلى ديارها.

الآن ابنة راغب تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً ومازالت مع والدها بينما والدتها لم تسأل عنها منذ أن تركتها ذلك منذ ما يقارب الستة سنوات.

لقد أطلت بالحديث عليكم حسناً لنعود إلى عائلة الأزهرى وإلى ذلك العاشق الولهان.

كسر الصمت سالم ليقول موجهاً حديثه لراغب:

"أهلاً بك ياراغب، كيف جرى وأتيت لزيارتنا"

حمم راغب بتوتر ليقول:

"في الواقع منذ زمن وأنا أريد زيارتكم ولكنك تعلم ياعم بمشاغل الحياة وغيرها"

همهم له بابتسامة ليقول:

"أهلاً وسهلاً بك، يسعدنا أن تقوم بزيارتنا دائماً"

ابتسم له بامتنان ومن ثم ظل صامتاً والتوتر ظاهر عليه، لا يعلم كيف يبدأ حديثه وكيف سيتحدث وقد لاحظ الجميع عليه هذا الشيء.

وجه نظره لتمارة ليراها تنظر له، ابتلع ريقه وتسارعت وتيرة أنفاسه حالما تلاقى أعينهما لتتحدث العيون وتحكي الكثير والكثير من الكلام.

منحته تمارة ابتسامة بسيطة وودودة ليتسمر في مكانه وينظر لها ببلاهة وشروء.

ماذا يحدث؟ أحقاً ابتسمت له؟ أحقاً منحته هذه الابتسامة الودودة والرائعة؟ هل هو يحلم ياترى! تلك المرأة التي كانت دائماً تصده وتبعده عنها ولا تحدثه ولا تنظر لوجهه حتى الآن تبسم له!.

حسناً لما لا يقرصه أحد أو يؤكد عليه ويقول له بأن تمارة حقاً ابتسمت له، فهو حقاً لا يصدق ما يحدث، وآه لهذا القلب فهو قد تمزق إلى أشلاء بسبب حبها والآن عاد وترمم وأصبح يدق بشكل عنيف بسبب هذه الابتسامة، لقد منحته ابتسامة بسيطة فجعلته بهذا الشكل فما بالكم إن منحته قلبها وكانت له وبين يديه! أنتخيلون مقدار السعادة التي سوف تعيش بها تمارة بين يدين هذا العاشق المتميم ياترى!.

حسناً ياسادة بعيداً عن أنه مازال ينظر لها ببلاهة إلا أن الجميع قد لاحظ عليه شروءه بتمارة وابتسامته البلهاء، الجميع كتم ضحكته عندما رأوه بهذا الشكل، كسر سالم الصمت ليقول لراغب:

"مابك ياراغب ماذا يحدث معك"

وبشروء وأعين مازالت موجهة نحو محبوبته الفاتنة تحدث بصوتٍ أشبه للهمس:

"أريد أن أطلب يد تمارة ياعم" ..

"أنا هانم ومُتيم"

وأنا الذي أقتل في العشق كُلَّ يوم

وأود لو أبقى قتيل"

كان جالساً في غرفته والأفكار تتضارب بعقله، يكاد يموت ليعلم ما حقيقة طلاقها ومامعنى كلمات خالته التي وجهتها لابنتها في ذلك اليوم، يريد فقط أن يعلم الحقيقة وما هذا السر المخفي، هو لا يعلم لما مهتم لأمرها ولا يعلم لما تشغل باله وعقله في كل دقيقة وكل ثانية، كل ما يفكر به هو قصتها وكل ما يتخيله هو صدمتها ودموعها ونظرة الانكسار التي دائماً موجودة في عينيها منذ ذلك اليوم الذي نطقت جملة كلماتها على مسامعهم جميعاً، لا يعلم ما الذي يحدث له عندما ينظر في عينيها، قلبه يطرق بعنف ويتمنى لو أنه يحتضنها ويطبطنها عليها ليخرجها من هالة حزنها.

لقد كانت أمام عيناها ولكنه لم يكن ينظر لها إلا بنظرة عادية جداً ولا يعتبرها سوى ابنة خالته، فما الذي يحدث معه الآن؟ ما الذي تغير به ليصبح هكذا متعلقاً بها ومتمنياً قربها في كل مرة يراها بها؟ أيعقل بأنه معجبٌ بها أم أنه يحبها أم أنه يشفق عليها ويرى نفسه بأنه لا بد أن يقف بجانبها ليساعدها كواجب عليه؟ أم ياترى هل من الممكن بأنه لربما هو بحاجة لها كونه تعرض لمأساة كبيرة في الحب وقد خسر خطيبته السابقة والتي أصبحت زوجة والده الآن! لا لا إن كان يفكر بحنين بهذا الشكل وبأنه بحاجة لها لكي تنسيه الماضي فهو لن يدخل بهذه اللعبة نهائياً، لن يجرح مشاعر فتاة ليس لها ذنب ويتقرب منها تحت مسمى الحب، فهي أيضاً تعرضت إلى مأساة كبيرة جعلتها تجفل من فكرة الارتباط مجدداً وتخاف أيضاً.

نعم إياس نسي سارة ولم يعد يكن لها المشاعر فهي أصبحت زوجة والده وسوف تتجرب له أخت صغيرة من والده فمستحيل أن يفكر بها بعد الآن، نسيها ولكنه لم ينسى ما حدث في الماضي، لم ينسى ما فعله به والده، لم ينسى كيف تخلت عنه وتركته.

حسناً إن كان هو لم ينسى إلى حد الآن فكيف سيكمل طريقه؟ كيف سيستطيع أن يحب ويتزوج دون الشعور بالذنب؟ كيف سيثق بأي فتاة بعد الآن ياترى؟ هل ياترى حنين هي أهلاً للثقة! هل تراها ستعوضه وسيستطيع أن يعوضها هو أيضاً بالمقابل؟! هل ستبادل المشاعر وتظل بجواره إلى الأبد أم أنها ستتخلى عنه هي أيضاً؟!!

ولكن الآن إن كان يحبها أم لا يجب عليه أن يعلم ما قصتها وما هذا السر الذي لم تستطع أن تفصح عنه.

تنهد بحدة ليصدر صوت هاتفه معلناً عن وصول رسالة إليه وقد كانت من رامي طالباً منه أن يأتي إلى تلك الشقة الصغيرة لكي يجتمعون كالعادة، نهض فوراً ليغير ثيابه ومن ثم توجه إليهما.

بعد قليلٍ من الوقت كان هجرس ورامي وإياس مجتمعون ثلاثتهم في تلك الشقة الصغيرة، الصمت كان حليف المكان وكل واحد منهم بكأسه ويرتشف منه بين الحين والآخر وكان هموم الدنيا قد حطت على رؤوسهم هم الثلاثة.

كل منهم كان يفكر فيما يشغل باله فإياس طبعاً تعلمون بمن يفكر ورامي كان يفكر بتلك المشكلة التي حدثت بينه وبين أحمد والتي لم تكن من النوع المعتاد نهائياً، بل كانت مشكلة كبيرة وقد وصلا للضرب لولا أن هجرس تدخل وأبعدهما عن بعضهما، نعم ياسادة مازالا يكرهان بعضهما البعض ولا يطبقان بعض.

حسناً سبب مشكلة رامي وأحمد كانت بسبب ملاك أو بالأصح بسبب تصرفات رامي مع ملاك، كانا يتشاجران وكان رامي يصرخ ويهزأ بملاك لأنها خرجت من المنزل في وقت متأخر لأن صديقتهما قد دعتهما على حفلة خطوبتهما، والخطأ كان من ملاك إذ أنها لم تخبر رامي وإنما أخبرت أحمد فقط وهو بالمقابل جعل أخته تذهب بمفردها لمكان الحفل وقد قال لها بأنه هو سيخبر رامي وسيطلب من رامي أن يذهب ويعيدها إلى المنزل.

وبسذاجة منها كانت قد صدقت شقيقها وفعلت مثلما أمرها وذهبت بمفردها إلى الصالة بهذا الوقت المتأخر، حسناً أحمد ليس بالندالة البالغة لكي يترك أخته الصغيرة تمشي بمفردها في الطريق وفي المساء لذلك كان ورائها خطوة بخطوة وانتظرها إلى أن عادت إلى المنزل وأيضاً كان ورائها خطوة بخطوة.

للصراحة هو فعل كل ذلك لكي يخلق مشكلة بين رامي وملاك وبالفعل هذا ماحدث، فأحمد لم يخبر رامي بشيء ولم يطلب منه أن يعيد ملاك إلى المنزل لأنه بالأساس لا يحدثه ولا ينظر لوجهه كحاله هو.

وعندما عادت ملاك إلى المنزل بمفردها لم يكن أحمد قد دخل ورائها فوراً وكان رامي منتظراً إياها في منزلها والشر يتطاير من عينيه إذ أنه علم من والدتها بأنها خرجت ولأنها لم تخبره فسوف يكون حسابها عسير جداً.

حالما دخلت حتى قابلها بالصراخ والتهزيئ ولم يدعها تبرر نهائياً، وبدخول أحمد إلى المنزل كان قد سمع رامي كيف يصرخ ويهزأ بملاك لذلك لم يحمله عقله إذ أنه يصرخ على أخته الصغيرة وقد تدخل بالقصة فوراً وبدأ الصراخ والشتائم بينهما ولم تستطع ملاك ووالدتها أن يبعدهما عن بعضهما لذلك وصل هجرس بالوقت المناسب واستطاع أن يبعدهما عن بعضهما.

من بعدها قام هجرس بتهدأة الوضع قليلاً ولكن أحمد كان ومازال ينظر لرامي بحدة وتوعد ولكن رامي لم ينظر له بل كان غارقاً بأفكاره وندمه إذ أنه أوقع نفسه بمشكلة كبيرة مع ملاك وهزأها دون أن يفهم منها شيء.

ملاك حزنت كثيراً من رامي وتوجهت فوراً إلى غرفتها حالما وصل هجرس وبدأت بالبكاء المرير مما جعل رامي يود لو أن يلکم نفسه ومما جعل أيضاً أحمد لو أنه يستطيع أن ينقض على رامي لأنه أبكى أخته.

حسناً ياسادة لقد وصل أحمد إلى مبتغاه وقد أوقع رامي بمشكلة مع أخته ولكنه صدقاً لم يكن يتوقع أن تسوء الأمور إلى هذا الحد وتبكي أخته بحرقه، ولكن بالنسبة له هكذا أفضل فلتشتعل أكثر ولتكبر الأمور بينهما أكثر فهذا يجعل العلاقة تصبح في حالة توتر ولربما تنتهي خطبتهما وهذا مايسعى له أحمد ومايتمناه أيضاً.

أما عن هجرس فهو أيضاً يفكر بما حدث معه فبعدهما هدأت الأمور بين أحمد ورامي قليلاً، طلب هجرس من رامي أن يسبقه إلى الشقة ويحدث إياس لكي يلحقه أيضاً وهو بالمقابل سوف يلحقه بعد قليل، وما إن خرج رامي

من المنزل حتى بدأ الصراخ بين أحمد وهجرس وقام هجرس بتهزأة أخيه لأنه يعلم بأنه هو وراء هذه المشكلة مما جعل من أحمد يغضب أكثر ويحقد على رامي أكثر.

بعدها خرج هجرس من المنزل وغضب الدنيا كلها به لتأذن الصدفة ويقابل لامي زوجته السابقة في المبنى، رآته كيف يهبط على السلالم وهو غاضب لذلك لم تحبذ فكرة أن تحدثه أو أن ترمي السلام عليه حتى. حالما رآها أمامه حتى ناظرها بغضب الدنيا كلها وحدثها بصراخ:

"وأنتِ ماذا عنكِ ها، هل ستظلين هكذا أيتها الغبية"

نظرت له بصدمة وابتلعت ريقها لتقول بخفوت:

"هجرس مابك لم أقترب منك أو أحدثك أبداً، لماذا تتحدث معي بهذه الطريقة"

كز على أسنانه ليقول بغضب:

"هذا مايجلني في حالة قهر أيتها اللعينة، أتعلمين شيء أنتِ تافهة وأخي تافه، كلكم تافهين"

ترقرقت عيناها بالدموع ولم تجيبه ليرد لها بصراخ:

"ابقي على ما أنتِ عليه أسمعني، ابقي في منزل أهلك طوال حياتك، هذا ما سيجلبه لكِ عنادك عندما تطلبين مني الطلاق أيتها العقيمة"

أنهى جملته بغل و حدة ولم يكثر لحال تلك المنكسرة والمسكينة ليخرج من المبنى متوجهاً إلى الخارج تاركاً ورائه أنثى احترق فؤادها وكيانها بسبب كلماته الجارحة التي رماها على مسامعها.

ثلاثتهم مهمومين ومقهورين ولا يعلمون كيف سيصلحون ما ارتكبوه من أخطاء، للصراحة أنا ومن وجهة نظري فهجرس هو أكثر شخص أخطأ بحق من يحبها ومشكلته كبيرة أيضاً إذ أنه لم يكثر لحالها عندما رمى تلك الكلمة الجارحة على مسامعها، هو أصلاً لعن نفسه وشم وهزأ بنفسه لأنه تحدث معها هكذا، لم يكن يعي شيء ولم يعلم كيف تحدث معها بهذه الطريقة، علماً بأنها لم تفعل له شيء ولا ذنب لها بشيء فلما كل تلك الذنالة والوقاحة؟!!

ظل هجرس ساكن وهادئ كحال رامي ليكسر إياس الصمت ويقول:

"حسناً هل ستظلان هكذا صامتان! ماذا يحدث معكما"

تنهد رامي ليقص على إياس كل ماحدث وبالمقابل إياس لم يعجبه تصرف رامي لذلك قام بمعاتبته ونصحه بأن يحل الأمر بشكلٍ سريع ولا يأبه لكلام أحمد.

بينما هجرس قد طلبا منه أن يتحدث ولكنه لم يتفوه بحرف، ظل ممسكاً بالكأس وهو مستنداً بيديه على فخذه وشارد الذهن وعيناه ممتلئة بالدموع، تنهد إياس بضيق ليقول:

"يارجل ما الذي يحدث معك لما أنت مكتئب إلى هذا الحد"

وجه هجرس نظره إلى إياس وعيناه تترقرق بالدموع وأيضاً لم يتحدث ولم يجيبه.

في الحقيقة اثناهما قلقا عليه من هيئته وشكله وجموده فهذا شيء لا يبشر بالخير، وللصراحة لقد راودهما الشك بأن سبب اكتنابه هذا هو لمى، ومن دون سابق إنذار تحدث رامي:

"هل رأيت لمى"

نظر له هجرس بحدة ليقول:

"وما شأنك أنت"

ابتسم رامي بخفة ليقول:

"لا شأن لي كما تشاء ولكن اكتئابك لا يأتي إلا بسببها ونحن نعلم بهذا الشيء"

أخفض بصره ونظر للأرض فقد أحس بغصة، يريد أن يبكي ولكن ليس أمامهما، لم يستطع كبح دموعه لذلك هبطت دمعان على وجنتيه مما جعل من إياس ورامي في حالة صدمة، فهجرس كان ومازال قوي الشخصية ويخفي ألمه وراء بروده وجموده، لأول مرة يشاهدان دموع هجرس وهذا ليس بالشيء السهل.

ابتلع غصته وهو مازال على وضعه ليقول بنبرة مهزوزة:

"لقد هزأتها وقلت لها بأنها عقيمة، لقد أفرغت طاقة غضبي بها وهي لا ذنب لها"

حظت عيناهما مما سمعاه فأخر ماكان يتوقعاه من هجرس أن يعير لمى لأنها عقيمة ويذكرها بعجزها.

تحدث إياس بعتاب:

"لما فعلت هكذا ياهجرس ماذنبها هي"

مسح دموعه بعنف ليقول:

"لا أعلم وجدتها أمامي وأفرغت كل ذروة غضبي بها، أنا أحبها وأريد استعادتها ولكن وبعد كل الذي قلته لن تقبل بالرجوع إلي"

ابتسم رامي بسخرية ليقول:

"هي بالأساس لم تقبل بأن تعيش معك وهي عقيمة وطلبت الطلاق لأجلك وأنت بدورك تخليت عنها بعد أن مللت منها والآن تريد استعادتها ياهجرس"

نظر له ببرود وأعين دامعة ليشيخ بوجهه للجهة الأخرى ومعالم وجهه تتخللها الألم والحرقه.

نظر له رامي بحزن كذلك إياس ليتنهد كل منهم بحرقه ويقضوا سهرتهم بجو مليء بالحزن والاكتئاب وكل منهم يبكي على ليلاه.

صباح اليوم التالي

كانت سارة جالسة في رواق المستشفى وبرفقتها سامح، كانت ممسكة بيده ومشتبته به وخائفة، اليوم يجب أن تكشف على وضع الطفلة وتطمئن عليها، كان سامح يهدأها ويطمئنها بكلماته الحنونة والعطوفة وداعياً لربه بينه وبين نفسه أن تكون طفلة على مايرام وتكتمل فرحته بقدمها، ثواني ودخلت سارة إلى الطيبة بينما سامح ظل منتظراً إياها بالخارج وقلبه يطرق بعنف من القلق والخوف.

مضى قرابة الربع ساعة ومن ثم خرجت الطيبة لتتنهد بقوة بينما سامح نهض بسرعة وتحدث بلهفة:

"ها طمئيني كيف حالها"

تحدثت الطيبة بتلقائية:

"الوضع طبيعي إلى حد الآن ولا يوجد شيء جديد، الحمد لله مازالت نبضات قلب الطفلة تعمل وبما أنه لم يحدث نزيف إلى حد الآن فهذا شيء يدعي للاطمئنان وبإذن الله سوف تكون الأمور على مايرام"

لمعت عيناه بالفرح ليتحدث بلهفة:

"حسناً هذا يعني بأنه لا يوجد خطر على كاتاهما وكل الأمور بخير"

أجابته بهدوء:

"إلى حد الآن لا يوجد شيء خطير ولكن نسبة نجاة الطفلة وقدمها بخير 60 بالمائة، فأني يحدث نزيف وفي شهرها الخامس بسبب سقوطها فهذا شيء ليس بالهين وبإذن الله ستكون أموراً مطمئنة، لا تقلق ياسيد إن أراحت نفسها وفعلت مثلما قلت لها ستكون كل الأمور بخير"

حرك رأسه موافقاً ليقول بلهفة:

"إذاً الأهم بأن لا تجهد نفسها أليس كذلك"

حركت رأسها موافقة بابتسامة لتقول:

"وأن تكون نفسيته جيدة ومرتاحة فقط هذا"

ابتسم بوجهها ليقول:

"أها حسناً حسناً"

توجهت الطبيبة إلى عملها بينما سارة خرجت بابتسامة محبة ليبادلها سامح الابتسامة ويحتضنها ليقول:

"لا تتعبين نفسكِ صغيرتي هكذا قالت الطبيبة"

نظرت له لتقول:

"سأبقى أنا صغيرتكِ حتى بعد أن تأتي طفلتني أم ماذا ياترى"

مرر أنفه على أنفها ليتحدث بهمس:

"ستبقين صغيرتي ومدلتي وحببتي حتى لو أنجبتي لي عشرة أولاد"

تحدثت بعبوس:

"عشرة أولاد سامح وهل تراني قطة مثلاً"

ابتسم باتساع ليقول:

"بالطبع قطة فلو لم تكوني قطة لما تزوجتكِ"

ابتسمت بخجل ليطلع قبلة سطحية على شفاهها مما جعلها تشعر بنفسها وتشعر بالمكان الذي هما فيه.

تحدثت بخجل مبتعدة عنه:

"لازلنا في المستشفى سامح ولسنا في المنزل"

همهم لها بمكر ليحرك رأسه موافقاً لتردده له بحماس:

"أريد أن أكل آيس كريم"

ضحك ضحكة رنانة ليقول:

"تأمريني يا صغيرتي"

ابتسمت باتساع ليتوجهان إلى وجهتهما بحيث أن سارة طلبت من سامح أن تمشي قليلاً فهذا شيء جيد لها كما قالت لها الطيبية، وكما نعلم السيد سامح لا يرفض طلب لصغيرته لذلك بدأ بالسير معها حيثما شئت وأيضاً اشترى لها الآيس كريم كما طلبت.

وبينما كانت تأكل الآيس كريم ابتسمت بمكر لتقرب الآيس كريم خاصتها من فم سامح على أساس أنها تريد أن تطعمه علماً بأنه اشترى له واحدة أيضاً، نظر لها باستغراب ليبتسم من بعدها ويقرب ليأكل منها وكلما اقترب أبعدت يدها وهي تضحك بطفولية، نظر لها بحنق ليدير وجهه عنها بغرور لتقف مقابلة له وتقول بدلع:

"سامح حبيبي لا تحزن كنت أمزح فقط حسناً هيا الآن حقاً سأطعمك هيا"

مدت يدها لتطعمه من الآيس كريم خاصتها ليقرب ويأكل، وبحركة مشاغبة منها قربت يدها بالآيس كريم لتلطيخ له أنفه وفمه ومن ثم تراجعت لترى منظره المضحك وتضحك عليه بصخب بينما هو ينظر لها ببرود، انفجرت ضاحكة أكثر من ذي قبل لأن مظهره حقاً مضحك ليحرك رأسه موافقاً بتوعد وينظف فمه وأنفه بالمنديل الورقي.

ابتسم في وجهها ببرود بينما هي مازالت تضحك عليه ليسحبها إليه ويبدأ بتلطيخ وجهها بالكامل بالآيس كريم مما جعلها تصرخ وتضحك وهو أيضاً بالمقابل يضحك لضحكتها.

لم ينم الليل وهو يفكر بها وبقصتها، يشعر وكأنه مقيد ولا يعلم من أين يبدأ، خائف من إعادة سؤالها عن قصتها فتحزن وتعود إلى اكتئابها فهو لم يصدق متى عادت إلى طبيعتها قليلاً، تنهد بضيق لتلمع فكرة في رأسه ويتذكر شخص لربما يساعده لذلك توجه فوراً له بسرعة البرق لعل وعسى يعلم ما قصة حنين.

في ذلك المنزل الكبير نوعاً ما

كان جالساً في الصالة وهو يقلب في ألبوم الصور الخاص به وبزوجته السابقة، في كل صورة يراها يقف عندها ليتذكر موقف جميل معها يختلف عن سابقه، يشناقها ويحن لها، مازال يحبها ولكنه لن يسامحها أبداً على ما اقترفته من ذنب، ترقرت عيناه بالدموع ليتنهد بضيق من بعدها وينظر للأشياء بجمود، دقائق وسمع صوت رنين الجرس ليخفي الصور فوراً ومن ثم نهض ليفتح الباب وإذ به يرى إياس امامه، عقد حاجبيه باستغراب وتعجب ناصر كثيراً من مجيئه إليه ولكنه ما لبث حتى استقبله بابتسامة ودودة وأدخله منزله.

كان الصمت حليف المكان لمدة لم تكن بالقصيرة، للصرخة ناصر تعجب كثيراً من وجوده والآن زاد الطين بلة بصمته هذا، محم ناصر ليقول:

"لقد شرفنتي يا إياس ولكن هل لي أن أعلم ما سر هذه الزيارة الجميلة"

نظر له إياس ببرود ليقول:

"أريد أن أعلم ما سر طلاق حنين..."

"ولعلها حين أرادها الله أن تأتي متأخرة"

تأتي أعظم وأكرم مما لو كانت قد أتت باكراً"

نزلت كلمات إياس عليه كالصاعقة، لا يعلم لما يسأل عنها ولما يهمه أمرها، هو حتى لا يعلم بأن حنين الآن موجودة في منزل إياس، نظر له بحدة ليقول:

"وما شأنك بها أنت"

ابتسم إياس بسخرية ليقول:

"فقط للتذكير ياناصر هي ابنة خالتي قبل أن تكون حبيبتيك ومن ثم زوجتك ومن ثم طليقتك وأنا لي كامل الحق بأن أعلم ما السبب"

نظر له بعدم تصديق ليبتلع ريقه ويقول:

"ولما لم تسألها هي"

إياس:

"سألتها ولكنها لم تجبني سوى بالبكاء"

أمه قلبه عليها عندما سمع كلامه، انكشمت معالم وجهه وبدى عليه القهر ولكنه مالبت حتى تبدلت ملامحه للجمود ليقول:

"هي لا تناسبني وأنا لم أعد أريدها"

تحدث إياس بثقة:

"أنا لم آتي لكي أصلح بينكما أو لكي أقتعك بشأن إعادتها إليك وإنما أتيت لأعلم ما سبب طلاقها منك"

وقف ناصر لينظر للاشيء بجمود ويقول:

"ليس لي كلاماً معك يا إياس، دعك من هذا الحديث ولا تفتح هذه القصة مجدداً"

وقف أمامه إياس ليهمهم ويقول:

"إنذاً هذا آخر كلام عندك"

نظر له ناصر بتعجب ومن ثم حرك رأسه موافقاً ليفعل إياس المثل ويخرج من منزله بصمت دون أي كلمة زائدة، بينما ناصر ظل واقفاً مكانه وهو شارداً الذهن محاولاً أن يفهم ما مغزى إياس وما الذي يريده من حنين، وما إن خطر بباله فكرة أنه يريد الزواج منها حتى احتدت نظرتة ليمسك الهاتف ويطلب رقم سامح ليجيبه فوراً:

"أهلاً ناصر"

تحدث ناصر بحدة:

"اسمعي ياسيد سامح إن كان ابنك يريد الزواج من حنين فلن يحدث خير نهائياً وها أنا أحدثك بكل صراحة، لا تجعل المشاكل تدخل بيني وبين ابنك"

لم يفهم عليه سامح كثيراً ليقول:

"ماذا تقصد ياناصر ولما تهدد من خلف الهاتف أهكذا تفعل الرجال"

كز على أسنانه ليقول:

"سيد سامح على ما أظن إياس يريد الزواج من حنين"

ابتسم سامح ابتسامة ذات مغزى ليقول:

"أها وما المانع فليتزوجها ما شأنك أنت"

تحدث ناصر بانفعال وصراخ:

"كيف يعني ما شأني أنا وكيف هو سيتزوجها هي لم تكن عذراء هي كانت عاهرة مثل أختها، أو لا أختها لم تكن مثلها بل حنين سبقتها بالعهر والسفالة"

تحدث سامح مجيباً إياه بحدة:

"اسمعني ناصر حقاً حظك جيد جداً إذ أنني لست أمامك الآن وإلا أقسم لك لكنك حطمت وجهك أيها اللعين، أنت لا شأن لك بهذه الفتاة إن كانت عذراء أم لا فلا تتدخل ولا أريدك أن تجلب سيرتها على لسانك نهائياً هل فهمت؟ وأنت تعلم جيداً ما الذي بإمكانني فعله أليس كذلك"

استمع له بصدمة لتتبدل ملامحه للقهر ويقول:

"هذا يعني بأنك لن تقف بوجهه إن أراد أن يتزوجها سيد سامح"

ابتسم سامح بسخرية ليقول:

"أنا لا شأن لي إن كان ابني يراها الزوجة المثالية له فأنا لن أتدخل به ولا داعي لتدخلك يا ناصر حتى وإن كانت طليقتك فأنت لا شأن لك هل سمعت"

أغض عيناه بقوة ليهم بالتحدث ولكن سامح أغلق الهاتف بوجهه، ثواني من الشرود ليتحول هذا الشاب الهادئ إلى شاب مجنون ويبدأ بتحطيم كل ما يراه أمامه مخرجاً من قلبه حرقته وقهره وحزنه وانفعاله.

بينما من الجهة الأخرى

سامح الذي أغلق الهاتف بغضب لم يعجبه كلام ناصر ولم يعجبه تدخله، هذا الشاب حقاً أصبح بحالة جنون وعدم إتران، أساساً كلما أنتت سيرة حنين يصبح كالمجنون فليس شيء جديد على سامح أن يسمع صراخه وانفعاله ولكن الشيء الجديد هو أن ابنه يريد حنين زوجة له، حسناً ناصر ليس متأكد من كلامه لذلك لن يفكر بالأمر إلا عندما يسمع من إياس نفسه عندها سيرى ما هو فاعل مع اثناهما، ظل واقفاً بمكانه ووجهه غاضب بشدة لتأتيه سارة وتضع يديها على كتفيه وتهمس له:

"ما به حبيبي؟ من أغضبه"

حالما شعر بيدها على كتفيه وسمع كلامها حتى ابتسم واستدار لها ليحاوط خصرها ويقربها إليه ليقبلها قبلة عميقة جعلتها تبادلته على الفور وتذوب بين يديه، لم يجيبها على سؤالها وهي لم تنتظر منه أن يتحدث، لقد اختصر عليها وعلى نفسه وامتلك وردتيها ليذوب بها ويدعها تذوب به أكثر ناسياً لما كان غاضباً وناسياً الدنيا بامتلاك شفيتها ليصلان إلى ما هو أكثر من القبلات.

وبينما كان إياس يقود كالمجنون وبسرعة كبيرة، كان يفكر كيف سيعلم بحقيقة حنين، هو حقاً ليس لديه الجرأة لكي يسألها مرة ثانية عن قصتها لذلك لم يتبقى له سوى شخص واحد ألا وهو خاله راغب، عزم على معرفة قصتها وسيعلم ماهي مهما كلفه الأمر ومن ثم سيطلب منها الزواج داعياً لربه أن توافق.

وفي المنزل وقبل وصول إياس

بحيث كان راغب جالساً في الصلاة والأفكار تتضارب بعقله، للصراحة لم يكن قلقاً ولكنه كان منتظراً ردها على أحر من الجمر، ففي ذلك اليوم وتحديداً عندما طلب يد تمارة ابتسم الجميع باتساع أولاً على حال راغب وثانياً بسبب فرحتهم لتمارة، في يومها سالم سمح لتمارة وراغب أن يجلسان بمفردهما قليلاً ليعلم راغب ما رأي تمارة بالفكرة وبالفعل هذا ماحدث.

وبينما كانا جالسان في الصلاة بمفردهما لم تكن تمارة متوترة أو قلقة كانت جالسة بكل أريحية وهي تنظر لراغب، بينما راغب كان جالساً بتوتر ولا يعلم كيف سيبدأ بالحديث معها، هو ليس متوتراً لأنه خائف من مجالستها على العكس تماماً فهو يكاد يطير من الفرح إذ أن تمارة أعطته فرصة وهي جالسة معه لأول مرة في حياتها وبمفردهما.

لا تظنوا بأن السيد راغب من النوع الذي يخاف أو الذي يخجل على العكس فهو من أكثر الرجال جرأة وانحراف أيضاً، ولكن هذه المرأة قادرة أن تفعل به العجائب وقادرة أن تجعله كالخاتم بإصبعها بمجرد كلمة منها.

في الواقع تمارة وفي هذه الجلسة كانت أكثر جراءة منه لذلك هي من بادرت بالكلام لتحمم وتقول بصوتها الناعم:

"ما بك يا راغب"

نظر لها ببلاهة ليقول:

"ها"

كتمت ضحكتها لتقول:

"ها ماذا، ما الذي يحدث معك"

ابتلع ريقه وحرك رأسه موافقاً ببطئ دون أي كلمة لتطلق هي ضحكة رنانة على مظهره، وطبعاً ضحكتها زادت الطين بلة لديه لذلك هو الآن كالصنم يناظرها بشرود وعلى محياه ابتسامة بلهاء، ابتسمت هي في وجهه وظلت تنادي بإسمه ولكن لا حياة لمن تنادي، لوحت بيدها أمام وجهه ليوجه نظره إلى يدها ويمشي بنظره مع حركة يدها، أعاد نظره إليها ليبتسم باتساع مما جعلها تبادله الابتسامة وتضحك بخفوت، ابتلع ريقه ليحمم ويقول:

"إإإ بصراحة يعني يا، اسمعيني أنا أريد أن أتزوج إإإ أقصد يعني أريد أن أتزوجك"

ضرب جبينه بخفة ليردف لها:

"أوف أقصد أولاً أريد أن أطلب يدك ومن ثم نتزوج هل أنت موافقة"

هذه الجملة جعلت تمارة تضع يدها على فمها وتكتم ضحكتها ولكنها لم تستطع لذلك انفجرت ضاحكة مما جعل راغب يعود لشروده بها ولبلاهته أكثر من ذي قبل.

بعد قليل وبعد أن هدأ راغب من بلاهته كان منتظراً قرار تمارة والذي لم يكن سوى أنها أجابته ببساطة:

"حسناً لا مانع لدي ولكن لدي طلب صغير عندك"

لمعت عيناه بالحماس وابتهج وجهه ليقول بلهفة:

"ها إطلبي أي شيء تريدينه وسوف أنفذ لك فوراً"

ابتسمت بوجهه لتقول:

"إجعلني أحبك وأطمئن بقرار موافقتي لزواجنا ياراعب"

عقد حاجبيه باستغراب ليقول:

"وكيف سأجعلك تحبيني تمارة ها أنا أمامك هيا أحبيني"

كتمت ضحكتها لتقول:

"لا لا أنا أريدك أن تجعلني أحبك وأتعلق بك ومن ثم ننزوج لكي لا تكون حياتنا كثيية ومملة وكل يوم تحدث مشكلة بيننا"

نظر لها ببلاهة وحرك رأسه موافقاً ببطئ ليقول:

"حسناً فهمت ولكن أنتِ ماذا تحبين أقصد كيف سأجعلك تحبيني اا هل تحبين الشوكولا إذا كنتي تحبينيها سأجلب لكِ كثيراً منها وسأفتح لكِ معمل شوكولا ها اتفقنا حسناً متى حفل الزفاف"

انفجرت ضاحكة على كلامه ولم تستطع تمالك نفسها مما جعله يعود لبلاهته وشروده بها للمرة الخمسين ربما.

حسناً هما متفقان ولقد اتفقا على أن يظلان فترة مع بعضهما لكي تتعرف تمارة عليه أكثر وليس لكي يتعرف راغب عليها لأن راغب ومنذ عشرين سنة يحفظ أدق تفاصيل تمارة ويحفظها ظهراً عن قلب، ولكن لا بد أن يعطيها فرصة لكي تعرفه جيداً ويتقربان من بعضهما أكثر وكأنهما في ريعان شبابهما ولم يتجاوزا سن الأربعين.

أيضاً بالنسبة لابنة راغب فتمارة لم تعترض أن تكون لها كوالدتها وتقوم هي بتربيتها ورعايتها ورحبت بهذه الفكرة كثيراً.

وبعد الاتفاق نهض راغب ليرحل ولكنه وقف فجأة ليستدير لتمارة ويقول:

"هل تريدان أن أجلب لكِ شوكولا في المرة القادمة"

ابتسمت باتساع لتقول:

"أجل وأريدك أن تجلب معك تمارة الصغيرة لكي أتعرف عليها"

ابتسم باتساع ليقول:

"أها حسناً"

حركت رأسها موافقة بينما هو ظل واقفاً بمكانه ينظر لها بشرود، عقدت حاجبيها باستغراب لتتقدم منه بضع خطوات وتقف مقابلة له وتميل برأسها بحركة بسيطة منها وتبتسم له لتقول:

"ما بك ألا تريد الذهاب"

ابتسم بوجهها ليميل برأسه مقلداً حركتها ليقول:

"في الحقيقة لا"

همهمت لتقول:

"إبدأ تفضل بالجلوس"

راغب ونظره مثبت على شفيتها:

"|| لا لا سأذهب فالشيطان ثالثنا وأنا بصراحة أستمع له في بعض الأحيان لذلك سأذهب"

لم تفهم مقصده ولكنها فهمت بعد مدة لترفع حاجبيها وتقول:

"عمي سالم في غرفته لذلك إحذر"

حرك رأسه موافقاً بسرعة ليقول:

"أعلم أعلم لذلك سأحذر وسأذهب أفضل"

همهمت بابتسامة لتحرك رأسها موافقة، ظل راغب واقفاً ينظر لها لتقول هي:

"هل تريد أن تقول شيء قبل ذهابك"

تحدث ونظره مثبت على شفيتها:

"بل أريد أن أفعل"

عقدت حاجبيها باستغراب لثهم بالحديث ولكنه كان قد سبقها وابتلع عباراتها بتلك القبلة التي بث بها كل مشاعره مما جعلها تشعر بمشاعر غريبة وقلبها يدق بعنف، ابتعد عنها وهو يلهث ليستفيق على نفسه ويقول لها بهمس:

"قلت لك الشيطان ثالثاً، آسف لم أستطع تمالك نفسي"

أنهى جملته وخرج من المنزل فوراً تاركاً إياها بمشاعر المبعثرة والمختلطة.

أفاق من شروده على دخول إياس إليه وجلوسه بجانبه، ابتسم له حينما رآه ليبتسم إياس ويقول:

"ما بك ياخال كنت تبتسم بمفردك"

توتر راغب ليقول:

"ها لا لا شيء تذكرت شيئاً فقط"

همهم له بمكر ليقول بشغب:

"كيف حالها تمارة باترى"

نظر له راغب بحدة ليقول:

"إياس وما شأنك بها إلى ماذا تلمح"

ضحك إياس بقوة ليقول:

"ما بك خالي أنا كنت أسألك عن ابنتك تمارة الصغيرة أين ذهب عقلك ها"

أنهى جملته غامزاً له مما جعل راغب يود لو يلکم نفسه على سذاجته، حمم راغب وتصنع الجدية ليقول:

"أها تمارة جيدة بل ممتازة أجل سأجلبها اليوم إلى هنا وسترونها"

همهم له إياس باستمتاع ليقول:

"تمارة الصغيرة أم الكبيرة"

نظر له راغب بغيظ ليكور قبضته ويضربه على كتفه مما جعل إياس يضحك، دقائق ودخلوا بالجد ليقول إياس بجديّة:

"حسناً خالي في الواقع أريد أن أحدثك بشيءٍ مهم"

همهم له راغب ليحرك رأسه موافقاً ويقول:

"حسناً ما بك تحدث"

إياس:

"أريد أن أعلم ما قصة حنين ولما تطلقت من زوجها"

نظر له راغب بصدمة ليقول:

"وما شأنك بقصتها أنت"

إياس:

"أريد أن اعلم كل شيءٍ لأن أمرها يهمني، لن أخفيك أمراً لقد ذهبت إلى ناصر وسألته ولكنه غضب ولم يحدثني بشيءٍ"

جحظت عيناه ليقول بذهول:

"أيها الأحمق ماذا فعلت ولما ذهبت إليه"

تنهد إياس بقوة ولم يتحدث ليردف له راغب بحزم:

"إياس قصة حنين لن أفتحها ولن أحدثك بشيءٍ عنها طالما هي لا تريد التحدث"

انفعل إياس كثيراً ليتحدث بصراخ وغضب:

"ما بالكم كلكم لا تريدون التحدث عن قصتها، ما الذي يحدث حياً بالله، ما هذا الذنب العظيم الذي اقترفته تلك الفتاة حتى كلكم تخفون الحقيقة، لقد سألتها هي بذاتها ولم تجبني ما بكم لما لا تريدون أن تقولون لي الحقيقة"

"هل تريد أن تعلم الحقيقة يا إياس"

جاء ذلك الصوت الناعم من خلفه ليستدير إياس ويرى حنين أمامه تناظره بجمود، نظر لها بخرج ولم يتحدث لتقترب حنين وتجلس مقابلةً له وتقول:

"حسناً إجلس لكي أحدثك بكل شيء"

ظل ينظر لها لبرهة ومن ثم جلس أمامها، بينما راغب خرج من الصلاة ولم يحبذ أن يستمع لتلك المأساة التي حدثت مع ابنة شقيقته من قبل، دقائق من الصمت إلى أن تحدثت حنين ونظرها مثبت على الأرض:

"كنت أحب ناصر جداً وهو أيضاً كان يحبني، قضينا أجمل أوقاتنا معاً وكان دائماً يحميني ويبثني حنانه، أختي خلود كانت تفتعل المشاكل بيننا وتحرضه ضدي دائماً ولكنه لم يكن يستمع لها مما جعلها تغضب كثيراً وتحدث عن أخلاقي أمامه وأيضاً لم يصدقها إلى أن أقيم حفل زفافنا وحدث ما حدث، أجل لقد اقترب مني وفعلها معي ولكنه لم يجد الدماء وظن بأنني لست عذراء، حتى أنا لم أكن أفهم بتلك الأمور لأن والدتي لم تحدثني إلا بالقليل لذلك لم أعلم كيف أذاع عن نفسي، في يومها قام بضربي واتهمني بالعهر والسفالة وقال لي بأنه كان يجب عليه أن يصدق أختي خلود ولا يكذبها عندما كانت تحدثه عني، وفي اليوم التالي وعند الصباح قام بطردي خارج منزله وقال لي أن أقول لوالدتي بأنني لست عذراء وطبعاً بسذاجتي وبلاهتي قلت لأمي هذا الكلام لتستقبلني هي أيضاً بالضرب والشتائم مما جعل خلود تضحك بشماتة، وبعد يومين بعث بورقة طلاق، أنا حزنت كثيراً وبكيت ومرضت ولكنني تجاوزت كل شيء، أمي لم تعد تريدني في منزلها لذلك طردتني خارجاً وأنا بدوري ذهبت وأقمت في منزل جدي، ظللت عدة أشهر وأنا أموت كل يوم ألف مرة إلى أن قررت أن أذهب بمفردي إلى الطيبية وأكشفت عن عذريتي وطبعاً هذا الكلام بعد أن فهمت وعلمت كل شيء، وبالفعل في يومها ذهبت إلى الطيبية وقامت بالكشف علي وعندها قالت لي بأنني أنا عذراء وسأظل عذراء إلى أن يتم أول حمل وولادة لي، وهذه الحالة التي أنا بها من الحالات النادرة ولا تحدث كثيراً، في يومها لم أعلم ماذا أفعل أفرح أم أحزن، ولم أعلم لما لم أذهب إلى والدتي وأريها إثبات عذريتي، خفت كثيراً لذلك بقيت صامتة ولم أحدث أحد بهذا الشيء عدا خالي راغب فهو الوحيد الذي كان يعطف علي ويساندني حتى قبل أن أكتشف نفسي بأنني مازلت عذراء، وقف بجانبني لذلك تجرأت وحدثته بكل شيء مما جعله يود لو يلقن ناصر ووالدتي درساً قاسياً ولكنني لم أحبذ أن تحدث المشاكل لذلك ظل هذا السر بيني وبين خالي راغب فقط، وهذه هي قصتي هل ارتحت الآن يا سيد إياس، هل تأكدت من شكوكك ياترى"

استمع لها بتركيز واهتمام ولكن حالما سمع بالحقيقة وبمغزى قصتها حتى صعق حقاً، لم يتوقع أن يصل ناصر بدنائه ووساخته إلى هذا الحد وبالأخص مع حنين، ألم تكن حبيبته وزوجته وكل شيء في حياته! فلماذا لم يصدقها ويتحكم بنفسه ويحكم الأمور بروية؟! لماذا لم يعطف عليها؟ نظر لها وتمعن النظر بها ليراها كيف هي جالسة تنظر للاشياء بشرود ولم تنرف دمعة واحدة، هه وهل بقي لديها دموع ياترى؟! ولماذا تنرف الدموع وعلى من؟ لا أحد يستحق لذلك هي الآن قوية ولا شيء سيهزمها في هذه الحياة مهما يكن، ظل ينظر لها بشرود إلى أن خرجت من الصلاة متوجهة إلى غرفتها عازمة على قرارها والذي هو السفر والابتعاد، بينما إياس ظل ينظر لمكانها إلى أن احتدت نظرتة ونهض بعنف متوجهاً مرة أخرى إلى ناصر لكي يعلمه أن الله حق.

وبينما كان ناصر جالساً بصالة المنزل ولا يفكر سوى بشيء واحد ألا وهي حنين، أيضاً كان يجن جنونه من فكرة أنها ستزوج إياس، أجل هو أناني فهو لا يريد استعادتها وأيضاً لا يريد أن تتزوج وتكون لغيره، ثواني وسمع صوت طرقات عنيفة على الباب، تعجب كثيراً لينهض بسرعة ويفتح الباب ليرى أمامه إياس وقد استقبله بكلمة عنيفة على وجهه جعلته يرتد للخلف، نظر له ناصر بذهول لتحدث نظرتة ومن ثم يرد له للكلمة ولكن إياس

منعه وبدأ بضربه وشتمه وكأنه يخرج قهر حنين به، ظل يضربه ويشتمه وهو يصرخ به بصوته الجهوري قائلاً:

"أيها اللعين كيف تسمح لنفسك أن تفعل هكذا بحنين، كيف تظلمها وتعاقبها بهذا الشكل، هي عذراء وطاهرة أيها السافل"

ظل يصرخ به ويضربه إلى أن تعب هو من ضربه لينتثره من يديه وهو يلهث بحدة بينما ناصر كانت حالته مزرية والدماء تسيل من أنفه وفمه، أجل ناصر كان يشعر بالألم وبضربات إياس ولكن عندما سمع بجملته عن حنين لم يعد يشعر بشيء ولم يعد يفكر سوى بحنين وعقله يردد هذا الكلام.

دقائق من الصمت وناصر ملقى على الأرض وإياس واقفاً ينظر للاشيء بشروود و حدة، تحدث ناصر بتعب:
"ماذا تقصد بكلامك ولما تدافع عنها ها هيا تحدث"

أنهى جملته بصراخ ليناظره إياس بحدة ويقول:

"ليس هناك أي داعٍ لتعرف ماذا أقصد، كل ما يجب أن تعلمه بأنك ظلمت حنين كثيراً وسمعت كلام أختها السافلة ولم تصدق حنين، عموماً سأخبرك بشيء هام جداً، أنا سأطلب حنين للزواج وسوف أدعها توافق وستصبح زوجتي ولن يقف بطريقي أحد هل سمعتني، سأخذها أمام عينيك ولن تستطيع فعل أي شيء"

ناظره ناصر بكره وحقد شديد ليقول:

"أقسم بأنني سأقتلك يا إياس إن تجرأت وخطوت هذه الخطوة سأقتلك ولن أبالي هل تسمع"

أنهى جملته بصراخ ليبتسم إياس بسخرية ويقول:

"لا يهمني ولا تريني بأنك رجل فرجولتك ذهبت منذ يوم زفافك وموقفك الجاهل مع حنين"

أنهى جملته ومن ثم ركله بقدمه ليطلق ناصر صرخة متألّمة ويخرج إياس من المنزل تاركاً وراءه هذا الشاب الذي احترق فؤاده من القهر والندم على محبوبته الصغيرة.

في اليوم التالي

توجه ناصر إلى منزل سامح وفي عينيه الإصرار والجدية، لن يخاف وسوف يضع سامح بالصورة ويعلمه بكل شيء ولن يبالي.

دقائق وكان ناصر في منزل سامح يرتشف من القهوة الساخنة التي أعدتها له سارة، لم تجلس سارة معهما علماً بأنها مازالت تحمل في قلبها على ناصر لذلك لم تحبذ رؤيته أبداً ولكنها كانت تسترق السمع وهما يتحدثان، ثواني وتحديث سامح بجديّة:

"ما الأمر ناصر ما بك وما سر هذه الكدمات التي على وجهك، من فعل بك هكذا"

نظر له ناصر بجمود ليقول:

"ابنك المدلل هو من فعل بي هكذا"

تصنع سامح عدم المعرفة بالأمر وجارى ناصر في موقفه وبدأ يفهم منه ما حدث ولما إياس فعل به هكذا، علماً بأن إياس كان قد سبق ناصر في الأمس وتوجه إلى سامح فوراً وحدثه بكل شيء فعله وبحقيقة طلاق حنين وهذا ما قهر سامح إذ أن حنين تعرضت للإهانة والظلم من قبل ناصر الذي كان يعتبره أكثر من رفيق ومخزن لأسراره بغض النظر عن فرق العمر بينهما ولكن ناصر حقاً كان اليد اليمنى لسامح إن كان في أعماله أو في حياته الشخصية أو في أي شيء يخصه.

تنهد سامح بقوة بعد أن سمع من ناصر كل شيء فعله إياس ولم يكن جوابه سوى:

"أنا لا أضع اللوم على ابني نهائياً فهو لديه كامل الحق بما فعله بك يا ناصر"

نظر له ناصر بعدم تصديق ليقول:

"ولما هو يدافع عنها! لما يريد لها زوجة له! ألم يجد سوى حنين لكي يتزوجها"

سامح يبتسم بسخرية:

"وما الذي يهكم بحنين؟ ألم تطلقها وتطردها من منزلك عندما لم تجد دماء عذريتها في ليلة زفافكما"

صدم ناصر من كلام سامح فهو لم يعلم بأنه قد علم بقصة حنين، تحدث ناصر بترقب:

"وما أدراك أنت"

سامح:

"إياس حدثني بكل شيء منذ البارحة"

ابتلع ريقه ليقول:

"بماذا حدثك وما أدراك ما أدراك إياس بحقيقة حنين"

قص عليه كل شيء حدث وكيف علم إياس بقصة حنين وأيضاً حدثه بأنها مازالت عذراء وكل الذي فعله بها كان جهلاً من ناصر وعدم إدراك منه، ومما جعل من ناصر كالمجنون، عيناه حاحضة ودامعة ووتيرة تنفسه عالية، لم يصدق ما سمعه وكأن دلو من الماء الساخن قد سكب عليه وتوقفت الدنيا من حوله.

في الحقيقة سامح كان يتابع صدمة ناصر وشاهده كيف ألجمت الصدمة عليه، لا يعلم أبحزن عليه أم لا يبالي له، هو حقاً الآن في موقف لا يحسد عليه نهائياً، ظل ناصر في حالة صدمة إلى أن استفاق على نفسه ونظر لسامح بعينان دامعة ليركع أمام قدميه ويمسك بيده ويقول برجاء:

"أرجوك أرجوك سيد سامح لا تدع حنين تتزوجه أرجوك أعدها إلي، أنا لازلت أحبها لا زلت أعشقها أرجوك لا تحرمني من هوائي"

نظر له سامح بصدمة وابتلع ريقه بتوتر ليسحب يده ويحاول تهدأته ولكن ناصر ظل متشبثاً به وهو يتوسله ليردف له:

"سيد سامح أنا أرجوك أحلفك بكل غالي على قلبك أحلفك بزوجتك وابنتك التي في بطن أمها أن لا تدع إياس يتزوجها أرجوك، سأقتل نفسي إن تزوجها سأموت صدقتي سأموت، سأعتذر منها وسأؤسئها لكي تعود لي ولكن لا تدع ابنك يتزوجها أرجوك"

ظل سامح ينظر لناصر بصدمة وشرود والآن حقاً وضع في موقف لا يحسد عليه، فمن جهة هذا الشاب الذي يتوسله لكي لا يدع ابنه يتزوجها ومن جهة ابنه الذي يريد أن يتزوج حنين.

ما العمل؟ إن منع إياس من زواجه منها سيظلمه مرة أخرى ويوجه له ضربة مؤلمة، وإن سمح له بالزواج سيجن جنون ناصر وليس بعيد أن يقتل نفسه، فكيف سيداري الوضع وكيف سيحل هذه المعضلة! حقاً هو الآن في ورطة كبيرة.

عاد ناصر إلى منزله وتعب الدنيا كلها به، دخل وأغلق الباب خلفه وهو جامد الوجه والمشاعر، ظل واقفاً ومستنداً على الباب لمدة ومن ثم ترنح ليجلس على الأرض وهو شارد الذهن ليعود بذاكرته للوراء قليلاً وهو يتذكر ذلك الموقف الذي حدث معه بعد أن طلق حنين:

:Flash back

بعد مرور أسبوع من طلاق حنين أتى لناصر زائر لم يكن يتوقع قدومه، إذ أنه حالما فتح الباب حتى رأى أمامه خلود تناظره بابتسامة مأكرة لبيتسم بسخرية ومن ثم سمح لها بالدخول، وقبل أن يدعها تجلس صدح صوته البارد:

"ما الذي أتى بكِ إلى هنا"

ابتسمت لتقول:

"أتيت لأطمئن على حالك يازوج أختي السابق"

تحدث باستهزاء:

"أوه كم أن قلبك كبير يافتاه"

ابتسمت بمكر لتقف مقابلة له وتتجراً وتمد يدها وتتحسس وجنته لتقول بمكر وهمس:

"ألم أقل لك بأن أختي الصغيرة عديمة الأخلاق ولا تستحقك، كم من المرات حذرتك منها وأنت لم تستمع مني"

ناظرها بجمود ليقول:

"وأنت بتصرفك هذا ومجيبك إلي لم تختلفين عنها بشيء، كلتاكما عاهرتان مدعيتان البراءة"

ضحكت برقة ودلع لتقول:

"أنا لا أجد التمثيل يناصر ولا أجد البراءة أيضاً، أنا أعمل على المكشوف"

أنهت جملتها بغمزة لبيتسم هو ببرود ويقول:

"والآن ماذا تريد يا أنسة جريئة ولماذا أتيتي إلي؟ مؤكداً بأنك لم تأتي لكي تصلحين الموقف بيني وبين أختك وتبررين لها أليس كذلك"

تحدثت بمكر:

"لما تسأل السؤال وتجيب عليه بنفسك يا ناصر، إجلس هنا هيا"

دفعته ليجلس على الأريكة بينما هي استدارت لتقف خلفه وتبدأ بتدليك كتفيه وهي تبتسم بمكر، حسناً لقد شعر بالارتياح والاسترخاء وهذا ما كانت تريده خلود، ظلت مدة من الزمن وهي تدلك كتفيه إلى أن استدارت وجلست على قدميه وحاوطة رقبتة بذراعيها، نظر لها ناصر باستغراب ليتنهد بنفاذ صبر ويقول:

"إلى أين تريدان الوصول خلود"

هممت له باستمتاع لتعبث بخصلات شعره وتقول:

"أريد أن أثبت لك بأنني لست مثل حنين"

نظر لها بعدم فهم ليقول:

"ماذا تقصدين"

ابتسمت بمكر لتقول:

"فانفعلها ناصر وسترى بأنني عذراء"

ضحك بسخرية ليقول:

"ألستي عاشقة لإياس، كيف تريدان أن تفقدن عذريتك معي"

هممت له لتقول ببساطة:

"أجل ولكنه دائماً يصدني وبصراحة أنا دائماً أتمناه وأخيله معي لذلك أريد أن أفعلها معك لكي أتخيلك إياس"

نظر لها بعدم تصديق ومن ثم ابتسم بسخرية ليقول:

"ممم حسناً لا مانع لدي سأفعلها معك وأتمنى من كل قلبي أن تكوني لإياس من بعدها لكي يحدث معك مثلما حدث مع حنين وستكونين أنتِ وهي بنفس الدنائة ونفس السفالة"

أنهى جملته وأطبق شفتيه على شفتيها ولم يعطها المجال للتحدث أو الاعتراض أو التراجع، فهي عندما سمعت بجملته كانت تريد التراجع ولكنها الآن أصبحت بين يديه ولم يعد ينفع التراجع.

..End flash back

حسناً بإسادة هذا هو السر الخطير المتعلق بخلود وهذا هو الشخص الذي فقدت عذريتها معه ألا وهو ناصر طليق أختها.

كم كان ساذج وغبي في ذلك اليوم إذ أنه كل ما فعله هو أنه أفقدها عذريتها فقط، كان يجب عليه أن يحطم رأسها ويسحق عظامها لأنها تتحدث بالباطل عن أختها وهو كان كالأبله لأنه صدقها بكل حماقة وغباء.

حسناً إن حدث ما في باله وتزوجت حنين فلن يحدث خير أبداً وأول ما سيفعله هو أنه سينتقم وسيبدأ انتقامه بخلود وسينهيها بها أيضاً ولكن ليس الآن وإنما في الوقت المناسب.

مرت أربعة أشهر

وفي هذه الأربعة أشهر حدثت الكثير من الأحداث ومن ضمنها هو سفر حنين وابتعادها عن الجميع مما جعل ناصر كالمجنون وهو يبحث عنها ولكن ما من جدوى.

حال إياس سيئة جداً إذ أنه كان يريد أن يطلب حنين للزواج في ذلك اليوم ولكن ما إن عاد إلى المنزل حتى علم من خاله راغب بأنها قطعت تذكرة لها وسافرت إلى الخارج ولم يستطع منعها أحد.

راغب وتمارة تمت خطبتهما وهما الآن سعيدان جداً وفرحين ببعضهما، راغب لا تسعه الدنيا من فرحته بمالكة قلبه وتمارة تشعر بالارتياح وشيء من الحب تجاه راغب وقلبا مطمئن له، كما أن راغب كان قد عرف تمارة على ابنته الصغيرة وقد علمت تمارة الصغيرة بأن تمارة ستصبح زوجة والدها ولكنها شعرت بالغيرة منها فهي لا تريد لأي امرأة أن تأخذ والدها، ولكن بذكاء تمارة وطيبة قلبها وحنيتها عليها كانت قد تقربت من تمارة الصغيرة وأصبحت ابنة راغب تحبها وتتقبلها شيئاً فشيئاً وتتقبل فكرة أن هذه المرأة سوف تصبح زوجة أبيها بعد مدة قصيرة.

ماسة منذ فعلتها مع سارة لم تخرج من المنزل إلى يوم رحيل حنين ولم تحتك بأحد، أرادت أن تسافر وتبتعد لكي ترفه عن نفسها وتحاول أن تنسى وبالفعل سافرت ولكنها لم تنسى وإلى الآن ضميرها يؤنبها وبشدة.

حسناً ياسادة فلنتحدث عن وضع سارة في هذه الساعة بالتحديد.

هي الآن في شهرها الأخير، وبينما كانت جالسة في المنزل بمفردها شعرت بالوجع والألم وبشيء غير طبيعي، بدأت تصرخ وهي واضعة يدها على ظهرها إلى أن دخل سامح إلى المنزل وسمع صراخها ليتوجه لها فوراً والرعب يدب بقلبه، اقترب منها ليقول بقلق:

"حبيبتي ما بك هل هذه أعراض الولادة يا إلهي ماذا أفعل"

صرخت سارة به:

"أرجوك سامح أرجوك ساعدني ااااه"

توتر سامح وظل يحوم حول نفسه إلى أن حمل سارة وخرج بها من المنزل وأركبها بالسيارة وانطلق بها إلى المستشفى بسرعة البرق داعياً لربه أن ينجيها وينجي ابنته وقلبه وعقله وكيانه معها ومع طفلته.

حسناً ها هي سارة سوف تلد فهل ياترى سوف تنجو بطفلتها أم أنه سيحدث شيئاً آخر؟! سنعلم فيما بعد.

"ورأيثُ حُلماً أني ودعتهم فبكيتُ من ألم الفراق وهم معي .. مرُّ عليّ أن أودع زائراً فكيف اللذين حملتهم في أضلعي"

لم أكن لأشعر بأن هناك لحظة فراق بيني وبينه، وأن الغياب والألم سيملان حياتي وسأشعر بالوحدة من دونه، لم أكن لأفكر بكل هذه الأشياء لإنني كنت واثقة ومتيقنة بأنه لن يتركني أبداً، ولكنه فعلها وتركني، أو بالأصح هجرني، لم أكن لأتوقع بأنني سأصل إلى مرحلة الموت في يوم من الأيام ولكنني حقاً وصلت لها.

لقد حدث الكثير والكثير معي لن أقول بسببه وإنما القدر قد حط علي وقرر لي مصيري، لدي الكثير مما أقوله ولكن حقاً أعجز عن وصف شعوري ومعاناتي وبؤسي ومرحلة الضياع التي وصلت لها.

لقد ماتت ابنتي وماتت روحي معها، أتعلمون! تمنيت لو أنني رأيته فقط قبل موتها بعد يومين من مولدها ولكن لم تسنح لي الفرصة إذ أنني دخلت في غيبوبة بعد ولادتي وقلبي أصبح ضعيف جداً وظللت شهر كامل غائبة عن الوعي.

أجل أنا متيقنة بأن سامح تألم كثيراً من أجل الطفلة وأنا أيضاً تألمت، فما أصعب ذلك الشعور حين استيقظت من غيبوبيتي بعد شهر لأسأل عن طفلاتي بلهفة ويخبروني بأنها ماتت، شعور مؤلم وكان ساكبين غرزت في قلبي عندما أخبروني.

ولم يكفني وفاة طفلاتي ليزيد الطين بلة علي وكافنتي بالهجران، أجل هجرني ولم ينطق بحرف عندما استيقظت وعلمت بخبر موت الطفلة، كنت منتظرةً إياه لكي يضمني إلى صدره ويحتضنني ويبثني حنانه لكي يخفف عني أوجاعي والآلمي ولكنه لم يفعل.

مازلت أذكر كيف كان كالمجنون علي عندما أتتني أعراض الولادة وكيف أسرع بي إلى المستشفى وكيف دخل معي إلى غرفة العمليات ولم يسمح بتركي، في يومها غفوت على صوت طفلي وهي تبكي وهو يضحك بسعادة والدموع تترقرق في عينيه ومن ثم دخلت في غيبوتي لأستيقظ على ذلك الخبر الفاجع وهجرانه المؤلم.

يا إلهي كم أنه متجبر وصلب وبارد، منذ استيقاظي وهو لا يبين لي سوى البرود والجمود والصمت، منذ ذلك الحين وهو قاسي كالصخر، ولكنني أعلم جيداً كمية الألم والمعاناة التي بداخله، وأعلم بأنه يحمل نفسه اللوم بما حل بي، هه يعتبر نفسه المذنب ويقابلني بالهجران وأنا لا ذنب لي بشيء.

مضت سنة، سنة كاملة على وفاة ابنتي وهجره لي، سنة كاملة من الصمت والجمود والبرود، سنة كاملة من الألم والعذاب والبكاء.

أنا الآن امرأة الخامسة والعشرين من عمري أقول وأعترف بأن ذلك الرجل الصلب ذات الثمانية والأربعين من عمره قد كسرني وأوجعني، أجل لقد أوجعني كثيراً، لم أعد قوية، لم أعد صلبة، أصبحت امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة، أجل ازداد عمري ولكن مع مرور الزمن ومع ازدياد عمري أصبح ضعيفة أكثر، لماذا أنا أكذب على نفسي؟ لماذا لا أقول بأنه كلما مر الزمن من دون سامح أصبح أكثر ضعفاً وأكثر خوفاً؟ لماذا أنكر سبب ضعفي الأساسي؟

هجرانه لي كان كلجنة إبليس عندما يحطُّ على الإنسان ويغويه ليدعهُ يرتكب الذنوب.

أتعلمون كيف هجرني! حسناً.

أتعلمون ذلك الشعور الذي يأتيكم عندما ترون الشخص الذي أنتم بحاجة وبخاصة احتضانه وهو أمامكم ولكنكم لا تستطيعون حتى أن تتحدثون معه؟ فا والله إنه لشعور مؤلم وقاسي يذبج بالقلب ويكون كالسكين القاطعة التي تطعن في الصدر.

أجل هذا هو عقابي الذي عاقبني به، أن يأتي كل يوم ويجلس أمام منزلنا تحت ظل الشجرة المقابلة لمنزلنا لساعات وساعات دون أن يتفوه بحرف واحد، أو بالأصح الذي كان منزلنا أنا وهو، فمنذ سنة هو لم يخطو خطوة لداخل المنزل وإنما يأتي فقط ويجلس في الحديقة المقابلة لمنزلنا تحت ظل الشجرة منذ الصباح حتى منتصف الليل ومن ثم يرحل.

لم أسمع صوته منذ يوم استيقاظي من الغيبوبة ولم يحدثني أو يخاطبني، لا أجد منه سوى الصمت والسكون والنظرات الباردة والمتعبة.

تأتيني خديجة في بعض الأحيان هي وجومانة لتطمئناني علي، كما أنهما كثيراً ماتحدثان سامح وتوبخانه علي أفعاله معي ولكنه حتى هما الاثنتان لا يجيبهما ولا يحدثهما وإنما يكتفي بالإستماع لهما والصمت دون الرد والإجابة.

حتى إياس يأتي ويطمئن علي كل عدة أيام ولا يتركني نهائياً، كما أنه لم يعجبه تصرف والده معي ولكن مابيده حيلة لفعل شيء، كذلك هو متألم ومجروح بسبب مافعلته به حنين من قبل، يأتي ليواسيني وهو يريد من أحد أن يواسيه.

حقاً إنني أشفق على نفسي وعلى الحالة التي وصلت لها والتي وصل لها الجميع.

لقد حدثت أحداث جديدة تخص ماسة أيضاً ألا وهي أنها عندما علمت بموت الطفلة جن جنونها وبكيت وصرخت، في الواقع لم يستطع أحد تفسير ما يحدث معها ولكنها ما لبثت ونطقت بكل شيء فعلته بي، وما كان من الجميع سوى الصدمة والغضب منها.

أجل لقد تجرأت وحدثت الجميع بما فعلته بي ومن ثم حدثت سامح وبكيت وتوسلت له أن يسامحها ولكنه لم يقابلها سوى بالصدمة أولاً ومن ثم بالجمود والتجاهل بعدها.

كل هذا كان قد أثر عليه بشكل سلبي، من جهة موت طفلتنا ومن جهة غيبوتي ومن جهة الأحداث التي مرت علينا من قبل.

اشتقت لكل شيء يتعلق به، لصوته، لرجولته، لقبلاته، لهمساته، لمشاكساته لي، لـ لمساته أيضاً، أصبحت أحلم به كل يوم وأراه في منامي وهو محتضناً إياي بكل حب، أحاول أن أشبع رغبتني وشوقي إليه في المنام، أستيقظ فزعة كل ليلة وأتمنى لو أنني لا أستيقظ فقط أظل واقعة في أحلامي برفقته.

أنهض كل يوم صباحاً في تمام الساعة التاسعة لأراه يدخل من الباب الخارجي ومن ثم يتوجه ليجلس تحت ظل الشجرة والذي هو مكانه المعتاد، أحاول أحياناً أن أحدثه وأتكلم معه ولكنه لا يجيبني بحرف واحد فقط ينظر إلي بصمت، وفي آخر الليل يرحل عني.

في الحقيقة حتى ولو كان لا يحدثني ولا يكثر لي ولكن وجوده أمام ناظري يطمئنني كثيراً، حالما ينهض ويرحل في المساء حتى تبدأ نوبة بكائي وخوفي وتنهمر دموعي وأبكي بحرقة، أجل أخاف بمفردي، أصبحت أشعر بالخوف كلما ذهب علماً بأنني أنا لا أخاف شيئاً ولم أكن أخاف ولكن بعد كل ذلك أصبحت أخاف من كل شيء وأصبحت ضعيفة جداً من دون ذلك الرجل الذي كنت أستمد كل قوتي منه.

كل شيء كان جميل حتى أقبح الأشياء منه كنت أعتبرها جميلة، لقد أعاد لي الحياة من بعد موت والداي ولكنه أخذ مني الأمل بهجره لي، صرت مثل الأرض العطشى التي تنتظر المطر، ولكن لا أعلم إن كان هناك أمل.

«عندما أرى رجالاً الدنيا أتركهم وأبحث عنك

مامعنى هذا؟

عندما أراك أرى الدنيا وكأنى ولدت من جديد

مامعنى هذا؟

عندما أراك أرى السواد نوراً والبحر غراماً والأمواج كلمات حب تملئ قلبي

مامعنى هذا؟

عندما تبتسم أنسى هموم الدنيا وأفرح للقياك

مامعنى هذا؟

عندما أنام أراك في أحلامي وردة بيضاء تُنير حياتي وتغني قلبي ما يغنيه من الغرام

مامعنى هذا؟

أحبك هل فهمت مامعنى هذا؟ أجيني. أجيني. فالحب بحر لا شواطئ له.

أحبك من كل قلبي وأقسم بأنى أحبك وقسمي بالله وبأمي وبنجمي الذي أحبه وأقسم بك بأنى أحبك

فما معنى هذا؟!»

#الكاتبة

اكتفت سارة من الكتابة وتنهدت بقوة لتنهض متوجهة إلى الشرفة وتقف إذ بها تراه كعادته جالساً بمكانه المعتاد، شارداً الذهن وجامداً الوجه، نظرت له بجمود متجاهلة طرقات قلبها العنيفة والتي تتراقص عندما تراه مقتنعة نفسها بأنها لن تهبط إليه ولن تحدثه.

ظلت واقفة وهي تراقبه ممسكة نفسها بالغضب كي لا تهبط له ولكن! تهدمت حصونها كلها وتوجهت له فوراً وهبطت للأسفل ومن ثم خرجت إليه بحيث ركضت إلى أن وقفت أمامه تنتظر له بعتاب ولوم، وما كان عليه إلا أن يبادلها بنظرات باردة وجامدة.

تتهدت بحزن لتقول:

"ألم تكن بعد من صمتك ياسامح"

لم يجيبها ولم يتفوه بحرف بل ظل صامتاً ونظره موجه لها فقط، أغمضت عينيها بأسى لتتناظره بعدها بلوم وتقول:

"إلى متى حبيبي"

هذه الكلمة كانت كفيّلة بأن تجعل نظريته تتبدل للحزن ولكنه ما لبث وعاد لنظرة البرود، اقتربت سارة منه لتجلس على ركبتيها مقابلة له وتقول بهدوء:

"ألم تشتاق لي سامح، ألا تريد أن أنام على صدرك كما كنت أفعل في السابق"

أيضاً لم يجيبها ولكن إحساسه ومشاعره في هذه اللحظة حقاً صعب علي أن أشرحها لكم، هو مجرد أن يسمع صوتها يطرق قلبه بعنف فما باله إن جلست أمامه كما هي الآن، يكاد يجزم بأن طرقات قلبه العنيفة مسموعة لها الآن.

ظلت تنظر لعيناه مباشر بعتاب ولوم وهو ينظر لها ببرود، ترقرت عينيها بالدموع لتشهق وتقول ببكاء:

"لقد تعبت منك جداً، إن كنت لا تريدني ولا تريد التحدث إلي فلماذا تأتي كل يوم إلى هنا، هل من أجل أن تعذبني أكثر أم لأنك تحب رؤيتي، هيا أخبرني أرجوك دع قلبي يرتاح ولو قليلاً"

ظل ينظر لها ببرود وعيناه مترقرقة بالدموع ولم يجيبها لتردف له ببكاء:

"أنا لن أسامحك على ماتفعله بي"

أشاح بوجهه عنها ولم يتحدث لتتنظر له بحزن وهي تبكي، ظلت مدة قصيرة وهي جالسة أمامه وتتنظر له بينما هو ينظر للاشيء بشرود، مسحت دموعها لتبتسم ابتسامة خفيفة وتقول بمرح:

"أتعلم حفل زفاف إياس في الأسبوع القادم ألن تحضره"

نظر لها بطرف عينه ولم يجيبها لتردف له مغيظةً إياه:

"سوف أرثدي ذلك الفستان الأحمر الفاضح، مارأيك"

نظر لها بلوم ولم يتحدث ليشيح بوجهه عنها بينما هي تنهدت بحزن وعادت لبكائها، ضربته بخفة على كتفه لتقول ببكاء:

"أيها الأحمق لماذا تفعل بي هكذا، ألم تكنفي من إبلامي بعد، ألم يكفيك كل هذا ياسامح؟ ما الذي تريده حباً بالله أجبنني؟ إن كنت تريد أن تظل على هذه الحالة فأنا لا أريدك أن تأتي إلى هنا بعد اليوم"

شتقت بيباء وابتلعت غصتها لتردف بيباء:

"اتركني وشأني وابتعد عني، أو أنا التي سوف تذهب من هنا لأن هذا المنزل لك، أنا التي سوف ترحل وتبتعد، أنت الآن أثبت لي بأنني كنت مخطئة عندما سلمت لك قلبي وعقلي وكياني وكنت زوجة لك، تظن نفسك أنك المسؤول عن كل ماجرى لي ولكنك مخطئ كثيراً في ظنك، إن كنت مازلت تحمل في قلبك ذرة مشاعر تجاهي فقط أجبني وتحدث إلي وإن لم تكن كذلك فارحل ولا تعد إلى هنا أرجوك، أنا حقاً تعبت ومللت من جفائك وجمودك"

نظر لها ببرود وعينان لامعة مخفياً وراء بروده براكين ونيران تتأجج في قلبه، مخفياً وجعه وألمه، مخفياً حرقة قلبه على وردة عمره وحببية قلبه ونور عينه.

هي لا تعلم بكم الأوجاع التي به الآن، لا تعلم عن تلك الحرب التي يخوضها كل يوم في داخله عندما يأتي إليها لكي يكون بهذا الثبات وهذا الجمود وهذا التجاهل.

كان يريد أن يبتعد نهائياً عنها ويدعها وشأنها بعد كل الأوجاع التي بثها بها، ولكن لم ولن يستطيع أن يبتعد عنها، أن لا يراها كل يوم ويشبع ناظره برؤيتها، أجل لا يحدثها ولا يتقوه بحرف معها ولكن رويته لها تكفيه نوعاً ما وتصبره قليلاً.

لا يعلم إلى متى سيظل هكذا ولا يعلم إن كان سيعود لها في يوم من الأيام أو لا، ولكن لا لا! هو لن يجرحها مرة أخرى ولن يوجعها، لقد اكتفت منه ومن أوجاعه، منذ أن عرفته وهو لم يقدم لها سوى الوجد فلماذا يعود لها!.

أبعد نظره عنها وظل ساكناً مما سبب لها غضب كبير، كانت تظن بأنه يتأثر بدموعها يتأثر بسحرها وتعويذاتها الأثوية ولكنها كانت مخطئة، حسناً هو كان هكذا يتأثر بحديثها ودلعها وغنجها فما الذي حدث الآن! بدأت تشك بحبه لها ومدى عشقه الذي لطالما كان يشعرها به، أحقاً هذه نهاية قصتهما؟ أحقاً سيأتي اليوم الذي تندم فيه على زواجها منه وتنعت نفسها بالحمقاء والسادجة؟ هي الآن غاضبة منه كثيراً.

نهضت بعنف لتحتد نظرتها وتتحدث بفهر:

"حسناً كما تشاء لا تجيبني ولا تحدثني ولكن أيضاً لا تريني وجهك بعد اليوم، أنا أطلب منك ذلك وأرجو أن تنفذ لي طلبي، ابتعد عني ودعني وشأني أنا أكرهك، لا أريد رؤيتك هيا إذهب من هنا"

أنهت جملتها بصراخ وانفعال ومن ثم عادت وجلست على ركبتيها لتضع يديها على وجهها وتجهش بالبكاء، ظلت تبكي بمرارة وحرقة بينما هو ظل ساكناً وجامد الوجه ينظر لها ببرود فقط وداخله حقاً لا أستطيع وصفه.

تفكيره المتزايد بها جعله كالميت الحي، يسير بلا روح، عقله شبه حي وجسده ميت بالكامل.

أبعدت يديها عن وجهها وهدأت نفسها قليلاً بينما هو مازال ينظر إليها ببرود لتقول بنبرة خافتة ومتألمة:

"تركت لي وجعاً يكفيني سبعون عاماً فأبيّ كرمأ هذا"

قبض فكه وأغمض عيناه بألم لبيتهد بعدها بقوة وينهض واقفاً أمامها بشموخ، ألقى نظرة باردة عليها وتحرك بخطواتٍ متثاقلة خارج إطار المنزل ليقول بينه وبين نفسه:

"أنا الذي ماتت أعصاني وجف ينبوعي، أنا الذي تحولت جنات عشقي مقابراً لدموعي"

تابعته بنظراتها المنكسرة وهو يرحل وبيتعد لتنهمر دموعها مجدداً وتتوجه لتجلس مكانه، ظلت تبكي بحرقة ومرارة مفرغة كل أوجاعها لعلها ترتاح ولو قليلاً.

هي لن تعد تكثر له ولا تريد أن تراه بعد اليوم، لقد خيب ظنها كثيراً، تريد الرحيل والابتعاد تريد أن تهجره مثلما هجرها لكي يعرف قيمتها، أصبحت تهوى الرحيل لأنها ترى بأن حلول البقاء كلها انتهت ولم تعد تجدي نفعاً، سترحل وستحمل أوجاعها على أكتافها برأس منخفض وخطواتٍ ثقيلة.

لم يعد هناك سوى هذا الحل لكي تخفف عن نفسها قليلاً، أجل لربما تتناسى قليلاً وتحاول نسيان ذكرياتها ولكن غالباً الذكريات لا تموت بل تبقى حية في قلبها، بكل ما فيها من سعادة وألم، ولكن أيضاً لربما تدفنها الأيام بتراب التناسي ومرور الزمن، فنحن نجبر في بعض الأحيان أن ندفن مشاعرنا بأيدينا وهي على قيد الحياة خشيةً أن تُقتل أمام أعيننا.

مر الكثير من الأحداث على هجرس ورامي ومن ضمنها أن هجرس قد عادت له زوجته المصون وأخيراً، أجل لقد تمكنت من مسامحته على ذلك الكلام الجارح الذي رماه على مسامعها في ذلك اليوم وأيضاً كان قد عاد لها بطريقة جعلتها تبكي من الفرح، إذ أن لمى لم تصدق بأن حبيبها بهذا الجنون، كما أن هجرس لم يستطع أن يحتمل حزنها وقهرها منه لذلك تصرف فوراً في الوقت المناسب وأعادها إليه.

في يومها كانت لمى في منزلها تتحدث إلى ملاك عبر الهاتف وقد كانت ملاك تحدثها بأنها قد تركت رامي وأنهت خطبتها منه، وطبعاً كان هذا أكثر شيء جميل ومفرح قد فعلته بالنسبة لـ شقيقها أحمد، إذ أنه لم تسعه الدنيا من الفرحه عندما علم بأنها تركت رامي وابتعدت عنه.

وبينما كانت لمى تتحدث مع ملاك وتوجه لها اللوم على ما اقترفته من ذنب بحق رامي، حاولت ملاك أن تغير الموضوع وضحكت لتقول لـ لمى:

"عزيزتي لمى إخرجي إلى الشرفة هناك مفاجأة بانتظارك"

عقدت لمى حاجبيها باستغراب لتقول:

"ماذا تقولين أنتِ ملاك، أي مفاجأة التي تنتظرني"

ضحكت ملاك بخفوت لتقول:

"لا تسألني كثيراً وهيا اخرجي وستعلمين، فقط قفي في الشرفة وستعلمين كل شيء"

تعجبت لمى كثيراً من طلب ملاك ولكنها خرجت ووقفت في الشرفة ومن ثم أخفضت بصرها للأسفل إذ أنها جحظت عيناها عندما رأت هجرس واقفاً بالأسفل مبتسماً لها ويناظرها بحب، كل شيء كان بكفة وتلك الكلمة التي كتبها بالورود بخط كبير على الأرض وزينها كانت بكفة، وقد كانت الكلمة (أنتزوجيني)، ابتسم بسعادة حالما رأى ابتسامتها ليصرخ بأعلى صوته ويقول متسائلاً:

"أنتزوجيني لمى"

ضحكت بسعادة والدموع تغطي وجنتيها لتحرك رأسها موافقة وتهبط فوراً إلى الأسفل بحيث هو واقفاً وتتوجه إليه راكضة وتحتضنه بسعادة، ظلاً مدة قصيرة محتضنان بعضهما ومن ثم ابتعد عنها ليخرج الخاتم من جيبه ويضعه في إصبعها ومن ثم قبل يدها وهو ينظر لعيناها مباشرة بحب تحت تصفيقات جميع أهالي الحي والذين كانوا يقفون على شرفات منازلهم مراقبين هذا الموقف الجميل.

وبعد مرور أسبوع كان هجرس ولمى متزوجان وقد عادت إليه بعد أن عانيا الاثنان معاً من الفراق والهجر الذي كانا يعيشانه، لقد وعدا بأنه لن يتخلى عنها بعد اليوم نهائياً كما أنه كان يقوي إيمانها بالله بشأن حملها وقد خصص لها طبيبة نسائية لتبدأ بجلسات علاجها عندها آملاً كل الأمل أن يرزقهما الله بطفل واضعان أعينهما بعين الله سبحانه وتعالى.

أما بالنسبة للسيد رامي والأنسة المشاغبة ملاك فهذان الاثنان حقاً أصبحا كالقط والفأر، لقد طلبت ملاك أن تنهي الخطبة بعد أن أحمد بث سموه بعقلها. في الحقيقة لقد جن جنون رامي عندما علم بقرارها وافتعل المشاكل والضجة ولكن هجرس طلب منه التروي وأن يتركها على راحتها، لقد تعجب رامي كثيراً من طلبه وقد ظن بأن هجرس لم يعد يريد أن يكون زوجاً لشقيقته ولكنه ما لبث وفهم ما ينوي فعله هجرس وقد لمعت الفكرة بعقله ومن ثم بدأ ينفذ كما يقول له هجرس بالحرف الواحد.

هجرس يعلم تماماً ماهي نقطة ضعف شقيقته، ملاك تحبذ وترغب أن تموت ولا أحد يتجاهلها أو يجلبها بأسلوب الاستفزاز، هاتان الصفتان تكررهما وتمقتهما مقتاً شديداً وهما نقطة ضعفها، إذ أنها حقاً أحياناً تصل لأعلى مراحل غضبها وجنونها وبكائها عندما أحد يتجاهلها أو يستفزها وهذا مافعله رامي بها، أصبح يتجاهلها كلما أتى إلى هجرس وحتى أحمد أصبح يتجاهله ولا يجيبه بأي حرف عندما يتشتمت به بل يتجاهله ولا يرد عليه وهذا ماجعل من أحمد متعجباً كثيراً من رامي، فأحمد يعرف رامي عز المعرفة ويعرف كم أنه يغضب سريعاً وينفعل بسرعة وتجاهله هذا دليل على أنه يريد أن يصل لشيء ما.

نعم ياسادة أحمد ليس من النوع القليل وهو ذكي جداً ويعرف ماينوي رامي فعله.

وكنكفير عن ذنب أحمد وتصحيح خطئه من تلك القصة التي افتعلها بين رامي وبين شقيقته من أجل أن تنهي خطبتها كان قد تجاهل وضع رامي ولم يحدث ملاك بشيء عن ماينوي فعله رامي بل ظل يشاهد ردود الأفعال بصمت ولم يعد يضايق رامي نهائياً، هو لم يفعل ذلك من أجل رامي بل من أجل ملاك، خصوصاً بعدما كان يراها كيف تبكي بقهر على غبائها وسذاجتها عندما تركته لذلك خرج من القصة ولم يتدخل نهائياً وتركهما وشأنهما.

كلما سنحت لرامي الفرصة ورأى ملاك يبدأ باستفزازها، إما يقول لها كان مع فتاة جميلة ولكن بطريقة غير مباشرة وإما يقول لها بطريقة لبقة لقد نسيتك ولن أعد أزعجك وسوف تتخلصين مني، وإما يقترح عليها أن لا يعد ويريها وجهه وإما يستفزها ويريها أي صورة لأي فتاة ويخبرها عن رأيها بها ويقول لها بأنه ينوي خطبتها، كل هذه الأفعال كانت تقهر ملاك بشكل كبير.

إليك في المفيد وسنعود قليلاً لكي تعلمون كيف عادت ملاك إلى رامي بعد عناءٍ طويل وبعد أن افتعلت الجنون بكل معنى الكلمة.

في يومها كانت ملاك جالسة في غرفتها وعلى سريرها تبكي بقهر وتعض يدها بقوة من ماتراه على هاتفها المحمول، فقد رأت صورة لرامي وهو مع فتاة شقراء كان قد نشرها على حسابه الشخصي منذ عدة ساعات وقد كتب بجانب الصورة (الحب).

حالما رأت هذه الصورة حتى بدأت تبكي بقهر وتشد شعرها وتعض أصابعها.

في الواقع هذه الصورة ليست جديدة والفتاة الشقراء تكون شقيقة رامي في الرضاعة، ملاك تعلم بأن رامي لديه شقيقة في الرضاعة ولكنها لا تعرفها ولا تعرف شكلها وكان رامي يعدها دائماً بأنه حالما تأتي هذه الفتاة الشقراء من السفر سوف يعرفه عليها.

هذه الفتاة تدعى ريمة وهي متزوجة ولديها فتاة صغيرة عمرها سنة.

سمعت ملاك صوت أخيها هجرس ورامي كانا قد أتيا في الوقت الحالي، احتدت نظرتها وأمسكت بهاتفها لتبعث له صورة لفتاة قبيحة ومظهرها مضحك، وقد كتبت بجانب الصورة:

"هذه تناسبك أكثر يا حبيب الشقراء"

وبينما كان رامي جالساً برفقة هجرس ولمى صدح صوت هاتفه معلناً عن وصول رسالة، رأى اسم ملاك ولكنه لم يتوقع بأن يرى هذه الماساة حالما رأى الصورة والجملة حتى صعق وجحظت عيناه ليقول:

"ماهذا"

تعجب هجرس من حاله واقترب منه ليرى ما القصة وإذ به يرى الصورة والجملة ومرسل الصورة أيضاً، لينفجر ضاحكاً هو ولمى، بعد مدة قصيرة أرسل لها رامي رسالة وقد كان مضمونها:

"لا عزيزتي ملاك أنتِ لاتناسيني بهذا الشكل"

دقيقة وسمعوا صوت صراخ منبعث من غرفة ملاك، جفوا ثلاثتهم ليقول رامي بذهول:
"هجرس هل حدث زلزال ياترى"

ضحك هجرس بقوة وقد شاركته لمى الضحك، دقائق وبعث لها صورة رجل قبيح ومضحك ليكتب بجانب الصورة:

"يا إلهي ما أجملك مع هذا الشخص وشعره جميل أيضاً"

بعث لها وضحك هو وهجرس لأنهما يعلمان بأنه سيجن جنونها، دقيقة وقفزت ملاك من على السرير لتصرخ وتشد بشعرها وتشتمه لتبعث له رسالة بأنامل مرتجفة:

"لا أعتقد بأنك تناسبني هكذا أنت وشعرك الجميل أيها الوقح الحقير التافه اللعين السافل الساذج، اللعنة عليك يا حشرة، تبصق في وجهك"

ما إن رأى رامي الرسالة حتى جحظت عيناه بينما هجرس ضحك بقوة ليقول له هجرس من بين ضحكاته:
"أراهن بأن الزلزال الحقيقي سيحدث حالما تهبط إليك"

نظر له بخوف ليقول:

"سوف أهرب ما رأيك"

ضحك كل من هجرس ولمى وقد دخلت عليهم والدة هجرس لكي تنضم لهم وطبعاً لم يكونوا عالمين بأن أحمد يراقبهم، دقائق وهبطت فوراً إلى الأسفل لتقف مقابلة لرامي الذي كان يضحك على هجرس بسبب ما فعلته به زوجته لمى، حالما رآها ورأى دموعها حتى ضعف فوراً ولكنه تماسك وظل ثابتاً ينظر لها ببرود، صرخت بأعلى صوتها قائلة:

"من هذه الفتاة التي في الصورة ومن تكون وما علاقتك بها ها هيا أجيني"

كتم هجرس ضحكته وأيضاً رامي كتم ضحكته بصعوبة ليمثل البرود أمامها ويقول:

"أي فتاة تتحدثين عنها يآنسة ملاك، هناك مائة فتاة أنا على معرفة بهن"

نظرت له بابتسامة غير مصدقة ووجهها أحمر كالدماء لتقول بحدة:

"ومن هذا الرجل الذي بالصورة التي بعثتها إلي"

ابتسم بمكر ليقول:

"جميل أليس كذلك"

هممت له ببرود لتقول:

"أجل جميل جداً"

ابتسم باستفزاز لتردف له:

"كجمالك أنت تماماً"

سقطت ابتسامته ونظر لهجرس الذي كتم ضحكته لينظر لها بابتسامة متوترة، ظلت تنتظر له بغضب لتقول:

"ها لم تجبني يازير النساء"

كتم ضحكته ليقول:

"ماذا تريدني مني، أنت لا شأن لك بي"

نظرت له بحدة لتركله على منطقتة مما جعله يطلق صرخة مكتومة ويتألم، أردفت له بحدة:

"ألن تجيبي"

حرك رأسه رافضاً ومعالم وجهه منكشمة لتبتسم بيرود وتقول:

"هل تعرف حركة جون سينا يارامي"

نظر لها بذهول ليقول بتوتر:

"لا ولا أريد أن أعرفها"

تراجعت عدة خطوات للوراء ومن ثم هجمت عليه لتبرحه ضرباً وتبدأ بشتمه وهي تصرخ وتقول:

"سأقتلك أيها الحقير سأقطعك، سأقتلع عينك اللعنة عليك، أنت لي هل تفهم أنت لي سأقتلك أنت وتلك الشقراء"

وبينما كان رامي يأكل ضرباً مبرحاً من ملاك كان الجميع قد أغشي عليه من الضحك ومن بينهم أحمد الذي انضم لهم حالما بدأت ملاك بضرب رامي، تخلص رامي من ملاك بصعوبة وانسحب من أمامها لبيتعد ويختبئ خلف هجرس الذي كان واقفاً وهو يحاول تمالك نفسه من الضحك، نظرت له ملاك بشراسة لتقول:

"هل تهرب مني، تختبئ خلف أخي حسناً سأريك"

أمسكت بالفازة الموجودة أمامها لترميها بناحيته وماكان من هجرس ورامي سوى الصدمة والانخفاض سريعاً متفاديان الفازة، نظرا لها بذهول وهما جالسان على الأرض وملاك تناظره بغضب كبير كحاله هو.

ظلت حرب العيون قائمة إلى أن تدارك رامي الأمر وهمس لهجرس:

"أين ذهبت الفتاة البريئة والناعمة، ألم يكن لديكم فتاة رقيقة وناعمة تدعى ملاك"

التفت له هجرس وقد كانا ومازالا جالسان على الأرض ليقول له هجرس:

"لا أعلم ربما انتحرت، أو لربما ملاك قد سكنها جني"

ضحك رامي عليها لتحتد نظرة ملاك وتقول:

"أنا لا يسكنني سواك أنت وهو هل تفهمان"

ازدادت ضحكاتها عندما سمعا بجمالها لتزفر هي بضيق وتضع كلتا يديها على خصرها وهي عابسة، نظر لها رامي وسرح بها، فتاة صغيرة قصيرة بشعر طويل، مجنونة، غاضبة ولكنها رقيقة وحنونة، كانت واقفة وعابسة وحافية القدمين تدم شفيتها بقوة مما جعل رامي يرغب بتمزيق شفيتها أكثر من ذي قبل، نظر رامي لقدميها ليرى كم أن قدميها صغيرتين، ابتسم بعشق ليعض على شفته وينهض متوجهاً لها، حالما رأته يتوجه لها حتى احتدت نظرتها وقالت:

"ماذا تريد"

اقترب ووقف أمامها ليهمس لها:

"أريدك أنت"

نظرت له بغضب وكادت أن تفقد حصونها ولكنها ظلت ثابتة لتقول:

"دعني وشأنني واذهب إلى شقرائك أيها الغبي"

كتم ضحكته ليقول:

"هل تريدني أن تأخذني واحدة غيرك"

انفعلت وغضبت لتقول:

"فلتذهب للجحيم أيها الذبابة"

ضحك الجميع على جمالها ليضحك هو أيضاً ويمسك وجهها بكلتا يديه بخفة ويقبل جبينها، نظرت له بعينان دامعة لتقول ببيكاء ونبرة ناعمة:

"غبي حقير أنا كنت أربيك فقط لكي لا تحزنني مرة أخرى وتتسرع في حكمك علي لم أكن أريد تركك"

ضحك وهو محتضناً إياها ليقول بهمس:

"أعشقتك صغيرتي"

ضحكت بخجل وقد أراد أن يقبلها ولكن هجرس صرخ عليه لذلك جفل وابتعد عنها فوراً، نظرت ملاك إلى هجرس بغضب لينظر لها ببرود ويقول:

"هيا اذهبي وبدلي ملابسك بدلاً من هذه الملابس التي ترتدينها وأنتِ حافية القدمين، تبدين كالمشردين"

تنهدت بحنق لتقول:

"أريده أن يعتاد على هذا الوضع فأنا سأظل كما أنا"

تدخل رامي بالحديث ليقول:

"أنا سأذهب إلى شقراي يا شباب"

خطى خطوتان لتصرخ ملاك وتقول:

"عاهاه ما اللون الذي تحبني أن أرثديه رامي"

ضحك الجميع على جملتها ومن بينهم ملاك التي ضحكت بطفولية وركضت لتحتضن رامي وقدبادلها الحزن غارقاً بها مشبعاً نفسه باحتضانها واشتتام عبير رائحتها التي اشتاق لها بحق.

بعد قليل من الوقت كان الجميع جالساً في الصالة يتحدثون ويمزحون ويضحكون عدا أحمد الذي كان هادئ وساكن، نظر له هجرس ليلكز رامي ويشير لأحمد، فهم رامي على هجرس ليحمم ويوجه حديثه لأحمد:

"ما بك يامدلل"

نظر له أحمد ببرود ولم يجيبه ليردف رامي:

"هل أنت حزين لإنني عدت أنا وشقيقتك كما كنا أم ماذا"

ابتسم بسخرية ليقول:

"لا شأن لي بكما لست حزين ولا سعيد"

همهم له رامي ولم يتحدث ليردف له أحمد:

"أنت ستتزوج أختي فأنا أريد أن أتزوج أختك"

نظر له رامي بصدمة ليقول:

"ولكنها مازالت صغيرة لم تصبح بالرابعة عشر بعد"

تحدث أحمد بلا مبالاة:

"هذا أفضل أريدها صغيرة لكي أربيها على يدي"

ضحك هجرس بقوة وقد شاركه الجميع الضحك ليقول رامي:

"انتظرها حتى تكبر وعندها سأزوجها لك"

حرك أحمد رأسه رافضاً ليقول:

"لا، أريد أن أتزوجها الآن"

نظر له رامي بذهول لينهض أحمد ويخرج من الصالة متوجهاً إلى غرفته.

تعجب الجميع من انسحابه لينهض رامي ويلحق به.

طرق عدة طرقات على باب غرفته ويدير مقبض الباب بهدوء ويدخل عليه ببرود.

كان جالساً على سريره وما إن رأى رامي حتى نهض ليقف مقابلاً له قائلاً:

"نعم! ماذا تريد"

ابتسم رامي بخفة ليقول:

"هل يأسست واستسلمت ياترى"

تمعن النظر به وظل صامتاً ليرد رامي:

"أم أن هناك شيء آخر تخطط له"

أحمد ببرود:

"ما الذي تريده الآن"

رامي بهدوء:

"أريد أن أعلم لما فعلت كل هذا معي ومع ملاك؟ لماذا افتعلت المشاكل بيننا! هل من أجل ابنة خالتي ياترى"

استطاع أن يستغفره ليصرخ أحمد بنفاد صير:

"ما الذي تريدني أن أفعله وأنا أعلم أنك أنت السبب بابتعادها عني، بقيت تسم عقلها إلى أن تركتني، أنا الذي يجب أن يسألك لماذا فعلت ذلك"

ابتسم رامي بهدوء مجيباً:

"أنا لم أسمح عقلها وإنما أعلمتها حقيقة أنك فقط، قلت كلمة حق فقط، خالتي وزوجها هما سألاني عنك وقتها وأنا أخبرتهما ب الذي أعرفه عنك، لم أتبلى عليك"

حرك رأسه بانفعال ليقول:

"وأنت طبعاً صريح ويجب أن تعلمها بماضيي وما فعلته"

تنهد رامي مجيباً:

"لم يكن بوسعي سوى أن أتحدث"

همهم له أحمد بعصبية وعاد ليجلس مكانه، تقدم رامي وجلس بجانبه ليقول وهو موجه نظره للأمام:

"اسمعي أحمد، عندما كنت على علاقة مع جنى وعلم والدها بعلاقتكما سألتني عنك وعن كل شيء يخصك بعد أن علم أنني أعرفك، ولكني لم أحدثه بأنك كنت تذهب أنت وهي إلى شقة بعيدة عن الأعين.

عندها قررت أن أنهى هذه المهزلة وأخبرها بكل شيء عنك فأنت تعاملها كما تعامل باقي الفتيات، لو أنك تحبها ماكنت ستفعل ما فعلته وتأخذها إلى شقة مفروشة كباقي الفتيات تماماً، حينها جنى قررت الابتعاد عنك وسافرت.

أعلم أن طريقة ابتعادها عنك مؤلمة خصوصاً أنها لم تعطيك أسباب للابتعاد وتركتك تتخبط بنفسك ولكني يجب أن أحميها منك، ولم يكن بوسعي فعل شيء سوى أن أخبرها في وقتها.

لإنني أؤكد لك لو علم والدها بطبيعة العلاقة بينكما لكان قتلك وقتلها.

لولاي أنا يا أحمد لتأزم الموضوع كثيراً، أنا تداركت الأمر وساعدتك أنت وجنى، لم أكن السبب بتفترقتكما.

ثم أنك أنت كنت تلعب بها ولم تكن تحبها، ف الإنسان الذي يحب لا يفعل تلك الأفعال الرخيصة مع محبوبته"

كان يتابعه بصدمة لينهض بانفعال قائلاً:

"وما أدراك أنني لم أكن أحبها، أنا أحببتها كثيراً وتعلقت بها وكنت أنوي أن أتزوجها عندما أنهى دراستي، ثم أنني لم أكن أعلم أنها ابنة خالتك، لو كنت أعلم ما كنت تماديت بهذا الشكل"

نهض ليقف مواجهاً له قائلاً بثقة:

"أرأيت؟ أنت لم تحبها يا أحمد، كلامك هذا يدل على أنك كنت تريد تمضية الوقت معها فقط، لإنك تخبرني أنك لم تكن لتتصادى معها فقط لإنها ابنة خالتي ونسيت أهم أمر وهو أن تحافظ عليها سواء كانت قريبة لي أم لا"

نظر له بأعين دامعة ومن ثم أشاح بوجهه عنه ولم يجيبه، ليضع رامي يده على كتفه مردفاً له:

"بجميع الأحوال، الموضوع مر عليه فترة طويلة، وأنت تؤكد أنك نسيتها، لذلك ابدأ من جديد"

حرك رأسه موافقاً ولم يتحدث ليردف رامي:

"أنا لا أكرهك يا أحمد، وإنما لطالما كرهت أفعالك وطريقة كرهك لي واقترابي من ملاك، كنت أنت السبب بكل ماحدث ومع ذلك كنت كلما تراني تهاجمني وتضع كامل الحق علي، مع العلم أنا من يجب أن يغضب وليس أنت"

تنهد أحمد بقوة ليقول دون أن ينظر إليه:

"أعترف بأني كنت دائماً أهدتك بهجومية، ولكن كنت دائماً أقنع نفسي أنك أنت السبب بكل شيء، خصوصاً أنها ابتعدت وانقطعت أخبارها عني ولم أعلم ما السبب، كنت في حالة قهر كبيرة، أعتذر لك"

ابتسم رامي بخفة وهو يشد أحمد ليحتضنه مبادلاً له أحمد الحضن، ابتعدا عن بعضهما ليردف أحمد:

"أنا أسف عن كل ما بدر مني في السابق أنت أفضل شاب يستحق أن يكون سنداً لأختي"

دخلا اثناهما للصالة وقد بدى عليهما علامات الرضا من كليهما لينهض هجرس متوجهاً نحوهما قائلاً:

"ها، ما الأخبار، هل ستعطينه أختك"

أجاب رامي مبتسماً:

"لا، ليس هذا موضوعنا، ولكن تستطيع القول أن الأمور قد هدأت نوعاً ما"

ابتسم أحمد وحرك رأسه بالإيجاب ليقول هجرس مماًزحاً:

"لا لا هذا الحال لا يمشي معي، لقد تعودت على شجاركما كالقط والفأر أنا على من سأضحك الآن"

ضحك الجميع على جملته لتقفز ملاك وتقول:

"أريد حضن رمومي"

كتم هجرس ليسحبها رامي ويضمها لصدره، ابتعد عنها قليلاً وأراد أن يقبلها ولكن أحمد وهجرس صرخا بصوتٍ واحد:

"راااامي"

جفل رامي ليناظرهما بغضب ويقول:

"مابكما لم أفعل شيء هي من كانت تريد أن تقبلني، حبيبتني ملاكي هذا عيب عيب لا يجب عليك أن تفعلي ذلك حتى تنزوج عندها إفعلي بي مايحلو لك"

نظرت له ملاك بحدة وأحمد وهجرس نظرا له بذهول لتضع ملاك يديها على خصرها وتقول بحاجب مرفوع ونبرة مأكرة:

"ألا تريد أيضاً أن أجعلك تحمل طفل في بطنك بدلاً مني عزيزي"

انفجر الجميع ضاحكاً على جملتها بينما رامي نظر لها بذهول وما لبث حتى ابتسم بهدوء وحرك رأسه بياس.

بالنسبة لإياس فحالته كئيبة منذ اليوم الذي ابتعدت عنه حنين، عندها سافرت وابتعدت ولم تحدث أحداً بشيء ولكنها كانت قد تركت رسالة لإياس في غرفته وقد كان مضمونها:

"أعدك بأنني إن شعرت بالاشتياق لك وافتقدتك سأعود، عندها سأكون تخلصت من كل جروحي وأوجاعي وألمي وسأعود لكي أجعل حياتك جنة ونعيم. حنين."

تنهد بحرقة ليقول:

"فلتذهبي أينما شأتي فأناك بين الضلوع تسافرين"

أجل لقد ابتعدت عنه ولكنها عادت إليه، عادت بعد أن نسيت كل شيء، عادت بعد أن اكتشفت بأن إياس سيكون خير زوج لها وهو الذي يستحقها وهي واثقة بأنه سيعميها ويحرسها ويظل بجوارها دائماً وأبداً.

وها هو حفل الزفاف سوف يتم بعد أسبوعين من الآن وفرحة حنين لا توصف إذ أن قلبها مطمئن بشكلٍ كبير، كذلك إياس تكاد الدنيا لاتسعه من فرحته بصغيرته الجميلة، هو حزين جداً لأن والده ليس بجواره ولا يشاركه فرحته وحاول كثيراً أن يخرجها من حالته ولكنه فشل.

ماسة فرحة جداً بشأن أخيها وهي ترى حنين مناسبة جداً لإياس، مازالت حزينة ومكتئبة بسبب ما اقترفته يداها بحق والدتها وبحق سارة ولكن الذي أراحها هو أنها رأت سارة وطلبت منها الصبح والعفو ولم تبخل عليها بالمسامحة وعادت صديقتان كما كانتا في السابق.

لا تريد شيئاً الآن سوى أن يسامحها والدها ويعود لسارة لكي تحصل على أخ وقد وعدت بأنها هي من ستعتني به إن حدث ورزق والدها بطفل آخر.

جميع عائلة الأز هري تقضي حياتها بهدوء ولكن شيء ما ينقصهم ألا وهو سامح، الجميع حزين من أجله ولكن الحياة تمشي والكل يرى حياته، منهم من تزوج إن كان من الشبان والفتيات، ولكن دائماً قلوبهم عند سامح وهم دائماً ما يدعوا له بتهداة البال والراحة والاطمئنان مع سارة.

يوم جديد وكئيب على سارة ولا يوجد شيء سوى أن سامح لم يأتي كعادته كل يوم، منذ الصباح وتحديداً منذ التاسعة صباحاً وهي كالبلهاء تنتظره لعله يأتي، أصبحت الساعة الثانية عشر إلى أن أصبحت الساعة السابعة مساءً وأيضاً لم يأتي، لم تمل وظلت تنتظره ولكنها تنتظره ودموعها على وجنتها، ترى هل تخطئ عنها؟ هل حقاً لن يعد يريها وجهه كما طلبت منه؟ غداً هو الذكرى الجميلة بينهما فهل ياترى سيتغيب عنها مثل اليوم أيضاً؟ ظلت جالسة إلى أن ملت ونهضت لتأكل شيئاً، دقائق ورن جرس الباب ابتلعت لقمتهما بسرعة وركضت متوجهة لتفتح الباب وكلها أمل أن يكون هو، فتحت الباب ولم ترى أحد، عقدت حاجبها باستغراب لتوجه نظرها إلى الأرض وإذ بها ترى صندوق صغير وورقة مطوية وموضوعة على الصندوق، تفرقت عيناها بالدموع وامتدت يديها لتحمل الصندوق والورقة وتدخل إلى الداخل.

جلست ووضعت الصندوق بجانبها والورقة أيضاً وقلدها يقرع كالطبول، أخذت نفساً عميقاً وشجعت نفسها لتفتح الصندوق وترى محتواه، نظرت لداخله لترى عدة صور لها ولابنتها، ما إن رأتهم حتى هبطت دموعها بغزارة وبدأت تجهش بالبكاء، أجل منذ أن ولدت الطفلة وسامح يصورها كما أنه وضعها بجانب سارة عندما كانت في غيبوبتها وقام بتصويرها سوياً، بدأت تقلب بينهما كانت أكثر من عشرة صور، إلى أن رأت صورة لها وهي بمفردها تضحك بخفة كان قد صورها سامح ثاني يوم من زواجهما، وجدت مكتوباً على الصورة من الخلف عبارة هي:

"مُمتلئٌ بكِ جِداً، دماً، وعِظاماً، وعقلاً وروحاً"

لا مساحةً لغيركٍ ولا فراغاً منك"

ابتلعت غصتها عندما قرأت الجملة لتعيد الصور للصندوق وتمسك الورقة بيدان ترتجف وتبدأ بقراءة محتواها:

"لطالما تمنيتي قطعة مني تحملينها في أحشائك وتنجينها لي، كنتي دائماً تقولين بأنك تريدين فتاة ولكنك لا تريدينها أن تكون شبيهةً لك، بل تريدينها أن تشبهني وتضاهيني بالجمال والثقة والغرور الذي أنا به، لقد رزقنا بفتاة ولكنها لم تحيي سوى ليومين، كل ماقاسيتيه من عذاب هو بسببي فلماذا أبقى؟ وحتى طفلتنا خسرناها بسببي وبسبب ابنتي، ألا يكفيك عذاب؟ ألا يكفيك آلام وجروح؟ لقد اكتفيت أنا عنك.

أعلم بأنك تتألمين وأعلم بأنني أسبب لك الكثير من الآلام بهجراني لك، ولكن لم أعد أستطيع التحمل، جئ ما أريد التوصل إليه هو أن تتذكرين دائماً بأن سامح متيمٌ بك وسيظل هكذا إلى يوم مماته. سامحيني صغيرتي. أحبك. سامح. الوداع"

كانت تقرأ الورقة والدموع تغطي وجنتيها وما إن انتهت من قرائتها حتى انفجرت بالبكاء المرير.

حسناً كلامه مفهوم مائة بالمائة، هو سيرحل وسيبتعد عنها، لن يعد ويريها وجهه، لماذا؟ لماذا؟ أهدأ جزائها لأنها صدقت قلبه وأمنت بحبه؟ كيف يفعل بها هكذا؟ كيف يدعها تتعلق به ومن ثم يرحل؟ ألم يعدها بالوعد الكثيرة وأولها أنه سيبقى بجانبها مدى الحياة! هل نسي عندما قالها بأنه عندما يموت لا يريد شيئاً من الدنيا سوى أن يموت بأحضانها وآخر ما يريد فعله هو تذوق رحيق شفيتها! حسناً إذاً لماذا لم يفي بالوعد لماذا؟ ماذنبها هي لتحتمل كل هذه الأوجاع ياترى؟.

قضت ليلتها بالبكاء المرير إلى أن جفت دموعها ولم تعد تستطيع التحمل لتسقط في أحلامها الوردية لعل وعسى يحن قلبه عليها ويأتيها ولو حتى بحلمها.

صباح اليوم التالي

استيقظت سارة عند الساعة الحادية عشر، كانت عيناها متعبة ووجهها شاحب، لم تفعل شيء سوى أنها غسلت وجهها ومن ثم توجهت وجلست على سريرها وهي تنتظر للأمام بشرود وبوجه جامد لمدة طويلة.

بعد الكثير من الوقت كانت قد ملت من الجلوس في الغرفة، نهضت لتقف أمام الشرفة وألقت نظرة للخارج ولكنها لم تراه بمكانه المعتاد، هبطت دمعة بريئة على وجنتيها لتتنهد بحرقة.

أرادت أن تشعر به وتفعل مثلما يفعل لذلك هبطت إلى الأسفل وخرجت للحديقة لتجلس تحت ظل الشجرة التي كان يجلس سامح تحت ظلها، ظلت جالسة لمدة ليست بقصيرة وهي تفكر به هو فقط، أغمضت عيناها بأسى لتسمع صوت أتى من خلفها قائلاً:

"لم أستطيع"

فتحت عيناها على وسعها، أجل هي تعرف ذلك الصوت وتعرف صاحبه، نهضت بسرعة لتستدير وتراه واقفاً أمامها بحلته الرسمية وطلته البهية مردي السواد، واللعنة كم كان وسيم بهده البذلة السوداء التي يرتديها، هيبة ووقار وطلاة محببة، تقدمت منه بضع خطوات لتقف مقابلة له وعينيها مترققة بالدموع لتبتسم بسخرية وتقول:

"وأخيراً تحدثت، ظننت أنك فقدت النطق"

ظل جامداً وواقفاً أمامها بوقار واضعاً يديه بجيوبه ليبتسم بخفة ويقول بهمس:

"لم أستطيع التحمل"

واللعنة اللعينة كم أنها منشوقة لذلك الصوت الرجولي والبحة الرجولية التي لديه، تحدثت ببكاء:

"لم تستطيع تحمل ماذا ها"

ابتلع ريقه ليقول:

"لم أستطيع السفر والابتعاد، حزمت أمتعتي ووصلت إلى المطار ولكنني لم أستطع أن أركب الطائرة وأرحل"

حركت رأسها بايجاب لتبتلع غصتها وتقول:

"حسناً وما الذي لديك لكي لا تستطيع وتأتي إلي"

ابتسم بخفة ليقول:

"لدي جنتي، أنتِ جنتي"

هبطت دموعها بصمت ليكور وجهها بين يديه ويقول:

"بالرغم من أنني لم أكن لك كما يجب ولم أحتضنك يوماً بشكلٍ كافي، ولم أتمسك بك كما وعدتك إلا أنكِ واللعنة اللعينة ظللت مغروسة بثبات قلبي وفي عمق قلبي"

ما إن سمعت بجملته حتى بدأت تبكي وتضحك في آن واحد، لتندفع ناحيته وتحتضنه بقوة.

أحياناً يكون العناق أقوى من الكلام والإجابة أو بالأصح القبلات تكون أقوى من الكلام، من خلال القبلة لربما تعبر عن الكثير من الأشياء التي تعبرها والتي يعجز لسانك في بعض الأحيان أن ينطقها، كانت منتظرة منه شيء يجعلها تحلق بالسماء وتطير عالياً لتنسى كل ليالي القهر والوجع والحزن التي مرت عليها بدونه، بالمختصر قبلها وهما الآن غارقان في القبلات إلى أبعد حد.

في المساء

نرى الأضواء الهادئة والأجواء الرومانسية والشموع والزينة في كل أرجاء المنزل، كان سامح قد وعد سارة بليلة لن تنساها وسوف يفى بوعده لها، لم يطلب منها سوى أن تجلس في الغرفة وتجهز نفسها براحتها وحالما ينتهي يخبرها لكي تهبط إليه، بعد الكثير من الوقت وتحديداً عند الساعة العاشرة مساءً هبطت ملاكه البريئ بفستانها الوردي والذي كان يصل لكاحلها ومن دون أكمام، شعرها أسدلته بعناية على جانب كتفها ومساحيق التجميل الهادئة التي كانت تضعها على وجهها، كل هذا جعل سامح يبدأ بتفكيره وتخيلاته المنحرفة بشأنها.

لن ننسى طبعاً طلة السيد سامح البهية والتي كانت خاطفة للعقول فقد ارتدى بذلته السوداء بناءً على طلب سارة وهو قد نفذ طلبها.

تقدمت منه بابتسامة محبة ووقفت أمامه، ظل ينظر لها لمدة وعيناه تلتهمها حرفياً، أمسك يدها ليقبلها بكل رقة ومن ثم جلسا سوياً وراء الطاولة.

كانت سهرة مميزة جداً إذ أنه في هذا اليوم ومنذ سنتين قد تزوجا، أي أن اليوم عيد زواجهما الثاني، كانت قلقة وخائفة وحزينة وظنت بأنه لن يحتفلان بهذه المناسبة المميزة ولكنها ها هي تجلس بقربه تتبادل معه النظرات الهائمة، يخبران بعضهما عن مدى عشقهما ومدى اشتياقهما لبعضهما.

كانت جالسة في حضنه واضعة رأسها على كتفه وهي مغمضة العينين، بينما هو كان ينظر لها بعشق جارف واشتياق ومحبة، يمرر يده على طول ذراعها وإما على وجهها وإما على شفتيها التي يعشق طعمهما وهو يحدثها بكلمات الغزل والعشق المتبادل بينهما.

ظلا كثيراً من الوقت وهما جالسان على حالهما، لا يفعلان شيئاً سوى أنهما يهيئان ببعضهما أكثر فأكثر، دخل سامح بتفكيره المنحرف ومرر يده على صدرها ليقول بمكر وصوت خافت:

"لقد أصبح صدرك ممتلئ أكثر من ذي قبل أحب ذلك"

ابتسمت بخجل وهي مغمضة العينين لتقول:

"ألم تتخلص من انحرافك بعد"

نظر لها بهيام ليقول:

"لا ليس بعد"

ارتفعت قليلاً لتمسك وجهه بخفة وتقبله برقة وكأنها فراشة رقيقة قد حطت على شفتيه، بادلها القبلة بهدوء وهو مغمض العينين وقلبه يقرع كالطبول من فرط سعادته، مهمم أثناء قبليته ليمرر يده على أنحاء جسدها بكل لهفة وتعمقا أكثر فأكثر في قبليتهما، ظل مدة ليست بطويلة على هذا الحال إلى أن فصلا القبلة وحملها بين يديه ليصعد بها إلى الغرفة.

دخل بها إلى الغرفة ليضعها برفق على السرير وتمتد يده ليخلع لها حذاءها ويمسك بقدمها الصغيرة ويقبلها، تتحننحت بحرج لتناديه بإسمه وبصوتها الخافت، ابتسم وظل يقبل قدمها لتبتعد وتنهض من على السرير، أرادت أن تخطي ولكنها أمسكها من معصمها وسحبها إليه، نظر لعينيها ليقول بهمس:

"إلى أين هاربة"

ابتسمت لتقول بخجل:

"لست هاربة"

همهم لها ليحتضنها بقوة ويغرس وجهه في رقبته مستنشقا عبيرها، شعرت بأنفاسه الساخنة ضد رقبته وارتخت بين يديه ليهمس لها:

"أريد أن أجردك من هذا الثوب فهو واقفٌ عالئٌ على قلبي صغيرتي"

ابتسمت بخجل لتقول:

"لا تقل بأنك تغار من ثوبي أيضاً سامح"

ابتعد عن رقبته ليكور وجهها ويقول بهيام:

"أغار من كل شيء يقترب منك، أغار من شعرك الذي يظل بجانبك، أغار من الحمرة التي تزينين بها شفتيك، أغار من الشجرة المقابلة لبيتك، لا أحد يسألها من منحها حظ جبرتك وحق العيش بمحاذاتك، أغار من جرس بابك لأنه ينبهك بأن أحدهم أتى"

ذابت بكلماته المعسولة والعاشقة لتبتسم بخجل ويقترب هو ليلتقط شفتيها ويقبلها بكل هدوء، بادلته فوراً مقربة نفسها له أكثر، دقيقة وفصل القبلة لأنهما كانا بحاجة للهواء، ابتعد عنها قليلاً ليتحدث بأنفاس لاهثة:

"أريدك"

نظرت لعيناه مباشرة وابتسمت بخجل، ابتسم بوهن ليغرس وجهه في عنقها وهو يقبل ويهمهم ليفك لها سحاب فستانها وينزل الفستان من عليها، ابتعد قليلاً لينظر لجسدها المثالي بعينان مليئة بالرغبة وقد شعرت سارة بالخجل وعضت على شفثها السفلى، حملها بين يديه ووضعها برفق على السرير ليعتليها ويبدأ بطبع قبلاته على رقبتها ووجهها وكتفها وهو يداعب صدرها مشعلاً بها الرغبة والشهوة.

حسناً هو يعلم نقطة ضعفها ويعلم ماهي مواطن إثارتها، بدأت وتيرة أنفاسها تتسارع وصدرها يعلو ويهبط وهي تهمهم بصوت خافت كالقطط مما جعل سامح يحتد بقبلاته أكثر، أبعدته عنها قليلاً لتفتح له أزرار قميصه بيدان مضطربتان وقد ساعدها في خلعها ومن ثم خلع بنطاله وأصبحا عاريين تماماً لتبدأ جولتهما التي كانا متلهفان لها بشوق بالغ.

وبينما كانت نائمة على صدره وهو يمرر يده على خصلات شعرها تحدث هو بهدوء:

"لم أشبع لازلت جائعاً صغيرتي"

ابتسمت بخجل لتقول:

"ارحم نفسك قليلاً"

ابتسم بمكر ليمدها على السرير ويضع جبينه على جبينها ويقول:

"أنتِ التي يجب أن ترحميني، كفاكِ إثارة كفاكِ جنوناً بي كفاكِ حلاوة كفاكِ جمالاً"

ضحكت برقة لتقول:

"وما شأني أنا"

همهم ليلعق شحمة أذنها ويقول:

"أنتِ لا ذنب لكِ ولكن لن أدعكِ تنامين الليلة، سأجعلكِ حاملاً بطفلي في هذه الليلة ستريين"

ابتسمت بخجل ليلتهم شفثتها ويعاود فعلته معها وقضيا ليلتهما بالقبلات والمداعبات والهمهمات مفرغان نار شهوتهما ونار اشتياقهما لبعضهما، مخلدان هذه الليلة التي تحتسب من العمر.

"أعمق بيت قيل في الغزل؟"

إني أغارُ فليت الناس ماخُلقوا"

مر شهر كامل وحياة سامح وسارة أقل ما يقال عنها مثالية إذ أن الأمور بينهما ممتازة جداً، يعيشان في سعادة تامة والجميع رأى هذا الوضع بينهما كما أن الجميع يكاد لا تسعهم الدنيا من الفرحة لأجلهما وخصوصاً خديجة وجومانة.

ها هو اليوم الموعود قد أتى وأنت معه الفرحة للجميع، يوم فرحة إياس بحبيبته الصغيرة برفيقة دربه وزوجته، كانت حنين تشعر بالسعادة برفقة إياس، مرتاحة البال ومطمئنة جداً لقرارها ولوجودها مع إياس، كانت تبدو كالقمر كما أن إياس كان يبدو وسيماً جداً ببذلته السوداء.

لن ننسى طبعاً وجود جميع عائلة الأزهرى في حفل الزفاف وأيضاً راغب وتمارة اللذان تزوجا وهما الآن يعيشان في سعادة تامة، وأيضاً تمارة الصغيرة تعيش مع والدها وزوجته وتعتبر تمارة والدتها وتناديها أمي، أجل حياتهما جميلة وهما مطمئنان ومرتاحان البال ويزدادان عشقاً وجنوناً ببعضهما كل يوم أكثر فأكثر.

وأيضاً طبعاً وجود سامح وسارة قد جعل الحفل مفرح أكثر بالنسبة للجميع وبالنسبة لإياس أيضاً، ولكن ماسة حالما أنت عينها بعين والدها حتى أخفضت رأسها خجلاً منه وندم مما بدر منها.

كذلك حضر رامي وملاك وهجرس ولمي وأحمد والدته، كلهم كانوا مدعويين وطبعاً هم لن يضيعوا فرصة حفل زفاف إياس ومشاركته فرحته، وأيضاً كان يوجد شقيقة راغب وشقيقه الثانيان.

دقائق ودخلت حنين وقد كان إياس متلهفاً لدخولها، حالما رآها حتى ابتسم باتساع وعشق وتقدم منها ليستلمها من والده ويتوجهان للمنصة بحيث أنهما عُقد قرانهما على خير.

الحفل كان رائع للغاية وكل شخص كان مهتم بما يخصه يرقصون ويمرحون، كذلك سارة ظلت مرافقة لسامح ولم تبتعد عنه أبداً، أتتصرون لقد شعرت بالغيرة من ابنة راغب فقط لأنها قالت لسامح أنه يبدو وسيماً، أجل يرافاق تلك المرأة العابثة المجنونة تغار من طفلة عمرها أربعة عشر عاماً.

وبينما كانت ماسة جالسة ولكنها لم تكن سعيدة إذ أنها كانت حزينة لأن والدها إلى الآن لا يحدثها، تنهدت بحزن لتشعر بشخص خلفها، استدارت لترى والدها خلفها يناظرها بابتسامة، تقدمت منه لتقف مقابلة له ونظرة الندم في عينيها، اقترب وهسهس في أذنها ليقول بمرح:

"أترقصين معي يا أميرة"

ابتسمت باتساع من بين دموعها لتحرك رأسها موافقة وتنقض على والدها وتحضنه بقوة، ابتسم سامح باتساع وبادلها الحزن كذلك سارة وخديجة وجومانة ابتسمن اللاتي كانت مراقبن للوضع.

دقائق وحضرت المفاجأة التي كان محضراً إياها إياس لحنين، إذ أنه قد جلب خالته جميلة والتي تكون والدته حنين، تقدمت جميلة من ابنتها وعيناها فائضة بالدموع وماكان من حنين سوى الدهشة لأنها آخر ماكانت تتوقعه هو حضور والدتها التي طردتها من المنزل في يوم من الأيام.

ابتسمت حنين بسعادة من بين دموعها لتحضن والدتها بشوق بالغ كذلك جميلة التي احتضنت ابنتها وهي تذرف دموع الندم على مافعلته بابنتها في السابق وكيف أنها لم تكن الأم المثالية لها، ولكن جميلة قد وعدت نفسها بأنها ستبدأ حياة جديدة وأمور وتصرفات جديدة وستكون الأم المثالية لابنتها الصغيرة.

أجل جميلة قد خسرت ابنة واحدة فهي لا تريد أن تخسر ابنتها الثانية.

بعد ذلك كانت ماسة جالسة مع بنات أعمامها ولم تكن منتبهة لجوز العيون التي كانت تراقبها، دقائق ونهضت ماسة لتتوجه إلى الحمام وقد غابت بضع دقائق وعادت ولكنه وقف بطريقها أحمد شقيق هجرس، نظرت له باستغراب لتبتسم بخفة من بعدها وتقول:

"أهلاً أحمد"

ابتسم ابتساماً جانبية ليقول:

"أهلاً أنسة ماسة، تبدين جميلة جداً"

ابتسمت بغرور وشكرته ليرد لها:

"هل ترقصين معي"

أمسكت خصلة من شعرها الذهبي لتحرك رأسها رافضة بغرور، ابتسم أحمد بسخرية ليقول:

"يحق لك أن تمارسين الغرور ولكن ليس علي يا ماسة"

ابتسمت بتكبر لتقول:

"ولما لا يا سيد أحمد"

حرك كتفيه بلامبالاة ولم يتحدث لتبتسم هي بمكر وتقول:

"أنا لا أرقص مع أحد"

همهم لها ليقول:

"في الواقع لم أكن أعلم بأنك كبرتي وأصبحتي جميلة أكثر من ذي قبل فأنا لم أراكي منذ زمن"

ضحكت برقة لتقول:

"ها أنا أمامك كبرت وأصبحت أجمل ما المطلوب مني الآن"

حرك رأسه رافضاً ليقول:

"لا شيء كنت أريدك أن ترقصين معي فقط"

هممت له لتقول بمكر:

"أشعر بأنك تريد التوصل لشيء ما"

حرك رأسه موافقاً ليقول بهمس:

"أنت لم تمتلكين العينان الزرقاوان والشعر الذهبي وهذا الجمال فقط بل لديك عقلٌ كبير يفكر وذكية جداً أيضاً"

ابتسمت بتكبر لتقول:

"ابنة الأزهري فهذا شيءٌ طبيعي يا أستاذ"

ابتسم باتساع ولكن ابتسامة ذات مغزى وهو ينظر لها من رأسها حتى أخمص قدميها، لاحظت نظراته واقتربت منه بجرأة لتتحدث بهمس:

"إن كنت تريد أن تصل لشيء فعلياً أن تسعى جاهداً للحصول عليه، أنا لا أحب الشبان الكسالا"

أنهت جملتها وغمرت له لتبتسم بمكر وتتوجه إلى حيث كانت جالسة، بينما أحمد ظل واقفاً بمكانه منصدم من الموقف وماهي إلا ثواني حتى ابتسم باتساع وحرك رأسه موافقاً ليبدأ بعمله لكي يحصل على ما يريد كما قالت له تلك الجميلة.

تمر الأيام بسرعة وحياة أبطالنا مستمرة بحلوها ومرها، مرت أربع سنوات على الأحداث ولكن حدثت أحداث جديدة من ضمنها هو خروج خلود من السجن وسوف تعلمون ما الذي حدث معها فيما بعد.

سامح وسارة لم يفترقان طيلة تلك الأعوام وظلا على عشقهما الذي لم يزله السنين بل ازداد أكثر فأكثر.

كانت تركض خلف جسد صغير ممسكة بكأس الحليب وهي تصرخ به، تنهدت بقوة لتقول بحدة:

"جود أيها الصغير تعال إلى هنا، هيا تعال لكي تشرب كوب الحليب"

نظر لها بابتسامة عابثة وطفولية ليحرك رأسه رافضاً ويقول بصوت طفولي ولكنة ثقيلة:

"لا أريد مامي"

تنهدت بتعب لتقول:

"حسناً سوف أعطي كوب الحليب لـ أختك جودي"

صرخ جود وهرول ناحية أمه وهو يقول:

"لا لا أتيت أتيت مامي"

ضحكت عليه لتعطيه الكوب وتقول:

"هيا اذهب إلى جودي واشرب كوب الحليب قبلها هيا اسبقها يابطل"

حرك رأسه موافقاً بحماس وتوجه ناحية أخته وجلس بجانبها، بينما سارة توجهت إلى الأعلى بحيث رجلها نائماً بعمق، ابتسمت بمكر لتمسك منديل ورقي وتلفه وتبدأ بتمريره بداخل أذنه، ما هي إلا ثواني حتى أمسك سامح يدها وتحدث بصوتٍ ناعس:

"أعلمين بأنك لا تفرقين شيئاً عن صغيراي جود وجودي أنتِ طفلة مثلهما"

ضحكت برقة لتقترب من وجهه وتقول:

"ألسنت صغيرتك المدللة أيضاً"

ابتسم ليقول:

"صغيرتي وحبيبتي ومثيرتي وأميرتي ومليكتي وكل شيء في دنيتي"

ابتسمت باتساع ومن ثم قبلته على شفثيه قبلة مطولة ليهمس لها:

"أريدك الآن"

ابتعدت وتحدثت بغنج ودلال:

"لا لا صغيراي في الأسفل وأنت تعلم كم أنهما مشاغبان لربما يدخلان علينا"

همهم لها بمكر ليقول:

"لا بأس سننقل الباب وندعهما يطرقان على الباب حتى يشبعان"

ابتسمت بمكر لتمسك منطقتة بقوة مما جعله يجحظ عيناه ويقول:

"ما بك"

تحدثت ببرود ولهجة أمرة:

"هيا انهض ودع تفكيرك المنحرف جانبا"

نظر لها بحاجب مرفوع ليجرك رأسه بتوعد ويمسكها من معصمها ويعتليها ليبدأ ويطبع قبلاته على وجهها بينما هي حاولت أن تبعده عنها وصرخت ولكنها لم تستطع مقاومته لتسقط في أحضانه ويبدأن جولتهما التي لا يكلان ولا يملان منها.

بينما عند الصغيران والتوأمان جود وجودي والبالغان من العمر ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، كانا جالسان في الصالة يشاهدان الرسوم الكرتونية، تأفأفت جودي بملل لتقول بطفولية:

"أين مامي وأين الفطور أريد طعام"

أجابها جود بطفولية:

"اثمتي ثتأتي بعد قليل يابلهاء"

ملاحظة: جود وجودي كلامهم تقبل وعندهم لدغة بحرف الراء والسين.

عبست بطفولية ومطت شفتها لتقول:

"ثاعد إليها وثأوظ بابي أيضاً"

تأفأف جود وحرك رأسه بياس كالكبار ليقول بصراخ ومعالم وجهه غاضبة:

"حتناً تعالي لنراهما معاً أنا وأنتِ هيا"

نزلت جودي من على الأريكة وكذلك جود ليمسك بيد أخته ويتوجهان إلى الأعلى بحيث غرفة والدهما، طرقا على الباب بيدهما الصغيرتان ولكن لا حياة لمن تنادي، تأفأف جود ليقول:

"تائمان"

حركت رأسها جودي رافضة لتقول:

"لا لا مثنيقظان ولكن بابي يقبل مامي هما يجلبان لنا بيبي ثغير"

حرك رأسه موافقاً ليقول:

"كلامك ثحيح عندما بابا يقبل ماما يجلبان بيبي ثغير هكذا قال لنا بابا هيا تعالي اتركيهما"

هبطا إلى الأسفل وظلا مدة طويلة يلعبان ويشاهدان التلفاز، بعد وقت هبط سامح إليهما وركضا إليه ومن ثم جلسا بأحضانة ليبدأ سامح بملاعبتهما والضحك معهما، وطبعاً جود كان قد سأل سامح إن كان يقبل والدته أم لا وجواب سامح كان:

"كنت أفعل أكثر من القبلاص صغيري عندما تكبر ستعلم ماقصدي"

من الجهة الأخرى سارة التي قد خرجت من الحمام وهي تلف المنشفة حول جسدها، دخلت عليها جودي لتقول سارة:

"ما بكِ أيتها الصغيرة"

لم تجبها جوري ووقعت عيناها على حمالة الصدر الخاصة بسارة، أمسكتها بيديها الصغيرتين وقلبتها لتقول
لأمها بطفولية:

"مامي ماهذه"

نظرت لها سارة بصدمة ومن ثم بعبوس لتسحبها من يدها وتقول:

"لا شأن لكِ يا صغيرة عيب"

نظرت لها جودي ببرائة ومن ثم ظلت واقفة تتابع والدتها وهي ترتب بعض الأغراض ولم ترتدي ثيابها بعد إذ
أنها مازالت تلف المنشفة حول جسدها، عادت جودي وأمسكت حمالة الصدر لترتديها بعشوائية مقلدة والدتها
وابتسمت بطفولية لتهرب إلى الأسفل بحيث والدها جالساً، دخلت جودي إلى الصالة لتضع يديها الصغيرتين
على خصرها وتبتسم بوجه أبيها، نظر لها سامح بذهول وما لبث حتى انفجر ضاحكاً على ابنته الصغيرة،
هبطت سارة لاحقة بابنتها لتجذب عيناها عندما رأت جودي مرتدية حمالة الصدر الخاصة بها، وضعت يدها
على خدها وهي مازالت جاحظة العينين بينما سامح مازال يضحك بقوة و جود يصفق بيديه، نظرت سارة
لابنتها بغضب وقالت بحدة:

"مشاعبة وعديمة الأخلاق سترين وستنالين عقابك"

ضحكت جودي بشغب ووجهت سارة حديثها لسامح لتقول بغضب:

"أجل أجل أنت فقط اضحك حسناً"

ازدادت ضحكات سامح لتتقدم سارة من ابنتها لتمسكها ولكن جودي قد هربت من والدتها ولحقت بها سارة وهي
تصرخ بها بينما سامح مازال يضحك عليهما بقوة.

في المساء كان سامح جالساً برفقة ولديه الصغيرين وسارة، ثواني ورن هاتفه ليرى اسم المتصل وقد كان
المحامي عماد، أجابه وحدته عماد بما يريد ولم يكن من سامح سوى الجمود والبرود، أنهى اتصاله ونهض
ليغير ثيابه وتوجه إلى الخارج تحت نظرات سارة المتعجبة ومناداتها له ولكنه لم يستمع لها ولم يجيبها.

وصل سامح إلى مكتب عماد وبعد السلام والكلام تحدث سامح ببرود:

"كيف حدث ذلك ومنذ متى"

تنهد عماد ليقول:

"في الواقع لقد أخبروني أن أخبركم إن كان يهكم الأمر ياسامح، هي مريضة منذ مايقارب الخمسة أشهر تقريباً والمرض يأكل جسدها"

سامح ببرود:

"ألا تتلقى العلاج"

عماد بإيجاب:

"بلى ولكن وضعها سيء جداً ولا نظن بأنها ستنجو"

همهم له سامح ليقول:

"ألن يفرج عنها بما أنها مريضة بهذا المرض الخبيث"

عماد:

"لا أعلم ولكنها هي موجودة في المستشفى الآن وتتلقى العلاج الكافي والخاص كما أنها تأخذ جرعات لذلك تغيرت وهزلت وشعرها تساقط كثيراً"

تنهد سامح بقوة ولم يتحدث ليعود إلى المنزل وهذه القصة تشغل باله، عندما عاد حاولت سارة أن تعلم ما به ولكنها لم تفجح لذلك تركته على راحته لأنها تعلم بأنه سيحدثها بنفسه فيما بعد.

عند راغب في منزله

دخل إلى المنزل ومن ثم إلى المطبخ ليرى مالكة قلبه تحضر العشاء، ابتسم بحب وتقدم ليحتضنها من الخلف، شهقت بخفة ولكنها ما لبثت حتى ابتسمت ليهمس لها:

"ماذا تفعل حبيبتي"

تمارة بابتسامة:

"كما ترى أحضر العشاء"

راغب:

"وأين تلك الصغيرة لما لا تساعدك"

ابتسمت بخفة لتقول:

"دعها وشأنها لديها امتحانات ولا أريدها أن تعمل بشيء سوى أن تدرس وتنجح، ابنتي الجميلة أريدها من المتفوقين"

ابتسم باتساع ليقول:

"وأنا ألا تريدني من المتفوقين"

ابتسمت لتقول بجرأة:

"عزيزي أنت لك مجالات أخرى"

ضحك ضحكة رنانة لتدخل عليهما تمارة الصغيرة والتي أصبح عمرها ثمانية عشر عاماً، ابتسمت بمكر لتقول:

"إنذا يا عصفير الحب ألن ننتهي من انحرافكما بعد"

ابتسمت تمارة بخجل ليقول راغب:

"وما شأنك أنت يا صغيرة فلتهتمي بدروسك فقط"

ضحكت ضحكة رنانة لتحرك رأسها رافضة ليرد لها راغب بمكر:

"إنذا سأتخلص منك وأزوجك لذلك الشاب أعمى القلب الذي تقدم لك"

صرحت وتحدثت بانفعال:

"عالم لا أريد لا أريد أن أتزوج مازلت صغيرة أنتما لا تحباني تريدان أن تتخلصان مني حسناً سأنتحر اتركاني"

قلبت شفتها السفلى وتوجهت إلى غرفتها بينما راغب وتمارة ضحكا عليها بقوة.

"تفاصيلك الصغيرة جداً

كابتسامتك مثلاً

تجلب لي سعادة كقبيلة

بإبهاج أيامي القادمة كلها"

كان جالساً في صالة منزله وهو يلعب صغيره البالغ من العمر سنة ونصف والذي يدعى سامي، يمرح برفقته ويضحك لضحكاته التي ترد له الروح، تقدمت منه زوجته بابتسامة لتجلس بجانبهما وتشاركهما ضحكهما ومرحهما.

حسناً هذه العائلة الصغيرة لناصر، أجل لقد تزوج خلود شقيقة حنين من بعد خروجها من السجن بسنة، وخصوصاً أن خلود خرجت إنسانة ثانية وبأخلاق ثانية ولم تعد كما السابق، كذلك عادت لوالدتها ورأت شقيقتها وفرحت جداً لأجلها، لم تحزن لأن إياس حب حياتها قد تزوج من شقيقتها على العكس تماماً فهي فرحت جداً لها لأن حنين تستحق كل خير.

الفترة التي مرت على خلود في السجن كانت كقبيلة أن تجعلها ترى العجائب وتتغير كثيراً، لأنها تعرضت لظلم كبير في السجن وكانت النسوة اللاتي في السجن أقوى وأخبث منها، مما جعلها كالدليلة لمعظمهن. هذه الفترة جعلتها تعيد حساباتها وتستعيد ذكرياتها المؤلمة وأفعالها الدنيئة التي فعلتها بالجميع، فلم تسلم منها حتى أختها وأخذت عقابها القاسي والعاقل.

نعم ناصر كان يريد الانتقام وهذا كان انتقامه، أن يتزوج خلود ويتخذها زوجة له أولاً لأجل أن يقنع نفسه أن حنين لم تعد له وثانياً لأجل خلود التي فقدت عذريتها معه.

أحياناً لا يكون الانتقام بشكلٍ سلبي بل يكون انتقام بشكلٍ إيجابي، نفعل أعمال خير مع الذين كنا نحبهم ليعلموا بقيمتنا ولكي نثبت لهم عكس ما هم يروننا به ولكي نكفر عن أخطائنا بحقهم إن كان لنا أخطاء معهم.

إياس وحنين يعيشان أجمل أوقات حياتهما برفقة بعضهما وبوجود كتلة البرائة ابنتهما الصغيرة جوري والبالغة من العمر ثلاث سنوات أصبحت حياتهما أجمل وأجمل.

الآن علمت حنين مامعنى الحب ومامعنى السعادة برفقة مالك قلبها وهي تحمد الله على هذه النعمة التي وهبها بها، أيضاً رأت خلود ورأت تغيرها الملحوظ وفرحت جداً لأنها استقرت في حياتها وتزوجت وأنجبت، كذلك

خلود رأت سارة وسامح وعلاقتها بهما سطحية، حسناً لم يعد هناك حقد أو ضغينة أو غيرة بل هناك فقط الهدوء والاحترام.

طبعاً رامي تزوج ملاك وأنجب منها ليث وعمره ثلاث سنوات وهما يعيشان بسعادة تامة ولا يمنع من افتعال بعض الجنون من قبل ملاك بزوجها.

هجرس ولمى ينتظران مولودهما الجديد، أجل لقد منَّ عليهما الله بعد طول انتظار وبعد الكثير والكثير من العلاج سوف يرزقان وأخيراً بطفلة جميلة ولكن بقي على موعد ولادة لمى شهران أيضاً.

بعد مرور شهر كامل

بهذا الشهر كان قد علم جميع عائلة الأزهرى بمرض حيداء وبوجودها بالمستشفى وبأنها تعيش أيامها الأخيرة بسبب مرض السرطان الذي أصيبت به، لم يقبل سامح الذهاب إليها علماً أن سارة قد طلبت منه ذلك ولكنه لم يقبل، إياس وماسة حزنا جداً على والدتهما فمهما يكن تظل والدتهما التي ربتهما وذهبا لرؤيتها، وأيضاً عائلة الأزهرى حزنوا لأجلها ولم يتشمتوا بها أو ما شابه فالموت والمرض ليس به شماتة أبداً.

في منزل العائلة

أصوات الضجة والضحكات تملأ المكان، يتسامرون ويضحكون ويتحدثون بأمر عدة ويترأسهم الجد سالم طبعاً.

خديجة كانت تطير من فرحتها إذ أنها علمت بأن ابنها الوحيد غسان سيعود إلى دياره برفقة زوجته الحامل في وقتها الحالي، لا تصدق خديجة بأنها ستصبح جدة وسيصبح لها حفيد صغير وقد كان الجميع يبارك لها ويهنئها.

جومانة الجالسة بجانب ابنتها وتطبب على بطنها المنتفخة وهي فرحة ومسرورة بحمل ابنتها.

سامح الذي يضحك على تصرفات إياس وجود وجودي وهم يتشاجرون معاً وسارة تشاركهم أحياناً.

الفتيات والشبان يتحدثون ويتسامرون والجد سالم يراقب عائلته وهو فرح ومسرور بوجود أولاده وأحفاده وأولاد أحفاده أمامه.

لؤي ابن جومانة والذي حقاً وقع لابنة راغب وهو الآن يراقبها بعيناه بكل مكان تذهب إليه.

وجود هجرس ولمى ورامي وملاك وابنتهما وناصر الذي أصبح أكثر تقرباً إلى العائلة، كان موجود هو وابنه ولكن خلود لم تأتي معه وأيضاً وجود جميلة التي أصبحت أكثر تقرباً لנסوة عائلة الأزهرى ولم تعد على عداوة معهن.

ماسة التي دخلت والغضب يعميها حاملة ابنتها الصغيرة على يدها ذات السنة ونصف وتدعى سلام ودخل ورائها أحمد زوجها والذي هو شقيق هجرس، أجل أجل لقد سعى لكي يصل إلى مراده كما حدثته ماسة وقد وصل إليها وتزوجها بعد أن أخرجت عيناه من مكانها.

دخلت عليهم وهي تشتم وتلعن بزوجها بينما أحمد يضحك عليها، تحدث سامح:

"مايك ماسة"

ماسة بغضب:

"أبي سأشكوه لك سيجلب لي الجلطة سأموت منه"

نظر سامح لأحمد بحدة بينما أحمد نظر له بذهول ليرفع يديه باستسلام ويقول سامح:

"ماذا فعل لكٍ تحدثني وأولاد أعمامك سوف يتولون أمره ويقطعون نسله صغيرتي"

شهق أحمد وماسة معاً لتقول ماسة:

"لااااا كل شيء إلا نسله أحب نسله أبي انظر إلى ابنتي ما أجملها هي منه"

ضحك سامح بعدم تصديق ليقول:

"أحقاً منه ظننت بأنها من ابن الجيران"

ضحك الجميع على جملته ليقول سامح لأحمد:

"ماذا فعلت لها وما سبب المشكلة بينكما حدثني ما القصة"

تنهد أحمد ليقول:

"شاب يقول لابنتي أنت جميلة وعيناك جميلة كوالدتك ماذا أفعل به"

تحدث سامح وإياس بصوت واحد:

"تلكمه على وجهه وتوسعه ضرباً"

أحمد ببساطة:

"وهذا ماحدث"

صفق كل من سامح وإياس له لنتنظر لهما ماسة بذهول وتقول:

"أنت غاضب وهمجي ولست حنون أنا لا أريدك هيا خذ ابنتك"

أعطته سلام وتحركت لتخرج من الباب وإذ بها تشعر بشيء يسحبها من الخلف، لم تنظر للخلف بل ظلت تحاول أن تخطو خطواتها وهي تقول:

"اتركني أحمد لا أريدك أنت همجي اتركني دعني وشأني لن أعود لك ولو طبقت السماء على الأرض لا تعتذر لي ولا تتمسك بي كفاك لما ممسكاً بي اتركني أمشي اتركني قلت لك اتركني"

استدارت ماسة في آخر جملتها لترى أن التيشرت التي ترتديها قد علقت بمقبض الباب فقد كانت من نوع الدانتيل، فلم يكن أحمد ممسكاً بها بل كان الباب هو الذي ممسكاً بها، نظرت بذهول وخلصت نفسها لنتنظر لأحمد الذي أصبح بالأرض يضحك بقوة والجميع قد أغشي عليه من الضحك بسبب هذا الموقف، خبنت وجهها وهي تقول:

"يا إلهي فلتبتلعي الأرض يا الله"

ازدادت ضحكاتهم عليها وسلام الصغيرة تقف بينهم واضعة إبهامها في فمها ولا تفهم شيء، تحدث جود بطفولية:

"أنت غبية مائة"

نظرت له بعبوس لتقول:

"اصمت أيها الصغير"

تدخلت جودي لتقول:

"أنتِ ائمتي يا حمقاء أنتِ لئتي ماما أنتِ ثغيرة جداً وبلهاء"

ضحك الجميع على جملتها وانضمت ماسة وأحمد لهم وجلسوا يتسامرون إلى أن تحدث سالم مع سامح:

"لقد علمت أن جيداء بالمستشفى ياسامح كيف أصبح حالها"

تنهد سامح بقوة كذلك ماسة التي بدى على وجهها معالم الحزن ليمسك أحمد بيدها ويبتسم لها بحنان، أيضاً إياس الذي حزن لتبتسم له حنين وتطبطب على كتفه، تحدث سامح:

"أجل أبي ولا أعلم عنها شيء في الحقيقة"

تدخلت سارة لتقول:

"اااه بالمناسبة هناك مفاجأة تنتظركم وستأتي بعد قليل"

تعجب الجميع من هذه المفاجأة ومن ضمنهم سامح وبدأو يسألونها عن نوع المفاجأة ولكنها لم تتحدث بشيء.

بعد وقت ليس بطويل دخلت تلك المرأة بكامل رقتها وأنوثتها، من يراها يقول أنها امرأة بالفعل راقية رزينة عاقلة وهادئة وجميلة، دخلت عليهم بابتسامة خفيفة وهي تجر الكرسي المتحرك لتلك المرأة المنكسرة والبانسة والتي تغيرت جداً وقد أكلها المرض، دقائق من الصدمة والجميع ينظرون لجيداء الجالسة على الكرسي بهيئة مختلفة تماماً وشكلٍ مختلفٍ وورائها كانت واقفة خلود تناظرهم بابتسامة خفيفة.

جيداء التي أصبحت هزيلة جداً تضع على رأسها شيء يخفي صلعها لأنه لم يعد لديها شعر نهائياً تعلق المصل في يدها وتنتظر للجميع بوهن وعينان دامعة، نهضت ماسة وتقدمت منها لتركع على ركبتيهما وتمسك بيد والدتها وتقبلها وهي تبكي، إياس الذي تقدم بسرعة من والدته واحتضنها بقوة، الجميع وقف يراقب هذا المشهد الحزين، سامح الذي تفرقت الدموع بعينه كحال الجميع وسارة التي ابتسمت من بين دموعها لأنها حققت رغبة جيداء.

أجل سارة هي التي تحدثت مع عماد لكي يتكفل بقصة خروج جيداء من المستشفى ولو لبضع ساعات فقط لكي تحقق رغبة جيداء.

جيداء تلك المرأة التي أخذت كل الطباع السيئة الآن وفي آخر أيام حياتها تريد أن تطلب الصفح والعفو من الجميع وتريد أن تموت وهي مرتاحة البال والضمير، وقد تلقت المساعدة والدعم من أكثر امرأة قد أدتها وحققت عليها ودبرت لها المكائد.

أرادت سارة أيضاً أن تعطي فرصة لخلود لتدعها تثبت نفسها أمام جميع أفراد العائلة وطلبت منها أن تبادر وتصلح كل شيء لتكسب ود ومحبة الجميع وكان هذا أفضل شيء تفعله خلود، إذ أنها فرحت لإنها وجدت أكثر إنسانة قد كرهتها هي من تقف بجانبها وتكون لها صديقة لكي تدعها تصلح أخطائها ليصبح لها أكثر من صديقة في هذه العائلة.

الآن علمت خلود لما إياس كان يعشق سارة والآن علمت لما سامح عشقها وتمسك بها فكلما تقربت منها أكثر ازداد إعجابها بها وازدادت تعلقاً بها وازدادت يقين ببقاء قلب سارة وبأنها لا تستحق إلا الخير.

الجميع لم يستطع أن لا يسامح جيداء ليس حزناً عليها فقط بل ولإنها قد كبرت بأعين الجميع على هذه الخطوة التي أقدمت عليها.

جلست بينهم وتعرفت على كل من هو جديد في العائلة إن كان من زوجات الأبناء أو أزواج الفتيات وأيضاً رأت الأحفاد ورأت أولاد سامح وقد قبلتهما بحب وظلت تتحدث إليهما بوهن وتضحك معهما وأيضاً رأت ابنة ماسة وابنة إياس وأيضاً رأت أخيها راغب وتمارة التي اعتذرت لها عن كل ما بدر منها.

خديجة التي كانت أكثر امرأة تحقد على جيداء ولا تطيقها هي الآن تحدثها وتضحك معها وكذلك جومانة وحنان وزوجة رأفت وزوجة بسام، كلهن كانت يحدثن جيداء ويضحكن برفقتها، كما أن خلود انضمت لهم وجلست بينهم واعتذرت لهم عن كل ما بدر منها في السابق وتصافت القلوب فيما بينهم، وفي الواقع ناصر كان قد طار من فرحته لأن خلود أقدمت على هذه الخطوة واعتذرت من الجميع، الآن علم أنها تغيرت للأفضل والآن يمكنه أن يفتح قلبه لها.

جيداء كانت تشعر وكأن الروح ردت لها إذ أنها كانت فرحة ومسرورة جداً بالجميع ولكن عيناها كانت مسلطة على سامح الذي كان ينظر لها بابتسامة خفيفة ونادمة، وجهت نظرها لسارة لترأها تتحدث مع خلود وتضحك معها، تنهدت لتقول بوهن:

"أريد أن أتحدث مع سارة"

نظرت لها سارة بابتسامة لتنهض وتجر كرسيها إلى الصالة الثانية، جلست أمامها لتقول:

"أخبريني ماذا تريدين"

تحدثت جيداء بوهن وعينان دامعة:

"أنا حدثتك عن رغبتني وأنت لم تبخلي علي بالمساعدة، فقط أريدك أن تكملين معروفك معي لو سمحتي"

ابتسمت سارة لتقول بهدوء:

"أي شيء تطلبينه لك"

ابتسمت جيداء بوهن لتقول:

"أريد الأعلى على قلبك"

نظرت لها سارة بهدوء لتبتسم بخفة وتقول:

"فهمت عليك وسيحدث ماتريدين"

تنهدت جيداء بقوة وهبطت دمعتان على وجنتيها لتقول:

"لربما غداً أموت أو لربما بعد شهر أو بعد شهران ولكن أرجوك فقط أريد أن أقضي ماتبقى من عمري وأنا على ذمته أرجوك"

ابتسمت سارة باتساع لتقول:

"وأنا لا مانع لدي نهائياً"

نهضت سارة لتجر كرسي جيداء وتعود إلى الصالة الكبيرة بحيث الجميع جالساً هناك، وقفت بالمنتصف وراء كرسي جيداء لتقول بابتسامة:

"أريد أن أزوج سامح يا أعزاء"

نظر لها سامح بقوة وقد فهم مقصدها ليبتسم بخفة والجميع نظر لها باستغراب لتردف سارة:

"لقد وجدت له عروس جميلة جداً مارأيكم"

تحدث سالم بابتسامة:

"ومن هي ياترى"

سارة بابتسامة مشيرة إلى جيداء:

"هذه المرأة الجميلة ستصبح ضررتي"

ضحك الجميع لتقول سارة موجهة حديثها لسامح:

"ها مارأيك بهذه العروس ياسامح أليست جميلة"

نهض سامح وتقدم من جيداء ليقول:

"وأجمل عروس رأتها عيناى"

أمسك بيد جيداء وقبلها برقة لتضحك جيداء وتبكي في آن واحد، اقترب سامح واحتضنها بقوة لتبادلته الحزن والجميع هبطت دموعهم في هذه اللحظة، منهم من يمسح دموعه ومنهم من يبتسم بانتساع ومنهم من ينظر بابتسامة محبة.

فصلا العناق ليبتعد سامح وهو يناظرها بابتسامة ليقترب إياس ويضع يده على كتف والده ويقول مماًزحاً:

"سيد سامح لن أزوجك والدتي قبل أن نسأل عنك وعن أخلاقك"

هذه الكلمة جعلت الجميع يضحك بقوة وسعادة، تلاقت عينان سامح بعينان سارة لتحكى العيون الكثير من الكلام، هالة العشق تحيط بهما، نظراتهما لبعضهما واضحة كوضوح الشمس، مليئة بالمحبة والعشق والجنون، كل من يراهما يتمنى أن يتعلم العشق منهما، سامح يعلم جيداً أن الله قد من عليه بهذه النعمة فهو إن عاش ألف عام لن يجد امرأة رقيقة وجميلة وصبورة ونقية القلب كصغيرته سارة.

"وجئتُ إليك لا أدري لماذا جئت

فخلفت الباب أمطار تطاردني

شتاءً قاتم الأنفاس يخنقني

وأقدام بلون الليل تسحقني

وليس لدي أحباب

ولا بيت ليؤويني من الطوفان

وجئتُ إليك تحملني

رياح الشك للإيمان"

أحياناً نضطر أن نتنازل حتى نحصل على مانريد برضاً وقناعة تامة دون أن نخطأ. فلنكن دائماً مثل أولئك الذين يرتدون القبعات الصفراء متفائلين إيجابيين. على يقين أن غداً أحلى وأجمل.

إلتقينا هنا بكل حب و إحترام و وفاء .. تعانقنا عبر الحروف والكلمات .. بكينا بين الفواصل و النقاط و إستقرينا بين نبضات السطور ..

دواخلنا هشة لا تحتاج لشيء خارق لكي تزهر بل لكلمة طيبة و موقف بسيط يخلق فينا ألف حياة ..

فهنيئاً للقلوب النقية البسيطة التي تعرف متى تُهدي الكلمات و كيف تُهديها وفي أيّ مكان تضعها ..

هنيئاً لمن يعرفون كيف يحتفظون بما يحبّون و يتمسكون بهم برغم قساوة كل شيء ..

وهنيئاً لنا بهذا الكمّ من المحبة و السلام و الأمان الذي نحسّه على بساط هذا البيت الدافئ ..

و مهما بعدتنا المسافات و طالت الأمانى و جفّت غصون الأحلام تبقى بقلوبنا نبضات وفاء لكل قطعة دافئة لامست أعماقنا بصدق ...

النهاية

تمت بإذن الله
